الوجوه والنظائر

في القرآن الكريم

يبحث في معاني كلمات القرآن الكريم

التي تشترك في اللفظ والنطق والرسم وتختلف في المعاني

تأليف

أبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري

المتوفى بعد سنة ٣٩٥ هـ

تحقيق

أحمد السيد

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKI
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Title : Al-Wujūh Wal-naẓā'ir fī al-Qur'ān al-Karīm

الكتاب : الوجوه والنظائر في القرآن الكريم

Classification: Sciences of Qur an
Author : Abu Hilāl al-ᶜAskari
Editor : Aḥmad al-Sayyid
Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
Pages : 360
Size : 17*24
Year : 2010
Printed in : Lebanon
Edition : 1st

التصنيف : علوم قرآن
المؤلف : أبو هلال العسكري
المحقق : أحمد السيد
الناشر : دار الكتب العلميـــة - بيروت
عدد الصفحات : 360
قياس الصفحات: 17*24
سنة الطباعة : 2010
بلد الطباعة : لبنـــان
الطبعة : الأولى

DKi
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٠٠٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: ٠٠٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

Exclusive rights by © Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut-Lebanon No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

ISBN 978-2-7451-5620-4

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ونتوكل عليه فهو نعم الوكيل.. وبعد

فعلم الوجوه والنظائر في القرآن: هو علم يبحث لمعاني كلمات القرآن التي تشترك في اللفظ والنطق والرسم لكنها تختلف في المعاني بحسب موضعها، في المصحف مثلاً كلمة العين هي العين الجارحة، وهي العين الجارية، وهي العين الذات، والعين الذهب، والعين الجاسوس، هذه كلمة واحدة لكن تختلف بحسب السياق التي ترد فيها، فلذلك ذكر هؤلاء العلماء الكلمة المعينة وذكروا معانيها في كل آيات القرآن، وقد سبق إليها كثير من العلماء، ومن هذه الكتب المشهورة:

١- إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للدامغاني.

٢- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي.

٣- الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية للثعالبي.

٤- والأشباه والنظائر لهارون بن موسى.

٥- أشباه مقاتل بن سليمان.

وغير هؤلاء ممن كتب في هذا العلم.

وهم جميعا يسيرون على نهج واحد حيث يأتون باللفظة في كتاب الله ثم يسوقون الوجوه المختلفة لها ويقدمون الدليل على ذلك من القرآن الكريم والسنة المطهرة.

وقد شذ صاحبنا أبو هلال العسكري عن هؤلاء العلماء فأضاف إلى كل ذلك أصل الكلمة فتحدث عن أصل الكلمة في اللغة العربية واشتقاقها ثم قدم الوجوه المختلفة لهذه الكلمة فمثلا كلمة "إمام" قال فيها: **إمـــام** قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل رحمه الله: الإمام أصله: القصد، وسمي الإمام

إماما؛ لأنك تقصد قصده في أفعاله. وقيل للخليفة: إمام؛ لأنك تقصد قصد أوامره، أو لأنه يتقدم، فتتبع أثره. والطريق: إمام؛ لأنه يقصد. وقد أممت، إذا قصدت. وأصل التيمم: التأمم، وهو تفعل من ذلك. وأمر أمم: قصد، وهو ما بين القريب والبعيد. وأم الشيء: أصله، ترجع إلى هذا؛ لأن كل من يريد الشيء فإنما يقصد أصله، فيبتدئ به في أكثر الحال. وأم الدماغ: الجلدة الرقيقة التي تجمعه. وسميت الأم أما؛ لأن ولدها يتبعها. وسميت سورة الحمد: أم الكتاب؛ لأنها تتقدم الكتاب، فهو تابع لها كما يتبع الولد أمه. والإمام في القرآن على أربعة أوجه: **أولها**: بمعنى القائد، قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة آية ١٢٤]، أي: قائدا في الخير مقتدى بك..... إلخ.

عملنا في الكتاب

يسر الله لي إحدي النسخ وهي نسخة إيران عندما كان يعمل صديق لي بالعراق، ثم قمت بنسخها وأشرت لها بالنسخة "ن"، ثم عندما ذهبت إلى الأردن سنة ٢٠٠١ وقعت تحت يدي نسخة أخرى وهي مصورة ولعلها من مكتبات تركيا كما ذكر لي بعض علماء الأردن، وقد أشرت لها بـ " ت" وهي نسخة غير كاملة بها نقص في آخرها، أما النسخة الأولى فهي كاملة تتخللها بعض الخروم ولعله سقط في أوراق التصوير، ثم طابقت النسختين وقمت بالإحالة إلى أحد مصادر هذا العلم وهو كتاب الوجوه والنظائر لهارون بن موسى، وكذلك أشرت إلى أصول الكلمات بالرجوع إلى معجم مقاييس اللغة لابن فارس وغيره من المعاجم. فهذا كتاب جليل فخذ منه ما صح وما كان خطأ فاغفر لي فالكمال لله وحده.

والله أسأل أن ينفعنا بما فيه ويغفر لنا تقصيرنا فهو الغفور الرحيم.

وكتبه راجي عفو ربه

أحمد السيد

في يوم الجمعة ٢٥ تشرين الأول سنة ٢٠٠٢

ترجمة المصنف

اسمه وكنيته ونسبه:

الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، أبو هلال العسكري.

وقد وقع خلط عند كثير من الباحثين بينه وبين أبي أحمد العسكري وهو على ما نرجحه أنه شيخه كما نبينه فيما بعد.

نشأته:

ولد أبو هلال العسكري في عسكر مكرم وهي بلدة مشهورة في نواحي خوزستان ينسب إلى مكرم بن معزاء الحارث، وبها نشأ ولازم بعض علمائها وعلى رأسهم أبا أحمد العسكري وهو العلامة اللغوي الذي وصفه القفطي بالعالم الفاضل الكامل الرواية المتقن صاحب التصانيف الحسان، وربما كان أبو هلال هذا ابن أخت أبي أحمد ولم يذكر هذه القرابة إلا ياقوت الحموي في معجمه.

ومما لا شك فيه أن أبا هلال العسكري تتلمذ على أبي أحمد ونهل من علمه وأخذ عنه فأكثر وعن غيره فأوعى،ثم برع في الأدب وراح ينظم الشعر ويصنف الكتب.

مصنفاته:

١- كتاب التلخيص

٢- كتاب جمهرة الأمثال

٣- كتاب الأوائل.

٤- كتاب الدرهم والدينار.

٥- كتاب المحاسن في تفسير القرآن.

٦- كتاب شرح الحماسة.

٧- كتاب العمدة.

٨- كتاب ديوان المعاني.

٩- كتاب الفروق بين المعاني.

١٠- كتاب الصناعتين.

هذا ما تبين لنا الوقوف عليه من مصنفات هذا العلامة الكبير ولعل له مصنفات أخرى لم تقع عليها عيني فلله الحمد والمنة.

وفاته:

لم تذكر المصادر تاريخا محددا لوفاته فمنها من ذكر أنة توفي بين سنتي ٣٩٥-٤٠٠ هـ، ومنها من قال سنة ٣٩٥ هـ، ومنها من قال سنة ٤٠٠ هـ، ومنها من قال أنه مات بعد الأربعمائة. والأرجح عندنا أنه سنة ٤٠٠ هـ.والله أعلم.

مصادر الترجمة:

١- كشف الظنون.
٢- خزانة الأدب.
٣- بغية الوعاة.
٤- إنباه الرواة.
٥- معجم الأدباء.
٦- الأعلام.
٧- معجم البلدان.

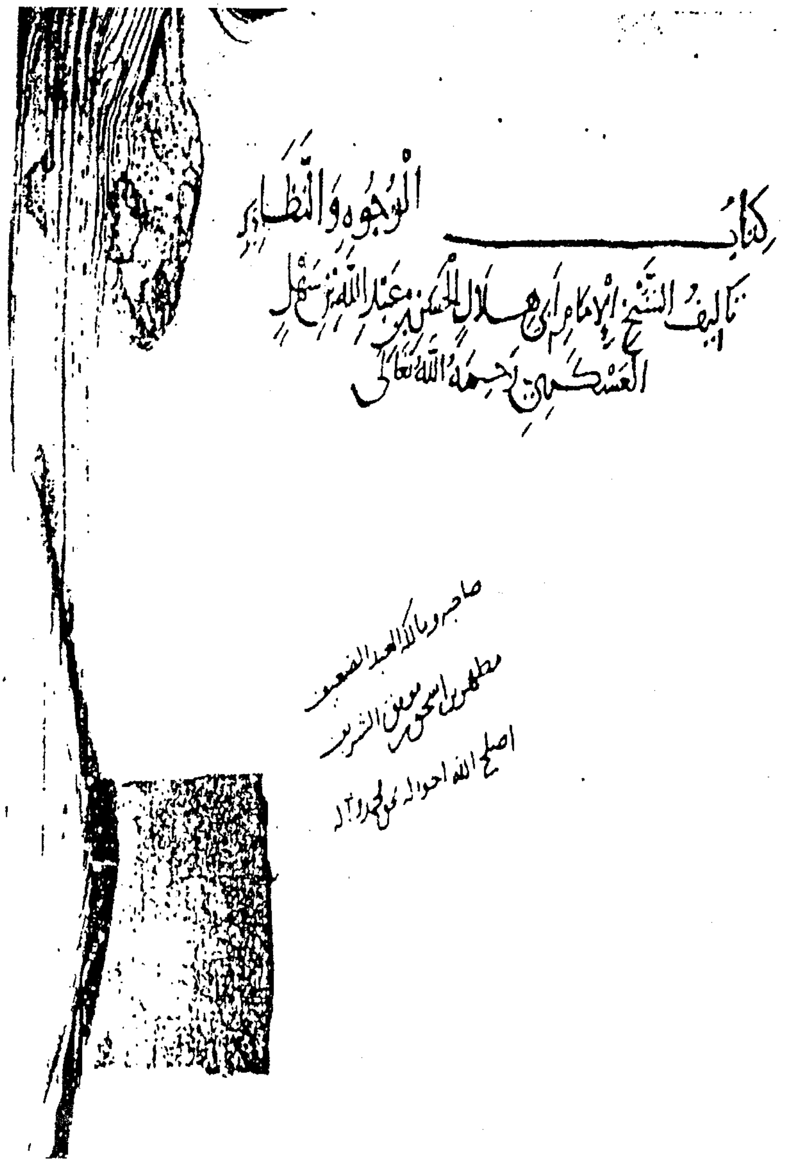

كتاب الوجوه والنظاير

تأليف الشيخ الإمام أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري رحمه الله تعالى

صار من أملاك العبد الضعيف

مطهر بن إسحق بن موسى الشريف

أصلح الله أحواله بمحمد وآله

صورة الغلاف من مخطوطة إيران

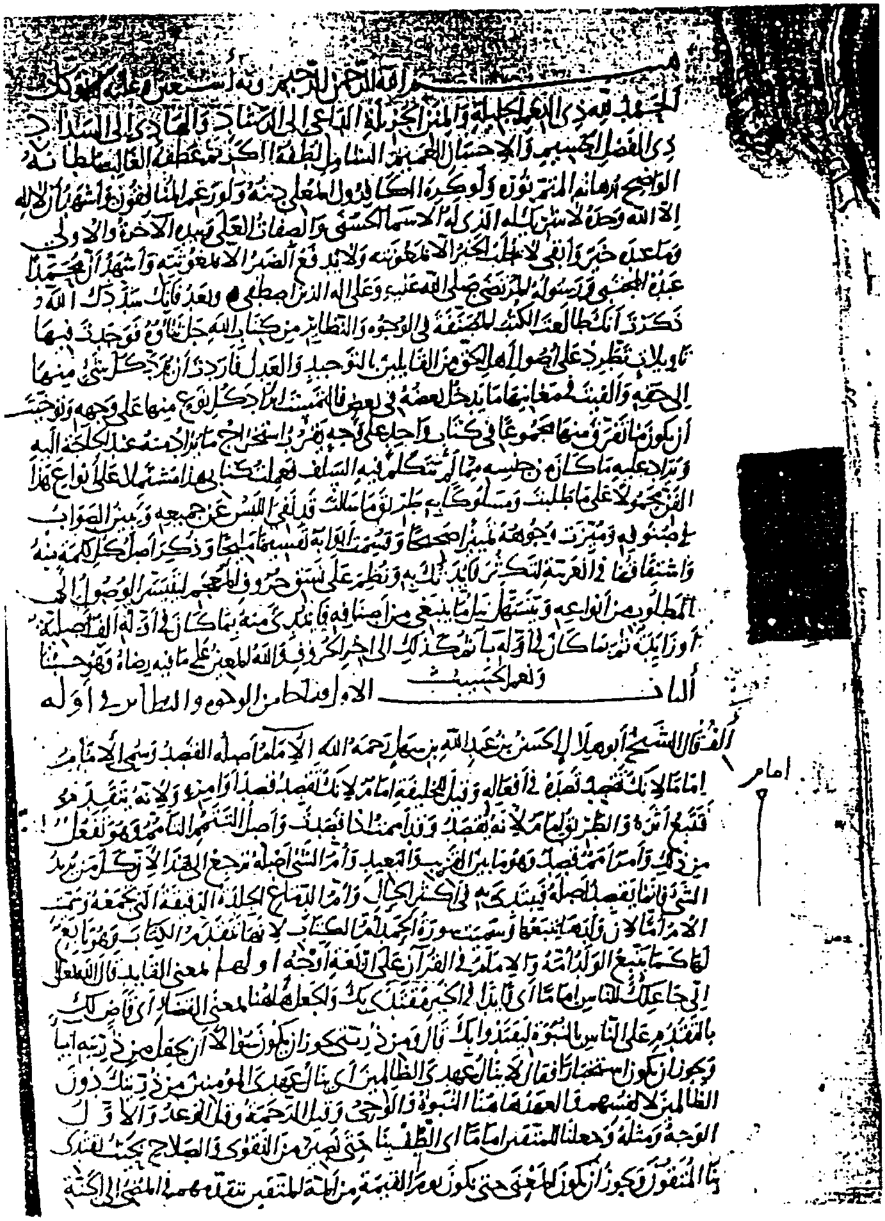

بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين وعليه توكلت
الحمد لله ذي النعم الجليلة والمنن الجزيلة الداعي إلى الرشاد والهادي إلى السداد
ذي الفضل الجسيم والإحسان العميم السابغ لطفه الكثير معطفه الغالب سلطانه
الواضح برهانه المتم نوره ولو كره الكافرون المعلي دينه ولو رغم المنافقون وأشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى وبيده الآخرة والأولى
وما عنده خير وأبقى لا جالب للخير إلا ما لم يكونه ولا دافع للضر إلا ما لم يغوثه وأشهد أن محمدا
عبده المجتبى ورسوله المرتضى صلى الله عليه وعلى آله الذين اصطفى وبعد فإنك سألت أيدك الله و
ذكرت أنك طالعت الكتب المصنفة في الوجوه والنظائر من كتاب الله جل ثناؤه فوجدت فيها
تأويلات تطرد على أصول أهل الكوفة من القائلين بالتوحيد والعدل فأردت أن يجمع كل شيء منها
الحجة والبينة في مغايبها ما يدخل بعضه في بعض فالتمست أن أذكر كل نوع منها على وجهه ونوحت
أن يكون ما افترق منها مجموعا في كتاب واحد على وجه يقرب استخراج ما تريد منه عند الحاجة إليه
وتزاد عليه ما كان من جنسه مما لم يتكلم فيه السلف فعملت كتابي هذا مشتملا على أنواع هذا
الفن محتويا على ما طلبت وسلكت به طريقا ما سلك قبلي فيه الشرح عن جميعه وبين الصواب
في مبتوليه وميزت وجوهه تمييزا صحيحا وقسمت الرواية تقسيما مليحا وذكرت أصل كل كلمة منه
واشتقاقها في العربية لتكثر فائدة الكتاب به ونظمت على نسق حروف المعجم ليتيسر الوصول إلى
المطلوب من أنواعه ويسهل نيل ما يبتغى من أصنافه فابتدأت منه بما كان في أوله الألف أصلية
أو زائدة ثم بما كان في أوله باء ثم كذلك إلى آخر الحروف والله المعين على ما فيه رضاه وهو حسبنا
ونعم الحسيب
الباب الأول فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله
الألف قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل رحمه الله الإمام أصله القصد وسمي الإمام
إماما لأنك تقصد قصده في أفعاله وقيل للخليفة إمام لأنك تقصد قصده وأمره ولأنه يتقدم فيُتبع أثره والطريق إمام لأنه يقصد وقيل أممت الشيء إذا قصدته وأصل التيمم القصد ... ونفعل
من ذلك وأمرا أمما قصدا وهو ما بين القريب والبعيد وأم الشيء أصله ترجع إليه الأشياء كأن من يريد
الشيء إنما يقصد أصله فيتبرك به في أكثر الحال وأم الدماغ الجلدة الرقيقة التي تجمعه وسميت
الأم أما لأن ولدها يتبعها وسميت سورة الحمد أم الكتاب لأنها تتقدم الكتاب وهو تابع
لها كما يتبع الولد أمه والإمام في القرآن على أربعة أوجه أولها بمعنى القائد قال الله تعالى
إني جاعلك للناس إماما أي قائدا في الخير مقتدى بك والجعل هاهنا بمعنى التصيير أي ناصبك
بالتقدم على الناس بالنبوة ليقتدوا بك قال ومن ذريتي يجوز أن يكون سؤالا أن يجعل من ذريته أئمة
ويجوز أن يكون استفهاما فقال لا ينال عهدي الظالمين أي ينال عهدي المؤمنين من ذريتك دون
الظالمين لا يستحقون العهد هاهنا النبوة والوحي وقيل الرحمة وقيل الوعد والأول
الوجه ومثله وجعلنا للمتقين إماما أي اقتدينا حتى يصير من التقوى والصلاح بحيث يقتدى
بنا المتقون ويجوز أن يكون المعنى حتى يكون بعضهم القدوة من أمته للمتقين ويتقدمهم في المضي إلى الجنة

أمام

الورقة الأولى من مخطوطة إيران

الورقة الأخيرة من مخطوطة إيران

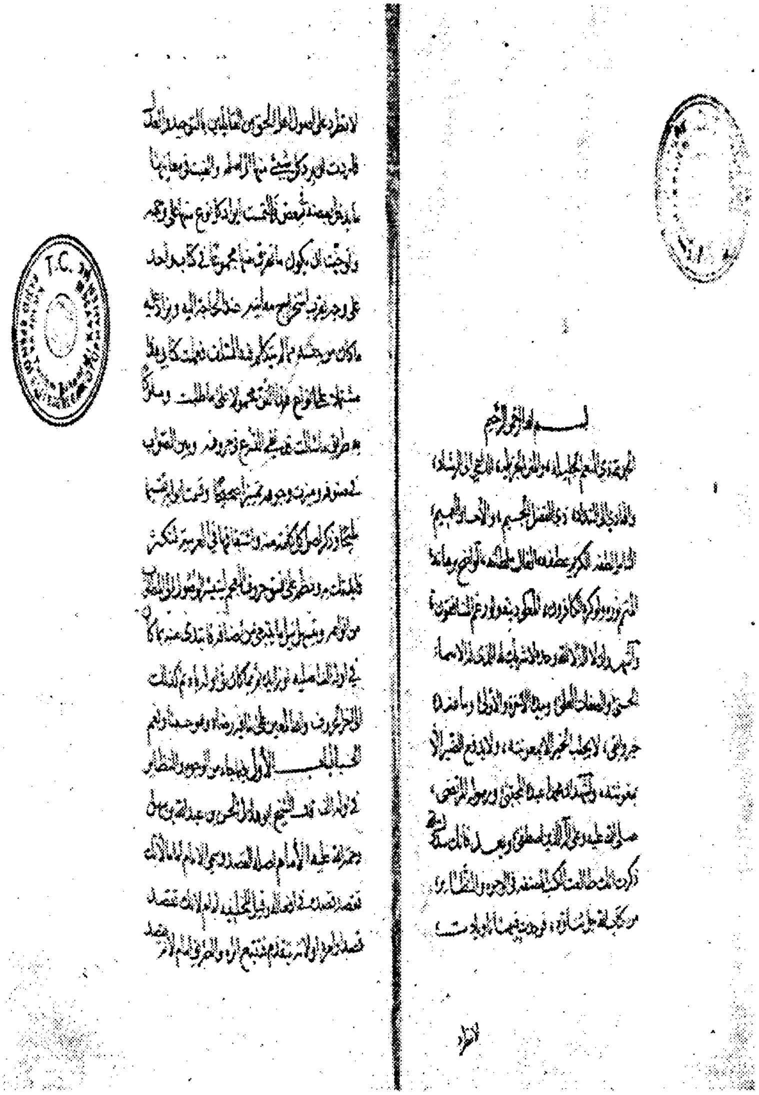

الورقة الأولى من مخطوطة تركيا

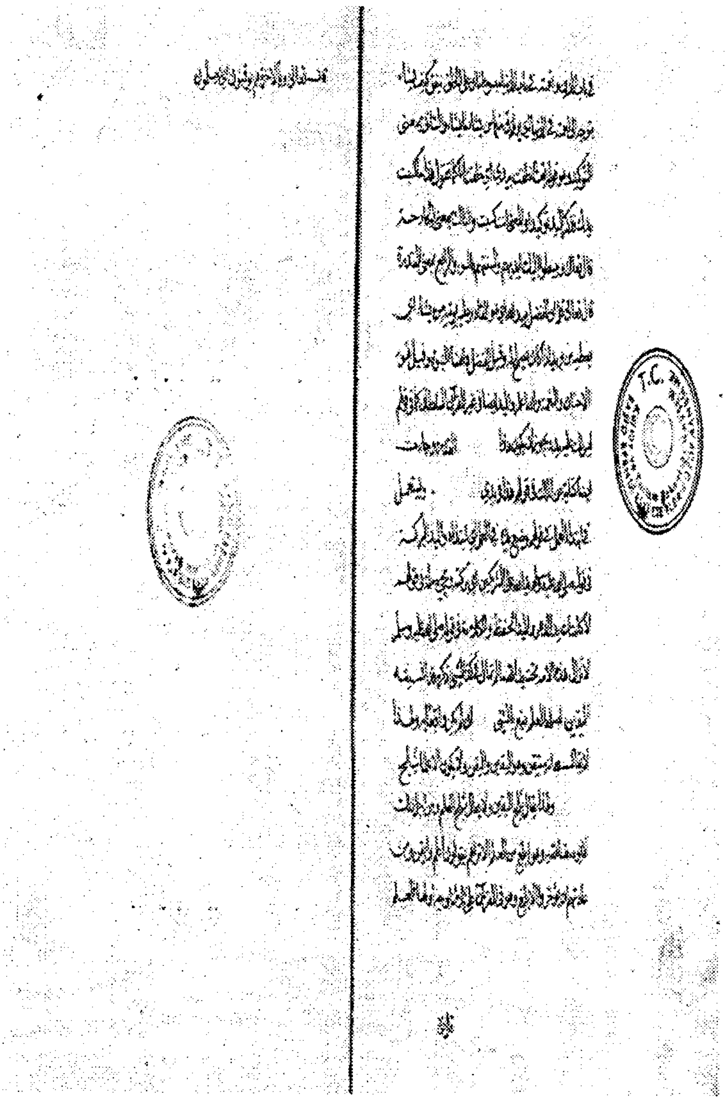

الورقة الأخيرة من مخطوطة تركيا

بسم الله الرحمن الرحيم

[وبهِ أَسْتعينُ، وعَلَيهِ أَتوكلُ][(١)]

الحمدُ للهِ ذي النعم الجليلةِ والمِنَنِ الجزيلةِ، الداعي إلى الرشادِ، والهادِي إلى السدادِ، ذي الفَضْلِ الجَسيم والإحسانِ العميم، الشاملِ لطفُه، الكريم عطفُه، الغالبِ سلطانُه، الواضحِ برهَانُه، المتم نورَه: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة آية ٣٢]، المعلي دينه ولو رغم المنافقون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وبيده الآخرة والأولى، وما عنده خير وأبقى، لا يجلب الخير إلا بمعونته، ولا يدفع الضر إلا بمغوثته، وأشهد أن محمدا عبده المجتبى ورسوله المرتضى، صلى الله عليه وعلى آله الذين اصطفى، وبعد...

فإنك - سددك الله - ذكرت أنك طالعت الكتب المصنفة في الوجوه والنظائر من كتاب الله جل ثناؤه، فوجدت فيها تأويلات تطرد على أصول أهل الحق من القائلين بالتوحيد والعدل.

فأردت أن يرد كل شيء منها إلى حقه، وألفيت في معانيها ما يدخل بعضه في بعض، فالتمست إيراد كل نوع منها على وجهه، وتوخيت أن يكون ما تفرق منها مجموعا في كتاب واحد على وجه يقرب استخراج ما يراد منه عند الحاجة إليه، ويزاد عليه ما كان من جنسه مما لم تتكلم فيه السلف.

فعملت كتابي هذا مشتملا على أنواع هذا الفن، محمولا على ما طلبت، ومسلوكا به طريق ما سألت، قد نفي اللبس عن جميعه، ويبين الصواب في صنوفه، وميزت وجوهه تمييزا صحيحا، وقسمت أبوابه تقسيما مليحا، وذكر أصل كل كلمة منه واشتقاقها في العربية؛ لتكثر فائدتك به، ونظم على نسق حروف المعجم؛

(١) في ت: " اللهم أعن ".

ليتيسر الوصول إلى المطلوب من أنواعه، ويتسهل نيل ما ينبغي من أصنافه.

فأبتدئ منه بما كان في أوله ألف أصلية أو زائدة، ثم بما كان في أوله باء، ثم كذلك إلى آخر الحروف.

والله المعين على ما فيه رضاه، وهو حسبنا ونعم الحسيب.

الباب الأول

في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ألف

إمــام(١)

قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل رحمه الله:

الإمام أصله: القصد(٢)، وسمي الإمام إماما؛ لأنك تقصد قصده في أفعاله.

وقيل للخليفة: إمام؛ لأنك تقصد قصد أوامره، أو لأنه يتقدم، فتتبع أثره.

والطريق: إمام؛ لأنه يقصد. وقد أممت، إذا قصدت.

وأصل التيمم(٣): التأمم(٤)، وهو تفعل من ذلك.

وأمر أمم: قصد، وهو ما بين القريب والبعيد.

وأم الشيء: أصله، ترجع إلى هذا؛ لأن كل من يريد الشيء فإنما يقصد أصله، فيبتدئ به في أكثر الحال.

---

(١) في ت: " الإمام ". وينظر: الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٦٣.
والإمام: الذي له الرياسة العامة في الدين والدنيا جميعاً. والإمامان: الشخصان اللذان أحدهما عن يمين الغوث، أي القطب، ونظره في الملكوت، وهو مرآة ما يتوجه من المركز القطبي إلى العالم الروحاني من الإمدادات، التي هي مادة الوجود والبقاء، وهذا الإمام مرآته لا محالة، والآخر عن يساره، ونظره في الملك، وهو مرآة ما يتوجه منه إلى المحسوسات من المادة الحيوانية، وهذا مرآته ومحله، وهو أعلى من صاحبه، وهو الذي يخلف القطب إذا مات. ينظر التعريفات للجرجاني ١ / ١٠.

(٢) جاء في مقاييس اللغة لابن فارس: الهمزة مع الميم لها أصل واحد يتفرع منه أربعة أبواب، وهي: الأصل والمرجع والجماعة والدين، وهذه الأربعة متقاربة، وبعد ذلك أصول ثلاثة، وهي: القامة والحين والقصد. معجم مقاييس اللغة ١ / ٢١.
وجاء في كتاب العين للخليل بن أحمد: والإمام: الطريق، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾. والأمام: بمنزلة القُدّام، وفلانٌ يؤمّ القوم، أي: يَقدُمُهُمْ. وتقول: صَدْرُك أمامُك، تَرْفَعُه، لأنّك جَعَلته اسْماً، وتقول: أخُوك أمامَك، تنصب، لأنّ أمامَك صفة، وهو مَوْضعٌ للأخ، يُعْنَى به ما بين يديك من القرار والأرض. العين مادة (أ م م).

(٣) في ت: " التتمم " وهو خطأ وما جاء في ن هو الصواب.

(٤) سقط من ت.

وأم الدماغ: الجلدة الرقيقة التي تجمعه.

وسميت الأم أما؛ لأن ولدها يتبعها.

وسميت سورة الحمد: أم الكتاب؛ لأنها تتقدم الكتاب، فهو تابع لها كما يتبع الولد أمه.

والإمام في القرآن على أربعة أوجه[١]:

أولها: بمعنى القائد، قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة آية ١٢٤]، أي: قائدا في الخير مقتدى بك.

والجعل هاهنا بمعنى القضاء، أي: قاض لك بالتقدم على الناس بالنبوة ليقتدوا بك، : ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [البقرة آية ١٢٤]، يجوز أن يكون سؤالا: أن يجعل من ذريته أنبياء، ويجوز أن يكون استخبارا، فقال: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة آية ١٢٤]، أي: ينال عهدي المؤمنين من ذريتك دون الظالمين لأنفسهم.

والعهد هاهنا: النبوة والوحي، وقيل: الرحمة، وقيل: الوعد، والأول الوجه.

ومثله: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان آية ٧٤]، أي: الطف بنا حتى نصير من التقوى والصلاح بحيث يقتدي بنا المتقون. ويجوز أن يكون المعنى: حتى نكون يوم القيامة من أئمة المتقين نتقدمهم في المضي إلى الجنة ويتبعوننا.

وقال: إماما، وأراد أئمة، سماهم بالمصدر.

أَمَّ يؤم إماما وإمامة، كما تقول: جل جلالا[٢] وجلالة، ومثله: الكتاب والكتابة، وقيل: معناه: اجعلنا للمتقين بالائتمام بهم[٣]، أي: اجعلنا أتباعا لهم.

ونحوه قوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [هود آية ١٧، الأحقاف ١٢]، يعني: التوراة يقتدى بها.

---

(١) أورد هارون بن موسى في كتابه وجهًا خامسًا، وهو: " الإمام " يعني التوراة، فذلك قوله عز وجل في هود: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا﴾ يقتدى به، ﴿وَرَحْمَةً﴾ [هود ١٧] لمن آمن به.
والحق أن ما ذهب إليه هارون بن موسى في كتابه من زيادة وجه خامس وهو أن الإمام: التوراة. لا يقوم به دليل؛ وذلك لأنهم فسروا قوله تعالى: ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾، بالتوراة، وليس المراد بها هاهنا التوراة وإنما المراد به التوراة هنا هو ﴿كِتَابُ مُوسَىٰ﴾، فالصواب أن يفسر قوله: ﴿كِتَابُ مُوسَىٰ﴾ بالتوراة. وهذا ما ذهب إليه علماء التفسير عند تفسيرهم لهذه الآيات. أما قوله: ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾. فقد فسروها بأن كتاب موسى قائدٌ يقتدى به ورحمة لمن آمن به، أي أنزلناه إماما ورحمة فلم تهتدوا به. وينظر في ذلك: تفسير القرطبي ٩/ ١٧، ١٦/ ١٩١، وتفسير الطبري ٢٦/ ١٢.

(٢) في ن: " جلاله ". (٣) في ت: " لهم ".

الثاني: الكتاب، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء آية ٧٢]، أي: بكتابهم الذي فيه[١] أعمالهم. وقيل: بداعيهم الذي دعاهم إلى الهدى أو الضلالة. وقيل: بدينهم.

الثالث: قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس آية ١٢]، يعني: اللوح المحفوظ، والشاهد قوله: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَارَهُمْ﴾ [يس آية ١٢]، أي: نكتب ما سلف من أعمالهم[٢]، وما أثروه في الدنيا من سنن الخير أو الشر[٣]، ثم قال: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ أي: وكتبنا كل شيء في اللوح المحفوظ؛ لتعتبر الملائكة بما[٤] يكون من ذلك لأوقاته، لا لمخافة [٥] النسيان؛ لأن النسيان لا يجوز على الله.

الرابع: الطريق، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر آية ٧٩]. أي: بطريق واضح تمرون عليها في أسفاركم، يعني: القريتين المهلكتين؛ قرية قوم لوط وأصحاب الأيكة.

الأمة[٦]

راجعة إلى القصد، وهي: الجماعة التي تقصد الأمر بتضافر وتعاون. وقولنا:

---

(١) سقط من: ن (٢) في ت: " أفعالهم ".
(٣) بعده في ت: " وقيل آثارهم إلى الخير أو الشر ".
(٤) في ن: " ما ". (٥) في ت: " لمخالفة ".
(٦) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٦٤. والأُمّة: كلّ قوم في دينهم من أُمّتهم، وكذلك تفسير هذه الآية: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، أي: دين واحد وكلّ من كان على دينٍ واحدٍ مخالفاً لسائر الأديان فهو أمّة على حدةٍ، وكان إبراهيم عليه السّلام أمّة.. وعن النّبي صلى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: يبعث يوم القيامة زيد بن عمرو أمّة على حِدةٍ، وذلك أنّه تبرّأ من أديانِ المُشركين، وآمن بالله قبل مبعث النّبيّ عليه السّلام، وكان لا يدري كيف الدّين، وكان يقول: اللّهم إنّي أعْبُدك، وأبرأ إليك من كلّ ما عُبِد دونك، ولا أعلم الذّي يُرضيك عنّي فأفعَلَهُ، حتّى مات على ذلك. وكلّ قوم نُسِبوا إلى نبيٍّ وأضيفوا إليه فهم أمّة.. وقد يجيءُ في بعضِ الكلام أنّ أمّة محمّد صلّى الله عَليْه وآله وسلّم هم المسلمون خاصّة، وجاء في بعض الحديث: أنّ أمّته من أُرسل إليه ممن آمن به أو كفر به، فهم أمّته في اسم الأمّة لا الملّة. وكلّ جيل من النّاس هم أمّة على حِدةٍ. وكلّ جنسٍ من السِّباعِ أُمّة، كما جاء في الحديث: لولا أنّ الكلاب أمّة لأمرت بقتلها فاقتلوا منها كلّ أسود بهيم، وقول النابغة:

حلفت، فلم أترك لنفسك ريبة... وهل يأثَمَنْ ذو أمّة وهو طائع

من رفع الألف جعله اقتداء بسُنّة ملكه، ومن جعل إمّة مكسورة الألف جعله دِيناً من الائتمام، =

أمة محمد صلى الله عليه، معناه: الجماعة القاصدة لتصديقه، المتفقة في أصول دينه، وإن اختلفت في الفروع.

ويجوز أن يكون أصل الكلمة الجمع(١). فقيل للرجل: أمة؛ لأنه يسد مسد الجماعة. والإمام: إمام؛ لاجتماع القوم عليه. والأم؛ لجمعها أمر الولد.

والأمة: الدهر؛ لأنها جماعة شهور وأعوام، وهو قوله: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف آية ٤٥]. وقيل: يريد بعد حين أمة فحذف.

وأمه: إذا قصد الاجتماع معه(٢). وفلان حسن الأمة، أي: القامة؛ وذلك لاجتماع(٣) خلقه على الاستواء.

والأمي: قيل: من الأمة الجماعة، أي: على أصل ما عليه الأمة، وقيل: هو من الأم.

وهي في القرآن على عشرة أوجه(٤):

= كقولك: ائتم بفلان إمّة.والعَرب تقول: إنّ بني فلانٍ لَطِوال الأُمَم يعني: القامَةَ والجِسْم، كأنهم يتوهّمون بذلك طولَ الأُمَم تشبيهاً، قال الأعشَى:

فـإنّ مُـعـاوِيـةَ الأكـرمـيـن... صِـبـاحُ الـوُجُـوهِ طِـوالُ الأُمَـمْ

والائتمام: مصدر الإمّة.. ائتمّ بالإمام إمّة، وفلانٌ أحقّ بإمّة هذا المَسْجِد، أي: بإماميّته.. وكلّ من اقتُدِيَ به، وقُدِّم في الأمور فهو إمامٌ، والنبيّ عليه السّلام إمام الأُمّة، والخلفيةُ: إمامُ الرَعيّة.. والقرآن: إمام المسلمين.

والمُصْحَفُ الذي يُوضَعُ في المساجد يُسَمَّى الإمام.

والإمام إمام الغلام، وهو ما يتعلّم كلّ يوم، والجميع: الأئمة على زنة الأعمّة. إلّا أنّ من العرب من يطرحُ الهمزةَ ويكسِرُ الياءَ على طَلَب الهَمْزة، ومنهم من يخفِّف يومئذٍ فأمّا في الأئمة فالتَخفيف قبيحٌ. والإمام: الطريق، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾.

والأمام: بمنزلة القُدّام، وفلانٌ يؤمّ القوم، أي: يَقدُمُهُم. وتقول: صَدْرُك أَمامُك، تَرْفَعُه، لأنّك جَعَلته اسْماً، وتقول: أَخُوك أمامَك، تنصب، لأنّ أمامَك صفة، وهو موْضعٌ للأخ، يُعْنَى به ما بين يديك من القرار والأرض، وأمّا لبيد:

فَعَدَتْ كلا الفرجين تحسبُ أنّه... مَوْلى المخافة خَلفُها وأمامُها

فإنّه ردّ الخَلْف والأمام على الفرجين، كقولك: كلا جانبيك مولى المخافة يمينك وشمالك. العين مادة (الأمة).

(١) راجع ما سبق ص١٣ حاشية ٢، وينظر كذلك تفسير الطبري ٢/ ٣٣٥، فعنده أصل الأمة: الجماعة.

(٢) في ن: " معين ".

(٣) سقط من: ت.

(٤) أما وجوه هارون بن موسى فقد جاءت فيه على ثمانية أوجه.وجاء في الجمهرة ١/ ٥: والأمّة لها مواضع، فالأمة: القَرْنُ من الناس من قوله: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾، وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾، أي إماماً. والأمةُ: الإمام. والأمَّةُ: قامة الإنسان. والأمَّةُ: الطول. والأمَّةُ: المِلة، ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ =

أولها: الجماعة، قال الله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة آية ١٢٨]، أي: جماعة، ومثله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [البقرة آية ١٢٤]، وقوله تعالى: ﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ [آل عمران آية ١١٣]، وقوله: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ [المائدة آية ٦٦]، وقوله: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ﴾ [الأعراف آية ١٥٩].

الثاني: الملة، قال الله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة آية ٢١٣]. يعني: أهل أمة واحدة، أي: ملة؛ فحذف لبيان المعنى، كما قال: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف آية ٨٢].

وسميت الملة أمة؛ لاجتماع أهلها عليها، ويجوز أن يقال: أنها سميت أمة؛ لأنها تقصد وتتبع.

والمراد أن الناس كانوا على الكفر فيما بين آدم ونوح، أو فيما بين نوح وإبراهيم، فبعث الله النبيين عليهم السلام بالأوامر والنواهي والبشارات والزواجر، : ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [البقرة آية ٢١٣]، أي: الذي فيه الحق؛ ليكون فصلا بين المختلفين بما فيه من التمييز بين الصواب والخطأ، وهو مثل قولك: ذهب به، وخرج به، وما أشبهه[(١)].

= ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾. وأمُّ مَثْوَى الرجل: صاحبةُ منزله الذي ينزله. وفي الحديث: أن رجلًا قيل له: متى عهدك بالنساء؟ قال: البارحة، وقيل له: بمن؟ قال: بأم مثواي. فقيل له: هلكتَ، أو ما علمت أن الله قد حرمَ الزّنا. فقال: والله ما علمت. وأحسب أن في الحديث أنه جيء به إلى عمرَ، نضّر الله وجهه، فقال: استحلفوه بين القبر والمِنْبَر أو عند القبر أنه ما علم فإن حلفَ فخلّوا سبيله.

وقال الراجز:

وأمُّ مثواي تدرّي لِمَّتي ... وتغمِزُ القَنْفاءَ ذاتَ الفَرْوَةِ

أصل القَنَف لصوق الأذنين بالرأس وارتفاعهما. ويعني بالقَنْفاء في هذا الموضع: الحَشَفَة من الذَّكَر. تدرّي، أي تسرّح. ذات الفروة: الشَعر الذي على العانة، وهو هاهنا الفَيْشَة.

وسُمّي " مَفروقاً " بهذا. وتُفْرَق: يُجعل له فَرْق. وأخبرَنا أبو حاتم عن أبي عبيدة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾؛ قال: اللوح المحفوظ. وأم أوعال: هضبة معروفة. أنشد:

خلّى الذنابات شِمالاً كَثَباً ... وأمَ أوعالٍ كَهَا أو أقْرَبا

وأمُّ خِنَّوَر: الضَبُع.

وقال الشافعي: الأمة على ثلاثة وجوه؛ قوله تعالى ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف ٢٢]، قال: على دين، وقوله تعالى: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف ٤٥]، قال: بعد زمان، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ [النحل ١٢٠]، قال: معلما. أنظر: أحكام القرآن ١/ ٤٢.

(١) راجع تفسير الطبري ٢/ ٣٣٤-٣٣٦، ولسان العرب ١٢/ ٢٤.

الثالث: أهل الإسلام بعينه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [يونس آية ١٩]، يعني: حالهم على عهد آدم، وما كانوا عليه في سفينة نوح[(١)]. ومثله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [النحل آية ٩٣]، ومثله في المائدة[(٢)]، أي: لو شاء الله لجعلكم متفقين على الإسلام قهرا، كما قال تعالى: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء آية ٤].

الرابع: قوله: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الأنبياء آية ٩٢]. أي: ملتكم[(٣)]، فهي هاهنا الملة بعينها، وفي الأول: الجماعة المتفقة على الملة الواحدة كما بينا.

قال الزجاج: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ رفع؛ لأنه خبر هذه، المعنى: أن[(٤)] هذه أمتكم في حال اجتماعها على الحق، فإذا افترقت فليس من خالف الحق داخلا فيها، فنصب: ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على الحال[(٥)].

وقرئ: (أمة واحدة[(٦)] على أنها[(٧)] خبر بعد خبر، ومعناه: إن هذه أمة واحدة [ليست آية أمما، ويجوز أن يكون نصب: ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ على التوكيد كأنه قال: إن أمتكم كلها أمة واحدة][(٨)].

الخامس: قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ [هود آية ٨]. يعني: سنين[(٩)].

ومثله قوله تعالى: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف آية ٤٥]. أي: بعد حين.

وسمي الحين أمة؛ لأنه جماعة أوقات وشهور. وقيل: هو على حذف: أي: بعد حين أمة، أي: جماعة.

وقرئ: بعد أمه[(١٠)]، أي: بعد نسيان. وقيل: ﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾، أي:

---

(١) راجع تفسير أبي السعود ٤/ ١٣٢، وفتح القدير ٢/ ٤٣٣، وكذلك تفسير الطبري ٢/ ٣٣٤-٣٣٦.

(٢) وهو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [المائدة ٤٨].

(٣) في ن: " مثلكم ".

(٤) في ت: " أي ".

(٥) راجع تفسير الطبري ١٨/ ٢٩.

(٦) ذُكِرَ ذلك عن عبد الله بن أبي إسحاق أنه قرأه: أُمَّةٌ واحِدَةٌ بنية تكرير الكلام، كأنه أراد: إن هذه أمتكم هذه أمة واحدة. الطبري ١٧/ ٨٥.

(٧) في ن: " أن ".

(٨) ما بين المعكوفين سقط من: ن، وينظر تفسير الطبري ١٨/ ٢٩.

(٩) راجع معاني القرآن للفراء ٣/ ٣٣٣، وتفسير الطبري ١٢/ ٦-٧، والدر المنثور ٤/ ٤٠٥.

(١٠) قرأ ابن عباس وزيد بن علي رضي الله تعالى عنهم: " أَمَهٍ " بفتح الهمزة والميم المخففة وهاء =

جماعة معدودة، بأنه ليس فيها من يؤمن، فإذا صارت كذلك أهلكت بالعذاب.

السادس: قوله تعالى: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ [النحل آية ٩٢]، يعني: قوما يكونون أربى من قوم؛ أي: أكثر عددا[١]، ومنه الربا؛ لأنه زيادة في أصل المال.

ومثله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ [الحج آية: ٣٤]. أراد أنه جعل لكل أمة من الأمم التي[٢] خلت فيها الرسل منسكا؛ وهو الذبائح التي كان أمرهم أن يتقربوا بها إلى الله - ونتكلم في ذلك فيما بعد إن شاء الله - ولم يرد جميع الأمم؛ لأنه لم يجعل للمجوس وعباد الأصنام مناسك[٣].

السابع: الإمام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ [النحل آية ١٢٠]. أي: إماما يقتدى به في الخير[٤].

وقيل الأمة: الرجل العظيم، وسمي بذلك؛ لأنه يؤم في الحوائج؛ أي: يقصد.

الثامن: أمة كل رسول؛ يعني: من بعث إليه الرسل من أمثال عاد، وثمود، وقوم لوط؛ وهو قوله تعالى: ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ [الحجر آية ٥، المؤمنون ٤٣]، يعني: من هذه الأمم لم تسبق أجلها في العذاب[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر آية ٢٤]. يعني: الأمة من

= منونة، من أمه يأمه أمها إذا نسي. روح المعاني للألوسي ١٢/ ٢٥٣، والطبري ١٢/ ٢٢٧، وينظر مختار الصحاح: أ م هـ.

(١) راجع تفسير البيضاوي ٣/ ٤١٧، وتفسير الطبري ١٤/ ١٦٥-١٦٨.

(٢) بعده في ن: " قد ".

(٣) راجع تفسير القرطبي ١٢/ ٥٨، وتفسير الطبري ١٧/ ١٦٠.

(٤) راجع تفسير الطبري ٢/ ٣٣٥، وفيه: " وأصل الأمة الجماعة تجتمع على دين واحد ثم يكتفى بالخبر عن الأمة من الخبر عن الدين لدلالتها عليه، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [المائدة ٤٨]. يراد به أهل دين واحد وملة واحدة.
فوجه ابن عباس في تأويله قوله: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾. إلى أن الناس كانوا أهل دين واحد حتى اختلفوا.
وقال آخرون: بل تأويل ذلك كان آدم على الحق إماما لذريته فبعث الله النبيين في ولده ووجهوا معنى "الأمة" إلى الطاعة لله والدعاء إلى توحيده واتباع أمره من قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾. يعني بقوله: ﴿أُمَّةً﴾ إماما في الخير يقتدى به ويتبع عليه.

(٥) راجع تفسير الطبري ١٨/ ٢٣، وروح المعاني ١٨/ ٣٤.

هذه الأمم؛ لأن الفرس والسند والهند والزنج أمم ولم يبعث فيها نذير، وإنما كانوا متعبدين بتصديق من بعث في غيرهم من الأنبياء، على حسب ما يعبدوا[١] بتصديق محمد صلى الله عليه وآله، ولم يبعث فيهم.

التاسع: قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[٢] [آل عمران آية ١١٠]. يعني: أمة محمد صلى الله عليه وآله خاصة[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة آية ١٤٣]. أي: عدلا[٤]. وهو من واسطة القلادة، وليس من قولهم: هذا شيء وسط. إذا كان بين العالي والمنحط، ومنه قول النبي صلى الله عليه وعلى آله: " أنا أوسط قريش[٥] نسبا "[٦].

وله وجه آخر: وهو أن الوسط: العدل، وسمي بذلك؛ لأنه بين غلو الغالي وتقصير المقصر[٧].

ومعنى الآية على هذا: إنكم لم تغلوا في الأنبياء غلو النصارى في عيسى، إذ قالوا: إنه إله. ولم تقصروا فيهم تقصير اليهود، إذ قالوا: إنه كذاب[٨].

ومن الأول قولهم: فلان وسيط في حسبه، أي: هو الكامل المتناهي.

وفي الآية دليل على أن الأمة لا تجتمع على الباطل[٩].

والوسط بالإسكان: الموضع.

والوسط بالتحريك: ما بين طرفي كل شيء، وأصل الكلمة العدل، فالمكان لا يمتد إلى المسافة إلى أطرافه.

والرجل الأوسط في قومه: الذي تكلله الشرف من نواحيه.

العاشر: قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ [الرعد آية

---

(١) في ت: " تعبدوا " (٢) بعده في ن: " تأمرون بالمعروف ".

(٣) سقط من: ت.

(٤) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢/ ٥٠٣، والعجاب في بيان الأسباب لابن حجر ١/ ٣٩٠.

(٥) سقط من: ن.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (ح٣٧١٣)، وأحمد في المسند (ح٣٩١)، وابن حبان في صحيحه (ح٤١٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (ح١٦٣١٢) بلفظ: " قريش هم أوسط العرب نسبا ودارا وقدرا ".

(٧) راجع تفسير القرطبي ٢/ ١٥٣. (٨) راجع تفسير القرطبي ٢/ ١٥٤.

(٩) أخرجه ابن ماجه في سننه (ح ٣٩٤٠)، وعبد بن حميد في مسنده (ح ١٢٢٤)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (ح ١٢٣) من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أمتي لا تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم".

٣٠]. يعني: الكفار من أمة محمد صلى الله عليه، وقد تقدم ذكر الأمم والرسل في القرآن، فعطف قوله: ﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ على أولئك الرسل، فكأنه قال: كما أرسلنا إلى أمم رسلا من قبل أرسلناك إلى أمة، يعني: هذه الأمة، و: ﴿خَلَتۡ﴾ . أي: مضت ولم تبق منهم باقية.

وفي هذا التزهيد في الدنيا والحث على الاعتبار بمن سلف. ثم قال: ﴿لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [الرعد آية ٣٠]. أي: لتتلوه عليهم وتدعوهم إلى العمل به فحذف ذلك.

وقوله: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ [الرعد آية ٣٠]. موصول بقوله: ﴿أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٍ﴾ . الكفر بالرحمن دينهم.

والأصل في هذا كله واحد إلا أن موضع الاستعمال يختلف.

وهاهنا وجه آخر، وهو قوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ﴾ [الأنعام آية:٣٨]. لما جعلها أمثالهم في الخلق والموت والبعث جعلها أمما.

الأخذ(١)

أصله(٢): الجمع، ومنه يقال للموضع الذي يجتمع فيه ماء السماء: الأخذ، والجمع إخاذ، ويقال له: وخذ أيضا، ويقال: ولي على الشأم وما أخذ إخذه؛ أي: اجتمع مع أعماله. ومآخذ الطير: مصائدها؛ لأنها تجتمع فيها، والاتخاذ: أخذ الشيء لأمر يستمر.

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٦٤.

(٢) ذكر ابن فارس في المقاييس أن الأخذ: أصله حَوْز الشيء وجبْيُه وجمعه. المقاييس ١/ ٦٨. وفي العين للخليل ١/ ٣٣١: الأَخْذُ: التناول. والأُخْذَةُ: رقية تَأخُذُ العين ونحوها. والإِخاذةُ: الضَّيْعَةُ يَتَّخِذُها الإنسان لنفسه. ورجل مُؤَخَّذٌ عن النساء كأنه حبسن عن ايتائهن كالعنين ونحوه. ويقال الاتِّخاذ من تَخِذَ يَتْخَذُ تَخذاً وتَخِذْتُ مالاً أي كَسَبْتُه، أُلزِمَتِ التَاءَ كأنها أصلية. والأصل من الأَخْذ إن شاء الله تعالى. وفي القرآن: " لتَخِذْت عليه أجراً ". والأَخِذُ، بغير مد، من الإبل: حين يَأخُذُ فيه السمن، وهن الأَواخِذ. ونحو ذلك: أخِذَ البعير يأخَذُ أَخَذا، فهو أَخِذٌ، أي: شبه الجنون يأخُذُه. وكذلك الشاة. والإخاذُ والإخاذةُ والإخذُ: ما حفرت لنفسك كهيئة الحوض، ويجمع على أُخْذان، وهو أن يمسك الماء أياما. والأَخْذ على تقدير فعل غَدَرَ سمي به لأنه يَتَّخِذُه لنفسه من أخَذَ يأخُذُ. ورجل خِنْذِيانٌ كثير الشر. والمُسْتأخِذُ: المُسْتكينُ، ومريضٌ مُسْتَأخِذٌ أي: مستكين لمرضه.

واستعمل في القرآن على ستة أوجه[١]:

أولها: القبول، قال الله تعالى: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾ [المائدة آية: ٤١]. أي: اقبلوه. وقوله: ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة آية: ١٠٤]. أي: يقبلها، ومعنى قبوله لها إثابته عليها. وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾ [الأنعام آية: ٧٠]. أي: لا يقبل منها فدية، والعدل: الفدية، وسنذكره إن شاء الله.

ومثله قوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ [الأعراف آية ١٩٩]. أي: اقبل الفضل من أموالهم.

قال ابن عباس: العفو ما عفا من أموالهم؛ وهو الفضل منها بعد الكل والعيال، ثم نزلت آية الزكاة، وهو قول مقاتل[٢].

وقال الحسن ومجاهد: أمر النبي صلى الله عليه وآله أن نأخذ العفو من أخلاق الناس[٣].

والعفو هو التيسير والتسهيل، والمعنى: استعمال العفو، وقبول ما سهل من الأخلاق، وترك الاستقصاء في المعاملات، وقبول العذر من المذنب، وإلى نحو هذا ذهب أبو علي رضي الله عنه.

وقال بعضهم: خذ ما أتاك عفوا من إيمان قومك وغيرهم، وينبغي أن يكون هذا قبل فرض السيف.

وقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر آية ٧]. أي: اقبلوه واعملوا به.

الثاني: الحبس، قال الله تعالى: ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ [يوسف آية ٧٨]. أي: احبس، : ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ﴾ [يوسف آية ٧٩]. أي: نحبس، ومثله: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ [يوسف آية ٧٦]. وذلك أنه إذا حبس فقد حصل محصل الأسير، [والأسير][٤] يقال له: الأخيذ.

الثالث: العقاب، قال الله تعالى: ﴿فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر آية ٥]. أي: عاقبتهم. وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ﴾ [هود آية ١٠٢]. أي: عقابه. وقوله: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ﴾ [العنكبوت آية ٤٠]. أي: عاقبنا، وفي هذا

---

(١) جاء في الوجوه والنظائر لهارون بن موسى الأخذ على خمسة أوجه.

(٢) تفسير الطبري ٩/ ١٥٥، ١٥٦.

(٣) تفسير مجاهد ١/ ٢٥٣، والطبري ٩/ ١٥٤- ١٥٦.وهو قول قتادة والضحاك أيضا.
وقد أخرج البخاري في صحيحه (ح ٤٣٦٧) عن عبد الله بن الزبير قال: " أمر الله نبيه أن يأخذ العفو من أخلاق الناس ".

(٤) سقط من: ن.

دليل على أن من لم يفعل ما وجب عليه فقد فعل ذنبا[١].

الرابع: القتل، قال الله تعالى: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ [غافر آية ٥]. أي: ليقتلوه. كذا قيل، والصواب: ليتمكنوا منه، فإما أن يقتلوه، أو يخرجوه، أو يحبسوه، وذلك أن ما أخذته فقد تمكنت منه.

الخامس: الأسر، قال الله تعالى: ﴿وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ﴾ [التوبة آية ٥]. أي: أسروهم واحبسوهم عن وجوههم فإن أسلموا وإلا فاقتلوهم، وإنما أمر بقتلهم وأسرهم وحبسهم ليخافوا النكال فيؤمنوا.

والأشهر الحرم في هذه الآية: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم؛ فواحد منها[٢] فرد، وثلاثة متوالية، وليست هذه الأشهر الأربعة المذكورة في قوله تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة آية ٢]. لأن آخر تلك انقضاء عشر من شهر ربيع الأول، وانقضاء الأشهر الحرم انقضاء المحرم والأربعة الأشهر الأولى، وهي أشهر العهد، والكلام في هذا طويل ليس ذا موضع ذكره.

السادس: الإصابة بالمكروه، قال الله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ [الحجر آية ٧٣]. كذا قيل، والصحيح أنه بمعنى الإهلاك؛ أي: أهلكتهم هذه الصيحة، ويجوز أن يكون نظير قوله: ﴿فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ ؛ لأن الصيحة عقاب.

الاعتداء[٣]

أصله تجاوز الحد، ومنه قيل: عداء جاوزه إذا جاوز قدره، وسمي العدو عدوا لتجاوز حد السعي والمشي، ويجوز أن يكون أصله من الميل، ومنه قيل: عدوة الوادي وهي جانبه، وفي القرآن: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾ [الأنفال آية ٤٢] .ومن ذلك قيل: العدو لميله عمن يعاديه، وسمي الظلم اعتداءا؛ لأنه ميل عن الحق، كما سمي جورا؛ لأنه ميل.

وهو في القرآن على وجهين[٤]:

---

(١) ذكر الألوسي في روح المعاني بعد قوله: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ﴾: هذا وما بعده كالفذلكة للآيات المتضمنة تعذيب من كفر ولم يمتثل أمر من أرسل اليه. وقال أبو السعود: هذا تفسير لما ينبئ عنه عدم سبقهم بطريق الابهام وما بعده تفصيل للأخذ.وقال الفاضل: المذكور للحصر أي كل واحد من المذكورين عاقبناه بجنايته لا بعضا دون بعض.

(٢) سقط من: ن.

(٣) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٨٢.

(٤) كذا جاء في الوجوه والنظائر لهارون بن موسى.

أولهما: التجاوز، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة آية ٢٢٩]. أي: لا تجاوزوها إلى غيرها(١)﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة آية ٢٢٩] أي: يتجاوزها، ومثله: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق آية ١].

الثاني: الظلم، قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ﴾ [البقرة آية ١٩٤]. أي: فمن ظلمكم فجازوه بظلمه، فسمي الجزاء على الظلم ظلما.

قال الشاعر(٢):

أَلَا لَا يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا ... فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا

لم يفتخر هذا الشاعر بالجهل وإنما أراد الجزاء على الجهل.

والجهل هاهنا: ركون الرأس في الشر، وليس هو ضد العلم.

وأول الآية: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ [البقرة آية ١٩٤].

والمعنى: أن المشركين سألوا النبي صلى الله عليه وآله عن القتال في الشهر الحرام، فأنزل الله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ [وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ](٣)﴾ [البقرة آية ٢١٧] .فأرادوا أن يغزوه في الشهر الحرام طمعا أن تكف عنهم فسألوا منه، فأنزل الله: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ . أي: إن استحلوا منك في الشهر الحرام شيئا فاستحل منهم مثله فيه، وأكده ذلك بقوله: ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ . **أي**: لا يجوز ذلك بالمسلمين إلا قصاصا(٤). ثم قال: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ﴾ [البقرة آية ١٩٤]. والمعنى: إنهم إن اعتدوا فقاتلوكم في الشهر الحرام فلا تقصروا عن قتالهم فيه، فيكون الاعتداء من المشركين الظلم، ومن المسلمين الانتقام(٥).

وقوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة آية ٩٤]. أي: فمن قبل

---

(١) راجع تفسير الطبري ٢/ ٤٧٣.

(٢) البيت لعمرو بن كلثوم في قصيدة مطلعها:

أَلا هُبّي بِصَحنِكِ فَاَصبَحينا ... وَلا تُبقي خُمورَ الأَندَرينا.

وكذلك أحمد تقي الدين في قصيدة مطلعها:

رويدك أيها العادي علينا ... فلسنا مطمعا للمعتدينا

(٣) سقط من: ن.

(٤) راجع العجاب في بيان الأسباب ١/ ٤٧١، تفسير ابن كثير ٢/ ٣٥٧.

(٥) راجع تفسير الطبري ٢/ ١٩٦-١٩٨.

الدية ثم قتل فله العذاب؛ لأنه ظالم. وفي قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾. دليل على أن الحر يقتل بالعبد؛ لأن من قتل وليه فقد اعتدى عليه.

الأمر بالمعروف(١)

يعبر عن كل شيء بالأمر، وأصله في اللغة: الظهور(٢)، ومنه قيل للعلامة: أمارة؛ لظهورها، والإمرة؛ لظهور أمرها، والأمير ظاهر الأمر على ما يعلم، وأمر الشيء إذا كثر، ومع الكثرة ظهور الشأن.

والمعروف كله: ما تقبله النفس وتحبه، والمنكر كل ما تكرهه وترده.

وأصل العرفان والمعروف واحد؛ وهو الطمأنينة والسكون، وذلك أنك إذا عرفت الشيء سكنت إليه إن كان محبوبا، وإن كان مكروها عملت في إزالته لتسكن.

والعرف الريح الطيبة؛ لأن النفس تسكن إليها.

والعرف الصبر؛ لأنه يعقب ما يسكن معه، ورجل عروف: صبور، والعرف والمعروف سواء، والعرف، عرف الدابة معروف(٣).

وهو في القرآن على وجهين(٤):

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٩٣.
وجاء في التعريفات ١/ ١١: الأمر بالمعروف: الإرشاد إلى المراشد المنجية، والنهي عن المنكر: الزجر عما لا يلائم في الشريعة. وقيل: الأمر بالمعروف: أمرٌ بما يوافق الكتاب والسنة، والنهي عن المنكر: نهيٌ عما تميل إليه النفس والشهوة. وقيل: الأمر بالمعروف: إشارة إلى ما يرضي الله تعالى من أفعال العبد وأقواله، والنهي عن المنكر: تقبيح ما تنفر عنه الشريعة والعفة، وهو ما لا يجوز في دين الله تعالى.

(٢) جاء في المقاييس لابن فارس: الهمزة والميم والراء أصول خمسة: الأمر من الأمور، والأمر ضد النهي، والأَمَر النماء والبركة بفتح الميم، والمَعْلَم، والعجب. المقاييس ١/ ١٣٧.

(٣) القاموس المحيط مادة (ع ر ف).

(٤) جاء في التحصيل للحكيم الترمذي ص ١٠٩: المعروف على ثلاثة أوجه: الأول: اتباع الرسول، والثاني: القرض وقال فيه: إنما صار المعروف " القرض " في مكان آخر؛ لأن ذلك معدود في محاسن الخلاق ومعروف. والوجه الثالث: حسنة. وقال فيه: وإنما صار المعروف " حسنة " في مكان آخر؛ لأن ذلك من تطييب نفس المؤمن.
قلت: لقد أدخل الحكيم الترمذي الأمر بالمعروف في المعروف واقتصر فيهما على ثلاثة وجوه؛ واحد من الأمر بالمعروف، وهو اتباع الرسول، واثنان من المعروف وهما القرض والحسنة، وذلك بخلاف ما جاء في كتب الوجوه حيث جاء الأمر بالمعروف على وجهين، وجاء المعروف على خمسة أوجه.

الوجه الأول: الأمر بتوحيد الله، [والنهي آية عن][1] الشرك، قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [آل عمران آية آية ١١٠] .جاء في التفسير أنه أراد توحيد[2] الله، [: ﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران آية ١١٠]. يعني: الشرك بالله، ومثله قوله: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [لقمان آية ١٧]. أي: بتوحيد الله][3] ﴿وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [لقمان آية ١٧]. أي: عن الشرك.

الوجه الثاني: قيل: هو اتباع الرسول، قال الله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ [آل عمران آية ١١٣]، ثم قال: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [آل عمران آية ١١٤]. أي: باتباع الرسول، : ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران آية ١١٤]. أي: عن التكذيب به، هكذا قالوا.

قال أبو هلال رحمه الله: وعندنا أن أحد هذين الوجهين داخل في الآخر، وهما جميعا يكونان الأمر بوجوه المحاسن والطاعات كلها.

والنهي عن المنكر: النهي عن المعاصي والقبائح جميعها.

أدنى

أفعل[4]، من الدنو وهو القرب، وتأنيث أدنى: دنيا، وتجمع: دنى، مثل:

---

(١) سقط من: ن.
(٢) في ن: بتوحيد.
(٣) سقط من: ت.
(٤) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١١٥. وفي هذيب اللغة ٤/ ٤٨١: دنأ ودنؤ مهموزاً وغير مهموز.أبو عبيد عن أبي عمرو: رجل أحنأ وأدنأ وأقعس بمعنى واحد. الحراني عن ابن السكيت يقال: دَنَوْتُ من فلان أدنو دُنُوًّا، ويقال: ما كنت يا فلان دَنِيًّا ولقد دنُؤتَ تدنؤ دناءة مصدره مهموز، ويقال: ما تزداد منا إلا قرباً ودناءة، فُرِقَ بين مصدر دنا وبين مصدر دنؤ فجُعل مصدر دَنأ دَنَاوَةً، ومصدر دنؤ دَنَاءَةً كما ترى. قال ابن السكيت: ويقال: لقد دنات تدنأ، مهموز. أي سفلت في فعلك ومَجُنْتُ. وقال الله عز وجل: ﴿أَتَسْتَبْدِلُون الذي هو أَدْنَى بالذي هُو خَير﴾.قال الفراء: هو من الدَناءة، والعرب تقول: إنه لدنيء يُدنِّي ي الأمور غير مهموز يتَّلِعُ خسيسها وأصاغرها، قال: وكان زهير الفرقبي يهمز أتستبدلون الذي هو أدنأ بالذي هو خير.
قال الفراء: ولم نر العرب تهمز أدنأ إذا كان من الخسَّة، وهم في ذلك يقولون إنه لدانئ خبيث فهمزوه. وأنشدني بعض بني كلاب:
باسلة الوقع سَرَابِيلُها ... بيض إلى دانئها الظاهر
وقال في كتاب المصادر: دنُؤَ الرجل يَدْنُؤ دنُوءا ودناءةً إذا كان ماجناً. وقال الزجاج في معنى قوله: ﴿أتستبدلون الذي هو أدنى﴾ غير مهموز أي أقرب، ومعنى أقرب أقل قيمةً، كما يقال: ثوب مقاربٌ، فأمَّا الخسيس فاللغة فيه: دنُؤَ دناءةً، وهو دنيء بالهمز وهو أدنأ منه.
قلت: أهل اللغة لا يهمزون دنُوَ في باب الخسة وإنما يهمزونه في باب المجون والخبث. قال أبو =

كبرى وكبر، وسميت الدنيا دنيا؛ لأنها تؤدي إلى آخرة.

وهو في القرآن على أربعة أوجه(١):

أحدها: بمعنى: أجدر، قال الله تعالى: ﴿وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾ [البقرة آية ٢٨٢]. أي: أجدر أن لا تشكوا إذا رأيتم خطوطكم يخاطب الشهود. وقال: ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة آية ٢٨٢]. يعني: الكتب. وأقسط: أعدل؛ لأنه أبعد من التظالم وأقوم للشهادة؛ يعني: أنها إذا كانت مكتوبة كانت أثبت وأبعد من اعتراض

= زيد في النوادر: رجل دنيء من قوم أدنياء، وقد دنؤ دناءة وهو الخبيث البطن والفرج، ورجل دنيء من قوم أدنياء وقد دني يدني ودنو يدنو دنوًّا، وهو الضعيف الخسيس الذي لا غناء عنده، المُقصِّر في كل ما أخذ فيه، وأنشد فقال:

فَلَا وأَبِيكَ ما خُلُقي بِوَغْرٍ ولا أنا بالدَّنِيِّ ولا المُدَنِّي

وقال أبو الهيثم: المُدَنِّي: المُقَصِّر عما ينبغي أن يفعله، وأنشد:

يا مَنْ لِقومٍ رأيُهُم خَلْفٌ مُدَنْ

أراد مُدَنِّي فقيَّد القافية.

إن يَسْمعوا عَوْراءَ أصغَوا في أَذَنْ

وقال أبو زيد في كتاب الهمز: دنأ الرجل يدنأ دناءة ودنؤ يدنؤ إذا كان دنيئاً لا خير فيه. وقال أبو الحسن اللحياني: رجل دنيء، ودانئ هو الخبيث البطن والفرج الماجن من قوم أدنياء اللام مهموزة، وقد دَنَأَ يدنأ دناءة ودُنؤ يدنؤ دناءة. قال ويقال للخسيس إنه لدنيءٌ من قومٍ أدنياء بغير همز، وما كان دنيًّا ولقد دني يدني دنى ودناية. ويقال للرجل إذا طلب أمراً خسيساً: قد دنَّى يُدَنِّي تدنية.
قلت: والذي قاله أبو زيد واللحياني وابن السكيت هو الصحيح، والذي قاله الزجاج غير محفوظ.
وقال الليث: الدُّنُوّ غير مهموز مصدر دنا يدنو فهو دانٍ وسميت الدنيا لأنها دَنَتْ وتأخرت الآخرة، وكذلك السماء الدنيا هي القربى إلينا، والنسبة إلى الدنيا دنياوي وكذلك النسبة إلى كل ياء مؤنثة نحو حبلى ودهناء وأشباه ذلك. وأنشد:

بِوَغْساءَ دهْناوِيَّة التُّرب طَيِّب

قال: والمُدَنِّي من الناس الضعيف الذي إذا آواه الليل لم يبرح ضعفاً وقد دنَّى في مبيته.
وقال لبيد:

فَيُدَنِّي في مَبِيتٍ ومَحَلّ

ودانيت بين الشيئين قرَّبت بينهما. وقال ذو الرمة:

دانَى له القَيْدُ في ديْمومَةٍ قُذُفٍ قَيْنَيْهِ وانْحَسَرتْ عنه الأناعيمُ

ثعلب عن ابن الأعرابي: الدَّنِي ما قَرُبَ من خير أو شر.
وفي الحديث: " إذا طعمتم فسموا ودنُّوا ". معنى قوله دنُّوا أي كلوا مما يليكم، ويقال: دنا وأدنى ودنَّى: إذا قَرُبَ، قال وأدنى إذا عاش عيشاً ضيقاً بعد سعة، والأدنى: السَّفِلَ.
أبو زيد: من أمثالهم كلٌّ دنيٍّ دونه دنِيٌّ يقول: كل قريب دونه قريب وكل خُلصان دونه خلصانٌ.

(١) كذا جاء في الوجوه والنظائر لهارون بن موسى أربعة أوجه.

شك فيه؛ لأن صاحبها إذا رأى خطه بها لم يشك في صحتها في أكثر الحال.

ومثله: ﴿أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ [النساء آية ٣]. أي: أجدر ألا تجوروا وتميلوا، والعول: الميل عن الحق، والعول: النفقة على العيال، عالهم عولا.

وأول الآية: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[1] [النساء آية ٣] الآية، والمراد: أن أحدهم كان فيما مضى يتزوج عشر نسوة فتعظم المؤونة عليه، فيمد يده إلى مال اليتامى الذي يلي أمرهم وهو مشفق من ذلك، فقيل له: كما خفت على نفسك في أموال اليتامى فخف عليها في حقوق النساء، فإنهن أيضا إلى الضعف والحاجة إلى مالهن، ولا يتزوج منهن أكثر مما يتسع له، ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾. أي: تزوجكم الواحدة أقرب ألا تجوروا.

وقيل: كانوا يتزوجون العشر من اليتامى رغبة في مالهن، فربما عجزوا عن التسوية بينهن في النفقة والفراش، فقال الله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [النساء آية ٣]. أي: في نكاح اليتامى؛ فحذف النكاح ودل عليه بقوله: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء آية ٣]. يعني: من هؤلاء اليتامى، ولم يقل: ما طاب لكم منهن؛ لئلّا يظن أن الخطاب مقصور عليهن دون سائر النساء، وأراد أن يبين أن هذا ينبغي أن يستعمل فيهن وفي غيرهن من النساء، وإذا ذكر النساء دخل اليتامى فيهن، وإذا ذكر اليتامى لم يدخل فيه غيرهن.

الثاني: بمعنى: أقرب، قال الله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ [السجدة آية ٢١]. يعني: الجوع والضر والخوف في الدنيا، : ﴿دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [السجدة آية ٢١] في الآخرة وهي النار. هكذا قالوا[2].

وهو عندنا بمعنى أيسر؛ لأنه جعله مع أكبر، وقوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم آية ٩]. أي: أقرب لا غير.

الثالث: بمعنى: أقل، قال الله تعالى: ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ﴾ [المجادلة آية ٧]. أي: أقل.

الرابع: بمعنى: أدون، قال الله تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة آية ٦١]. أي: الأرفع وهو المن والسلوى بالأوضع، هو ما طلبوه

---

(١) سقط من: ن.

(٢) راجع تفسير الطبري ٢١/١٠٨-١١٠، وتفسير البيضاوي ٤/٣٥٩.

من نبات الأرض، و: ﴿خَيْرٌ﴾ هاهنا بمعنى أفعل؛ وجعل المن والسلوى أرفع من غيرهما، إذ لم يكن في نيلهما تعب ولا إثم(١).

الإسلام(٢)

أصله السكون، ومنه قيل: السلم خلاف الحرب؛ لما فيها من السكون.

ثم استعمل في الخضوع، فقيل: أسلم الرجل واستسلم إذا خضع وتواضع؛ لأن مع(٣) الخضوع سكون الأطراف، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ [الحجرات آية ١٤].

ثم استعمل في الإخلاص، فيقال: أسلم الرجل إذا أخلص لله، وسلم الغلام في صناعة كذا إذا أخلصه لها، وسلم فلان على فلان كأنه عرفه خلوص سريرته، وقد سلم العبد أمره لله؛ أي: فوضه إليه وأخلص التوكل فيه عليه.

والسلامة: الخلاص من الشر، وقوله: ﴿أَسۡلَمۡتُ(٤) وَجۡهِيَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران آية ٢٠]. أي: أخلصت ديني.

ومثله: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [لقمان آية ٢٢]. أي: يخلص دينه له.

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه(٥):

---

(١) راجع تفسير البغوي ١/ ٧٨، وروح المعاني ١/ ٢٧٤.

(٢) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٢٣. وفي تهذيب اللغة ٤/ ٢٩٥: فالإسلام: إظهار الخُضوع والقبل لما أتى به الرسول عليه السلام، وبه يُحقن الدم، فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب فذاك الإيمان الذي هذه صفته، فأما من أظهر قبول الشريعة واستسلم لدفع المكروه فهو في الظاهر مُسلم وباطنه غير مصدِّق، فذلك الذي يقول: أسلمت، لأن الإيمان لابد أن يكون صاحبه صِدِّيقاً لأن الإيمان التّصديق، فالمؤمن مُبطن من التصديق مثل ما يُظهر؛ والمُسلم التامُّ الإسلام مُظهر الطاعة مؤمن بها، والمؤمن الذي أظهر الإسلام تعوُّذاً غير مؤمن في الحقيقة، إلا أن حُكمه في الظاهر حُكم المسلمين. وإنما قلت: إن المؤمن معناه المصدِّق لأن الإيمان مأخوذ من الأمانة، لأن الله جل وعز تولى علم السرائر ونيات العقد وجعل ذلك أمانة ائتمن كل مسلم على تلك الأمانة، فمن صدَّق بقلبه ما أظهره لسانه فقد أدَّى الأمانة واستوجب كريم المآب إذا مات عليه، ومن كان قلبه على خلاف ما اظهر بلسانه فقد حَمَل وزر الخيانة، والله حسيبه. وقيل: المصدِّق مؤمن، وقد آمن لأنه دخل في حد الأمانة التي ائتمنه الله عليها. وكذلك سائر الأعمال التي تظهر من العبد وهو مؤتمن عليها. وبالنية تنفصل الأعمال الزاكية من الأعمال البائرة ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الصلاة إيماناً، والوضوء إيماناً.

(٣) في ت: موضع.

(٤) في ت: "فقل أسلمت".

(٥) جاء الإسلام في الوجوه والنظائر لهارون على وجهين: الإخلاص، والإقرار.

أولها: الإخلاص، قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ [البقرة آية ١٣١]. أي: أخلص، : ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾ [البقرة آية ١٣١]. أي: أخلصت.

الثاني: الإقرار، قال الله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران آية ٨٣]. أي: أقر بالعبادة طوعا باللسان أو كرها؛ لما فيه من الدلالة على صنع الله فيه، على سبيل ما قال الحكماء: كل صامت ناطق. وهذا يقوم مقام الإقرار وإن لم يكن به.

وقال تعالى: ﴿وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [التوبة آية ٧٤]. أي: إقرارهم بالإسلام؛ يعني: المنافقين، فسمى(١) الإقرار إسلاما؛ لأنه من شرائط الإسلام.

الثالث: الخضوع والاستسلام، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات آية ١٤] وخضعنا مخافة السبي والقتل، وهذه الآية خاصة في قوم من الأعراب، وإن كان لفظها عاما فيهم(٢)، إذ كان منهم من أخلص، كما قال: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ [آل عمران آية ١٧٣] .وإنما قال لهم ذلك نفر، وقيل: بل رجل واحد.

الإيمان(٣)

أصل الإيمان السكون والطمأنينة، ومن أمنك فقد سكن إليك، ولهذا لا يصح أن يقال: إن الله يأتمن أنبياءه إذ لا يوصف بأنه يسكن إليهم، ولا يوصف الأنبياء بأنهم يأتمنونه، كما لا يوصفون بأنهم يسكنون إليه.

---

(١) في ت: "فسموا". (٢) في ت: "فيه".

(٣) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٢٥. وفي المخصص ٣/ ١٦٣: الإيمان التّصديق وقد آمَن وزنه أفْعَل ولا يكون فاعَل. قال الفارسي: لا تخلو الألف في آمن من أن تكون زائدة أو منقلبة وليس في القسمة أن تكون أصلاً فلا يجوز أن تكون زائدة لأنها لو كانت كذلك لكانت فاعَلَ ولو كان فاعَلَ لكان مضارعه يُفاعِل مثل يُقاتِل ويُضارب في مضارع ضارَب وقاتَل فلما كان مضارع أمن يُؤْمِن دل ذلك على أنها غير زائدة وإذا لم تكن زائدة كانت منقلبة وإذا كانت منقلبة لم يخل انقلابها من أن يكون عن الياء أو عن الواو أو عن الهمزة فلا يجوز أن تكون منقلبة عن الواو لأنها في مَوْضِع سكون وإذا كانت في مَوْضِع سكون وجب تصحيحها ولم يجز انقلابها وبمثل هذه الدّلالة لا يجوز أن تكون منقلبة عن الياء فإذا لم يجز انقلابها عن الواو ولا عن الياء ثبت أنها منقلبة عن الهمزة وإنما انقلبت عنها ألفاً لوقوعها ساكنة بعد حرف مفتوح فكما أنها إذا خففت في راس وفاس وباس انقلبت ألفاً لسكونها وانفتاح ما قبلها كذلك قلبت في نحو آمَن وآجَر وآتى وفي الأسماء نحو آدَر وآخَر وآدَم إلّا أن الانقلاب ههنا لزمها لاجتماع الهمزتين والهمزتان إذا اجتمعتا في كلمة لزم الثّانية منهما القلب بحسب الحركة التّي قبلها إذا كانت ساكنة نحو آمَن أُوتُمِن.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [يوسف آية ١٧]. أي: بساكن إلينا.

والمؤمن في أسماء الله بمعنى أنه يؤمن عباده من ظلمه، ويسكن قلوبهم حتى لا يخافوا ذلك منه.

ثم استعمل الإيمان بمعنى التصديق؛ لأنك لا تصدق الرجل إلا وقد سكنت إلى خبره.

ويكون المؤمن في أسماء الله تعالى[١] بمعنى أنه مصدق لأوليائه، وتصديقه لهم تسكين عباده إلى قولهم، ويقال: آمنت لرجل إذا صدقته، ومنه قول الشاعر:

وَمِـنْ قَـبْـلُ آمَـنَّـا وَقَـدْ كَـانَ قَـوْ مُـنَا يُـصَـلُّـونَ الْأَوْثَـانَ قَـبْلَ مُـحَـمَّـدَا

ويجوز أن يكون معنى قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [يوسف آية ١٧]. أي: بمصدق قولنا.

وقوله تعالى: ﴿ءَامَنتُمۡ لَهُۥ﴾ [طه آية ٧١] [مفارق لقوله: ﴿ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ [البقرة آية ١٣٧]. معنى: ﴿ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾: صدقتموه. ومعنى: ﴿ءَامَنتُمۡ لَهُۥ﴾][٢]: أظهرتم ما أظهرتموه من عجزكم عن معارضته إعانة له لأمر[٣] توافقتم عليه، ولستم تعرفون صدقه.

وهذا كما تقول: فعلت[٤] ذلك لفلان. أي: ميلا إليه وإعانة له، وإنما قال فرعون هذا القول ليوهم غيرهم أنهم على اعتقاد التكذيب لموسى؛ لأن لا يكون ما ظهر منهم داعية لغيرهم إلى الإيمان به.

وهو في القرآن على أربعة أوجه[٥]:

الأول: بمعنى: الإقرار باللسان من غير اعتقاد؛ قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ [المنافقون آية ٣]. يعني: أقروا علانية وكفروا سرا. وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿[يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ][٦] لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الممتحنة آية ١٣] هكذا جاء في التفسير.

ويجوز عندنا أن تكون المخاطبة في هذه الآية وما قبلها مخاطبة للمؤمنين حقا يأمرهم بخشوع القلوب وترك تولي المغضوب عليهم فيما يستقبل من أعمارهم.

---

(١) سقط من: ن.
(٢) سقط من: ت.
(٣) سقط من: ت.
(٤) سقط من: ت.
(٥) جاء الإيمان في الوجوه والنظائر لهارون.
(٦) سقط من: ن.

وقيل: قوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد آية ١٦] أن هؤلاء قوم من المؤمنين قصروا بعض التقصير ولم يظهر عليهم أثر الإسلام؛ خشوعه ووقاره فاستعتبهم الله بهذه الآية.

وقال بعضهم: كانوا بمكة مجتهدين فلما هاجروا أصابهم الزيف ففتروا عما كانوا عليه، وأن الشيء يبين، وأنى يأتي بمعنى دنا.

الثاني: التصديق سرا وعلانية، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧﴾ [البينة آية ٧].

الثالث: التوحيد، قال الله[1] تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المائدة آية ٥]، قالوا: أراد بالتوحيد، والمعنى على هذا: ومن يكفر بالله الموحد، ويجوز [أن يكون][2] الكفر هاهنا الجحد: أي: من جحد الإيمان بهذه الأحكام التي تقدم ذكرها فقد حبط عمله، وفيه دليل على أن من نذر طاعة ثم ارتد بطل نذره.

الرابع: إقرار المشرك ببعض ما يوافق المسلم، قال [الله تعالى][3] ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف آية ١٠٦] أي: إذا سألتم عن خالقهم قالوا: الله. وهم بعد ذلك لا يعبدونه ويعبدون الأصنام، [ونحو ذلك][4] قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان آية ٢٥]، وسمى بعض المفسرين هذا القول منهم إيمانا.

ونحن لا نطلق عليه اسم الإيمان؛ لأنه لو كان إيمانا لكان صاحبه مؤمنا بالإطلاق، ولكنا نقول: إنه إقرار بالله والمقر بالله يجوز أن يكون كافرا ولا يجوز أن يكون المشرك مؤمنا، وكل ما كان من أسماء الدين مدحا فإنه لا يطلق إلا على من يستحق الثواب، مثل المؤمن والمسلم والمتقي ويجري على غيره مقيدا، فيقول: إن اليهودي مؤمن بالله وهو متق لكذا.

الاستغفار[5]

أصله في اللغة الستر[6]، ومنه قيل: للكمة من الزرد مغفر؛ لأنها تستر الرأس،

---

(١) سقط من: ت.
(٢) سقط من: ن.
(٣) سقط من: ت.
(٤) في ت: " ويجوز ذلك ".
(٥) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١١٩.
(٦) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس: الغين والفاء والراء عُظْمُ بابِه السَّتْر، ثم يشِذُّ عنه ما يُذكر. المقاييس (غفر).

وقد غفرت الشيء سترته، وفي الحديث عن عمر رضي الله عنه " حصنوا المسجد فإنه أغفر للنخامة"[١] وفي هذا جواز التنخم [في المسجد] [٢].

والغفر منزل من منازل القمر، وذلك أن القمر إذا نزل به ستره بضوئه.

والغفر أيضا النكس في المرض؛ لأنه يحول بين صاحبه وبين العافية فكأنه سترها عنه.

والغفارة من الشعر الضفيرة، عن أبي مالك؛ لأنها تستر ما تحتها، وقال غيره: الغفارة خرقة حمراء تشد على العمائم، والجمع غفائر وهذا أصح.

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه[٣]:

الأول: التوبة، قال: ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح آية ١٠]. أي: توبوا إليه، وجعل الاستغفار التوبة؛ لأن في التوبة الاستغفار.

والتوبة على الحقيقة: هي الندم على ما مضى والعزم على ترك مثله في المستقبل، ولو قلت: إن الندم توبة. لم تقرنه بشيء آخر صح؛ لأنه لا يجوز أن يندم على ما فات وهو يعزم على معاودة مثله، وقوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ [هود آية ٣]. الاستغفار[٤] هاهنا التوبة وإنما فصل بينهما للتوكيد، وتكرير الألفاظ على المعنى الواحد توكيد، و: ﴿ثُمَّ﴾ [٥] على هذا التأويل بمعنى الواو، وهو قول الأخفش.

ويجوز [أن آية يكون][٦] قوله: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ . أي: استغفروه استغفارا بعد استغفار، وعن علي عليه السلام أنه قال: الحمد لله ثم الحمد لله أي: الحمد لله مرة بعد أخرى.

ويجوز أن يكون المراد: أنكم كلما ذكرتم الذين استغفروا منه، ويجوز أن يكون المعنى: أن استغفروا مما مضى وتوبوا مما تواقعون في المستقبل.

والفرق بين[٧] الاعتذار والتوبة؛ أن التوبة ندم على ذنب تقر بأنه لم يكن لك[٨] في إتيانه عذر، والاعتذار إظهار ندم على ذنب تذكر أنه كان لك[٩] في إتيانه عذر.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ح٨٨٣٤)، (ح٣٥٨٦٢).

(٢) سقط من: ن.

(٣) كذا جاء الاستغفار في الوجوه والنظائر لهارون على ثلاثة أوجه.

(٤) في ت: " والاستغفار ".

(٥) في ت: " ثم ".

(٦) سقط من: ت.

(٧) في ن: "بعد ".

(٨) سقط من: ت.

(٩) سقط من: ن.

الثاني: الصلاة، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران آية ١٧]، وقال: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات آية ١٨] هكذا[(١)] جاء في التفسير.

ويجوز أن يكون معناه أنهم يصلون الليل ويستغفرون بالأسحار، فجعل استغفارهم بالأسحار دليلا على صلاتهم بالليل ولم يذكرها[(٢)].

وقالوا في قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال آية ٣٣] أنه يعني: يصلون كذا قيل.

ويجوز أن يكون المراد أن الله لا يبعث عليهم العذاب الذي[(٣)] طلبوه في قوله: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال آية ٣٢] وأنت فيهم وليس بالصلاح لك ولهم أن يأمرك بالخروج عنهم ولا ينزل بهم العذاب أيضا، ومنهم من يتوب في المستقبل. والاستغفار التوبة.

قال مجاهد: يستغفرون يسلمون أي: في المستقبل.

الثالث: طلب المغفرة وهو الأصل، قال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ﴾ [يوسف آية ٩٧] والمعنى: سل الله أن يقبل استغفارنا؛ لأنه لا يجوز أن يذنبوا هم ويستغفر[(٤)] لهم غيرهم إلا إذا تابوا، وليس ذلك إلا سؤال قبولهم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ﴾ [يوسف آية ٢٩]. قالوا: معناه استغفري زوجك؛ لأنها كانت مشركة، وكانوا مع الإشراك يحرمون الزنا، ويجوز عندنا أن يكون أمرها باستغفار الله ذنبها وإن كانت مشركة؛ لأن المشرك يقال له ذلك لأجل شركه ولغير شركه من ذنوبه، وعلى أنه لا يقال: استغفرت إلا لِلّـهِ واستغفرت الرجل ليس بمعروف، وإن كان صحيحا في العربية.

الأجل[(٥)]

أجل الشيء: وقته، وحد الأجل هو الوقت المضروب لانقضاء الأمد، [فهو

---

(١) في ت: "فكذا". (٢) في ن: "يذكروها".
(٣) في ن: "الذين". (٤) في ن: "ويستغفرون".
(٥) جاء في جمهرة اللغة ٨٦/٢: الأجَل: معروف، بلغ الشيءُ أجَلَه إذا بلغ غايته، والجمع آجال. والإجْل: القطيع من البقر بقر الوحش، والجمع آجال أيضاً. والآجل: ضد العاجل.
وجاء في المحيط في اللغة ١٣٨/٢: الأجَلُ: غَايَةُ الوَقْتِ في المَوْتِ. وأجِلَ الشَّيْءُ يَأْجَلُ، وهو آجِلٌ: نَقِيْضُ العاجِلِ. والأجِيْلُ: المُرْجَى إلى وَقْتٍ. والآجِلَةُ: الآخِرَةُ. والأَجْلُ: مَصْدَرُ قَوْلِهم أَجَلُوا ما لَهم يَأْجِلُوْنَه أَجْلاً: أي حَبَسُوْهُ في المَرْعى. وهو الضَّيِّقُ أيضاً. تأجَلَ عليهم شَرّاً: أي جَنَاه =

أجل يجعل] (١) جاعل له، وما علم أنه يكون في وقت فلا (٢) أجل له إلا أن يحكم بأنه يكون فيه(٣).

فأجل الإنسان هو وقت انقضاء عمره، وأجل الدين محله، وأجل الموت هو وقت حلوله، وأجل الآخرة هو (٤) الوقت لانقضاء ما تقدم قبلها قبل ابتدائها، هكذا وجدته عن بعض العلماء.

وأصله من التأخير، وقد أجلته إذا أخرته.

والآجل نقيض العاجل، والآجل: القطيع من بقر الوحش، وذلك لتأخير بعضه على بعض حتى يجتمع.

وآجل المال يأجله أجلا إذا حبسه في المرعى كما يحتبس الآجل من البقر بعضه(٥) على بعض حتى يجتمع.

وآجل عليهم شرا: إذا جناه؛ لأنه حبسه عليهم لإلحاقه بهم، والمأجل حوض واسع يؤجل فيه الماء حتى يجتمع ثم يفجر في الزرع.

وللأجل في القرآن ثمانية مواضع:

الأول (٦): أجل الدنيا، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ﴾ [الأنعام آية: ٢] أي: أجل الدنيا، : ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ﴾ [الأنعام آية: ٢] يعني: أجل الآخرة، وقال الحسن والضحاك وقتادة: هو أجل الحياة إلى الموت، وأجل الموت إلى البعث،

= وبَحَثه؛ أَجْلاً. وهو يَأْجِلُ لِعيالِه: أي يَكْسِبُ. والتَّأَجُلُ: الإقْبَالُ والإِدْبَار. والمَجِيْءُ والذَّهَابُ في قَوْلِ لَبِيْدٍ. والإجْلُ: وَجَعٌ في العُنُقِ. وأَجِلَ يَأْجَلُ أَجلاً. وبي إجْلٌ فَأْجَلُوْني: أي داوُوْني منه، وآجِلُوْني: مِثْلُه. والقَطِيْعُ من بَقَرِ الوَحْشِ: إجْلٌ، والجَميعُ الآجالُ. وتَأَجَّلَ الصِّوَارُ: صارَ قَطِيعاً. والأَجْلُ: من قَوْلِكَ من أَجْلِ كذا. وفَعَلْتُه من أَجْلِ كذا: أي من جَرّاكَ، ومن إجْلِكَ: لُغَةٌ، ومن أَجْلاكَ؛ وأَجْلِ أَنَّكَ فَعَلْتَه. والمأْجَل: شِبْهُ حَوْضٍ واسِعٍ يُؤَجَّلُ فيه ماءُ البِئْرِ أيّاماً ثُمَّ يُفْجَرُ في الزَّرْعِ، والجَميعُ المآجِلُ. ورُوِيَ قَوْلُ أبي النَّجْم: من عَبَسِ الصَّيْفِ قُرُوْنَ الأُجَّلِ. أي الأُيَّلِ.

(١) في ن: "وهو أجل فجعل". (٢) في ن: "ولا".

(٣) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس: الهمزة والجيم واللام يدلُّ على خمس كلماتٍ متباينة، لا يكادُ يمكنُ حْملُ واحدةٍ على واحدة من جهة القياس، فكلُّ واحدةٍ أصلٌ في نفسها، فالأجَل غاية الوقت في مَحَلِّ الدَّين وغيره، والإجْلُ: القطيع من بقر الوحش، والجمع آجال، والأَجْلُ مصدر أَجَلَ عليهم شَرّاً، أي جناه وبَحَثَه، والإجل: وَجَع في العنق، والمأْجَلُ: شبه حوضٍ واسع يؤَجَّل فيه ماءُ البئر أو القناة أيّاماً ثم يُفَجَّر في الزّرع، والجمع مآجِلِ. المقاييس ١/ ٦٤.

(٤) في ت: "وهو". (٥) سقط من: ت.

(٦) في ت: أولها.

وهذه الآية دليل على صحة البعث؛ لأن الذي قدر على الابتداء قادر على الإعادة.

وأولها: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ [الأنعام آية: ٢] أي: خلق آدم الذي أنتم ولده من الطين، كما تقول لقريش[١] اليوم[٢]: أنتم أصحاب يوم الفجار، أي: آباؤكم أصحابه وليس هذا انقضاء؛ لقوله: ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة آية: ٨]، لأنه أراد بذلك ولد آدم.

وقيل: أجلا أي: وقتا تحيون فيه، : ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ يعني أجل الساعة، وجعله عنده؛ لأنه لا يعرفه غيره، كما تقول: خبر فلان عندي. أي: أنا العالم به دون غيري.

وقيل: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾يعني أوقات حياتكم في الآخرة وجعله عنده؛ لأنه[٣] حيث لا يحكم فيه غيره أيضا، وقيل: قضى أجل الماضين، وأجل مسمى عنده للباقين.

وقيل: أجل انقضاء[٤] الدنيا، وأجل ابتداء الآخرة، : ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام آية: ٢] أي: خلقكم من طين، وجعل الظلمات والنور، وضرب لكم هذه الآجال وأنتم مع هذا تشكون فيه فيعبدون غيره.

والامتراء الشك[٥]، وأصله من المري؛ وهو استخراج اللبن من الضرع، مرى الناقة يمريها مريا، ومنه ماراه إذا استخرج ما عنده بالمناظرة، وامترى امتراء إذا استخرج الشبه الموجبة له، ونظيره: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ [إِلَىٰٓ أَجَلٍ][٦] مُّسَمًّى﴾ [الزمر آية ٤٢]. يقول: إلى أجل الموت.

الثاني: أجل العذاب قال: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ [الأعراف آية ٣٤]. إن لم يؤمنوا إليه نزل عليهم[٧] العذاب. ومثله: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح آية ٤]. أي: أجل العذاب.

ومعنى أجل الله، أي: الأجل الذي ضربه الله، ولا يكون الأجل أجلا إلا بالإخبار والتوقيت، وليس وقت كل شيء أجله، إنما سمي وقت الشيء أجلا إذا كان على ما وصفنا.

---

(١) في ن: قريش.
(٢) سقط من: ن.
(٣) سقط من: ت.
(٤) سقط من: ت.
(٥) في ت: الشك الشك.
(٦) سقط من: ت.
(٧) في ت: يتقلدهم.

الثالث: قوله[١] تعالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [لقمان آية ٢٩]. قالوا: يعني: أن مطالع الشمس والقمر لها غاية، ولا يتجاوزه[٢] في شتاء ولا صيف، ويجوز أن يكون المراد أن لهما أجلا مسمى ينتهيان إليه وهو الساعة.

الرابع: محل الديون، قال الله تعالى: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ [البقرة آية ١٨١]. أي: اكتبوا الأجل لأن لا يدعى فيه التقديم والتأخير غلطا أو عمدا، وقد تكلمنا في ذلك

الخامس: قوله [تعالى][٣] ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمى﴾ [الحج آية ٣٣]. يقول: إلى أن تقلد فإذا قلدت لم تركب ولم تشرب ألبانها، يعني: البدن.

السادس: أجل الولادة[٤]. قال [الله][٥] تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الحج آية ٥]. أي: إلى وقت الولادة.

السابع: انقضاء العدة، قال الله[٦] تعالى: ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾[٧] [البقرة آية ٢٣٢]. والمخاطبة لأولياء النساء.

وبلوغ الأجل انقضاء العدة، أي: لا تمنعوهن التزويج إذا انقضت عدتهن من مطلقتهن.

قال بعض الفقهاء: فيه دلالة على أن النكاح لا يصح إلا بولي، ولو صح بغير ولي لم يكن لمخاطبة الولي بهذا الخطاب فائدة.

والعضل: المنع من التزويج ثم كثر حتى قيل: عضل الرجل امرأته إذا ضارها؛ لأن مضارته إياها منع لها مما ينبغي عنده.

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾[٨] [البقرة آية ٢٣١]. فالأجل هاهنا مقاربة الخروج من العدة، أي: إذا طلقتموهن تطليقة أو تطليقتين فقاربن الخروج من العدة فأمسكوهن بمعروف، أي: إن أردتم حينئذ

---

(١) في ت: وقوله. (٢) في ت: لا يتجاوز أنه.
(٣) سقط من: ت.
(٤) بعده في ت: " قالَ تَعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ إلى أجَلِ الوِلادةِ ".
(٥) سقط من: ت. (٦) سقط من: ت.
(٧) في ت، ن: " قال الله تعالى ﴿فإذا بلغن أجلهن فلا تعضلوهن﴾ ". والصحيح ما أثبتناه من نص المصحف.
(٨) سقط من: ت.

مراجعتهن فراجعوهن وأمسكوهن بجميل من الفعل أو[1] خلوهن حتى تنقضي عدتهن فيتزوجن.

ومثل الأول: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ [البقرة آية ٢٣٥]. والعزم: إيجابك فعل الشيء على غيرك أو على نفسك، ويقال: عزمت عليك لتفعلن، وقد وصف الله به، فقيل: إن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه. وهو مفارقة للإرادة عند أبي علي رضي الله عنه؛ لأنك تريد خروج زيد ولا يجوز أن تعزم على خروجه. والعزم أيضا يصح على الإرادة ولا يجوز أن تريد الإرادة.

الثامن: قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الشورى آية ١٤]. لأن لا يعذب هذه الأمة بعذاب الاستئصال لأنزل[2] بهم العذاب، والكلمة: الساعة، وهو قوله: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ [القمر آية ٤٦]. والأجل المسمى هو الساعة أيضا، فكأنه قال: فلولا أني جعلت موعد الانتقام منكم الساعة لانتقمت منكم الآن.

وقال الله تعالى لهم: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف آية ٢٦]. قالوا أنزل: ﴿عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال آية ٣٢].

إقام الصلاة[3]

الأصل: إقامة الصلاة، فأسقطوا الهاء تخفيفا، ولا تسقط إلا عند الإضافة ليس.

يقال: أقام الصلاة إقاما، ويجوز أن يكون معنى إقامة الصلاة إدامتها، من قوله تعالى: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران آية ١٨]. أي: مديما لفعله، وفلان يقيم أرزاق الجند أي: يجريها على إدامة. ويحتمل أن يكون عنى به اشتغالهم بها دون غيرها من قولهم: قامت الصلاة. أي: وقع الاشتغال بها.

وقيل: إقامتها إتمام الركوع والسجود ومراعاة المواقيت.

وقيل: هو مثل قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ [الرحمن آية ٩]. والإقامة والتقويم سواء، وهما خلاف الميل والاعوجاج.

---

(١) في ن: إن. (٢) في ن: "لايزل".
(٣) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٢٧.

وأصل الصلاة: الدعاء، وسميت صلاة؛ لما فيها من الدعاء.

والصلاة أيضا الترحم؛ لأنه دعاء، ومنه: الصلاة على الميت؛ لأنها دعاء لا ركوع فيها ولا سجود، وصلى فلان على فلان إذا دعا له.

قال الأعشى:

وقَابَلَهَا الرِّيحُ فِي دِنِّهَا(١) وصلَّى على دِنِّهَا وارْتَسَمْ

وجاء في القرآن على وجهين:

الأول: الإقرار بالصلاة مع التصديق وغير التصديق، قال [الله](٢) تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ [وَءَاتَوُا](٣) الزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة آية ٥]. أي: فإن أقروا بهما، ولم يرد أنهم إذا أقاموها على اعتقاد صحيح فخلوا سبيلهم؛ لأن ذلك لا يعلمه إلا الله، وحقيقة المراد دخولهم في الإسلام، وإنما ذكر الصلاة والزكاة؛ لأنهما من أجل شرائع الإسلام وأشهرها(٤) ومثله مع قوله: ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾(٥) [التوبة آية ١١].

الثاني: إتمام الصلاة، قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾ [النور آية ٥٦]. أي: أتموها في أوقاتها، وقوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ﴾(٦) [البقرة آية ٣]. ونحوه كثير.

الاستطاعة(٧)

الاستطاعة: استفعال، من الطوع، وهو خلاف الكره، وذلك أن الفعل يقع بها طوعا ولا يجوز أن يسمى الله مستطيعا؛ لأنه من قولك: انطاع له الفعل بعد أن لم يكن كذلك، وهذا(٨) لا يجوز على الله. والطوع بمعنى: الانقياد، والانقياد

---

(١) في ت: ذمها.
(٢) سقط من: ت.
(٣) سقط من: ت.
(٤) في ت: وأشهرهما.
(٥) في ن: ﴿وإخوانكم في الدين﴾. والصحيح ما أثبتناه من نص المصحف.
(٦) في ت: ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾.
(٧) انظرالوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص١٥٠. عرف الجرجاني الاستطاعة في كتابه التعريفات ١/ ٥ ثم قسمها إلى أنواع فقال: الاستطاعة: هي عرض يخلقه الله تعالى في الحيوان، يفعل أو يفعل به الأفعال الاختيارية، والاستطاعة والقدرة والقوة والوسع والطاقة متقاربة في المعنى في اللغة، وأما في عرف المتكلمين فهي عبارة عن صفة بها يتمكن الحيوان من الفعل والترك.
الاستطاعة الحقيقية: هي القدرة التامة التي يجب عندها صدور الفعل، فهي لا تكون إلا مقارنةً للفعل.
الاستطاعة الصحيحة: هي أن ترفع الموانع من المرض وغيره.
(٨) سقط من: ن.

بمعنى: الذل، [يقال: طاع له طوعا وأطاعه إطاعة][(١)]: إذا انقاد له. والطاعة الانقياد [لمن يعتقد تعظيمه][(٢)].

والاستفعال في الأصل للطلب ثم استعمل في غير ذلك، فقيل: استحسن الشيء واستقبحه. وقيل: فعلته طوعا، أي: فعلته في سهولة، ومثله: ﴿فَطَوَّعَتْ[(٣)] لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ [المائدة آية: ٣٠]. أي: سهلته عليه، ومن هذا الوجه أيضا لا يقال لله مستطيع، كما لا يقال: أن هذا الفعل سهل عليه، ومن أجل أن استطاع طلب ذلك ولا يوصف الله[(٤)] بأنه يطلب [القدرة على الفعل][(٥)] و[(٦)]يطلب السهولة أو انطباع الفعل.

وقيل: طوعت: حسنت وزينت، وهذا على المعنى وليس على اللفظ.

وقيل: طوعت: شجعت، وطوعت السقاء ملأته، وهو طواع الكف، أي: ملؤها، وطاع له الشيء إذا أتاه طوعا، وقيل: طوعت: له أطاعته وتابعته، وقرئ: ﴿فَطَاوَعَتْ﴾.

والاستطاعة في القرآن على أربعة أوجه[(٧)]:

الأول: السعة في المال، قال الله تعالى: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة آية ٤٢]. أي: لخرجنا معكم إلى تبوك، يعنون سعة ذات اليد للخروج وتخفيف النفقة للعيال. وقوله تعالى: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران آية ٩٧]. وتدخل في هذا سعة ذات اليد، وصحة البدن، وأمن الطريق، وتمام الوقت.

وقال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ [النساء آية ٩٨]. أي: لا يجدون سعة يستعينون بها على الهجرة، ويجوز أن يكون أراد عدم الصحة والقوة على السفر، أو عنى أنهم ممنوعون من الخروج ببعض الموانع الكائنة من جهة الكفار.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ [النساء آية ٢٥]. والطول: السعة، وتطول الرجل أفضل من سعة وليس فيه طائل يرجع إلى هذا، أي: إذ لم تستطيعوا نكاح الحرائر لتعذر النفقة عليكم فانكحوا الأيامى ليقع الانتفاع لكم بهن وتكون

---

(١) في ن: يقال له: طوعا وأطاعه إطاعة.
(٢) سقط من: ت.
(٣) في ت: وطوعت.
(٤) في ن: بالله.
(٥) طمس في: ت.
(٦) في ت: أو.
(٧) جاءت الاستطاعة في الوجوه والنظائر لهارون بن موسى على وجهين: السعة في المال، والطاقة.

نفقتهن على مواليهن ويقل مهرهن.

وقال بعضهم: لا يجوز نكاح الأمة مع وجود الطول. وليس كذلك؛ لأن القدرة على نكاح امرأة لا تحرم نكاح أخرى، قال الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور آية: ٣٢] فعم.

الثاني(١): **الطاقة، قال تعالى**: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم آية ٤٢]. فلو كانت الاستطاعة مع الفعل [لكانوا عاجزين إذ لم يفعلوا؛ لأن الفعل](٢) معدوم، وإذا عدم الفعل عدم الاستطاعة، ولكان أيضا من وجد الزاد والراحلة وتمام الوقت، وهو صحيح البدن وعطل الحج ثم مات لكان معذورا؛ لأنه كان عاجزا وإنما يكون مستطيعا عند خصومنا(٣) في وقت وجود الحج ولا لوم على العاجز.

وقد أخبر الله تعالى أنهم لا يستطيعون [السجود في الآخرة، فدل على أنهم كانوا يستطيعونه](٤) في الدنيا؛ لقوله: ﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم آية ٤٣]. وإلا فليس للكلام معنى يفهم.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ﴾ [الذاريات آية ٤٥]. أي: لم يطيقوا القيام لعذاب الله، ومثله: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف آية ٩٧].

وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن آية ١٦]. واسطاعوا: لغة في استطاعوا، يقال: اسطعت الشيء واستطعته.

وقوله: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء آية ١٢٩]. أي: لا تطيقون ذلك في الحد، هذا في الرجل له زوجتان وثلاث وأربع، قال: وليس(٥) يستطيع أن يسوي بينهن في الشهوة، فتشتهي هذه كما تشتهي تلك؛ لأن الشهوة ليست من فعله فعذره فيما لا يستطيع واسع، وليس كما يذهب إليه المجبرة(٦) في

---

(١) في ت: والوجه الثاني.

(٢) سقط من: ت.

(٣) كذا في ت " خصومنا "، وغير واضحة في ن.

(٤) سقط من: ت.

(٥) في ت: ليس.

(٦) الجبر: هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى والجبرية أصناف: فالجبرية الخالصة: هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً والجبرية المتوسطة: هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً فأما من أثبت للقدرة أثراً ما في لفعل وسمى ذلك كسباً فليس بجبري. والمعتزلة يسمون من لم يثبت للقدرة الحادثة أثراً في الإبداع والإحداث استقلالاً: جبرياً ويلزمهم أن يسموا من قال من أصحابهم بأن المتولدات أفعال لا فاعل لها: جبرياً إذ لم يثبتوا =

أنه تعالى كلفه العدل بينهن، وهو لا يستطيعه، ألا ترى أن قوله: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ [النساء آية ١٢٩]. دلالة على أنه في بعض الميل معذور، وهو الذي لا يستطيع خلافه، والمعنى النهي عن[١] إيثار إحداهن للشهوة فيها والانصراف عن الأخرى حتى تصير كالمعلقة لا المتزوجة ولا المطلقة.

وقال: ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ [الفرقان آية ١٩]. قال أبو علي رضي الله عنه: الخطاب للنبي عليه السلام والمؤمنين بقوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾ [الفرقان آية ١٩]. أي: كذبوك بما تقول من توحيد الله فلا يستطيعون صرف العذاب عن أنفسهم والانتصار لها.

وقال غيره: الخطاب للكفار يريد أن هؤلاء الذين اتخذتموهم آلهة إذا سئلوا هل كان عبادتكم إياها[٢] بدعاء منكم لها[٣]: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الفرقان آية ١٨]. فظهر لهم حينئذ أنهم لا يقدرون على صرف العذاب عنهم ولا على نصرهم مما يراد إنزاله بهم.

الثالث: الاستثقال، قال الله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ [هود آية ٢٠]. أي: كانوا يستثقلون استماع القرآن والأمر بالإيمان، وهو كقولك: لا أستطيع أن أسمع كلام فلان. أي: يثقل علي ذلك، وهذا معروف.

الرابع: الاستطاعة، بمعنى سؤال الفعل وطلبه، قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة آية ١١٢]. والمعنى: سؤال النزول كما تقول: هل يستطيع فلان أن يقوم معنا. وأنت تعلم أنه يستطيع ولكنك تجعل ذكر الاستطاعة سؤالا للقيام؛ لأنه ألطف وقرئ: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ . أي: هل تقدر على أن تسأل ربك، وكانوا يعلمون أنه قادر على سؤال ربه، ولكن قالوا ذلك؛ لأنه ألطف في السؤال ومجازه هل يجوز أن تسأل ربك.

الأحزاب[٤]

جمع حزب، وهو: الجماعة المتعاونة، ومنه تحزب القوم إذا اجتمعوا وتعاونوا.

= للقدرة الحادثة فيها أثراً. والمصنفون في المقالات عدوا النجارية والضرارية: من الجبرية وكذلك جماعة الكلابية: من الصفاتية. والأشعرية سموهم تارة حشوية وتارة جبرية. الملل والنحل ١/ ٨٥.

(١) في ت: من.
(٢) في ت: إياهم.
(٣) في ت: لهم.
(٤) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٥٧.

قال الراجز:

وكيف أضوي[١] وبلال حزبي

أي: مغيثي.

وأصل الكلمة من الشدة، ومنه يقال: حزبني إذا استبد علي، والاسم: حزابة٠، وأمر حازب وحزيب أي: شديد.

والأحزاب في القرآن على أربعة أوجه[٢]:

الأول: بنو أمية وبنو المغيرة وآل أبي طلحة، وهو قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ [الرعد آية ٣٦]. هذا قول بعض المفسرين.

وقال غيره: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الرعد آية ٣٦]. النبي صلى الله عليه وآله[٣] والمؤمنون. والكتاب: القرآن، أي: هم يفرحون به، : ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ أي: هم الباقون. وقال: منهم: ﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ وهو المواضع التي تخالف[٤] دينهم، وكانوا لا ينكرون ما فيه من الحكم والأمثال والدعاء إلى المكارم، وليس في العقلاء من ينكر ذلك.

وسماهم أحزابا؛ لاختلاف مذاهبهم، وذلك أن اليهود فرقة، والنصارى فرقة

= جاء في المحيط في اللغة ١/٢٠٦: حزب حَزَبَني الأمْرُ يَحْزُبُني حَزْباً إذا نابَكَ. وأمْرٌ حازِبٌ وحَزِيْبٌ أي شَديدٌ. والحِزْبُ أصْحابُ الرَّجُلِ مَعَه على رَأْيِه وأمْره، والجَميعُ الأحْزَابُ. وتَحَزَّبَ القَوْمُ اجْتَمعوا فصاروا أحْزاباً. وحَزَّبَهُم فلانٌ. وحازَبْتُه كُنْتَ من حِزْبِه. وفلانٌ يُحَازِبُ لفلانٍ أي يَغْضَبُ به ويَنْصُرُه. وهُذَيْلٌ تُسَمِّي السِّلاحَ الحِزْبَ؛ تَشْبِيْهاً وسَعَةً. والحِزْبُ الوِرْدُ من القُرآن. والحَيْزَبُوْنُ العَجُوْزُ، والنُّوْنُ زائدةٌ. وهي من النُّوْقِ الشَّديدة. والحِزْباءَةُ أرْضٌ حَزْبَةٌ، والجَميعُ الحَزَابي. والحَزَابِيَةُ في وَصْفِ الحِمار اسْتِدارَةُ خَلْقِه. ورَكَبٌ حَزَابِيَةٌ ضخمةٌ.

وفي أساس البلاغة ١/ ٨٤: هؤلاء حزبي، وهم أحزابي، ودخلت عليه وعنده الأحزاب، وحزب قومه فتحزبوا أي صاروا طوائف. وفلان يحازب فلاناً: ينصره ويعاضده. قال المرار الفقعسيّ:

ولو قد بلغنا منتهى الحق بيننا... لقل غناء الصلت عمن يحازبه وحزبه أمر، وأصابته الحوازب.

ومن المجاز: قرأ حزبه من القرآن، وكم حزبك، وهو الطائفة التي وظفها على نفسه يقرؤها، وحزب القرآن: جعله أحزاباً.

(١) في ن: أصوت.

(٢) كذا في الوجوه والنظائر لهارون بن موسى أربعة أوجه.

(٣) سقط من: ت.

(٤) في ن: الذي يخالف.

وعباد الأوثان فرقة.

وقوله: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾ [ص آية ١١]. جاء في التفسير أنه عنى هؤلاء المذكورين أولا.

والوجه أن يكون من يحارب النبي صلى الله عليه من فرق المخالفين.

وفيه بشارة له عليه السلام، أي: هؤلاء جند مهزوم بعد قليل، وأنت هازم لهم وظافر بهم. و" ما " في قوله[1]: ﴿نْدٌ مَا هُنَالِكَ﴾. توكيد، كأنه قال: هم جند. وأتى جندهم وعظم أمرهم ليكون أعظم لأمر هازمهم؛ لأن غلب العدو القوي أبلغ في المدح.

الثاني: النصارى، قال [اللهآية][2] تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ﴾ [الزخرف آية ٦٥].

الثالث: قوم عاد وثمود وشعيب وفرعون، وهو قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ﴾ [غافر آية ٥]. ويجوز أن يكون المعني بذلك جميع من كذب الرسل من هؤلاء ومن غيرهم من بعدهم. وقال: ﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْـَٔيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ [ص الآيتان ١٢، ١٣]. ومثله: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ [غافر آية ٣٠]. يعني: هؤلاء.

الرابع: أبو سفيان وأصحابه يوم الخندق، قال: ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا﴾ [الأحزاب آية ٢٠]. يعينهم[3].

---

(١) في ت: قولهم. (٢) سقط من: ت.

(٣) ذكر الألوسي في روح المعاني ٢١/١٦٦-١٦٧ في تأويل هذه الآية: ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ أي: هم من الجزع والدهشة لمزيد جبنهم وخوفهم بحيث هزم الله تعالى الأحزاب فرحلوا وهم يظنون أنهم لم يرحلوا. وقيل: المراد هؤلاء لجبنهم يحسبون الأحزاب لم ينهزموا وقد أنهزموا فأنصرفوا عن الخندق راجعين إلى المدينة لذلك وهذا إن صحت فيه رواية فذاك وإلا فالظاهر أنه مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ لدلالته ظاهرا على أنهم خارجون عن معسكر رسول الله يحثون إخوانهم على اللحاق بهم وكون المراد هلموا إلى رأينا أو إلى مكاننا الذي هو في طرف لا يصل إليه السهم خلاف الظاهر وكذا من قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُم﴾ على ما هو الظاهر أيضا إذ يبعد حمله على إتحاد المكان ولو في الخندق وإن يأت الأحزاب كرة ثانية يودوا لو أنهم بادون في الأعراب تمنوا إنهم خارجون إلى البدو وحاصلون مع الأعراب وهم أهل العمود وقرأ عبدالله وإبن عباس وإبن يعمر وطلحة بدي جمع باد كغاز وغزى وليس بقياس في معتل اللام وقياسه فعلة كقاض وقضاة وفي رواية أخرى عن إبن عباس بدوا فعلاً ماضيا وفي رواية صاحب الأقليد بدي بوزن عدي ﴿يَسْأَلُونَ﴾ أي كل قادم من جانب المدينة عن أنبائكم عما =

الأمر[(١)]

قد مضى القول في أصله[(٢)].

وهو في القرآن على سبعة عشر وجها[(٣)]:

الأول[(٤)]: **الدين، قال الله تعالى**: ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة آية ٤٨]. يعني: دينه، وقوله تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم﴾ [المؤمنون آية ٥٣]. أي: الدين الذي جاء به نبيهم، فنسبته إليهم؛ لأنهم المتعبدون به والمندوبون إليه، والمعنى: أن الله أعلمهم أن أمر الأمة واحد، وأن دينه واحد وهو الإسلام وهم قد تقطعوا واختلفوا.

الثاني: القول، قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ [الكهف آية ٢١]. قال: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾﴾ [طه آية ٦٢]. أي: يتنازعون القول فيما يريدون العمل عليه؛ لأن مثل ذلك الأمر لا يتنازع وإنما يتنازع القول فيه.

الثالث: وقت الوعيد، قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾[(٥)] [هود آية ٤٠]. أي: حضر وقت وعيدنا، ويجوز أن يكون على ظاهره أي: حتى جاء أمرنا بالعذاب، أي: حتى أمرنا بتعذيبهم.

الرابع: العذاب، قال: ﴿وَقَالَ[(٦)] ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ [إبراهيم آية ٢٢]. أي: وجب العذاب، ويجوز أن يكون قضاء الأمر هاهنا فضل الحساب ووقوف كل فريق على ما له عند الله من الخير والشر. ومثله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ [مريم آية ٣٩]. أي: وجب العذاب.

الخامس: تمام العذاب وبلوغ المراد منه، قال: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ [هود آية ٤٤].

السادس: بمعنى الشيء، قال: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ [البقرة آية ١١٧]. أي: إذا

= جرى عليكم من الأحزاب يتعرفون أحوالكم بالإستخبار لا بالمشاهدة فرقا وجبنا وإختيار البداوة ليكونوا سالمين من القتال والجملة في موضع الحال من فاعل بادون.

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٩٣.

(٢) راجع ماسبق ص ٢٨ حاشية ٢.

(٣) جاء الأمر في الوجوه والنظائر لهارون بن موسى على ثلاثة عشر وجها.

(٤) في ت: أولها.

(٥) في ن: ﴿حتى جاء أمرنا﴾، وفي ت: ﴿إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾. والصواب ما أثبتناه من نص المصحف.

(٦) سقط من: ن.

أراد إحكام شيء لم يتعذر عليه.

ومثله: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى آية ٥٣] أي: تصير الأشياء إلى حيث لا يحكم فيه سواه ولا يقدر عليه غيره.

وجاء في التفسير أنه أراد بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ . عيسى عليه السلام أنه يكون من غير أب.

السابع: هزيمة الكفار وقتلهم ببدر، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ ، ثم قال: ﴿لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال آية ٤٤] أراد هزيمة الكفار وأسرهم جزاء لهم على كفرهم ونصرة المؤمنين عليهم.

الثامن: القيامة، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ﴾ [غافر آية ٧٨]. يعني: القيامة، وقيل: أراد به قتل الكفار ببدر. والأول الوجه.

وقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل آية ١]. يعني: القيامة والإتيان هاهنا بمعنى الدنو كقول الشاعر:

وقيل المنادي أصبح القوم أدلجوا

أي: دنا الإصباح.

ومثله قوله: ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [الحديد آية ١٤].

التاسع: فتح مكة، قال الله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [(١)] [التوبة آية ٢٤]. قالوا: أراد فتح مكة، ويجوز أن يكون المراد ظهور الإسلام وقوة أهله.

العاشر: قتل قريظة وجلاء النضير، [قال الله وحده][(٢)] ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [البقرة آية ١٠٩]. جاء في التفسير أنه أراد ذلك، ويجوز أن يكون المراد القيامة أيضا، ويجوز أن يكون أراد: اصفحوا عنهم إلى أن يأمركم الله[(٣)] بقتالهم فتنتقموا منهم.

الحادي عشر: بمعنى القضاء، قال الله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة آية ٥]، وقال: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس آية ٣]. أي: يقضي القضاء.

الثاني عشر: الوحي، قال الله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة

---

(١) في ت: ﴿وتربصوا به حتى ويأتي الله بأمره﴾، وفي ن: ﴿فتربصوا به حتى يأتي الله بأمره﴾والصواب ما أثبتناه من نص المصحف.

(٢) سقط من: ت.

(٣) سقط من: ن.

آية ٥]. قال أهل التفسير: يعني: الوحي. وقال: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق آية ١٢]. يعني: الوحي.

الثالث عشر: بمعنى[1] النصر والسلطان، قال: ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران آية ١٥٤]. يعني: أن الغلبة لأولياء الله.

الرابع عشر: الذنب، قال الله تعالى: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ [الطلاق آية ٩] أي: جزاء ذنبها.

وأصل الوبال من الطعام الوبل، وهو الوخم الذي لا يمري، وقيل: الوبيل الشديد، وأصله من الكراهة، يقال: استوبلت المنزل إذا كرهته لقلة موافقته لك، قال الله: ﴿فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ [التغابن آية ٥]. أي: جزاء ذنبهم، وقال: ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾ [المائدة آية ٩٥].

الخامس عشر: الأمر خلاف النهي، قال الله[2] ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء آية ١٦]. أي: أمرناهم بالطاعة فعصوا، وقرئ: ﴿أَمَّرْنَا﴾ . أي: جعلناهم أمراء. وقيل: كثرناهم، وأمر الشيء: كثر، وقيل: أمرناه بالتخفيف معناه: كثرنا.

وروى الجرمي عن أبي زيد والأصمعي: أمره وأمره. أي: كثره، وأمر هو، فهو آمر ومأمور ومؤمر من آمره، وأمرته أيضا: كثرته بالتثقيل، وهو مأخوذ من أمرته بالتخفيف؛ لأن فعلت بالتثقيل من فعلت بالتخفيف مثل: ضربت وضربت، قال المبرد: ولا تكون ذلك من أمرت.

السادس عشر: إظهار أمر المنافقين، قال الله تعالى: ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [المائدة آية ٥٢]. أي: أو أن يؤمر النبي صلى الله عليه وآله بإظهار أمر المنافقين فيعاقبوا، : ﴿فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ [المائدة آية ٥٢]. ويجوز أن يكون المعنى في هذا: ظهور الإسلام.

السابع عشر: العلم، قال [الله تعالى][3] ﴿وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء آية ٥٩]. قيل: يعني: العلماء، وقيل: يعني: السلطان، وإنما تجب طاعة السلطان إذا كان محقا.

وقال ابن عباس: أولو الفقه في الدين.

وقال أبو علي رحمه الله: هم الأمة وأمراؤهم، وليس هم العلماء إلا أن

---

(١) بعده في ت: " الغلبة ".
(٢) سقط من: ت.
(٣) سقط من: ت.

يكونوا أمراء. وقال: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء آية ٥٩]. أي: إلى الكتاب والسنة؛ لأنهما من الله ورسوله، وفيه دليل على أن الإمامة ليست بحجة، وفيه دليل أيضا على صحة القياس [وذلك أن جميع ما يتنازع فيه المتنازعان لا يوجد في القرآن والسنة مشروحا][١]، ولكن يوجد أصل كل شيء فيهما أو في أحدهما، فأمر بحمل الفروع على الأصول الموجودة فيهما ليظهر أحكامها، ولا يأتى ذلك إلا بالقياس.

والآية عموم في وجوب الرد إلى الكتاب والسنة في حياة الرسول وبعد وفاته.

والذي[٢] يقتضيه فحوى الكلام الرد إليهما فيما لا نص فيه[٣]؛ لأن المنصوص عليه لا احتمال فيه لغيره ولا يقع فيه التنازع من الصحابة مع علمهم باللغة ومعرفتهم بما فيه احتمال مما لا احتمال فيه.

وأما الأمر في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق آية ١]. فهو تفسير الرجعة، وذلك أنه إذا طلقها طلاق السنة ملك رجعتها.

وطلاق السنة عند الكوفيين يعتبر فيه معنيان:

أحدهما: الوقت. والآخر: العدد.

فالوقت: أن يطلقها طاهرا من غير جماع أو حاملا قد استبان حملها. والعدد: ألا يزيد في الطهر الواحد على تطليقة واحدة، فأما من لا عد عليها فيطلقها متى شاء في حيض أو طهر بغير المدخول بها.

الأرض[٤]

من الأراضة وهي الخلاقة، مكان أريض: أي: خليق المنبت. وسميت

---

(١) سقط من: ن. (٢) في ن: الذي.

(٣) في ن: له.

(٤) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٠٣. جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس: والأرضُ: التي نحنُ عليها، وتجمع أَرْضين، ولم تجئ في كتاب الله مجموعةً. فهذا هو الأصل ثم يتفرع منه قولهم أَرْضٌ أَرِيضَةٌ، وذلك إذا كانت ليّنة طيِّبة. قال امرؤ القيس:

بـلادٌ عَـريـضَـةٌ وأَرْضٌ أَرِيـضَـةٌ   مـدافـعُ غَـيْـثٍ فـي فَـضـاءٍ عَـرِيـضِ

ومنه رجل أَرِيضٌ للخَيْر أي خليقٌ له، شُبِّه بالأرض الأريضة. ومنه تَأَرَّضَ النَّبْتُ إذا أَمكَن أن يُجزّ، وجَدْيٌ أريضٌ إذا أمكنه أنْ يتأَرّضَ النَّبْت. والإراض: بِساطٌ ضخم من وبَرٍ أو صُوف. ويقال فلانٌ ابنُ أرضٍ، أي غريب. قال:

أتـانـا ابْـنُ أَرْضٍ يَـبْـتـغـي الـزَّاد بـعـدمـا =

الأرضة أرضة؛ لأنها تكون في بطن الأرض، وسمي الرعدة أرضا من الأرضة؛ لأنها إذا وقعت في الخشبة أكلتها فخفت فسميت الرعدة أرضا؛ لأنها خفة تعتري الإنسان.

وتجمع الأرض أرضين على غير قياس. وكان الأصل في الأرض أرضة والشاهد أنها تجمع أرضات، مثل: تمرة وتمرات، وأسقطت الأرضة أصلا حتى أنها لا يقال، وأدخلت الواو والنون في الأرضين عوضا من الساقط وإنما أسقطت؛ لأن التمر ينفصل كل واحدة منهما بنفسها، والأرض ليست[1] كذلك، وإنما هي اسم واحد يجمع أشياء لا ينفصل بعضها من بعض. وقولنا: أرض كقولنا: تمر. اسم للجنس، وربما جمعت على أراض مثل: تمر وأتمار.

وهي في القرآن على تسعة أوجه[2]:

الأول: أرض الجنة، قال [الله تعالى][3]: ﴿أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء آية ١٠٥]. يعني: أرض الجنة، هكذا قيل. وقيل: إنها أرض الدنيا، ودليل ذلك أن الأرض إذا جاءت مطلقة، وهي الأرض المعروفة لا غير، ولو لم يكن ذلك كذلك، لم يعرف بإطلاق اللفظ شيء.

الثاني: الأرض المقدسة، قال [الله تعالى][4] ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ [الأعراف آية ١٣٧]. أي: مشارق أرض الشام ومغاربها؛ [لأنها تعلم أن][5] بني إسرائيل لم يملكوا أرض فارس ولا أرض خراسان، ومنه قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الروم الآيات: ١ - ٣]. يعني: أرض الشام، وقوله تعالى: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء آية ٧١]. أي: أرض الشام.

الثالث: أرض المدينة خاصة[6]، قال الله[7]: ﴿إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [العنكبوت آية ٥٦]. يأمرهم بالهجرة إليها، ثم فيه دلالة على أن من لا يمكنه عبادة

= ويقال: تأرّض فلانٌ إذا لزِم الأرضَ. قال رجلٌ من بني سعد:

وصاحبٍ نبّهتُه ليَنْهضا ... فقام ما التاثَ ولا تأرَّضا

(١) سقط من: ن.

(٢) جاءت الأرض في الوجوه والنظائر لهارون على سبعة أوجه.

(٣) سقط من: ت.

(٤) سقط من: ت.

(٥) في ت: لأنا نعلم.

(٦) في ت: خالصة.

(٧) سقط من: ت.

الله في أرض فينبغي أن ينتقل عنها إلى حيث يمكنه ذلك.

والمراد على هذا التأويل أن أرض مكة(١) تسعكم لا تجدون فيها ما تجدون في غيرها من المعاشر فانتقلوا إليها، ويجوز أن يكون المعنى أن الطرق غير مسدودة عليكم فاخرجوا إلى حيث تتمكنون من عبادة ربكم. ومثله قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ [النساء آية ٩٧]. قالوا: يعني: أرض المدينة. وقال: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الإسراء آية ٧٦]. وقال: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء آية ١٠٠]. أي: مذهبا واسعا، مأخوذ من الرغام، والمراغمة أيضا المغايظة والمناغضة، وأصله من الرغام وهو التراب. ويقال: راغمته إذا هاجرته وعاديته ولم [لا](٢) تبال رغم أنفه أم لا.

الرابع: أرض مكة، قال الله تعالى: ﴿قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النساء آية ٩٧]. يعني: أرض مكة، : ﴿قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً﴾ [النساء آية ٩٧]. أي: أليس في أرض المدينة(٣) متسع ومحتمل، فليس لكم عذر في المقام بمكة على ذل وهوان.

الخامس: الأرض التي تفتح لأهل الإسلام، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد آية ٤١]. أي: أو لم تروا أنا فتحنا على المسلمين من الأرض ما يبين لهم صدق الدعوة، وذلك أنه كان أخبره بفتحها عليهم، ففتحها كان بعض المعجزات، وقيل: ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ موت أهلها(٤) وبنقص ثمارها، وقيل: موت العلماء والأول الوجه.

السادس: أرض مصر خاصة، وهو قوله: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف آية ٥٥]. وإنما طلب ذلك نظرا للناس ليوسع عليهم وينصفهم في القسمة، وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف آية ٥٦]. [وقال: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾ [يوسف آية ٨٠]. وقال: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص آية ٤]](٥). وقال: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص آية ٥]. وقوله: ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر آية ٢٦]. المعنى بهذا كله: أرض مصر. وكذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف آية

---

(١) كذا في ت، ن، ولعل المراد هنا المدينة.
(٢) بعده في ت: " لا ".
(٣) كذا في م، ط، ولعل المراد هنا مكة.
(٤) في ن: " أجلها ".
(٥) سقط من ن.

١٢٨]. ويجوز أن يكون المعنى في هذا جميع الأرض المسكونة.

السابع: أرض الإسلام، قال الله تعالى: ﴿أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [المائدة آية: ٣٣] قال أهل التفسير: يقاتلون حيث توجهوا من الأرض ولا يتركون فارين في شيء من أرض المسلمين، وقيل: معناه أن دماءهم مباحة فمن يقتلهم لم يؤخذ بهم، ويقال: نفيت الشيء نفيا، والنفاية ما ينفى مثل: النحاتة والبراية(١).

الثامن: جميع الأرضين، قال الله: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود آية: ٦]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ [وَالْبَحْرُ](٢)﴾ [لقمان آية: ٢٧]، وقوله: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الكهف آية: ٨٤]، والفرق بين مكنا له ومكناه أن معنى مكنا له: جعلنا له ما يتمكن به في الأرض، ومعنى مكناه: أقدرناه على ملك الأرض.

وقوله: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف آية: ٤٧] والمراد: أنا نسير الجبال فيحلوا منها وجه الأرض فتراها بارزة أي: ظاهرة لا شيء فيها، ويجوز أن تكون بارزة بمعنى: مبرزة أي: قد أبرز جميع ما في بطنها، وجاءت على فاعلة على النسبة كما قيل: الحاسة وهي من أحسست على النسبة لا على طلب الفعل، أي: هي ذات كذا، ويجوز أن يكون المعنى أنك ترى(٣) أهل الأرض بارزين كما قال: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [إبراهيم آية: ٢١]، وقال: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم آية: ٤٨].

---

(١) النَّحْتُ النَّشْرُ والقَشْر والنَّحْتُ نَحْتُ النَّجّارِ الخَشَبَ نَحت الخشبةَ ونحوَها يَنْحِتُها ويَنْحَتُها نَحْتاً فانْتَحَتَتْ والنُحاتة ما نُحِتَ من الخَشَب ونَحَتَ الجبلَ يَنْحِتُه قَطَعَه وهو من ذلك وفي التنزيل العزيز وتَنْحِتُونَ من الجبال بيوتاً آمنين والنَّحائِتُ آبار معروفة صفة غالبة لأنها نُحِتَتْ أي قُطِعَتْ.
و برى يَبْري بَرْياً إذا نَحَتَ وما وقع مما نُحِتَ فهو بُراية. و البُراية: النُّحاتة وما بَرَيْتَ من العُود. ابن سيده: و البُرَاء النُحاتة قال أبو كبير الهذلي: ذَهَبَتْ بَشاشَتُه وأَصْبَحَ واضِحاً حَرِقَ المَفارِقِ كالبُرَاءِ الأَعْفَرِ أي الأبيض. و البُراية: كالبُرَاء. قال ابن جني: همزة البُراء من الياء لقولهم في تأنيثه البُرايةُ وقد كان قياسه اذا كانَ لهُ مُذَكَّر أَنْ يُهْمَزَ في حالِ تأنيثِهِ فيقال بُراءَة ألا تراهم لما جاؤوا بواحد العَظاء والعباء على مذكره قالوا عَظاءَة وعَبَاءة فهمزوا لما بَنَوُا المؤنثَ على مذكره وقد جاء نَحو البُراءِ و البُرايةِ غَيْرُ شيء قالوا الشَّقاءُ والشَّقَاوَة ولم يقولوا الشَّقاءَة وقالوا ناوِيَةٌ بَيِّنَةُ النَّواءِ ولم يقولوا النَّواءَةِ وكذلك الرَّجاءُ والرَّجَاوَة وفي هذا ونحوه دلالة على أن ضرباً من المؤنث قد يُرْتَجَلُ غيرَ مُحتَذًى به نظيره من المذكر فجرت البُراية مَجرى التَّرْقُوَةِ وما لا نظير له من المذكر في لفظ ولا وزن. وهو من بُرايَتِهم أي قُشارَتِهم. ومَطَر ذو بُرَاية: يَبْرِي الأَرض ويَقْشِرُها. و البُرايَة: القوة. ودابة ذات بُراية أي ذات قوة على السير.

(٢) سقط من: ت. (٣) في ن: ترد.

التاسع: محي الأرض مثلا، وهو قوله: ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [هود آية: ١٠٧، ١٠٨]. لم يرد أرضا بعينها وإنما هو على حسب قول العرب في معنى الأبد: لا أفعل ذاك ما اختلف الليل والنهار وما طما البحر وما أقام الجبل ومَا دَامَتِ السمَوَاتُ وَالأَرْضُ.

هذا وإن كان اللفظ الليل والنهار والجبل والأرض والسماء، فإنما المراد به الأبد، وإنما جعلوا هذه الأشياء أمثالا في الأبد؛ لأنها عندهم لا تتغير، ويجوز أن يكون المراد أرض الجنة والنار.

الاشتراء(١)

أصل الشراء(٢) من الإمالة ومنه الشرى وهو الناحية، فقولهم: اشتريت الشيء.

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٢٨.وجاء في الصحاح: الشِراءُ يمدّ ويقصر. يقال منه: شرَيْتُ الشيء أَشْرِيهِ شِراءً، إذا بعته وإذا اشتريته أيضاً وهو من الأضداد، قال الله تعالى: " ومِن الناس مَنْ يَشْرِي نفسَه ابتغاءَ مَرضاةِ الله " أي يبيعها. وقال تعالى: " وشَرَوْهُ بثمنٍ بَخْسٍ دَراهِمَ مَعدودة " أي باعوه. ويجمع الشِرا على أَشْرِيَةٍ، وهو شاذٌّ لأن فِعَلاً لا يجمع على أَفْعِلَةٍ. والشَرْيُ بالتسكين: الحنظل. ويقال: لفلانٍ طعمان: أَرْيٌ وشَرْيٌ. والشَرْيُ أيضاً: شجر الحنظَل. الواحدة شَرْيَةٌ. والشَرْيَة: النخلة تنبُت من النواة. والشَرْيُ أيضاً: رُذالُ المال، مثل شَواهُ. وشَرِيَ البرقُ يَشْرَى شَرىً، إذا كثُر لمعانه. الصحاح في اللغة ١/ ٣٥٥.

(٢) ذكر ابن فارس في معجم مقاييس اللغة أن الشين والراء والحرف المعتل أصولٌ ثلاثة: أحدها يدلُّ على تعارضٍ من الاثنين في أمرين أخذاً وإعطاءً مُمَاثلَةً، والآخر نبتٌ، والثالث هَيْجٌ في الشيء وعلُوّ.
فالأوّل قولهم: شَرَيت الشيء واشتريتُه، إذا أخذتَه من صاحبه بثَمنه. وربما قالوا: شَريتُ: إذا بعتَ. قال الله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۢ بَخْسٍ﴾ [يوسف ٢٠]. ومما يدلُّ على المماثلة قولهم: هذا شَرْوَى هذا، أي مِثْلُهُ. وفُلَانٌ شَروَى فلانٍ. ومنه حديث شريح في قوسٍ كَسَرَها رجلٌ لرجُل فقال شُريح: "شَرواها" أي مثلُها. وأشراء الشيء: نواحيه، الواحد شَرىً، وسمِّي بذلك لأنّه كالنّاحية الأخرى. والشَّرَى مقصور، يقال شَرَى الشيءَ شِرىً.
وأمّا النَّبْت فالشَّرْيُ، يقال إنّه الحنظل. ويقولون الشَّرْية: النَّخْلة التي تنبُت من النَّواة. قال رُؤْبة:

وشـــريـــة فـــي قـــريـــة

والشَّرَى: موضع كثير الدّغَل والأُسْدِ. قال:

أسـودُ شَـرَى لاقـت أُسـودَ خـفِـيَّـةٍ ... تَـسَـاقَـوْا عـلـى حَـرْدٍ دِمـاءَ الأسـاوِدِ

والشِّريان من شجر القِسِيّ.
والأصل الثالث: قولهم شَرِيَ الرّجلُ شَرىً، إذا استُطِيرَ غَضَباً، ويقال شَرِيَ البعيرُ في سيرهِ شَرىً، إذا أسرع. وشَرِي البرقُ، إذا استطار. قال الشاعر:

أصاحِ تَـرَى الـبـرقَ لـم يـغـتـمـضْ ... يـمـوتُ فُـواقـاً ويَـشْـرَى فُـواقـا

=

كأنك جعلته في شرائك، أي: ناحيتك، كما تقول: احتقبته إذا جعلته في حقيبتك، وهو من الأضداد، اشتريته إذا أخذته بثمن واشتريته إذا بعته، وكذلك شريته إنما سمي المشتري والبائع باسم واحد؛ لأن كل واحد منهما يأخذ شيئا ويعطي شيئا فلتماثلهما من هذا الوجه اشتركا في الاسم الواحد، ويجوز أن يكون من قولك: [شريت به. إذا لمحت به](١)، ومنه يقال: شرى البرق إذا كثر لمعانه كأنه لهج بذلك.

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه(٢):

الأول: الاختيار، قال: ﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة آية: ١٦، ١٧٥]. أي: اختاروا الكفر على الإيمان، ومنه: ﴿وَ(٣)**يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا**﴾ [البقرة آية: ١٧٤]. أي: اختاروا على الإيمان ما نالوه من حطام الدنيا، وسماه قليلا؛ لأن كل شيء من الدنيا قليل لانقطاعه.

وقال(٤): ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [لقمان آية: ٦]. يعني: يختار باطل الحديث على القرآن.

وعلى هذا التقدير يصح هذا التأويل؛ لأن الاختيار: إيثار الشيء على غيره وهو ضرب من الإرادة واقع على هذا الوجه، وإذا لم يقع كذلك لم يسم اختيارا.

وأصله من الخير كأنك تؤثر خير الشيئين عندك، وقالوا: لهو الحديث الغناء؛ لأنه يلهي عن الذكر، قالوا: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرى المرأة المغنية.

وقيل: هو جميع ما يلهي عن الذكر، وقيل: نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة الداري وكان يشتري من كتب الأعاجم فارس والروم ويقرأها على قريش فيستحسنونها ويعجبهم ما يسمعون من أخبارهم فيها فيشتغلون بها عن استماع القرآن.

وقوله: ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ [لقمان آية: ٦]. يعني: سبيل الله، ومعناه الإسلام.

= ويقال استشرى الرجُل، إذا لجَّ في الأمر. ويقال شَرِي زِمامُ النّاقة يَشْرى شَرىً، إذا كثُر اضطرابُهُ. ويقولون: "كلُّ مُجْرٍ في الخَلاءِ يَشْرَى".

(١) في ن: شريت إذا لهجت.

(٢) جاء الاشتراء في الوجوه النظائر لهارون بن موسى ثلاثة أوجه.

(٣) سقط من: ن.

(٤) سقط من: ن.

الثاني: الابتياع، قال الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة آية: ١١١]. هكذا قيل، وهو مجاز وحقيقته أنه جعل الجنة ثوابا لهم على بذلهم نفوسهم وأموالهم في سبيل الله، وسمي ذلك اشتراء؛ لأنه جعل الجنة بدلا من ذلك كما أن ثمن السلعة بدل منها.

الثالث: بمعنى البيع، قال تعالى: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ [البقرة آية: ٩٠] أي: باعوها، وهذا أيضا مجاز، ومعناه أنهم أذنبوا فاستحقوا النار فإذا صاروا إليها لم ينتفعوا لنفوسهم فكأنهم باعوها؛ لأن من باع الشيء حرم الانتفاع به.

الأحد(١)

أصله الانفراد(٢)، يقال: رجل واحدٌ إذا كان منفردا، ولهذا قالوا: مررت برجل وحده. لما أرادوا معنى الانفراد، كأنهم أرادوا برجل أفرادا، وأفرادا منصوب نصب المصدر فنصبوا وحده؛ لأنه جعل موضع أفراد.

وجاء في كلامهم نسيج وحده، وعيير وحده، وجحيش وحده بالجر، وإنما هذا مضاف إلى المصدر كأنهم قالوا: نسيج إفرادا لا يوجد مثله؛ لانفراده بدأبه وعمله.

---

(١) جاء في جمهرة اللغة مادة (أحد): الأحد في معنى الواحد، والجمع آحاد، ويوم الأحد جمعه آحاد أيضاً. وأُحاد وأَحَد: واحد، كما قالوا: ثُناء وثُلاث.
قال عمرو ذو الكلب:
أَحَـمَّ الـلّـه ذلـك مـن لـقـاءٍ ... أُحـادَ أُحـادَ فـي الـشـهـر الـحَـلالِ
وأُحدان: جمع أَحَد. قال الشاعر:
تَـصَـيَّـدُ أُحْـدانَ الـرجـال وإن تُـصِـبْ ... ثُـنـاءهـمُ تـفـرحْ بـهـم ثـم تـزدَدِ
واستأحد الرجل، إذا انفرد، واستوحد أيضاً. ولغة لبعض أهل اليمن: ما استأحدتُ بهذا الأمر، أي لم أشعر به. والحُداء: حُداء الإبل. قال الراجز:
فـغـنِّـهـا وهـي لـك الـفِـداءُ
إنّ غِـنـاءَ الإبـل الـحُـداءُ
والحِدَأة مهموز مقصور: ضرب من الطير، والجمع حِدأ. والحَدَأة: الفأس التي لها رأس واحد وجمعها حَدَأ، مهموز مقصور. قال الشمّاخ:
يـبـادِرن الـعِـضـاهَ بـمُـقْـنَـعـاتٍ ... نـواجـذُهـنّ كـالـحَـدَأ الـوقـيـع
وبنو حِدأة: بطن من العرب. وكان ابن الكلبي يقول: قول الصبيان: حَدَأً حَدَأً وراءك بُندقة، أرادوا بني حَدّاء بطناً من العرب، وبنو بُندقة: بطن من إياد. والحُدَيّا من قولهم: أنا حُدَيّا الناس، أي أتعرّض لهم وأتحدّاهم. والحَدّاء: اسم رجل من العرب له حديث، وأحسِب أن له نسلاً باقياً.

(٢) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (أحد) الهمزة والحاء والدال فرع والأصل الواو وَحَد، وقد ذكر في الواو. وقال الدريديّ: ما استأحدت بهذا الأمر أي ما انفردت به.

وقالوا: في جمع أحد آحاد، وجمع واحد وحدان وأحدان، ويقولون: أحد الرجلين ولا يقولون: واحد الرجلين، ولزموا أحدا وإحدى في العدد.

ولو استعملوا في أحد وعشرين وإحدى وعشرين واحدا وعشرين وواحدة وعشرين كان جائزا ولكن لما كان باب العدد وباب التعبير لزموا فيه أحدا وإحدى وهما مغيران عن الأصل، وقالوا: واحد ولم يقولوا في التثنية: واحدان؛ لأن واحدا اسم لما لا ثاني له، وقالوا: اثنان حين أرادوا أن كل واحد منهما ثان للآخر.

وأحد في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول: يعني: الله سبحانه [وتعالى][(١)]، وهو قوله: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥﴾ [البلد آية: ٥] يعني: أن لن يقدر عليه الله، أو أن يحسب أن لن يقدر الله أن يبعثه.

وكذا قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾ [البلد آية: ٧] وأول الآية: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦﴾ [البلد آية: ٦] أي: أنفقت المال [الكثير في وجوه كثيرة][(٢)]، ومن أحصاه علي فيحاسبني به، فقال الله: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾ أي: لم يره الله.

الثاني: النبي صلى الله عليه وآله، قال: ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ [الحشر آية: ١١] يعنون النبي صلى الله عليه، وكذلك قوله: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ [آل عمران آية: ١٥٣] يعني: على النبي عليه السلام؛ لأنه ثبت حين انهزموا فمروا على وجوههم، ولم يقيموا عليه، ويجوز أن يكون المعنى أن بعضكم لم يقم على بعض.

الثالث: قوله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩﴾ [الليل آية: ١٩] جاء في التفسير أنه عنى بلالا مولى أبي بكر رضي الله عنه وأراد أنه لم تكن لبلال نعمة عند أبي بكر يعتقه من أجلها، وإنما أعتقه لوجه الله، ويجوز أن تكون الآية فيه وفي غيره ممن يفعل الخير لا ليد يجازي بها ولكنها لله تعالى.

---

(١) سقط من: ن.

(٢) في ن: الكبير في وجوه كبيرة.

الآل(١)

أصل الآل من الأول وهو الرجوع(٢)، والآل الشخص يرفع في الصحاري

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٩٥.

(٢) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (أول): الهمزة والواو واللام أصلان: ابتداء الأمر وانتهاؤه. أما الأوّل فالأوّل، وهو مبتدأ الشيء، والمؤنّثة الأولى، مثل أفعل وفُعْلى، وجمع الأولى أولَيات مثل الأخرى. فأمّا الأوائل فمنهم من يقول: تأسيس بناء "أوّل" من همزة وواو ولام، وهو القولُ. ومنهم مَن يقول: تأسيسُه من وَاوَينِ بعدهما لام. وقد قالت العربُ للمؤنّثة أوَّلَةٌ. وجمعوها أَوَّلَات وأنشد في صفة جَمَلٍ:

آدَم مـــعـــروف بـــأوَّلاتِـــهِ   خـــالُ أبِـــيـــهِ لِـــبَنِـــي بَـــنَـــاتِـــهِ

أي خُيَلاءُ أبيه ظاهرٌ في أولاده. أبو زَيد: ناقَةٌ أوَّلَةٌ وجمل أوّل، إذا تقدَّما الإبل. والقياس في جمعه أواوِل، إلّا أنَّ كلّ واوٍ وقَعتْ طرفاً أو قريبةً منه بعد ألفٍ ساكنة قُلِبَتْ همزة. الخليل: رأيتهُ عاماً أوَّلَ يا فتى، لأنّ أوّلَ على بناء أفْعل، ومن نوّن حَمَله على النكرة. قال أبو النَّجْم:

مـــا ذَاقَ ثُـــفْـــلاً مُـــنْـــذُ عَـــامٍ أوَّلِ

ابنُ الأعرابيّ: خُذْ هذا أوّلَ ذاتِ يَدَينِ، وأوَّلَ ذِي أوّل، وأوَّلَ أوّل، أي قَبْلَ كلّ شيء. ويقولون: "أما أوَّل ذاتِ يَدَيْن فإنِّي أحمَدُ الله". والصّلاة الأولى سمِّيت بذلك لأنّها أوّل ما صُلِّي. قال أبو زيد: كان الجاهليَّة يسمُّون يومَ الأحد الأوّل. وأنشدوا فيه:

أؤمّـــل أن أعِـــيـــشَ وأنَّ يَـــوْمِـــي   بـــأوّلَ أوْ بـــأَهْـــوَنَ أو جُـــبَـــارِ

والأصل الثّاني قال الخليل: الأيِّل الذكر من الوُعول، والجمع أيائِل. وإنّما سمّي أيّلاً لأنه يَؤول إلى الجبل يتحصّن. قال أبو النجم:

كـــأنّ فـــي أذنـــابِـــهِـــنّ الـــشُّـــوَّلِ   مِـــنْ عَـــبَسِ الـــصَّـــيْـــفِ قُـــرُونَ الأيِّـــلِ

شبّه ما التزَق بأذنابهنّ من أبعارِهنّ فيَبِس، بقرون الأوعال. وقولهم آل اللّبنُ أي خَثُر من هذا الباب، وذلك لأنه لا يخثر [إلّا] آخِر أمْرِه. قال الخليل أو غيرُه: الإيال على فِعالٍ: وعاءٌ يُجمع فيه الشَّرابُ أيّاماً حتى يَجُود. قال:

يـــفُـــضّ الـــخِـــتـــامَ وقـــد أزْمَـــنَـــتْ   وأَحْـــدَثَ بـــعـــدَ إيـــالٍ إيـــالَا

وآلَ يَؤول أي رجع. قال يعقوب: يقال "أَوَّلَ الحُكْمَ إلى أَهْلِه" أي أرجَعه وردّه إليهم. قال الأعشى:

أُؤَوِّلُ الـــحُـــكْـــمَ إلـــى أهـــلِـــهِ

قال الخليل: آلَ اللّبَنُ يَؤولُ أوْلاً وأُوولاً: خَثُرَ. وكذلك النبات. قال أبو حاتم: آلَ اللّبَنُ على الإصبع، وذلك أن يَرُوب فإذا جعلت فيه الإصبعَ قيل آلَ عليها. وآلَ القَطِران، إذا خَثُرَ. وآلَ جِسمُ الرّجل إذا نَحُفَ. وهو من الباب، لأنّه يَحُورُ ويَحْرِي، أي يرجعُ إلى تلك الحال. والإيالة السّياسةُ من هذا الباب، لأن مرجعَ الرّعيةِ إلى راعيها. قال الأصمعي: آلَ الرَّجلُ رعِيّتَه يَؤُولُها إذا أحْسَنَ سياستَها. قال الراجز:

يَـــؤُولُـــهـــا أَوّلُ ذي سِـــيـــاس

وتقول العرب في أمثالها: "أُلْنَا وإيلَ عَلَيْنا" أي سُسْنا وساسَنا غيرُنا. وقالوا في قول لبيد: =

للناظر فيراه ليس بشيء، وسمي آلاء؛ لأنه يخفى ثم يرجع فيظهر، وبه سمي شخص الرجل آلاء، والأله الشدة من شدائد الدهر؛ لأنها تذهب ثم ترجع، قالت الخنساء:

سَأَحمِلُ نَفْسِي عَلَى آلَةٍ فَـ ـإِمَّا عَلَيهَا وَإِمَّا لَهَا

والآلة: الحالة؛ لأنها لا تبقى.

والآل ربما جاء بمعنى الأهل، وبينهما فرق يقال: أهل العلم وأهل البلد، ولا يقال: آل العلم وآل البلد، ويقال: أهل الرجل لأقاربه وهم آله أيضا وآله أتباعه، فكان الآل من جهة القرابة والصحبة، والأهل من جهة النسب والاختصاص.

وقيل: العرب تقول في تصغير آل: أهيل فهذا يدل على أن أصل الهمزة في آل هاء.

= بِمُؤَتَّرٍ تأتالُه إبْهامُها

هو تفتعل من ألْتُهُ أي أصلحته. ورجل آيل مالٍ، مثال خائل مال، أي سائسه. قال الأصمعيّ: يقال رددته إلى آيلَتِهِ أي طبْعه وسُوسه. وآلُ الرَّجُلِ أهلُ بيتِه من هذا أيضاً؛ لأنه إليه مآلُهم وإليهم مآلُه. وهذا معنَى قولهم يالَ فلان. وقال طَرَفة:

تحسِبُ الطَّرْفَ عليها نَجْدَةً يالَ قَوْمِي للشَّبابِ المُسْبَكِرّ

والدليل على أنّ ذلك من الأوّل وهو مخفَّفٌ منه، قول شاعر:

قد كان حقُّكَ أنْ تَقولَ لِبارِقٍ يا آل بارِقَ فيم سُبَّ جريرُ

وآلُ الرّجلِ شخصهُ من هذا أيضاً. وكذلك آلُ كلِّ شيء. وذلك أنّهم يعبِّرون عنه بآلِه، وهم عشيرته، يقولون آل أبي بكر، وهم يريدون أبا بكر. وفي هذا غموض قليل. قال الخليل: آلُ الجَبَلِ أطرافُه ونَواحِيه. قال:

كأنّ رَعْنَ الآلِ منه في الآلْ إذَا بدا دُهَانِجٌ ذو أَعْدَالْ

وآل البعير: ألواحه وما أشْرَفَ من أقطارِ جسمه. قال:

مِن اللّواتي إذا لانَتْ عريكتُها يبقى لها بعدها آلٌ ومَجْلودُ وقال آخر:

ترى له آلاً وجِسْماً شَرْجَعا

وآلُ الخَيْمة: العَمُد. قال:

فلم يَبْقَ إلّا آلُ خَيْمٍ مُنَضَّدٌ وسُفْعٌ على آس ونُؤْيٌ مُعَثْلَبُ

والآلَة: الحالة. قال:

سأحْمِلُ نفسي على آلةٍ فإمّا عليها وإمّا لها

ومن هذا الباب تأويل الكلام، وهو عاقبتُهُ وما يؤُولُ إليه، وذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف ٥٣]. يقول: ما يَؤُول إليه في وقت بعثهم ونشورهم. وقال الأعشى:

على أنَّها كانَتْ تأوّلُ حُبّها تأَوُّلَ رِبعِيِّ السِّقابِ فأصحبا

يريد مرجعَه وعاقبتَه. وذلك مِنْ آل يَؤُول..

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه[١]:

الأول: بمعنى الأتباع، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾﴾ [القمر آية: ٤١] يعني: أتباعه، والمعنى: جاءته النذر وجاءتهم أيضا، ومثله: ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر آية: ٤٦] فاكتفى بذكرهم عن ذكره لدلالته عليه، ومعلوم أنها إذا جاءتهم لأجل كفرهم وهو كافر مثلهم، فقد جاء به وهذا من الإيجاز المحمود.

الثاني: أهل بيت الرجل، قال الله تعالى: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ [القمر آية: ٣٤] وهذا مثل الأول؛ لأنه نجاه ونجى أهل بيته فاكتفى بذكر أهل بيته لبيان المعنى، ومثله: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الحجر آية: ٥٩].

الثالث: الذرية، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران آية: ٣٣] يعني: إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، و: ﴿وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾ [آل عمران آية: ٣٣] يعني: موسى وهارون؛ اختارهم على عالمي زمانهم.

والفرق بين الولد والذرية: أن الذرية يقع على أولاد الرجل الذكور والإناث، وعلى أولاد بنيه وبناته من الذكور والإناث، والدليل على ذلك أن الله تعالى يقول: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنعام آية: ٨٤] ثم عد عيسى مع المذكورين، وولد الرجل هم من ولدهم لا يدخل أولاد البنات فيهم؛ لأن أولاد البنات منسوبون إلى آبائهم، قال الشاعر:

بَنُونَا بَنو أبنَائِنَا وبَنَاتِنَا ... بَنُوهُنَّ أبنَاءُ الرِّجَالِ الأبَاعِدِ

فأما تسميته الحسن والحسين عليهما السلام ولدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ذلك شيء خصا به دون غيرهما تكريما لهما واختصاصا.

أوى[٢]

أصله الميل[٣]، ومأوى الرجل منزله الذي يميل إليه ويقيم فيه، أويت أنا

---

(١) جاء الآل في الوجوه والنظائر لهارون بن موسى على ثلاثة أوجه.

(٢) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٣١٨.

(٣) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (أوي): الهمزة والواو والياء أصلان: أحدهما التجمُّع، والثاني الإشفاق. قال الخليل: يقال أَوَى الرّجلُ إلى منزله وآوَى غيرَه أُوِيّاً وإيواءً. ويقال أوَى إواءً أيضاً. والأُوِيُّ أحسن. قال الله تعالى: ﴿إذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إلى الكَهْفِ﴾ [الكهف ١٠]، وقال: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إلى رَبْوَةٍ﴾ [المؤمنون ٥٠]. والمأوَى: مكانُ كلِّ شيءٍ يُؤوى إليه ليلاً أو نهاراً. =

وأويت غيري إذا ضممته إليك كأنك أملته إليك بعطفك ورحمتك.

وجاء في القرآن على وجهين(١):

الأول: الضم، قال: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ [المؤمنون آية: ٥٠] أي: [ضمهما](٢).

الثاني: الانتهاء، قال الله تعالى: ﴿إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ [الكهف آية: ٦٣]، وقال: ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ [الكهف آية: ١٦] أي: انتهوا، ويجوز أن يكون أراد الميل في الوجهين، : ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ أملناهما، : ﴿إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ ملنا، : ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ مالوا. والمعين: الماء الطاهر التي تناله العين وهو من قولك: عنته إذا أبصرته واختار لهم الربوة؛ لأنها أبعد من اللثق وما يكون فيها من الماء والخضرة فهو أحسن والعرب تقول: أحسن من رياض الحزن، قال الأعشى:

مَا رَوضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الحَزْنِ مُعَشَّبَةٌ خَضْرَاء جَارَ عليهَا مِسْبَلٌ هَطِلُ

والحزن: ما ارتفع من الأرض في غلظ.

الأول(٣)

أول كل شيء ما ابتدئ فيه واشتقاقه من الأول(٤)، وهو الرجوع، كأن كل شيء ترجع صفته إلى ما بدئ منه، والأول في أسماء الله تعالى بمعنى أنه لا شيء قبله.

وهو في القرآن على أربعة أوجه(٥):

الأول: أول من كفر من أهل الكتاب، وهو قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ [البقرة آية: ٤١] أي: أول من كفر به من أهل الكتاب؛ لأن قريشا كفروا به قبلهم،

= وأوَت الإبلُ إلى أهلها تأوِي أُوِيّاً فهي آوِيةٌ. قال الخليل: التأوِّي التجمُّع، يقال تأوَّت الطّيرُ إذا انضمَّ بعضُها إلى بعضٍ، وهنَّ أُوِيٌّ ومُتَأوِّيات. قال:

كـمـا تـدانـى الـحِـدَأُ الأوِيُّ

شبَّه كلَّ أُثفيَّةٍ بحِدَأة. والأصل الآخر قولهم: أوَيْتُ لفلانٍ آوِي له مَأْوِيَةً، وهو أنْ يرِقّ له ويَرْحمه. ويقال في المصدر أيَّة أيضاً. قال أبو عُبيد: يقال استَأوَيْتُ فلاناً، أي سألته أن يَأوِيَ لي. قال:

ولـو أنَّـني اسـتَأوَيْتُـه مـا أوَى لِـيـا

(١) جاءت أوي في الوجوه والنظائر لهارون بن موسى علي وجهين.

(٢) طمس في: ت.

(٣) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٣٢٢.

(٤) راجع ما سبق ص ٧٠ حاشية ٢.

(٥) جاء في الوجوه والنظائر لهارون بن موسى على أربعة أوجه.

ودلهم هذا[١] على أن جميع من كفر منهم بعد فإنه سببه ويلزمهم مثل وزره.

قال أبو العباس المبرد: أول يضاف إلى ما بعده على وجهين:

أحدهما: أن يكون ما بعده متصلا به.

والآخر: أن يكون مقدرا لذلك، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ إنما قال هذا للمخاطبين؛ لأنهم قبل غيرهم ممن يلزمهم ما لزمهم فقيل لهم: أنتم أيها المخاطبون لا تكفروا بما سمعتم فيكون بعدكم الكافر والمؤمن فلا تكونوا أول الكفار، وكافر في موضع الجماعة إذا كانوا واحدا واحدا، وقبيلا قبيلا، يقول: كل رجل في الدار فأعطه درهما، أي: أعطهم رجلا رجلا حتى يعطي كلهم، ولو قال قائل: أول من يأتني فله درهم فأتاه واحد ولم يأت غيره لوقع عليه اسم الأول؛ لأنه في التقدير أن يأتي غيره، ولو قال: آخر رجل يأتيني وآخر عبدا ملكه لم يعلم إلا بعد موته؛ لأن الأول مقدر لما بعده، والآخر لا يقع عليه هذا الاسم، وكذلك إذا قال: أول عبد لي حر فأول عبد يشتريه يعتق، فإذا قال: آخر عبد لم يعلم ذلك إلا بعد موته.

الثاني: النبي صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ [الزخرف آية: ٨١] قيل: أول الموحدين لله من أهل زمانه، ومثله: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ [الأنعام آية: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر آية: ١٢] أي: ابتدئ بإظهار الإسلام ليتلو في الناس.

الثالث: أول المؤمنين، أي: أول المؤمنين بذلك، ويجوز أن يكون معناه أنه أول المؤمنين بهذا وبغيره مما هو من دين الله ليس أنه لم يكن مؤمنا به قبل ذلك وإنما أراد أنه يجدد له إيمان بعد إيمان قبل أن يتجدد ذلك لغيره فهو أول فيه.

الرابع: قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الشعراء آية: ٥١] أي: أول المؤمنين من اتباع فرعون، وقيل: كانوا أول مؤمني أهل دهرهم، وذلك غلط؛ لأن موسى وهارون عليهما السلام كانا مؤمنين قبلهم، وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف آية: ١٠٥] دليل على أن موسى كان قد علم أن من بني إسرائيل من هو مؤمن، وكان فرعون يتعبدهم فطلب منه إرساله إياه.

---

(١) في ت: بهذا.

الاستئناس[1]

أصله طلب الأنس[2]، والإيناس من الرؤية يفيد الأنس بما يراه المؤنس، ولهذا لا يقال لله تعالى يؤنس كما يقال: أنه يرى.

وجاء في القرآن على وجهين[3]:

الأول: الاستئذان، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ﴾ [النور آية: ٢٧] ونسق التلاوة يدل على أنه أراد الاستئذان، وهو قوله: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾ [النور آية: ٥٩].

وقرأ ابن عباس رحمه الله: ﴿حَتَّى تستأذِنُوا﴾، وقال: غلط الكاتب وإنما سمي استئذانهم استئناسا؛ لأنهم إذا استأنسوا أنس بعضهم ببعض.

وفي قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ﴾[4] جواز الدخول بعد الاستئذان وإن لم يكن صاحب الدار أذن، ولذلك قال مجاهد: هو التنحم والتنحنح كأنه أراد أن يعلمهم بدخوله.

وهذا الحكم ثابت فيمن جرت عادته بالدخول من غير إذن ومعلوم أن الإذن مشروط في إباحة الدخول، ويدل عليه أيضا قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْۖ﴾ [النور آية: ٢٨] فحظر الدخول إلا بالإذن.

الثاني: طلب الأنس بالحديث، قال الله تعالى: ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ﴾ [الأحزاب آية: ٥٣]، وقال عمر رضي الله عنه: أأستأنس[5] يا رسول الله، فقال له[6]: استأنس يعني: استئناس الحديث.

---

(١) لم نجده في الوجوه والنظائر لهارون بن موسى.

(٢) الهمزة والنون والسين أصلٌ واحد، وهو ظهورُ الشيء، وكلُّ شيءٍ خالَفَ طريقة التوحُّش. قالوا: الإنْس خلاف الجِنّ، وسُمُّوا لظهورهم. يقال آنَسْتُ الشيء إذا رأيتَه. قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً﴾ [النساء ٦]. ويقال: آنَسْتُ الشيءَ إذا سمعتَه. وهذا مستعارٌ من الأوّل. قال الحارث:

آنَسَتْ نَبْأَةً وأفزعَها القُـ ... ـنَّاصُ عَصْراً وقد دَنَا الإمساءُ

والأَنَس: أُنْسُ الإنسانِ بالشيء إذا لم يسْتَوْحِشْ منه. والعرب تقول: كيف ابن إنْسِك؟ إذا سأله عن نفسه.

ويقال إنسان وإنسانان وأناسيُّ. وإنسان العين: صَبِيّها الذي في السّواد.

(٣) لم نجده في الوجوه والنظائر لهارون بن موسى.

(٤) في ن: وفي قوله تعالى: ﴿حتى تستأذنوا﴾. وما أثبتناه من نص المصحف.

(٥) في ن: أستأنس.

(٦) سقط من: ت.

ومستأنسين نصب على الحال من محذوف، أي: فلا تدخلوها مستأنسين أو لا تجلسوا بعد الفراغ من الأكل، وقيل: موضعه خفض مستأنسين على اتباع: ﴿نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾.

الآية(١)

أصل الآية العلامة الثابتة(٢) من قولك: تأييت بالمكان إذا أقمت به وثبت فيه، ومن ثم يقال: لأجعلنك آية، أي: علامة، وسميت الآية من القرآن آية؛ لأنها بمفارقتها كلام البشر علامة على صدق الدعوة، وقيل: الآية جماعة حروف من قولهم: خرج القوم على آيتهم أي: بجماعتهم.

وهي في القرآن على وجهين(٣):

الأول: العبرة، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون آية:

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٣٣٤.

(٢) الهمزة والياء والياء أصلٌ واحد، وهو النَّظَر. يقال تأيَّا يتأيّا تأيِّياً، أي تمكّث. قال:

قِفْ بالدِّيار وقوفَ زائرْ ... وتأيَّ إنّك غيرُ صاغرْ

قال لبيد:

وتأيَّيْتُ عليه قافِلاً ... وعلى الأرض غَيَاياتُ الطَّفَلْ

أي انصرفتُ على تُؤَدة. ابن الأعرابيّ: تأيّيْت الأمرَ: انتظرت إمكانَه. قال عديّ:

تَأَيَّيْتُ منهن المصير فلم أزلْ ... أُكَفْكِفُ عنِّي واتِناً ومُنَازِعا

ويقال: ليست هذه بدار تَئِيّة، أي مُقام.

وأصلٌ آخر، وهو التعمُّد، يقال تآيَيْتُ، على تفاعلت، وأصله تعمَّدت آيَتَه وشخصَه. قال:

بِهِ أتآيا كُلَّ شأنٍ ومَفْرِقِ

وقالوا: الآية العلامة، وهذه آيةٌ مَأْيَاةٌ، كقولك عَلامَة مَعْلَمَة. وقد أيَّيْت. قال:

ألا أبلغ لَدَيْكَ بني تميم ... بآيةِ ما تُحِبُّونَ الطَّعاما

قالوا: وأصل آية أَأْيَة بوزن أعْية، مهموز همزتين، فخفّفت الأخيرة فامتدّت. قال سيبويه: موضع العين من الآية واو؛ لأنّ ما كان موضع العين منه واوا، واللام ياءً، أكثرُ ممّا موضِع العينِ واللام منه ياءان، مثل شوَيتُ، هو أكثر في الكلام حَيِيتُ. قال الأصمعيّ: آيةُ الرَّجُل شخْصُه. قالَ الخليل: خَرَجَ القوم بآيتهم أي بجماعتهم. قال بُرْج بن مُسْهِر:

خَرَجْنا من النَّقْبَينِ لا حَيَّ مِثْلنا ... بآيَتِنا نُزْجِي المَطِيَّ المَطَافِلَا

ومنه آية القرآن، لأنَّها جماعةُ حروفٍ، والجمعُ آيٌ، وإياة الشمس ضوءُها، وهو من ذاك، لأنّه كالعلامة لها. قال:

سَقَتْهُ إياةُ الشَّمسِ إلّا لِثَاتِهِ ... أُسِفَّ ولم يُكْدَمْ عليه بإثْمِدِ.

(٣) جاء في الوجوه والنظائر لهارون بن موسى على وجهين.

٥٠] أي: عبرة يعتبر بها، وتكون(١) علامة لصدقه وشاهدا على أن الله تعالى قادر على ما يريده، ويجوز أن يكون قولهم: لأجعلنك آية من ذلك أي: عبرة، ومثله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا ءَايَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت آية: ١٥] ولم يقل: وجعلنا ابن مريم وأمه آيتين؛ لأن الأمر فيهما يؤول إلى شيء واحد.

الثاني: العلامة، قال: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾ [يس آية: ٤١]، وقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم آية: ٢٥]، وقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى آية: ٢٩، الروم: ٢٢]، وقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [الروم آية: ٢١] أي: ومن العلامات على ربوبيته.

والوجهان متقاربان يصلح استعمال أحدهما في موضع الآخر، وإنما أوردناهما على حسب ما جاء في التفسير.

الآخرة(٢)

سميت الآخرة آخرة؛ لأن الدنيا تؤدي إليها، وآخر الشيء خلاف أوله، فأوله(٣) ما بدئ منه وآخره ما ينقطع عند تمامه.

وقد يجوز مع ذلك أن يجعل أول الشيء آخره، وآخر الشيء أوله إذ قدر غير التقدير الأول، وقد استقصينا ذلك في كتاب الفرق.

وآخر الشيء منه كما أن أوله منه، وليست الآخرة من الدنيا على أنه لولا الدنيا لم يقل آخره، وأنثت الآخرة على تأنيث الدار(٤).

---

(١) في ن: ويكون.

(٢) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٣٣٧.

(٣) ط: أول.

(٤) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (آخر) الهمزة والخاء والراءُ أصل واحدٌ إليه ترجع فروعُه، وهو خلاف التقدُّم. وهذا قياسٌ أخذْناه عن الخليل فإنّه قال: الآخِر نقيض المتقدّم. والأُخُر نقيض القُدُم، تقول مضى قُدُما وتأخَّرَ أُخُراً. وقال: وآخِرَة الرحل وقادمته ومُؤَخّر الرّحْل ومقَدّمه. قال: ولم يجئ مُؤْخِر مخفّفة في شيء من كلامهم إلا في مُؤْخِر العين ومُقْدم العين فقط. ومن هذا القياس بِعتُك بيعاً بِأَخِرَةٍ أي نَظِرَة، وما عرفته إلا بأَخَرَة. قال الخليل: فعل الله بالأَخِرِ أي بالأَبْعد. وجئت في أُخْرَياتهم وأُخْرَى القوم. قال:

أنـا الـذي وُلِـدْتُ فـي أُخـرَى الإبِـلْ

وابن دريد يقول: الآخِر تَالٍ للأوَّل. وهو قريبٌ ممّا مضى ذكره، إلّا أنّ قولنا قال آخِر الرّجُلين وقال الآخِر، هو لقول ابن دريد أشد مُلاءمةً وأحسَنُ مطابقة. وأُخَرُ: جماعة أُخْرَى.

وهي[١] في القرآن على خمسة أوجه[٢]:

الأول: القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ [الإسراء آية: ١٠، المؤمنون: ٧٤] يعني: القيامة.

الثاني: الجنة بعينها، قال [الله تعالى][٣]: ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة آية: ٢٠٠] أي: ما لهم في الجنة من نصيب، والخلاق النصيب وسمي خلاقا؛ لأنه قدر لصاحبه، وأصل الخلق التقدير وسنذكره، وقال تعالى: ﴿وَٱلْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف آية: ٣٥]، وقال: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا[٤] فَسَادًا﴾ [القصص آية: ٨٣]، ونظير الأول قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى آية: ٢٠].

الثالث[٥]: **جهنم خاصة، قال**: ﴿يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر آية: ٩] أي: يحذر جهنم.

الرابع[٦]: **قوله تعالى**: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم آية: ٢٧] وجاء في التفسير أنه أراد القبر حين يأتيه منكر ونكير، ويجوز أن يكون معناه القيامة يثبته الله فيها على الصراط.

الخامس[٧]: **قوله تعالى**: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ﴾ [ص آية: ٧] وهي ملة عيسى عليه السلام، كذا قيل، ويجوز عندنا أن يكون معناه: ما سمعنا أن مثل ما تأتي به يكون في آخر الزمان.

الأخ[٨]

أصل الأخ أخو على وزن فعل[٩]، ودليل ذلك أنك تقول في التثنية أخوان، وكذلك الأب؛ لأنك تقول في تثنيته أبوان.

قال المبرد: إنما حذفوا الواو من أخ علامة للتضمين، ومعنى التضمين

(١) في ن: وهو.
(٢) جاء في الوجوه والنظائر لهارون بن موسى على خمسة أوجه.
(٣) سقط من: ت.
(٤) سقط من: ن.
(٥) في ت: والثالث.
(٦) في ت: والرابع.
(٧) في ت: والخامس.
(٨) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٣٤٤.
(٩) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (أخو) الهمزة والخاء والواو ليس بأصلٍ، لأنّ الهمزة عندنا مبدلة من واو، وقد ذكرت في كتاب الواو بشرحها، وكذلك الآخِيَّة.

عندنا[١] أنك إذا قلت: أخ فقد ضمنت شيئا معلوما وهو أخ آخر، وكذلك إذا قلت: أب وابن وليس كذلك في مثل قولك: رأس؛ لأنك إذا قلت: رأس جاز أن تريد رأس عصا ورأس رجل ورأس بقرة، وليس يدل قولك: رأس على شيء بعينه، والمضمون في قولك: أخ وابن معلوم، وأصل اشتقاق الأخ من القصد، ومن ثم قيل: توخيت الشيء إذا قصدته وأصله تأخيت الشيء وتأخيت أخا للفرق بين المعنيين، ويجوز أن يكون توخيت الشيء مأخوذا من الوحي، وهو الطريق القاصد وهذا أجود الوجهين.

وهو في القرآن على ستة أوجه:

الأول: الأخ من الأب والأم، قال: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ [المائدة آية: ٣٠]، وقال: ﴿فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي﴾ [المائدة آية: ٣١] ونحوه كثير، وسماها سوأة؛ لأنها جيفة.

الثاني[٢]: الأخ في النسب، قال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف آية: ٦٥]، وقوله: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [الأعراف آية: ٧٣]، وقوله: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف آية: ٨٥]، وقال: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [البقرة آية: ١٧٨] فإن قيل: فلم سمي ولي الدم أخا القاتل في هذه الآية، والقاتل فاسق والفاسق لا يكون أخا لمؤمن، قلنا: سماه بذلك كما سمى هودا أخا عاد، والقوم إذا كانوا من[٣] جيل واحد وقبيلة واحدة سموا أخوة؛ لأنهم ينتهون إلى أب واحد قريب أو بعيد، وسنفسر هذه الآية فيما بعد إن شاء الله.

الثالث: الأخ في الكفر والشرك، قال الله: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ﴾ [الأعراف آية: ٢٠٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء آية: ٢٧]، ونحوه: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف آية: ٣٨].

الرابع: الأخ في الإسلام، قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات آية: ١٠]، وقال: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران آية: ١٠٣].

الخامس[٤]: الأخ في المودة، قال في وصف أهل الجنة: ﴿إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر آية: ٤٧].

السادس: الأخ بمعنى الصاحب، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ

(١) سقط من: ن.
(٢) في ت: والثاني.
(٣) في ن: في.
(٤) في ت: والخامس.

نَعۡجَةٞ﴾ [ص آية: ٢٣]، وقوله: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا﴾ [الحجرات آية: ١٢] أي: لحم صاحبه.

ويجوز أن يكون معناه الأخ في الدين، فجعل الغيبة أكل اللحم، قال أبو هريرة: قلت: يا رسول الله ما الغيبة؟ قال: "ذكر أخيك بما يكره"، قال: قلت: أفرأيت إن كان [في أخي][1] ما أقول؟، قال: "إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته[2] ".

الإثم[3]

الإثم عند العرب الذنب[4]، وسميت الخمر إثما[5] لأنها توقع في الذنوب، ويقال[6]: أثم فهو[7] آثم وأثيم مبالغة كما تقول[8]: علم فهو عالم وعليم مبالغة.

وقال ابن السكيت: إن الإثم في قوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ﴾ [الأعراف آية: ٣٣] يعني: به: الخمر، وأنشد:

شَرِبتُ الإِثمَ حَتَّى ضَلَّ عَقلِي ... كَذاكَ الإِثمُ يَذهَبُ بِالعُقُولِ

---

(١) بياض في: ن.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٨٩)، وابن حبان في صحيحه (٥٧٥٨)، والترمذي في سننه (١٩٣٤)، وقال: وفي الباب عن أبي برزة وابن عمر وعبد الله بن عمرو قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، والدارمي في سننه (٢٧١٤)، والبيهقي في سننه الكبرى ١٠ / ٢٤٧، وأبي داود في سننه (٤٨٧٤)، والنسائي في سننه الكبرى (١١٥١٨)، وابن أبي حاتم في علله (١٨٨١)، وقال: قال أبي: هذا حديث منكر.

(٣) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٣٤٩.

(٤) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (أثم) الهمزة والثاء والميم تدلُّ على أصلٍ واحد، وهو البطء والتأخُّر. يقال ناقة آثِمةٌ أي متأخِّرة. قال الأعشى:

إذا كَذَبَ الآثِماتُ الهَجِيرا

والإثم مشتقٌّ من ذلك، لأنَّ ذا الإثم بطيءٌ عن الخير متأخِّر عنه. قال الخليل: أثِمَ فلانٌ وقع في الإثم، فإذا تَحَرَّج وكَفّ قيل تأثّم كما يقال، حَرِجَ وقع في الحَرج، وتحرّج تباعد عن الحَرَج. وقال أبو زيد: رجل أثيمٌ أثُومٌ. وذكر ناسٌ عن الأخفش- ولا أعلم كيف صحّتُه- أنّ الإثم الخمر، وعلى ذلك فسّر قوله تعالى: ﴿قُلْ إنّما حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ والإثْمَ﴾ [الأعراف ٣٣]. وأنشد:

شَرِبْتُ الإثمَ حتّى ضَلَّ عَقْلِي ... كذاكَ الإثمُ تفْعَلُ بالعُقُولِ

فإنْ كان هذا صحيحاً فهو القياس لأنّها تُوقِع صاحبها في الإثم.

(٥) سقط من: ن.

(٦) في ن: وقال.

(٧) في ت: وهو.

(٨) في ت: يقال.

وجاء في القرآن على أربعة أوجه:

الأول: الكذب، قال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ [المائدة آية: ٦٣] أي: الكذب بأن عزيرا ابن الله وأن يد الله مغلولة.

الثاني: المعصية، قال الله تعالى: ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ [المائدة آية: ٣] أي: مائل إلى المعصية، والجنف الميل.

وقال بعض الفقهاء: الإثم أن يأكل منه أكثر مما يحتاج إليه لسد جوعه، وقال غيره: له أن يأكل منه ما يريد ويتزوده فإذا استغنى عنه طرحه، والضرورة المذكورة في الآية تدفع ذلك، والأول قول أصحابنا.

وقال: ﴿وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف آية: ٣٣] ولا يكون البغي إلا بالحق، وإنما هو مثل قولك: بغى علي ظلما، ولا يجوز أن يبغي عليه عدلا، وإنما هو تأكيد في الكلام.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة آية: ٢] هو الإثم وكذلك البغي.

وإنما كرر المعنى بغير لفظه أراد التأكيد على ما بيننا، ومثله: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام آية: ١٢٠] يعني: ظاهر المعصية وباطنها.

وقال بعضهم: أراد الزنا وليس له أن يقصره على الزنا وحده إلا بدليل ولدليل فإن كان ما روي أن العرب كانت تحل الزنا باطنا وتحرمه ظاهرا فأخبر الله تعالى بأن ذلك كله محرم صحيحا فهو الدليل.

الثالث: الحرج والضيق، قال الله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة آية: ٢٠٣] أي: إن نفر الحاج من مكة اليوم الأول من أيام التشريق أو الثاني أو تأخر بمنى إلى اليوم الثالث فلا حرج عليه: ﴿لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ أي: لمن توخى التقوى.

وهذا دليل على أن أعمال البر لا تنفع إلا مع الإيمان والتقوى والإثم الحرام، قال الله تعالى: ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء آية: ٢٠] أي: حراما بينا، والبهتان: الباطل الذي يتحير في بطلانه، وأصله من قولهم: بهت الرجل إذا تحير، وقال الله: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة آية: ٢٥٨].

الرابع: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾ [البقرة آية: ١٨٢]

جاء في بعض التفسير أنه أراد بالإثم الخطأ، وقيل: الجنف هاهنا الخطأ، وقيل: المعنى من علم من الموصي ميلا إلى ما هو إثم وجور في الوصية مما يعود بالضر على ورثته فسبيله أن يصلح بينه وبينهم حتى يرجع أمرهم إلى السداد، ولما قال: ﴿جَنَفًا﴾ دل على معدول عنه ومعدول إليه، وهم الموصي والورثة، فقال تعالى: ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة آية: ١٨٢].

والفرق بين الجنف والحيف: أن الجنف هو العدول عن الحق والحيف الحمل على الشيء حتى تنقصه، وتحيفت الشيء تنقصته من حافاته.

فإن قيل: لم قال: ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة آية: ١٨٢] وهو محسن؟ قلنا: لأن المتوسط من أنهن لا يعدم أن ينقص أحدهما بعض حقه الذي في ذلك من الصلاح، والصلح لا يكون إلا كذلك فبين أنه لا إثم عليه في النقصان والزيادة.

أنى(١)

يكون على وجهين:

يكون بمعنى كيف في قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة آية: ٢٥٩] أي: كيف يحييها؟!، وقوله: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة آية: ٢٢٣] إلا أنه في القبل لقوله: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾ ، ولقوله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة آية: ٢٢٣] إذ لا تعبر عن الدبر بالحرث، ويكون المعنى من أين في قولك: أنى لك هذا، أي: من أين لك هذا، وقوله: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ [الأنعام آية: ١٠١]، وقوله: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة آية: ٣٠].

والمعنيان متقاربان يجوز أن يتأول كل واحد منهما على ما يتأول عليه الآخر.

قال الكميت:

أَنَّى ومِنْ أينَ آبَكِ الطَّرَبَ مِنْ حيثُ لا صَبْوَة ولا رَيَبَ

فجاء بالمعنيين(٢).

أو(٣)

قالوا: تجيء في القرآن على ثلاثة أوجه، وتأتي في غير القرآن للشك(٤)

---

(١) لم نجده في الوجوه والنظائر لهارون بن موسى.

(٢) في ن: فجاء بالتعبير جميعا.

(٣) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢١٥.

(٤) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (أو) كلمة شكٍّ وإباحة.

تقول: رأيت عبد الله أو محمدا، أو تكون للتخيير بين الشيئين كقوله: ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ [المائدة آية: ٨٩]، وقوله: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة آية: ١٩٦].

قالوا: وتجيء بمعنى واو النسق، قال الله: ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ [المرسلات الآيتان: ٥، ٦]، وقوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان آية: ٢٤]، وليس كذلك.

قال المبرد: أصل أو في الكلام واحد ثم تنقسم قسمين التخيير والإباحة، والتخيير قولك: خذ مني دينارا أو ثوبا فإنه وفاء بحقك وليس لك أن تأخذهما، وقولك: اضرب زيدا أو عمرا أي: كل واحد منهما أهل أن يضرب وأنت مخير في واحد لا تزيد عليه، وكذلك إذا شك المخير فقال: جاءني زيد أو عمرو ولم يرد أنهما جاآه إلا أنه يعلم أن أحدهما جاء فهذا باب واحد.

والإباحة قولك: جالس زيدا أو عمرا أو خالدا وارو عن الحسن أو ابن سيرين، أي: جالس هذا الضرب وارو عن هذا الضرب من الناس، وإذا جالس واحدا منهم أو جالسهم جميعا فقد أطاعني؛ لأني أردت هذا الضرب، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ ولو قال: وكفورا فأطاع أحدهما ولم يطع الآخر لم يكن عاصيا، وإذا قال: أو كفورا صار كل واحد منهما لا يطاع على حياله، وأما قوله: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾ فمعناه أن الْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا تجمع بين الإعذار والإنذار فتعذر في وقت وتنذر في وقت كما تقول: جاءني زيد وعمرو فتعلم بذلك أن كل واحد يجوز أن يجيء إلا أن قصدي في هذه الحال واحد منهما ﴿عُرْفًا﴾ [المرسلات آية: ١] أي: تباعا بعرف الفرس، و: ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ الملائكة، وقيل: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾ جمع عذير ونذير، قال حاتم:

وقـدْ عَـذَرَتْـنِـي فـي طِـلَابِـكُـمُ الـعُـذْرُ

قال: وتقول في الاستفهام: أتأخذ دينارا أو ثوبا، وليس معناه أن يلزمه أحدهما، ولكن معناه أتأخذ هذين؟ فجواب هذا لا أو نعم، ولو أراد أن يلزمه واحدا لا محالة، يقال: أتأخذ دينارا أو درهما فجواب هذا لا يكون لا ولا نعم، ولكن تقول: دينارا أو درهما، وتقول: لا دينارا آخذ ولا درهما، وتكون أو بمعنى بل في قول الفراء وأبي عبيدة قال: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۝١٤٧﴾ [الصافات آية: ١٤٧]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ

هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل آية: ٧٧]، وقوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم آية: ٩]، وأنشد شاهدا على ما تقدم:

قَضَى عنْكُمَا شَهْرَينِ أو نِصْفَ ثَا ... لِثٍ إلى ذَاكَ مَا قَدْ غَيَّبْتَنِي غِيابِيا

أي: ونصف ثالث لا يجوز هاهنا بل وكذلك في قوله: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾﴾، وقيل: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ أي: أو يزيدون في تقديركم إذ رآهم رائي[1]، قال هولا: ﴿مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ فهذا هو القول؛ لأنه على أصل، أو وكذلك قوله: ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل آية ٧٧] أي: لو رأى الرائي قدرة الله على إماتة الخلق وإحيائهم، [لقال: وذلك يكون في قدر لمح البصر أو أقل، والساعة اسم لإماتة الخلق وإحيائهم][2] وليس يذكر أن الساعة تأتي في أقرب من لمح البصر.

وكذلك يقال: أو أدنى أقل عندكم لو رأيتموه لقلتم أنه كذلك، والمراد أن النبي صلى الله عليه وسلم أحب أن يرى جبريل صلوات الله عليه على صورته الحقيقية، وكان يهبط للوحي[3] على صورة رجل فاستوى جبريل في الأفق على صورته فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾﴾ [النجم آية: ٨] جبريل فصار بينه وبين النبي صلوات الله عليهما[4] القدر المذكور.

والمراد أنه دنا فتدلى فزاد قربا، وقيل: دنا فتدلى أي: تدلى فدنا على القلب، وهو في كلامهم واسع.

أم[5]

إذا قلت: أزيد في الدار أم عمرو؟ فأنت لا تدري أيهما في الدار، ولا تدري أن أحدهما فيها أو لا، ويصلح في جوابه لا ونعم؛ لأنك تسأل عن الكينونة هل حصلت في الدار أم لا فإذا علمت أن أحدهما في الدار ولست تدري أيهما هو قلت: أزيد في الدار أم عمرو، ولا يصلح في جوابه لا ولا نعم؛ لأنك تسأل عن أحد الكائنين ففيه معنى أيهما.

قيل: وأم في القرآن على وجهين:

الأول: يكون بمعنى أو، قال الله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾

(١) في ت: الرائي.
(٢) سقط من: ن.
(٣) في ت: الوحي.
(٤) في ن: عليه.
(٥) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢١٧.

[الإسراء آية: ٦٩]. وقوله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك آية: ١٧].

قال بعض أهل العربية: هي في هذين الموضعين بمعنى أو، والمراد التحذير، أي: لا تأمنوا ذلك واحذروه ما دمتم على الشرك.

الثاني: مجيئه بمعنى ألف الاستفهام، قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء آية: ٥٤]، والاستفهام هاهنا بمعنى النهي، وقال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الطور آية: ٣٩] أراد له البنات، وهذا الاستفهام بمعنى الزجر والتبكيت، قال: وليس من هذا: ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾﴾ [ص آية: ٦٣] فإن قيل: لِمَ سوى بين السخري وبين زاغت الأبصار عنهم؟، قلنا: لأن المعنى أظلمناهم بما قلنا فيهم وبما سخرنا منهم أم هم مستحقون له وقد زاغت أبصارنا عنهم وهم في النار، فهذا حق التسوية.

والصحيح في هذه الآيات أنه لما جاء بلفظ الاستفهام في أول الكلام جاء بأم بعده لأنه للاستفهام، والمراد بالاستفهام فيها التبكيت أو التعريف والتوقيف على ما ذكرناه، وقال: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [السجدة الآيات: ١ - ٣]، ولم يتقدم في الكلام أيقولون كذا فنرد عليه أم يقولون، وقيل: إنما أراد أيقولون افتراه، والصحيح أن أم هاهنا بمعنى بل فرد قولهم، ثم قال: ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ﴾.

قال المبرد: لأم موضعان، وكلاهما استفهام، فأحدهما: أن تسأل عن شيء من شيئين أو أكثر من ذلك تدعي من الاثنين والجميع واحدا ولا تدري أيهما هو وذلك قولك: أزيد في الدار أم عمرو، وأزيد أفضل أم خالد، وعبد الله عندك أم عمرو وأنت الآن مدع أن أحدهما عنده ولا تدري أيهما هو، ولا يصلح في جوابه لا ولا نعم على ما تقدم قبل، وإنما جوابه أن تقول: فلان عندي أو تقول: كلاهما عندي، أو تقول: لا زيد عندي ولا عمرو فإذا قلت: ليت شعري أزيد في الدار أم عمرو فإنما أخبرت أنهما قد استويا عندك في الكون هناك، وكذلك قولك: لا أبالي عمرا ضربت أم زيدا وسواء ذلك علي إن أدبر زيد أم أقبل.

وكل هذا تسوية وعلم في تقديره أنه سيقع، ومن ذلك قوله تعالى[1]: ﴿ءَأَنتُمْ

---

(١) في ت: عز وجل.

﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾ [النازعات آية: ٢٧]، وقوله: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ [الدخان آية: ٣٧] خرج مخرج التوقيف والتوبيخ، قال: واعتبر هذا يأتي فإنها تكون لأحد شيئين أو لأحد أشياء تقول: ما أبالي أي: ذلك كان وسواء علي أي: ذلك كان، وعلمت أي: ذلك كان، وأتى غير عامل فيها ما قبلها وإنما هي كقولك قد علمت أزيد في الدار أم عمرو.

وإذا قلت: أيهما في الدار فمعناه هذا أم هذا فمن ذلك قوله تعالى: ﴿أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ﴾ [الكهف آية: ١٢]، وأما قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء آية: ٢٢٧] فأيَّ منصوبة بينقلبون، كما يقول: علمت أيهم في الدار.

والوجه الثاني: أن أم تجيء للإضراب عن الشيء إلى الشيء فتكون منقطعة عما قبلها خبرا كان أو استفهاما وذلك يكون لوجهين:

أحدهما: الشك.

والآخر: ترك خبر إلى خبر من غير شك أو غلط، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾، وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ [المؤمنون آية: ٧٠]، وقوله: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ﴾ [الطور آية: ٣٢] وقوله: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ [الطور آية: ٤٠]، وقوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم﴾ [الزخرف آية: ١٦]، وفي هذه الوجوه ومع ما ذكرنا أنه يترك خبرا إلى خبر آخر معنى التوبيخ والتوقيف.

ومثله قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [فصلت آية: ٤٠].

ومثله قولك للرجل: السعادة خير أم الشقاء، وإنما يراد بذلك التنبيه على ترك اختيار ما يصيره إلى الشقاء.

الإذن(١)

أصله من العلم(٢)، أذنت الشيء إذا علمته، وآذنته غيري أي: أعلمته، وفي

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٨٣.

(٢) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (أذن) الهمزة والذال والنون أصلان متقارِبان في المعنى، متباعدان في اللفظ، أحدهما أُذُنُ كلِّ ذي أُذُن، والآخَر العِلْم؛ وعنهما يتفرّع البابُ كلّه. فأمّا التقارب فبالأُذُن يقع علم كلِّ مسموعٍ. وأمّا تفرُّع الباب فالأذُن معروفة مؤنثة. ويقال لذي الأُذُنِ آذَنُ، ولذات الأُذُن أَذْنَاء. أنشد سلمة عن الفرّاء:

=

القرآن: ﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الأنبياء آية: ١٠٩]، ثم استعمل في الاستفهام لما يقع من الاستماع من العلم، أذن له إذا استمع له، قال الشاعر وهو عدي بن زيد:

وسَمَاعٍ يَأْذَنُ الشيخُ لَهُ ... وحديثٍ مثلِ ماذِيٍّ مُشَارْ

ومن الأول: الآذان؛ لأنه إعلام بالصلاة.

وهو في القرآن على وجهين:

الأول: العلم، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾

= مثل النّعامة كانت وهي سالمةٌ ... أذْنَاءَ حتّى زهاها الحَيْنُ والجُنُنُ

أراد الجنون:

جاءت لتَشريَ قَرناً أو تعوّضَه ... والدَّهرُ فيه رَبَاحُ البيع والغَبَنُ

فقيل أُذْناكِ ظُلْمٌ ثمت اصْطُلمت ... إلى الصِّماخ فلا قَرْنٌ ولا أُذُنُ

ويقال للرجل السامع من كلِّ أحدٍ أُذُنٌ. قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ [التوبة ٦١]. والأذُن عُروة الكوز، وهذا مستعار. والأَذَنُ الاستماع، وقيل أَذَنٌ لأنه بالأُذن يكون. وممّا جاء مجازاً واستعارةً الحديث: "ما أذِنَ الله تعالى لشيءٍ كأَذَنِهِ لنبيٍّ يتغنّى بالقرآن"

وقال عديُّ بنُ زيدٍ:

أيُّها القَلْبُ تَعَلَّلْ بِدَدَنْ ... إنَّ هَمِّي في سَمَاعٍ وأَذَنْ

وقال أيضاً:

وسماعٍ يأذَنُ الشَّيخُ لهُ ... وحديثٍ مِثْلِ مَاذِيٍّ مُشارِ

والأصل الآخَر العِلْم والإعلام. تقول العرب قد أَذِنْتُ بهذا الأمر أي عَلِمْت. وآذَنَني فُلانٌ أعلَمَني. والمصدر الأَذْن والإيذان. وفَعَلَه بإذني أي بِعلمي، ويجوز بأمري، وهو قريبٌ من ذلك. قال الخليل: ومن ذلك أَذِن لي في كذا. وفي الباب الأذان، وهو اسم التّأذين، كما أنّ العذاب اسمُ التعذيب، وربما حوّلوه إلى فَعِيل فقالوا أَذِينٌ. قال:

حتّى إذا نُودِيَ بالأذينِ

والوجه في هذا أنّ الأذين الأذان، وحجته ما قد ذكرناه. والأذين أيضاً: المكان يأتيه الأذانُ من كلِّ ناحيةٍ. وقال:

طَهُور الحصى كانَتْ أذيناً ولم تكن ... بها رِيبةٌ مما يُخافُ تَرِيبُ

والأذين أيضاً: المؤذِّن. قال الراجز:

فانكشَحَتْ له عليها زَمْجَرَهْ ... سَحْقاً وما نادَى أَذِينُ المَدَرَهْ

أراد مؤذِّن البيوت التي تبنَى بالطِّين واللّبِن والحجارة. فأما قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم ٧]، فقال الخليل: التّأذُّن من قولك لأفعلنَّ كذا، تريد به إيجاب الفعل، أي سأفعله لا محالة. وهذا قولٌ. وأوضَحُ منه قولُ الفرّاء تأذَّن رَبُّكم: أَعلَمَ رَبُّكم. وربما قالت العرب في معنى أفعَلْتُ: تفَعَّلْتُ. ومثله أَوْعَدَني وتَوَعَّدني؛ وهو كثير. وآذِنُ الرّجُلِ حاجبُه، وهو من الباب..

[البقرة آية: ١٠٢] يعني: والله يعلم ذلك، وهو مجاز لهم عليه.

الثاني: الأمر، قال الله تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة آية: ٢١٣] أي[1]: فدل الله المؤمنين إلى الحق من جملة ما اختلفوا فيه فلزموه بأمره، وقيل: بعلمه، وقال أبو علي رحمه الله: هداهم بإذنه أي: هداهم فاهتدوا بإذنه؛ لأن هدايته فعله، والله لا يفعل بإذن فحذف فاهتدوا لدلالة قوله: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ عليه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران آية: ١٤٥] والمعنى: أنهم لا يموتون دون الأجل فلا تجنبوا عن الجهاد، وفي الآية دليل على أن غير الله لا يقدر على الموت، وقال: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة آية: ٢٢١] أي: بأمره الذي امتثلوه، وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد آية: ٣٨]، وقوله: ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [إبراهيم آية: ١]، وقال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [إبراهيم آية: ٢٣] أي: بأمره وإذنه في ذلك، وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء آية: ٦٤] أي: بأمره، وذلك أنه أمر أن يطاع، وقيل: أرسله لأن يطاع؛ لأنه يقول ما يقول بإذن الله، وقيل: بإذنه بجميل صنعه وحسن توفيقه.

إلا[2]

قالوا: هي على أربعة أوجه:

أولها: الاستثناء، كقوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف آية: ٦٧] فاستثنى المتقين؛ لأنهم ليسوا بأعداء.

الثاني: بمعنى لكن، في قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ [البقرة آية: ١٠٥] أي: لكن الذين ظلموا يحتجون عليكم بغير حجة لجهلهم، وقيل: معناه لكن الذين ظلموا فلا تخشوهم.

قال أبو عبيدة: إلا هاهنا بمعنى الواو وإليه ذهب أبو علي رحمه الله، أي: ولا الذين ظلموا عليكم حجة وهم من جملة الناس إلا أنه خصهم لشدة عبادهم كما خص النخل والرمان لفضلهما على غيرهما، وقال المبرد: هذا خطأ؛ لأن

---

(١) سقط من: ن.

(٢) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٣٠٨.

الواو للعطف، والإشراك، وإلا للاستثناء ولا يدخل أحدهما في باب الآخر.

قال: والأول صحيح؛ لأن حق الاستثناء أن يكون كله على معنى لكن، وفيه كلام كثير ليس هذا موضع ذكره.

واحتج أبو عبيدة بقول الشاعر:

إلا كَنَاشِرَةَ الَّذِي ضَيَّعْتُمُ ... كَالغُصْنِ في غُلْوَائِهِ المُتَنَبِّتِ

قال المبرد: معنى هذا لكن ناشرة الذي ضيعتم والكاف زائدة، وناشرة اسم رجل أي: خرج عنكم وادعى في بني أسد فتركتموه يخاطب بني مازن.

واحتج أبو عبيدة أيضا بقول الأعشى:

إلا كَخَارِجَةَ المُكَلِّفِ نَفْسِهِ ... وابْنَي قُبَيصَةَ أَنْ أَغِيبَ وتَشْهَدَا

قال: يعني وكخارجة، وقال المبرد: أراد ولكن كخارجة المتكلف خلاف ما عليه العشيرة.

وقال في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ لكن الذين ظلموا أيقولون أن لهم حجة فالمعنى أنه لا أحد له حجة، والظالم يحتج بما لا حجة له فيه، قال: ومن كلامهم: ما لأحد علي سبيل إلا من بغى فتأويله أنه لم يستثنه من باب سبيل، ولكن معناه لكن من بغى مخطئ ببغيه فلا يكون هذا الباب منفردا من الأول البتة.

وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ [يونس آية: ٩٨]، وقوله: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء آية: ١٤٨] أي: لكن من ظلم، ومثله كثير.

الثالث(١): بمعنى غير، قال الله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء آية: ٢٢] أي: غير الله، وقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا إله غيره، هكذا جاء في التفسير.

والفرق بين إلا وغير أن إلا حرف وغير اسم وينوب مناب إلا في الاستثناء، وقد يكون صفة، تقول: هذا درهم غير قيراط معناه: إلا قيراطا، وغير قيراط على الصفة ولا يكون إلا مضافا، ولا معنى له إلا مخالفة ما يضاف إليه، ويكون فاعلا ومفعولا وظرفا ووصفا واستثناء، تقول: جاءني غيرك فيكون فاعلا، وضربت غيرك يكون مفعولاً، ومررت برجل غيرك وصف، وجاءني زيد غير راكب حال، وجئتك

---

(١) في ت: والثالث.

غير يوم ظرف زمان، أما من المكان فطلبتك غير موضع، وجاءني القوم غير زيد، وما جاءني أحد غير زيد استثناء فتجريها في الإعراب مجرى الاسم الذي يجيء بعد إلا.

الرابع[١]: ابتداء الكلام، قال: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [التين الآيتان: ٥، ٦] وأسفل السافلين مثل أرذل العمر أي: الكبر، والمعنى: والذين آمنوا فلهم أجر غير ممنون، ولا يكون مستثنى؛ لأن الذين آمنوا قد رد بعضهم إلى الكبر، وقيل: معنى أسفل سافلين: جهنم، والذين آمنوا مستثنون، فأما قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧﴾ [الشعراء آية: ٧٧]. فمعناه لكن؛ لأن الله لا يستثنى من المخلوقين، وكذلك: ﴿إِنَّنِى [بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ] إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف الآيتان: ٢٦، ٢٧]، وكذلك: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ [كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠ إِلَّآ إِبْلِيسَ]﴾ [الحجر الآيتان: ٣٠، ٣١] ويجوز أن يقال: استثنى إبليس منهم؛ لأنه كان معهم في الأمر، وقوله: ﴿لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ [النمل الآيتان: ١٠، ١١]. أي: لكن من ظلم، وثم هاهنا بمعنى الابتداء كما تقول: أريد أن أحسن إليك ثم أكرمك، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ [النساء آية: ٩٢].

قال قطرب: معناه إلا ما يسعه؛ لأن الخطأ واسع له؛ لأنه لا حيلة له فيه، وقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم آية: ٣٢] مستثنى صحيح ومعناه إلا أن يكون العبد قد ألم بفاحشة ثم تاب، ويجوز أن يكون معناه إلا أن يلم بذنب ويحسب أنه صغير أو يلم بذنب ويحسب أنه ليس بذنب، وقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ ثم قال: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ [الممتحنة آية: ٤] معناه أن أصحاب إبراهيم تبرأوا من كفار قومهم وعادوهم على الدين ما خلا: ﴿قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ فإن ذلك كان: ﴿عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة آية: ١١٤] فقول إبراهيم هو استثناء من قول أصحابه، كأن معنى قوله: إذ قالوا لقومهم قولهم لقومهم.

وقيل[٢]: معناه لكن قال إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك، المعنى أن إبراهيم لم يقل ما قالوه ولكن قال: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾، وقوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا

---

(١) في ت: والرابع.
(٢) ط: وقال.

ﵟٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖﵞ [الدخان آية: ٥٦] والموتة الأولى لم تكن في الجنة، ولكن المعنى على البدل كأنه قال: لا يذوقون إلا الموتة الأولى كما تقول: لقيت زيدا في الدار ولقيت عمرا فلما كررت الفعل جاز أن لا يكون عمرو ملقيا في الدار وإذا لم تكرر وقلت: ظننت زيدا في الدار وعمرا لم يجز أن يكون عمرو إلا مظنونا في الدار كذلك.

قال قطرب: وفيه نظر.

وأما قوله تعالى: ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ﴾ [مريم آية: ٦٢] وهذا أيضا يدل على البدل ولا يكون استثناء؛ لأن اللغو ليس بسلام كأنه قال: لا يسمعون فيها إلا سلاما.

ومثله قول سعد بن مالك:

والحربُ لا يبقى لجا ... حِمِها التخيُّلُ والمراحُ

إلا الفتى الصبّارُ في النَّـ ... ـجَداتِ والفَرَسُ الوَقَّاحُ

كأنه قال: لا يبقى إلا الفتى وليس باستثناء؛ لأن الفتى ليس من التخيل والمراح، وأما قوله تعالى: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ﴾ [النساء آية: ١٥٧] وليس العلم من اتباع الظن فمعناه إلا أنهم يتبعون الظن، وقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ﴾ [يوسف آية: ٦٨] فمعنى ذلك: لكن حاجة، وكذلك قوله: ﴿وَلَا هُمۡ يُنقَذُونَ ٤٣ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾ [يس الآيتان: ٤٣، ٤٤] أي: لكن رحمة.

وقال المبرد: لكن أن يرحمهم، وقوله: ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ [الغاشية الآيتان: ٢٢، ٢٣] أي: لكن من تولى فإنك مسلط عليه بالقتل، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ [الحجر آية: ٤٢] أي: لكن لك على من اتبعك سلطان، ويجوز أن تكون إلا في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ٢٣﴾ بمعنى الواو عند من يقول بذلك، وقوله: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾ [هود آية: ٤٣] معناه: لا معصوم من أمر الله إلا من رحم يريد المؤمنين الذين مع نوح عليه السلام في السفينة كأنه قال: لا معصوم اليوم: ﴿مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ أي: من عذابه إلا المؤمن، وفاعل بمعنى مفعول كثير في العربية يقولون: سر كاتم أي: مكتوم، والراحلة بمعنى مرحولة، وأمر عارف بمعنى معروف، ويقولون: العارضة لما تعرض له داء من الذكارة والإناث وإنما هي

معروض لها، وكذلك تطليقة بائنة أي: مبانة، والعائذ الذي يعوذ بها ولدها، وعيشة راضية أي: مرضية، وجاء الآشر بمعنى الماشورة، ومثل هذا يجيء في مواضع لا يقع فيها إلتباس، ويجوز أن يكون المراد بإلا من رحمه الله أي: لا عاصم غير الله، ويجوز أن يكون المراد به نوح؛ لأنه يعصم بأمر الله كما قال عيسى عليه السلام: ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران آية: ٤٩].

قال المبرد: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ أي: لا عاصم يعصم الناس من أمر الله إلا من رحم فإنه تناله الرحمة، والعاصم الفاعل، ومن رحم معصوم، ولكن لذكره العصمة فهم المعنى، وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء آية: ١٥٩] فاستثنى من لفظه، والمعنى: إن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به، قال الراجز:

لَـوْ قُـلْـتَ مَـا فـي قـومِـهَـا لـم تِيثَم يَفْضُلُهَا في حَسَبٍ ومَيْسَمِ

أي: لو قلت ما في قومها أحد يفضلها، وقال تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل الآيتان: ١٩، ٢٠] أي: لا يقصد لذلك، ولكنه يقصد ابتغاء وجه ربه.

ومما يجري مع هذا الباب ما قاله المبرد: أن الاختيار في قوله: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ [آل عمران آية: ١٤٧] أن يكون الاسم ما بعد إلا وليس مثل قوله: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال آية: ٣٥]؛ لأن مكاء نكرة مصدر، والاسم فيما مضى معرفة والخبر معرفة، وكذلك قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ [الجاثية آية: ٢٥]: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾ [الأعراف آية: ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ [الأنعام آية: ٢٣] وذلك أن إلا موجبة فاختاروا أن يجعلوا الموجب الاسم وهذا كله جائز إلا إذا كان الاسم والخبر معرفتين، وينشدون بيت الفرزدق:

وقد شَهِدَتْ قَيْسٌ فَمَا كَانَ نَصْرُهَا قُـتَـيْـبَةَ إِلَّا عَـضُّـهَـا بـالأَبَـاهِـمِ

على الوجهين.

إلى

قال سيبويه: إلى منتهى لابتداء الغاية، تقول: من كذا إلى كذا، ويقول الرجل: إنما أنا إليك أي: أنت غايتي، وتقول: قمت إليه فتجعله منتهاك من مكانك.

وقال غيره: تقول: سرت إلى الكوفة فجائز أن تكون بلغت إليها ولم تدخلها، وجائز أن تدخلها ولم تجاوزها؛ لأن إلى غاية وما بعده شيء فليس بغاية.

وجاء في القرآن على وجهين:

الأول: غاية، كقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [الشورى آية: ٥٣] أي: تصير إلى حيث لا يحكم غيره.

الثاني[١]: على ما قيل: بمعنى مع، قال: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ﴾ [النساء آية: ٢] أي: مع أموالكم كذا قيل.

والوجه أن يقال: لا تضيفوها إلى أموالكم فتأكلوها معها ولم يتح لهم أن يأكلوها مفردة وإنما هو نهي عام كما تقول: لا تشتم زيدا فيمن يشتمه، والمعنى: لا تشتمه مشاركا في شتمه ولا منفردا به، وأنه راجع إلى الأكل أي: أكله حوب كبير، والحوب: الإثم والمصدر الحوب حاب يحوب حوبا، وذكر الأكل وأراد النفقة؛ لأن أكثر النفقة وأشهرها يكون فيما يؤكل، وسماهم بعد البلوغ يتامى بالاسم الأول.

والأصل أن يسقط عنه اسم اليتيم عند البلوغ، واليتم في الناس من قبل الأباء وفي البهائم من قبل الأمهات.

الاستواء[٢]

أكثر ما يستعمل في الاستقامة ونتكلم في أصله بعد إن شاء الله.

وهو في القرآن على أربعة أوجه:

الأول[٣]: القصد، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾ [فصلت آية: ١١] أي: قصد لإخراجها من كونها دخانا إلى ما هي عليه من صلابة الخلقة، قال ابن عباس: استوى هاهنا علا أمره.

الثاني[٤]: الاستيلاء، قال الله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه آية: ٥]، ومنه قول الشاعر:

فَلَمَّا عَلَونَا واستَوَيْنَا عَلَيهِمْ ... تَرَكْنَاهُم صَرْعَى لِنِسْرٍ وكَاسِرِ

---

(١) في ت: والثاني.
(٢) لم نجده في الوجوه والنظائر لهارون بن موسى.
(٣) في ت: أولها.
(٤) في ت: والثاني.

الثالث[1]: الاستقرار، قال الله: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ [هود آية: ٤٤] أي: استقرت.

الرابع[2]: التماثل، قال الله: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ [المائدة آية: ١٠٠] أي: ليسا مثلين، وأما قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾ [النجم آية: ٦] أي: استوت صورته يعني: جبريل فرآه النبي صلى الله عليه على ما هو عليه من استواء الصورة إلا كما ينزل بالوحي على صورة رجل.

الاستفهام[3]

أصل الاستفهام الاستخبار بما جاء بمعنى التوقيف والإنكار فأما الإنكار فقوله تعالى: ﴿خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ [الكهف آية: ٧١] والدليل على أنه إنكار قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ [الكهف آية: ٧١]، وهكذا قوله: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف آية: ٧٤]، ومثله كثير.

وأما التوقيف والتعريف فقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشرح آية: ١] وتأويله أنا قد فعلنا ذلك، ولولا ذلك لم يعطف على: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾، قوله: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾ [الشرح آية: ٢]؛ لأن لم عامله لا يقع على الفعل الماضي.

ومن التقرير قوله عز وجل: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل آية: ١٧]، وأنزل تعالى قبل ذلك: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف آية: ٨٧] ثم قال: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ وجاء على وجه التوبيخ، وذلك أنه لما كان البنون مرغوبا فيهم والبنات مكروهات ونسبوا إلى الخالق ما يكرهون ويحهم فقال: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ۝١٦﴾ [الزخرف آية: ١٦] والدليل على أنه أراد التوبيخ قوله في مثل هذه القصة: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝١٥٤﴾﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٥٥﴾ [الصافات الآيتان: ١٥٤، ١٥٥].

وقوله للمسيح: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى﴾ [المائدة آية: ١١٦] تقرير وتوبيخ لقومه، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة آية: ٢٥٨] توقيف له وإخبار ببطلان دعوى هذا المحاج.

---

(١) في ت: والثالث. (٢) في ت: والرابع.
(٣) لم نجده في الوجوه والنظائر لهارون بن موسى.

الباب الثاني

في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله باء

البوء[1]

باؤوا: أصل البواء الرجوع، ومبوأ الرجل: منزله الذي يرجع إليه إذا فرغ من أموره، ثم كثر حتى سمي الإنزال التبوئة، قال الله تعالى: ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ [يونس آية: ٩٣]، وقال عمر بن معدي كرب:

كَـم مِـنْ أَخٍ لِـي صَـالِـحٍ ... بَـوَّأْتُـهُ بِـيَـدِيَّ لَـحْـدا

ثم كثر حتى سمى التسوية بين الشيئين: بواء، يقال: هذا بواء لهذا إذا كان مثله، وفلان بواء بفلان، إذا قتل به فرضي.

وجاءت هذه الكلمة وما يتصرف منها في القرآن على ثلاثة أوجه[2]:

الأول: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [البقرة آية: ٩٠] أي: احتملوا وزرا على وزر.وقيل: استوجبوا غضب الله، والغضب من الله: العقاب، وقال: ﴿بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [أل عمران آية: ١٦٢].

الثاني: الرجوع، قال الله تعالى: ﴿أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ﴾ [المائدة آية: ٢٩] أي: ترجع إلى الله بإثم قتلي، وإثمك الذي من أجله لم يتقبل قربانك.

ويجوز أن يكون المعنى في هذا، وفي قوله: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [البقرة آية: ٩٠] واحدا. وسمي الحصول في القيامة جوعا إلى الله تعالى، وحقيقة ذلك الرجوع في الخلقة، لأنهم يخلقون في القيامة بعد الفناء.

الثالث[3]: التبوء من النزول، قال تعالى: ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ [يونس آية: ٩٣]، وقال: ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾ [يوسف آية: ٥٦]، في "الحشر": ﴿تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ [الحشر آية: ٩]، قالوا: معناه أوطنوا، وهذا قريب من الأول.

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٥٢.

(٢) جاء في الوجوه والنظائر لهارون بن موسى على أربعة أوجه.

(٣) في ت: الوجه الثالث.

البصر(١)

أصله من الوضوح(٢). ومنه: أبصرته لمحا باصرا، أي: بصرا واضحا، وقيل: نظرا صائبا بتحدق. ومن ثم سمي ضرب من الحجارة أبيض رخو بصرة، لما في البياض من الوضوح. وبه سميت البصرة.

والبصرة: العلم، لأن الأشياء تتبين بها وتصح وجوهها عند العالم. وقال: ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء آية: ١٢] أي: مشرقه واضحة. وقيل: معناه: مبصرا، أي: مضيئا.

وقيل إذا صار الناس يبصرون فيه، فهو مبصر، كقولك: رجل مخبث، إذا كان أهله خبثاء، ورجل مضعف: دوابه ضعاف، والنهار مبصر: أهله بصراء. ومبصر فيه أجود. وهو كقولهم: أحمق الرجل، إذا جاء بأولاد حمقى، وأصرم النخل، إذا أذن بالصرام وألبن الرجل صار ذا لبن.

ويجوز أن يكون أصل الكلمة من الصلابة وبصر الشيء: حيث يغلظ، تقول: هذا بصر الجبل والحائط، وبصر السماء؛ لأنه أقرب ما يبصر منها وهو أغلظها في رأى العين. وبصائر الدم: طرائقه على الجسد.

والبصر في القرآن على ثلاثة أوجه(٣):

الأول: البصر بالقلب، قال الله: ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُواْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يونس آية: ٤٣] يعني: عمى القلب وبصر القلب.

ونحوه قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ [غافر آية: ٥٨]، يعني:

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٣٢.

(٢) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (بصر) الباء والصاد والراء أصلان: احدهما العِلْمُ بالشيء؛ يقال هو بَصِيرٌ به. ومن هذه البَصيرةُ، والقِطعةُ من الدّمِ إذا وقعت بالأرض استدارت. قال الأشعر:

راحُوا بَصَائِرُهُمْ على أكتافِهِمْ ... وبَصيرتي يَغْدُو بها عَتَدٌ وَأى

والبَصيرة التُّرْس فيما يُقال. والبَصيرةُ: البُرْهان. وأصل ذلك كلّه وُضُوحُ الشيء. ويقال رَأَيْتُه لَمحاً باصراً، أي ناظراً بتحديقٍ شديد. ويقال بَصُرْتُ بالشيءِ إذا صِرْتَ به بصيراً عالماً، وأبْصَرتُه إذا رأيتَه.

وأمّا الأصل الآخَر فبُصْر الشَّيْءِ غلَظُه. ومنه البَصْرُ، هو أن يضمَّ أدِيمٌ إلى أديم، يخاطانِ كما تُخاطُ حاشِيَةُ الثّوبِ. والبَصيرةُ: ما بينَ شُقتي البيت، وهو إلى الأصل الأول أقرب. فأمّا البَصْرَةُ فالحجارة الرِّخوة، فإذا سقطت الهاء قلت بِصْر بكسر الباء، وهو من هذا الأصل الثاني.

(٣) كذا جاء في الوجوه والنظائر لهارون بن موسى على ثلاثة أوجه.

المؤمن الذي يعلم والكافر الذي لا يعلم، ويجوز أن يكون بصر العين وعماها، ويكون المراد التنبيه على المنفعة بالإيمان، لأنه مشبه بالبصر، والمضرة بالكفر، لأنه مشبه بالعمى.

الثاني: بصر العين، قال: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان آية: ٢]. وقال: ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ [يوسف آية: ٩٠].

الثالث: البصر بالحجة، وهو راجع إلى الوجه الأول، قال تعالى: ﴿لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ [طه آية: ١٢٥]. جاء في التفسير أنه أراد: لم جعلتني أعمى عن الحجة، وكنت في الدنيا بصيرا بها، ويجوز أن يكون من بصر العين، وأن الله يحشره أعمى العين ليجعله نكالا لمن خلفه.

الباء(١)

هي لإلصاق الشيء بالشيء وخلطه به، فإذا قلت: مررت بزيد، فقد أضفت المرور إلى زيد، وألصقته به. وجائز أن يكون معه استعانة كقوله: كتب بالقلم.

وتزاد في خبر المنفي توكيدا وتثبيتا، كقولك: ليس زيد بقائم. وجاءت زيادة في قولك: حسبك بزيد. هذا قول الفراء ومن يقول بقوله.

وعندنا أنها دخلت على معنى قولك: اكتف بزيد، لأن معنى قولك: حسبك هذا، أي: اكتف به، وأحسبني الشيء: كفاني. وسنتكلم في ذلك.

قالوا: وهو في القرآن على الوجهين:

الإلصاق، والزيادة في قول الفراء.

وعلى تقدير الإلصاق كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق آية: ١]، كأنك ألصقت الاستعانة به، وقوله: ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة آية: ٤]، كأن إيقافهم التصق بالآخرة. ومثله كثير.

وأما الزيادة على قول من يقول بذلك، فقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء آية: ٧٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ﴾ [الحج آية: ٢٥]، قال: المعنى: ومن يرد فيه إلحادا، وقوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون آية: ٢٠] معناه: تنبت الدهن.

والصحيح أن ذلك لمعان، وليس بزيادة. فأما قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾

---

(١) لم نجده في الوجوه والنظائر لهارون بن موسى.

فمعناه: اكتف بالله شهيدا، وكذلك: حسبك بزيد، أي: اكتف بزيد؛ لأن حسبك بمعنى يكفيك فالباء تدخل في هذا على التقدير. وقوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ فإنما تحمل هذا على مصدره، والمراد: من كانت إرادته واقعة بالإلحاد، فدخلت الباء للمصدر. وكذلك: ﴿تَنبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ معناه: تنبت نبتها بالدهن، وقوله: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ﴾ [الزمر آية: ١٢] أي: وقع الأمر لأن أكون.

وقال سيبويه: بحسبك زيد. ومعنا ـ على ما ذكرنا ـ أي: اكتف بزيد، ويجوز أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿تَنبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾: إنما تنبت ما يكون منه الدهن، وهو ثمرها، والتقدير: تنبت ثمرها بالدهن، أي: ومعه الدهن.

ومعنى الباء هناك كمعناه في قولك: أذهبته، إذا حملته على أن يذهب به. ويجوز أن يجعل أنبت هاهنا بمعنى نبت على ما يقوله أهل اللغه، كما قال زهير:

حتَّى إذَا أنبَتَ البَقْلُ

وأنبت ونبت عندنا لغتان فصيحتان.

البأس(١)

أصله: الشدة (٢). وفي القرآن: عذابا بئيسا، أي: شديدا.

وأكثر ما جاء عن العرب: البأس في الحرب، والبؤس: الشدة في المعيشة. وكذلك البأساء.

وفي القرآن: ﴿مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ [البقرة آية: ٢١٤] ذكرهما للتوكيد، وهما واحد، كما قال: العدل والإحسان. هذا قول.

وأجود منه أن يقال: البأساء: الشدة في الحرب، والضراء: الشدة في المعيشة، والعدل: الإنصاف في الحكم والإحسان في ذلك، وفي غيره من الأفعال الحسنة.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [هود آية: ٣٦، وسورة يوسف آية: ٦٩] أي: لا تغتم. والابتئاس: حزن في استكانة.

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٧٧.

(٢) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (بأس) الباء والهمزة والسين أصلٌ واحد، والشّدّةُ وما ضارَعَها. فالبَأْس الشدّة في الحَرْب. ورجلٌ ذُو بَأْسٍ وبَئِيسٌ أي شجاع. وقد بأس بأساً فإنْ نَعَتَّه بالبُؤْس قلت بَؤُسَ. والبُؤْس: الشّدّة في العَيش. والمبتئس المفتعل من الكَراهة والحُزْن. قال:

ما يَقْسِمِ اللهُ أَقْبَلْ غيرَ مُبْتَئِسٍ ... مِنْه وأَقْعُدْ كريماً ناعِمَ البالِ

والبأس في القرآن على ثلاثة أوجه[١]:

الأول: العذاب، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [المؤمن آية: ٨٤] أي: عذابنا، وقال: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾ [الأنبياء آية: ١٢]وقال: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾ [غافر آية: ٢٩]

الثاني[٢]: الحرب، قال الله في البقرة: ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ [البقرة آية: ١٧٧] يعني: الحرب.

الثالث: السطوة والنكاية، قال تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [النساء آية: ٨٤]. وقوله: ﴿نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [النمل آية: ٣٣] أي: أولو سطوة ونكاية في العدو.

البطلان[٣]

أصله من الذهاب[٤]. وسمي الباطل باطلا؛ لأنه لا ثبات له مع الحق، على حسب قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء آية: ٨١]. ورجل بطل: شجاع، لأنه إذا قاوم قرنا لم يقم له القرن. والبطل والباطل سواء.

---

(١) كذا جاء في الوجوه والنظائر لهارون بن موسى على ثلاثة أوجه.

(٢) في ن: والآخر.

(٣) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٩٨.

(٤) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (بطل) الباء والطاء واللام أصلٌ واحد، وهو ذَهاب الشيء وقِلَّة مُكثه ولُبثه. يقال بَطَلَ الشيءُ يَبطُل بُطْلاً وبُطُولاً. وسُمِّي الشيطانُ الباطلَ لأنه لا حقيقةَ لأفعاله، وكلُّ شيءٍ منه فلا مَرْجُوعَ له ولا مُعَوَّلَ عليه. والبَطَل الشُّجاع. قال اصحب هذا القياس سُمّي بذلك لأنه يُعرِّض نَفْسَه للمتالف. وهو صحيحٌ، يقال: بَطَلٌ بيِّنُ البُطولة والبَطالة. وقد قالوا: امرأةٌ بَطَلَةٌ. فأمّا قولهم في المَثَل: "مُكرَهٌ أخوكَ لا بَطَل" فقد اختُلِفَ فيه. قال قوم: المثل لجَرْول ابن نَهْشلِ بن دارم، وكان جباناً ذا خَلْقٍ كامل، وأنَّ حَيّاً من العرب غَزَا بني دارم فاقتَتَلُوا هم وبنُو دارم قتالاً شديداً، حتى كثُرتِ القَتْلى، وجاء جَرْوَلٌ فرأى رجلاً يَسُوقُ ظعينةً فلما رآه الرّجل خَشِيَهُ لكمالِ خَلْقِه، وهو لا يعرفه، فقال جَرول: "أنا جَرْوَل بنُ نَهشَل، في الحَسَب المُرَفَّل"، فعطَفَ عليه الرّجلُ وأخذَهُ وكَتَفَه وهو يقول:

إذا مــا رأيــت امــرأ فــي الــوغــى ... فــذكِّــرْ بــنــفــســك يــا جــرولُ

حتى انتهى به إلى قائِد الجيش، وقد كان عَرفَ جُبْنَ جرول، فقال: يا جَرْولُ، ما عَهِدْناك تُقاتل الأبطال، وتُحبُّ النِّزال! فقال جرول: "مُكرَهٌ أخُوكَ لا بَطَلٌ". وقال قوم: بل المَثل لِبَيْهَس، وقد ذكر حديثُه في غير هذا الباب بطُوله. ويقال رجل بَطَّالٌ بيِّن البَطالة.وذَهَبَ دمُه بُطْلاً، أي هَدَرا.

وهذا الحرف وما يتشعب منه في القرآن على خمسة أوجه[١]:

الأول: الكذب، قال: ﴿لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت آية: ٤٢] يعني: الكذب، إذا لم يكن قبله كتاب يشهد بتكذيبه، ولا يجيء بعده كتاب يكذبه.ويجوز أن يكون معناه: إن الله يحفظه من أن ينقض، فيأتيه الباطل من بين يديه، أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه. وعلى هذا تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر آية: ٩].

الثاني: الإحباط، قال: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم﴾ [البقرة آية: ٢٦٤] [أي: لا تحبطوها][٢] بالمن والأذى وقال: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد آية: ٣٣].

والثالث: خلاف الحق، قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [العنكبوت آية: ٨١] وقيل: يعني: به هاهنا الشرك. فإذا جعلته خلاف الحق كان أعم.

والمراد على القول الأول أن الإسلام قد جاء فهلك الكفر وذهب. والزهوق والزهق: الهلاك، : ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء آية: ٨١] أي: من شأن الباطل إذا جاء الحق أن يذهب ويبطل ولا يثبت، وذلك من شأنه في ما تقدم، فكان هنا يفيد ما قلناه.

الرابع: ما يعبد من دون الله، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [العنكبوت آية: ٥٢]. وقال: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل آية: ٧٢] وسماه باطلا، لأنه لا[٣] حجة لأهله يثبتون عبادتهم إياه بها.

والخامس: الظلم، قال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ [البقرة آية: ١٨٨] أي: بالظلم. وبطلان الشيء: ذهابه، فسمي الظلم باطلا، لأن الله حكم فيه بأن يبطل ولا يثبت.

والمعنى على ما قال الحسن: هو أن يكون للرجل على صاحبه حق فإذا طالبه دعاه إلى الحاكم، فيحلف له، ويبطل حقه، والحاكم يحكم على الظاهر. وأصل الإدلاء: إلقاء الدلو في البئر. ويقال: أدليت الدلو، إذ أنزلتها في البئر، وفي القرآن: ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾ [يوسف آية: ١٩] ثم صار كل إلقاء إدلاء، يقال: أدلى فلان حجته، إذا أرسلها على صحة، ودلوت الدلو، إذا أخرجتها من البئر، ومنه دلى

(١) جاء في الوجوه والنظائر لهارون بن موسى على أربعة أوجه.
(٢) سقط من: ن. (٣) سقط من: ن.

فلان إلى فلان، إذا توسل به، قال الشاعر:

فَقَدْ جَعَلت إِذَا مَا حَاجَةٌ عَرَضَتْ ... بِبَابِ دَارِكَ أَدْلُوهَا بِأَقْوَامِ

البر(١)

أصله: السعة(٢). ومنه: البر، خلاف البحر. ثم استعمل في الزيادة، فقيل: أبر

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٣٤٨.

(٢) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (بر) الباء والراء في المضاعف أربعة أصول: الصدق، وحكايةُ صَوتٍ، وخلاف البَحْرِ، ونبتٌ. فأمّا الصِّدق فقولهم: صدَق فلانٌ وبَرَّ، وبَرَّتْ يمينُه صدَقت، وأَبَرَّها أمضاها على الصِّدق. وتقول: بَرَّ الله حَجَّك وأَبَرَّهُ، وحِجَّةٌ مَبْرُورة، أي قُبِلَتْ قَبولَ العملِ الصَّادق. ومن ذلك قولهم يَبَرُّ ربَّه أي يُطِيعه. وهو من الصِّدق. قال:

لاهُمَّ لولا أنَّ بَكراً دُونَكا ... يَبَرُّكَ النّاسُ ويَفْجُرُونَكا

ومنه قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ﴾ [البقرة ١٧٧]. و[أمّا] قولُ النابغة:

عليهنَّ شُعْثٌ عَامِدُون لِبِرِّهِمْ

فقالوا: أراد الطاعة، وقيل أراد الحج. وقولهم للسّابقِ الجواد "المُبَرّ" هو من هذا؛ لأنه إذا جرى صدق، وإذا حمل صدق. قال ابنُ الأعرابيّ: سألتُ أعرابيّاً: هل تعرفُ الجوادَ المُبِرّ من البطيءِ المقْرِف؟ قال: نعم. قلت: صفهُما لي. قال: "أمّا الجواد المُبِرّ فهو الذي لُهِزَ لَهْزَ العَيْر، وأُنِّفَ تَأنيفَ السَّير، الذي إذا عَدَا اسْلَهَبّ، وإذا انتصِبَ اتلأَبّ. وأما البطيء المقْرِف فالمدلوك الحجَبَة، الضّخمُ الأرنبة، الغليظ الرَّقَبة، الكثير الجَلَبَة، الذي إذا أمسَكْته قال أرسِلْني، وإذا أرسَلْتَهُ قال أمسِكْني".

وأصل الإبرار ما ذكرناه في القهر والغَلَبة، ومرجعُه إلى الصِّدق. قال طَرَفة:

يَكشفون الضُّرَّ عن ذِي ضُرِّهِمْ ... ويُبِرُّونَ على الآبِي المُبِرّ

ومن هذا الباب قولهم: هو يَبَرُّ ذا قَرابته، وأصله الصِّدق في المحبّة. يقال رجل بَرٌّ وبارٌّ. وبررْت والدي وبرِرْتُ في يميني. وأَبَرَّ الرّجُلُ ولَدَ أولاداً أبْراراً. قال أبو عبيدة: وَبَرَّةُ: اسمٌ للبِرّ معرفةٌ لا تنصرف. قال النابغة:

يومَ اخْتَلَفْنا خُطَّتَيْنا بيننا ... فحملتُ بَرَّةَ واحتملتَ فَجارِ

وأمّا حكاية الصّوتِ فالعرب تقول: "لا يَعْرِفُ هِرّا من برّ" فالهِرّ دُعاء الغنم، والبِرّ الصَّوتُ بها إذا سِيقَتْ. ويقال لا يعرف مَن يكرهُه ممّن يَبرّه. والبربرة: كثرة الكلامِ والجَلَبَةُ باللِّسان. قال:

بالعَضْرِ كلّ عَذَوَّرٍ بَرْبارِ

ورجل بَرْبارٌ وبَربارةٌ. ولعلّ* اشتقاق البَربَرِ من هذا. فأما قولُ طَرَفَة:

ولكن دعا من قيس عَيلان عصبةً ... يسوقون في أعلى الحجازِ البَرابِرا

فيقال إنه جمع بُرْبُر، وهي صِغارُ أولاد الغنم. قالوا: وذلك من الصّوت أيضا، وذلك أنّ البَربرة صوتُ المَعْز.

والأصل الثالث خلاف البحر. وأَبَرَّ الرّجلُ صار في البَرّ، وأَبْحَرَ صار في البحر. والبرّيّة الصحراء. والبَرّ نقيض الكِنّ. والعرب تستعمل ذلك نَكِرةً، يقولون خرجتُ بَرّا وخرجتُ بحراً. قال الله =

فلان على فلان، إذا زاد عليه. والجواد المبر: السابق لكل ما سابقه، كأنه اتسع لما يتسع له غيره.

وقيل: رجل بار وبر. وفعل بمعنى فاعل معروف. مثل رجل سمح، ويوم قر. ونحوه: رجل ندب، أي: منتدب للأمور. ثم استعمل في القبول، فقيل: بر حجك، أي: قبل، وصدقت وبررت تأكيد للصدق.

وهو في القرآن على أربعة أوجه[1]:

الأول: الصلة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةً لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ﴾ [البقرة آية: ٢٢٤] يعني أن تصلوا القرابة. وقيل: معنى: ﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ أن لا تبروا. وقيل: لا يجوز أن يكون حذف لا وإثباتها سواء في شيء في الكلام.

وإنما المعنى أنه نهاهم عن كثرة الإيمان، وعن الجرأة على الله، ليكونوا بررة أتقياء، والمعنى: لأن تبروا. وكانوا ربما حلفوا ألا يبروا أقرباءهم، ولا يتكلموا في صلح لأمر معرض لهم. فالذي تشتمل عليه الآية أمران:

أحدهما: النهي عن أن يجعل يمينه مانعة من البر والتقوى والإصلاح بين الناس، فإذا طلب منه ذلك قال: قد حلفت، والذي ينبغي في هذا أن يفعل ما حلف عليه، ويكفر عن يمينه.

و ثانيهما: كثرة الأيمان، وهو ضرب من الجرأة على الله، وابتذال لاسمه في كل حق وباطل، وتقول: هذا الشيء عرضتي، إذا كنت لا تزال معرض له، وهو عرضة للناس، إذا كانوا لا يزالون يقعون فيه، والناقة عرضة أسفار؛ إذا كان صاحبها لا يزال يسافر عليها، وقال حسان:

= تعالى: ﴿ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ والبَحْرِ﴾ [الروم ٤١].
وأَما النَّبْت فمنه البُرّ، وهي الحنطة، الواحدة بُرّة. قال الأصمعي: أَبَرَّت الأرضُ إذا كثر بُرُّها، كما يقال أَبْهَمَت إذا كثر بُهْمَاها. والبُرْبُور الجَشيش من البُرّ. يقال للخُبز ابن بُرَّةَ، وابنُ حَبّةَ، غير مصروفَين. قال الشيباني: "هو أقصر من بُرَّة" يعني واحدة البُرّ. أي إن البُرّةَ غايةٌ في القِصَر. قال الخليل: البَرير حمْل الأراك. قال النابغة:

تَسَفُّ بَرِيرَهُ وتَرودُ فِيهِ

قال أبو زيادٍ الكِلابِيّ: البَرِير أصغر حَبّاً من المَرْد والكَبَاث، كأنّه خَرَزٌ صِغار. قال الأصمعي: البَرِير: اسمٌ لما أدْرَكَ مِنْ ثَمَر العِضاهِ، فإذا انتهى يَنْعُهُ اشتدَّ سوادُه. قال بشر:

رأى دُرَّةً بيضاءَ يحفِلُ لَوْنَها ... سُخامٌ كغِرْبانِ البَرِيرِ مُقَصَّبُ

يصِفُ شَعَرَها.

(١) جاء في الوجوه والنظائر لهارون بن موسى على ثلاثة أوجه.

هُـمُ الأَنْـظَـارُ عُـرِضَـتُـهَـا الـلِّـقَـاءُ

وقال الله في الممتحنة: ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ [الممتحنة آية: ٨].

الثاني: بمعنى الطاعة؛ قال الله: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة آية: ٢]، أي: على طاعة الله، ومثله: ﴿وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المجادلة آية: ٩]، أي: بالطاعة دون المعصية، وقال: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى﴾ [مريم آية: ٣٢]، أي: مطيعا لها، وقال: ﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس آية: ١٦]، أي: مطيعون، وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [المطففين آية: ١٨]، أي: المطيعين، كذا جاء في التفسير، وهو وجه، ولو جعلت ذلك بمعنى الصلة واللطف.

الثالث: بمعنى الثواب، قال الله: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران آية: ٩٢]، يعني: الثواب.

الرابع: التقوى، قال: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة آية: ١٧٧]، يعني: التقوى، وأراد توكيد ما احتج به على سفهاء أهل الكتاب في إنكارهم على المسلمين توجههم إلى الكعبة بعد توجههم إلى بيت المقدس، فقال: ليس البر كله في التوجه إلى المشرق والمغرب في الصلاة: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة آية: ١٧٧]، أي: البر بر من آمن بالله، وهو التقوى، هكذا جاء في التفسير.

وليس ببعيد أن يكون البر هاهنا بمعنى الطاعة، ويسمى الطاعة برا في قولهم: هذا من أعمال البر، أي: مما يطاع الله به، وحذف لبر الثاني لبيان المعنى، كما قال الشاعر:

وَكَـيْـفَ تُـخَـالِـلُ مَـنْ أَصْـبَـحَـتْ   خِـلَالَـتُـهُ كَـأَبِـي مـرجـب

أي كخلال أبي مرجب.

وهكذا في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة آية: ١٨٩]، أي: ولكن البر بر من اتقى.

وأول الآية: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ [البقرة آية: ١٨٩]، وهو مثل ضربه الله للمشركين في تأخيرهم أشهر الحرم فأخبر الله أن ذلك عكس البر، كما أن من أتى البيت من ظهره؛ فقد عكس أمر الدخول.

وقيل: إن قوما من قريش وثقيف وخزاعة وطائفة من عامر بن صعصعة؛ كانوا

إذا[١] حرموا لا يأقطون الأقط، ولا يأكلون السمن، ولا يدخلون البيوت من أبوابها؛ ولكن من ظهورها وأدبارها، وظهورها: سطوحها، فسموا حماه، والأحمى: المتشدد في دينه، فأخبر الله أن ذلك ليس من البر، وأن البر بر من اتقى معاصي الله.

البرهان[٢]

قال علي بن عيسى -رحمه الله-: البرهان: شاهد صدق في نفسه وشهادته.

والبرهان: حق في نفسه وشهادته.

والبرهان: بيان صدق يظهر به صحة أمر.

والبرهان: ما ثبت المعنى في النفس على ثقة به، وذلك بالبيان الذي فيه.

والبرهان: ما فصل الحق من الباطل، وميز الصحيح من الفاسد بالبيان الذي فيه.

والبرهان: ما أوجب الثقة وأزال التهمة بالبيان الذي فيه.

والبرهان: ما أوصل النفس إلى إدراك الحق بالبيان الذي فيه؛ فكأن البرهان آلة بها يتم إدراك النفس للحق.

وقيل: جاء البرهان بمعنى الدليل والدلالة.

والفرق بين الدلالة والبرهان أن الدلالة: ما أحضر المعنى للنّفسِ، والبرهان: ما ثبت المعنى في النفس بالبيان الذي فيه؛ فكأن الدلالة آلة الإحضار، والبرهان آلة لتثبيته[٣] في النفس على جهة الثقة به، وكل برهان ففيه معنى الدلالة، وليس كل دلالة فيها معنى البرهان، ألا ترى أن الاسم دلالة على معناه؛ وليس ببرهان على معناه، وكذلك هداية الطريق دلالة عليه وليس ببرهان عليه، وسمعت من يقول إنه فارس معرب، ولا أعرف ما صحة ذلك.

ويجوز أن يكون أصله من البرهة، وهي القطعة من الدهر، كأن البرهان قطعة من القول، أو هو قطع بين الحق والباطل وفصل، كما أن البرهة فصل بين الزمانين، والنون فيه زائدة، كما زيدت في "السلطان"؛ وهو من السليط.

وهو في القرآن على وجهين[٤]:

---

(١) سقط من: ت.

(٢) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٣٥٤.

(٣) في ن: التنبيه.

(٤) كذا في الوجوه والنظائر لهارون بن موسى.

الأول(١): الحجة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة آية: ١١١]، أي: حجتكم بأن معه آلهة، وفي النمل: ﴿أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [النمل آية: ٦٤].

الثاني: الآية، قال الله تعالى: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ [القصص آية: ٣٢]، أي: آيتان، وقال: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف آية: ٢٤]، يعني آية من آيات ربه.

البعل

أصله من القيام بالأمر(٢)، ومن ثم قيل للنخلة التي تستغني بماء السماء عن سقي العيون: بعل. وقد استبعل النخل: صار بعلا.

وهو في القرآن على وجهين:

أحدهما: الزوج، قال: ﴿وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ [هود آية: ٧٢]، والزوجة: بعلة، ولا يقال: هو بعلها حتى يدخل بها، وهو زوجها على كل حال. وكذلك القول فيها، والشاهد قولهم: باعلها، أي: جامعها، وفي الحديث: "أيام أكل وشرب وبعال(٣)"، أي: جماع.

---

(١) في ت: أحدهما.

(٢) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (بعل) الباء والعين واللام أصولٌ ثلاثةٌ: فالأوّل الصاحب، يقال للزَّوج بَعْل، وكانُوا يُسمُّون بعضَ الأصنام بَعْلاً. ومن ذلك البِعالُ، وهو مُلاعَبَة الرّجلِ أهْلَه. وفي الحديث في أيام التشريق: "إنّها أيّامُ التّشْريق، إنّها أيّامُ أكْلٍ وشُرْبٍ وبِعال".
قال الحطيئة:

وكم مِن حَصَانٍ ذاتِ بَعْلٍ تَرَكْتَها ... إذا اللّيْلُ أدْجى لَمْ تَجِدْ مَنْ تُباعِلُهْ

والأصل الثاني جِنْسٌ من الحَيْرة والدَّهَش، يقال بَعِلَ الرجُلَ إذا دَهِشَ. ولعلّ من هذا قولَهم امرأةٌ بَعِلةٌ، إذا كانت لا تُحسِنُ لُبْسَ الثِّياب.
والأصل الثالث البَعْل من الأرض، المرتَفِعة التي لا يُصِيبُها المطر في السنّةِ إلا مرّة واحدةً. قال الشّاعر:

إذا ما عَلَوْنا ظَهْرَ بَعْلٍ عَريضةٍ ... تَخالُ عَلَينا قَيْضَ بَيضٍ مُفَلّقِ

ومما يُحمَل على هذا الباب الثّالث البَعْل، وهو ما شَرِب بعُرُوقه من الأرض من غير سَقْي سَماءٍ، وهو في قوله صلى الله عليه وآله وسلم في صدقة النَّخْل: "ما شَرِبَ مِنْهُ بَعْلاً ففيه العُشْر". وقال ابنُ رَوَاحة:

هنالِكَ لا أبالي نَخْلَ سَقْيٍ ... ولا بَعْلٍ وإنْ عَظُمَ الإناءُ

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥٢٦٥)، والطبراني في الكبير (١١٥٨٧)، والدارقطني في سننه (٣٢)، (٤٥)، وابن راهوية في مسنده ١/ ٢٦٦، ١١/ ٢٣٢، والهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٢٠٣.

والآخر: بمعنى الرب، قال: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ [الصافات آية: ١٢٥]، أي: ربا غير الله.

بل

أصلها في العربية: الإضراب عن الاول، وإثبات الثاني، تقول: لقيت زيدا بل عمرا، فتركت الأول، وأخذت تذكر شيئا آخر، غلطت في الأول، أو بدا لك فيه، فتداركت كلامك بـ "بل" فجعلت الأمر للثاني، وأخرجت الأول مما دخل فيه الثاني.

ثم جاء في القرآن لغير الغلط والاستدراك والبداء، ولكن لترك قصة إلى أخرى، كأنه قال: دع هذا مع تمام فائدته إلى فائدة أخرى، ومثل هذا يكون منا أيضا، يقول أحدنا: جاءني الحاجب بل الأمير، أي: دع مجيء الحاجب مع ما أفدتك به، فالأمير هذا أمره.

وينقسم في القرآن على وجهين:

أحدهما: قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ [الأنبياء آية: ٥]، كأنه قال: دع ما تقدم ذكره من أمرهم، وخذ في أنهم قالوا: إن القرآن أضغاث أحلام، وأضغاث الأحلام: مختلطاتها التي لا تأويل لها، ثم حكى عنهم فقال تعالى: ﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الأنبياء آية: ٥]، والمراد أنه اختلط عليهم أمرهم، فكذبوا أنفسهم، وخرجوا من شيء إلى شيء، وهذا على سبيل الإضراب عن الأول وإثبات الثاني.

ومثل الوجه الأول قوله: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [النمل آية: ٦٦]، فـ: ﴿ٱدَّٰرَكَ﴾ لفظ ماض ومعناه الاستقبال، أي: بل يتكامل علمهم في الآخرة إذا حصلوا فيها، ويوقنون أن ما وعدوا منها في الدنيا حق.

وأصل: ﴿ٱدَّٰرَكَ﴾ : تدارك كأنه قال: قد يدرك بعض علمهم بعضا في الآخرة حتى يتكامل، ثم قال: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ﴾ [النمل آية: ٦٦]، وهذا إخبار عن الدنيا، كأنه قال: دع ما تقدم ذكره من تكامل علمهم في الآخرة بأن ما وعدوا منها حق مع ما أفدتك بذلك، وخذ في أنهم في الدنيا شاكون في البعث، ثم قال: ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل آية: ٦٦]، أي: دع ما تقدم من ذكر شكهم، وخذ في أنهم عمون عنه، أي: جاهلون، والشاك في الشيء بمنزلة الجاهل به، وقوله: ﴿بَلْ هُم

مِّنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل آية: ٦٦]، توكيد لقوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾ [النمل آية: ٦٦]، وهذا كقولك: فلان جاهل بكذا، بل هو أعمى عنه، تريد توكيد ما وصفته به من الجهل.

وأما "بلى" فليس من "بل" في شيء، و"بلى" لا يكون إلا جوابا لما كان فيه حرف جحد، كقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف آية: ١٧٢]، وقوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام آية: ١٣٠، الزمر: ٧١]، ثم قال في الجواب: ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف آية: ١٧٢]، وهو مخالف لنعم لأن نعم لا يكون إلا جوابا للاستفهام بلا جحد؛ كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾ [الأعراف آية: ٤٤]، وكذلك جواب الخبر، إذا قال: فعلت ذلك، قلت: نعم لعمري قد فعلته.

وقال الفراء: وإنما امتنعوا أن يقولوا في جواب الجحود نعم لأنه إذا قال الرجل لصاحبه: أمالك علي شيء؛ فلو قال الآخر: نعم، كان كأنه صدقه، كأنه قال: نعم ليس لي عليك شيء، فإذا قال: بلى؛ فإنما هو رد لكلام صاحبه، أي: بلى لي عليك شيء. فلذلك اختلف نعم وبلى.

الباب الثالث

في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله تاء

التأويل[1]

أصل التأويل من الأول، وهو: الرجوع[2]، يقال: آل الشيء؛ إذا رجع، وأول الكلام تأويلا، إذا رده إلى الوجه الذي يعرف منه معناه، وقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ [الأعراف آية: ٥٣]، أي: يأتي ما يؤول إليه أمرهم في البعث، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران آية: ٧]، أي: ما يرجع إليه معناه، وقيل: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ [آل عمران آية: ٧]، أي: بالبعث، وليس بالوجه؛ لأنه ليس للبعث هاهنا ذكر.

والتأويل في القرآن على خمسة أوجه:

الأول: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران آية: ٧]، قال أبو علي رضي الله عنه يعني: تفسير المتشابه به كله على حقائقه، وذلك أن في القرآن أمورا مجملة، مثل أمر الساعة وأمر صغائر الذنوب التي شرط غفرانها باجتناب الكبائر، واستدل على هذا بقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف آية: ٥٣]، فجعل الموعود الذي وعدهم إياه في القرآن تأويلا للقرآن.

وجاء في التفسير أن التأويل هاهنا منتهي مدة ملك أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك أن اليهود حسبوا ليعلموا ذلك، فأعلمهم الله أنه لا يعرف ذلك بالحساب، وإنما يعرف من قبل الله تعالى.

والتأويل والتفسير واحد، لأن معنى التأويل يعود إلى التفسير، ويفرق بينهما من وجه ذكرناه في "كتاب الفروق" وهو أن التفسير هو الإخبار عن إفراد أحاد الجملة، والتأويل: الإخبار بمعنى الكلام، وقيل: التفسير إفراد ما انتظمه ظاهر

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١١٧.

(٢) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (أول) الهمزة والواو واللام أصلان. راجع ما سبق ص ٧٠ حاشية ٢.

التنزيل، والتأويل: الإخبار عن غرض المتكلم بكلامه.

والثاني: عاقبة الأمر وما يؤول إليه، وهو قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف آية: ٥٣]، يذكر قوما أوعدوا بالعذاب، فتطلعوا عاقبة ما أوعدوا به رادين له، فقال: هل ينظرون إلا تأويل ذلك المصير وتلك العاقبة، أي: مرجعه ومآبه.

وقوله: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥ﴾ [يونس آية: ٣٩]، أي: لم تأتهم عاقبة ما وعدهم في القرآن أنه كائن في الآخرة من الوعيد، ولم يعن أنه لم يأتهم العلم وتفسيره، لأن جميع ما في القرآن مفهوم المعنى، ولو كان فيه شيء لا يفهم معناه لم يكن لإنزاله وجه.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء آية: ٥٩، الإسراء: ٣٥]، أي: عاقبة.

والثالث: تعبير الرؤيا، قال: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ [يوسف آية: ٦]، يعني: تعبير الرؤيا. وقال: ﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓ﴾ [يوسف آية: ٣٦]، وقال: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾ [يوسف آية: ٤٥]، وقال: ﴿وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾ [يوسف آية: ١٠١]، يعني: بجميع ذلك تعبير الرؤيا، وسميت الرؤيا أحاديث؛ لأن منها ما يصح، ومنها ما لا يصح، مثل الأحاديث التي يتحدث بها صدقا وكذبا. فأما رؤيا الأنبياء عليهم السلام خاصة فيقين.

الرابع: التحقيق، قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾ [يوسف آية: ١٠٠]، جاء في التفسير أنه أراد: تحقيق رؤياي، وهو حسن، ويجوز أن يكون معناه: تفسير رؤيا و: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ بالكسر على حذف ياء الإضافة، ويجوز بالفتح على حذف الألف المنقلبة عن ياء الإضافة، وأجاز الفراء الضم، ولم يجزه الزجاج، إلا أن التاء عوض عن ياء الإضافة، وقال علي بن عيسى: هو جائز، لأن العوض لا يمنع من الحذف.

الخامس: قوله: ﴿لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾ [يوسف آية: ٣٧]، جاء في التفسير أنه أراد بألوانه قبل أن يأتيكما، والمراد بتسميته بألوانه وصفاته؛ كأنه يفسره لهما، فلهذا سماه تأويلا، وسمي تفسير الشيء تأويلا، لأنه مآل لبيان معناه، و: ﴿نَبَّأۡتُكُمَا﴾ [يوسف آية: ٣٧]، أخبرتكما، والنبأ: الخبر العظيم، لا يكون إلا كذلك.

وخرج لنا بعد وجه آخر، وهو قوله: ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء آية: ٥٩، الإسراء: ٣٥]، قال مجاهد: أي: جزاء، قلنا: وذلك أن الجزاء هو الشيء الذي آلوا إليه.

تولى[١]

يقال: ولي الشيء يليه، إذا قرب منه، وداري يلي دارك، وولاية الأعمال، من ذلك، وكذلك: الولي، وهو: المطر الذي يلي الوسمي، والوسمي أول مطر يجيء، والولي: الذي يليه، ومنه: الولي، خلاف العدد، لأنه يقرب منك، ثم قيل: ولى عنه، وتولى عنه، إذا أعرض وبعد[٢].

والتولي في القرآن على ستة[٣] أوجه[٤]:

الأول[٥]: الانصراف، قال: ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ [القصص آية: ٢٤]، دل على أنه كان في الشمس فانصرف إلى الظل، ومثله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ [النمل آية: ٢٨]، أي: انصرف، ومثله: ﴿تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾ [التوبة آية: ٩٢].

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٥٢.

(٢) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (ولي) الواو واللام والياء: أصلٌ صحيح يدلُّ على قرب. من ذلك الوَلْيُ: القرْب. يقال: تَباعَدَ بعد وَلْيٍ، أي قُرْبٍ. وجَلَسَ ممّا يَلِيني، أي يُقارِبُني. والوَلِيُّ: المَطَر يجيءُ بعد الوَسْميّ، سمِّي بذلك لأنَّه يلي الوسمِيّ.
ومن الباب المَوْلَى: المُعْتِقُ والمُعتَق، والصَّاحب، والحليف، وابن العَمّ، والنَّاصر، والجار؛ كلُّ هؤلاءِ من الوَلْيِ وهو القُرْب. وكلُّ مَن ولِيَ أمرَ آخرَ فهو وليُّه. وفلانٌ أولى بكذا، أي أحرى به وأجدر. فأمَّا قولهم في الشتم: أولى لكَ فحدّثني علي بن عمر قال: سمعت ثعلباً يقول: أولى تهدُّد ووعيد. وأنشد:

فـأَوْلَـى ثـمَّ أولَـى ثـم أوْلَـى ... وهـل لـلـدَّرِّ يُـحْـلَـبُ مِـن مَـرَدّ

وقال الأصمعيّ: معناه قارَبَه ما يُهلكُه، أي نَزَل به. وأنشد:

فـعَـادَى بـيـن هـادِيَـتـيـنِ مـنـهـا ... وأولَـى أن يـزيـدَ عـلـى الـثَّـلاثِ

أي قارب أن يزيد. قال ثعلب: ولم يقل أحدٌ أحسَنَ مما قاله الأصمعيُّ في أولى. وقال غيره: أولى تحسيرٌ له على ما فاتَه. والوَلاء: الموالون. يقال هؤلاء وَلاءُ فلانٍ. والوَلاء أيضاً: ولاءُ المُعْتَق، وهو أن يكون ولاؤه لمُعْتِقِه، كأنَّه يكون أولى به في الإرْثِ من غيره إذا لم يكن للمُعْتِق وارثُ نَسَب. وهو الذي جاء في الحديث: "نَهَى عن بيع الوَلاء وهِبَتِه". ووالَيْتُ بين الشَّيئين، إذا عادَيْتَ بينهما وِلاءً. وافعَلْ هذا على الوِلاء أي مُرَتَّبا. والباب كلُّه راجعٌ إلى القُرْب..

(٣) في ت: خمسة.

(٤) جاء في الوجوه والنظائر لهارون بن موسى على أربعة أوجه.

(٥) في ت: أولها.

والثاني: بمعنى الامتناع، قال: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْۗ﴾ [المائدة آية: ٤٩]، معناه: فإن امتنعوا من الإيمان بك والرضا بحكمك، وقوله: ﴿أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْۗ﴾ [المائدة آية: ٤٩]، أي: لما امتنعوا من ذلك أراد الله عقوبتهم، فعجل بعضها لهم في الدنيا، والإصابة بالذنب: الإصابة بعقوبة الذنب، كما قال: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [هود آية: ٨]، أي: حاق بهم جزاؤه، وقوله: ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ [النساء آية: ٨٩]، أي: فإن امتنعوا من الإيمان والهجرة، وكان هؤلاء قوم من المنافقين زعموا أنهم احتووا المدينة واستأذنوا النبي صلى الله عليه وآله في الخروج منها إلى البدو، فأذن لهم، فخرجوا ولحقوا بالمشركين، فأمر الله أن يؤخذوا ويقتلوا حيث وجدوا، لأنهم كفار، إلا أن يرجعوا إلى المدينة.

والثالث: الإعراض، قال الله: ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء آية: ٨٠]، وقال: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ [يونس آية: ٧٢]، وقال: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ۝٥٤﴾ [الذاريات آية: ٥٤]، كل هذا بمعنى الإعراض على ما قالوا وهو الأصل، ويكون الإتيان الأوليان من هذا الوجه بمعنى الامتناع.

والرابع: قالوا: الهزيمة، قال تعالى: ﴿ فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۝١٥ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ﴾ [الأنفال الآيتان: ١٥-١٦]، يعني: الهزيمة عنهم، ومصدر هذا التولية، وليس بالتولي، نهى الله تعالى المؤمنين أن يولوا الكفار أدبارهم في القتال إلا أن ينحرف أحدهم من موضع لا يمكنه فيه الضرب والطعن إلى موضع يمكنه فيه ذلك، أو أن يضيق عليه فليلتجئ إلى جماعة من المسلمين، فينضافوا معه على مدافعة العدو، ومن يولي عن العدو على غير هذين الوجهين فقد باء بغضب من الله، أي: استحق الغضب من الله مقابلة بقبيح فعله، وهو من البواء في القتل، وهو أن يقتل بالرجل كفوه.

قال أبو بكر الرازي رحمه الله: "وهذا الحكم عندنا ثابت ما لم يبلغ عدد جيش المسلمين اثنى عشر ألفا، فإذا بلغ ذلك فليس لهم أن ينهزموا عن مثلهم إلا متحرفين لقتال[1]"، والحجة حديث ابن عباس عنه عليه السلام "خير الأصحاب أربعة، وخير السرايا أربعة مائة، وخير الجيوش أربعة آلاف، ولن يغلب اثنا عشر

(١) أحكام القرآن ٤/ ٢٢٧.

ألفا من قلة[١]"، وسأل رجل مالكا، فقال: أيسعنا قتال من خرج من أحكام الله وحكم بغيرها، فقال مالك: إن كان معك اثنا عشر ألفا مثلك لم يسعك التخلف، وإلا فأنت في سعة من ذلك.

وقال بعضهم: هذه الآية في أهل بدر؛ وليس الفرار من الزحف كبيرة، وهذا غلط، لأن النفي عام، وليس لأحد تخصيصه، ولا يكون المجمل إلا على العموم، وقيل: هذا الوعيد لازم لمن فر عن الزحف حبا للحياة، فأما من لم يجد بدا من الفرار فهو في سعة.

والزحف: السير الثقيل، وبه يوصف العساكر، لأنها إذا دنت من العدو، سارت على تعبئة، وسير الجماعة المعبأة رويدا.

الخامس: بمعنى ولاية الأمر، قال: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النور آية: ١١]، بالكسر، أي: تولى الإثم فيه، كأنه صار صاحب الإثم فيه، وقرئ كبره، أي: معظمه، وكبر الشيء: معظمه، وكذلك كبره: لغتان، وقيل كبر: مصدر الكبير من الأمور، وكبر: مصدر الكبير السن، مثل: الكبر، والكبر: الكبير أيضا.

والسادس: بمعنى الولاية، خلاف العداوة، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة آية: ٥١]، وقوله: ﴿لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة آية: ١٣]، يأمرهم بعداوتهم أن لا يناصحوهم.

التُّقى[٢]

أصل التقى: أن تجعل بينك وبين من[٣] تخافه حاجزا، قال النابغة:

سَقَطَ النَّصيفُ وَلم تُرِد إسقَاطَه فَتَنَاوَلَته واتَّقَتنَا باليَدِ

ثم كثر حتى قيل: توقيته، إذا هبت الإقدام عليه، ويقال: تقاه يتقيه، واتقاه يتقيه وتوقاه يتوقاه، والمتقي في أسماء الدين: هو الذي يؤدي الفرائض، ويجتنب المحارم، ويجعل ذلك بينه وبين النار جنة، ولا يستحقه مطلقا إلا المستحق للثواب، ويجري على غيره مقيدا، وقال الشاعر يصف سيوفا:

جَلاهَا الصَّيقلونَ فَأخلصُوا جعافًا كُلُّهَا يُتَّقَى بأَثَرِ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٧١٨)، والدارمي في سننه (٢٤٣٨)، والبيهقي في سننه الكبرى (١٤٧)، وأبو يعلى في مسنده (٢٧١٤)، والهيثمي في موارد الضمآن (١٦٦٣).

(٢) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٦٠.

(٣) في ن: ما.

والأثر: والأثر ماء السيف وفرنده، كأنها تجعل ذلك بينها وبين من يريد عيبها، والإقدام عليها حاجزا، وذلك أنه إذا رأى أثرها لم يعبها، أو ترك الإقدام على أصحابها.

وهو في القرآن على خمسة أوجه(١):

الأول(٢): بمعنى الخشية، قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ [النساء آية: ١، الحج: ١، لقمان: ٣٣]، أي: اخشوا عقابه، واجعلوا الإيمان بينكم وبينه، وقال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الشعراء آية: ١٠٦]، ومثله كثير.

الثاني: بمعنى العبادة، قال الله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف آية: ٦٥]، أي: أفلا تعبدون، وقال: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون آية: ٥٢]، هكذا جاء في التفسير، ويكون ذلك أيضا بمعنى الخشية؛ لأنه إذا قال: أنا ربكم، فقد أخبر أنه القادر عليهم، وإذا كان كذلك فينبغي أن يخشى عقابه، ولا يعصى، ويرغب في ثوابه، فيعبد ويطاع.

الثالث: الإيمان، قال تعالى: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ [نوح آية: ٣]، أي: أن توحدوه(٣)، ودليل ذلك قوله: ﴿وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النساء آية: ١٣١]، ووضعه الكفر بإزاء التقوى دليل على أن المراد بالتقوى: الإيمان.

والرابع: الإخلاص، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج آية: ٣٢].

والخامس: الانتهاء إلى المأمور به، وترك تجاوزه، قال: ﴿وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [البقرة آية: ١٨٩]، أي: انتهوا إلى أمره في ذلك، ولا تجاوزوه(٤).

وكل هذه الوجوه متقاربة، يجوز قيام بعضها(٥) مقام بعض.

التمني

يقال: تمنى الرجل الشيء، إذا قدر في نفسه بلوغه، ومنه: منى الله لك كذا،

---

(١) كذا في الوجوه والنظائر لهارون بن موسى.

(٢) م: أولها.

(٣) سقط من: ن.

(٤) في ن: ولا تجاوزه.

(٥) في ت: بعضهم.

أي: قدره(١)، وقال الشاعر:

مـــا تـــمـــنـــي لـــك الأمـــانـــي

ومنينا من فلان بكذا، أي: ابتلينا، ولا يقال ذلك إلا في المكروه.

وسميت المنية منية، لأنها مقدرة، وقيل للمني مني، لأن الولد مقدر منه، والتمني: قول الرجل: يا ليتني كنت كذا.

والتمني في القرآن على وجهين:

الأول(٢): هذا القول، وهو قوله تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الجمعة آية: ٦]، وذلك أن اليهود قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، فقال الله لهم: إن كنتم كذلك فتمنوا الموت لتموتوا، فتصيروا إلى الثواب عاجلا، ثم أخبر أنهم لا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم من الذنوب، فكان هذا خبر غيب دالاعلى صدق الدعوة، فلم يكن فيهم أحد يقول: إني تمنيت ولم أمت، وشرح ذلك جرى في كتابنا في التفسير.

والثاني: القراءة، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ

---

(١) في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (مني): الميم والنون والحرف المعتلّ أصلٌ واحد صحيح، يدلُّ على تقديرِ شيءٍ ونفاذِ القضاءِ به. منه قولهم: مَنَى له المانِي، أي قدَّر المقدِّر. قال الهذليّ:

لا تـأمَـنَـنَّ وإن أمـسـيْـتَ فـي حَـرَمٍ ... حَـتَّـى تُـلاقِـيَ مـا يَـمـنِـي لـك الـمـانِـي

والمَنَا: القَدَر. قال:

سأُعْمِلُ نَصَّ العِيسِ حتّى يكفَّني ... غِنَى المـال يومـاً أو مَـنَـا الـحـدثـانِ

وماءُ الإنسان مَنِيٌّ، أي يُقَدَّر منه خِلْقَتُه. والمنيَّة: الموت لأنَّها مقدَّرة على كلٍّ. وتمنِّي الإنسانِ كذا قياسه، أملٌ يقدِّرُه. قال قوم له ذلك الشّيء الذي يَرجُو. والأمْنِيَّة: أُفعولةٌ منه. ومِنى: مِنَى مكّة، قال قومٌ: سمِّي به لما قُدِّر أن يُذبَح فيه: من قولك مَنَاه الله.

ومما يَجرِي هذا المجرى المَنَا: الذي يُوزَن به، لأنَّه تقديرٌ يُعمل عليه. وقولنا: تمنَّى الكِتَابَ: قرأه. قال الله تعالى: }إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ في أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج ٥٢]، أي إذا قرأ. وهو ذلك المعنى، لأن القراءة تقديرٌ ووضع كُلِّ آية موضِعَها. قال:

تـمـنَّـى كـتـابَ الـلـه أوّلَ لـيـلـهِ ... وآخِـرَهُ لاقـى حِـمـام الـمـقـادرِ

ومن الباب: مانَى يُماني مماناةً، إذا بارَى غيرَه. وهو في شِعر ابن الطَّثْرِيّة:

سَلِي عَنّيَ النّدمان حين يقول لي ... أخو الكأسِ ماني القومَ في الخَيرِ أورِدِ

وهذا من التَّقدير، لأنَّه يقدِّر فِعله بِفعل غيرِه يريد أنْ يساوِيَه. وأمَّا مُنيَةُ النّاقة، فهي الأيام التي يُتعرَّف فيها ألاقِحٌ هي أم حامل.

(٢) في ت: أحدهما.

﴿إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج آية: ٥٢]، يقال: تمنى الرجل إذا قرأ، قال الشاعر:

تَـمـنَّـى كِـتَـابَ الـلـهِ أَوَّلَ لَـيـلَـةٍ وَآخِـرهَـا لا فِـي حِـمَـامِ الـمَـقَـادِرِ

والرسول والنبي واحد، وإنما أراد التوكيد فكرره كما تقول: أحب كل مؤمن ومسلم، والمؤمن والمسلم سواء، وعلى هذا فإن بين المؤمن والمسلم فرقا في العربية، وكذلك بين الرسول والنبي، وأما في أسماء الدين فكل ذلك سواء، وكان النبي صلى الله عليه وآله إذا قرأ القرآن غلط الغلط الذي يجوز مثله على القارئ، وكان الله ينبهه على الصواب، فيرجع إليه، فعاب ذلك عليه أعداؤه، وليس فيه عيب؛ لأن البشر لا يخلو من السهو والغلط، وجعل الله تنبيهه إياه على الغلط نسخا له، ورده إلى الصواب إحكاما لآياته.

وأما ما روي أنه صلى الله عليه وآله قرأ: أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، تلك الغرانيق العلى، منها الشفاعة ترتجى، ثم سجد، وسجد المشركون، وقالوا: قد رجع إلى دينكم، فإن ذلك كذب، لأن القارئ لا يغلط بمثل هذا، ولا يجوز أن يقوله النبي صلى الله عليه وآله تعمدا، لأنه كفر، ولا يقع الكفر من الأنبياء.

وأخرى فإنه لا خلاف بين الرواة أنه صلى الله عليه وآله، كان لا يمكنه الصلاة عند الكعبة ظاهرا؛ لما كان المشركون ينالونه به من المكروه، فكان يصلي عندها ليلا حين[١] لا يطلع عليه أحد منهم، فكيف[٢] سجدوا لقراءته، وهذه حاله عندهم، حتى كأنهم كانوا على ميعاد منه[٣]؟!

التوفي[٤]

أصل الوفاء: التمام[٥] وشيء واف: تام، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ

---

(١) في ن: حتى. (٢) في ن: وكيف.

(٣) في ن: منهم.

(٤) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٣٠٠.

(٥) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (وفي) الواو والفاء والحرف المعتلّ: كلمةٌ تدلُّ على إكمالٍ وإتمام. منه الوَفاء: إتمام العَهْد وإكمال الشَّرط. ووَفَى: أوْفَى، فهو وفِيٌّ. ويقولون: أوْفَيْتُكَ الشَّيءَ، إذا قَضَيْتَه إيّاهُ وافياً. وتوفَّيْتُ الشَّيءَ واستَوْفَيْته؛ إذا أخذتَه كُلّه حتَّى لم تتركْ منه شيئاً. ومنه يقال للميِّت: تَوفَّاه الله.

بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البقرة آية: ٤٠]، أي: قوموا بأوامري على التمام أعطكم جزاء أعمالكم على التمام.

وتوفيت حقي، واستوفيته، إذا أخذته بتمامه، ومعنى توفي الله الأنفس: قبضها عند تمام آجالها، وقد وفيت الرجل حقه، وأوفيت له، إذا تممت عهده، وخلافه: الغدر، وهو أن تترك[1] الوفاء به، وأصل الغدر: الترك، يقال: غادر الشيء، وأغدره، إذا تركه.

والتوفي في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول[2]: **الإنامة، قال الله تعالى:** ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ [الأنعام آية: ٦٠] كأنه يقبض العقل والذهن الذي تميز به الأشياء.

الثاني: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [المائدة آية: ١١٧] وروي عن الحسن؛ أنه قال: التوفي هاهنا: رفعه إلى السماء.

ومثله قوله: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران آية: ٥٥] أي: آخذك من بين بني إسرائيل، ورافعك إلى السماء حيث لا ينفذ إلا حكمي، ولا يريد أن الله في السماء، وشبه رفعه إلى السماء بالموت؛ لأنه يفقد عند الرفع كما يفقد عند الموت، وقيل: الرفع هنا رفع المنزلة.

الثالث: قبض الروح، قال الله تعالى: ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ [غافر آية: ٧٧]، وقال: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمۡ﴾ [السجدة آية: ١١]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النحل آية: ٢٨، ٣٢] يعني: أنهم يقبضون أرواحهم.

التسبيح

أصله: التنزيه[3] من السوء على جهة التعظيم[4]، ولا يجوز أن يسبح غير الله؛

---

(١) في ن: يترك.
(٢) في ت: أولها.
(٣) في ن: التبرئة.
(٤) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (سبح): السين والباء والحاء أصلان: أحدهما جنسٌ من العبادة، والآخر جنسٌ من السَّعي. فَالأوَّل السُّبحة، وهي الصَّلاة، ويختصّ بذلك ما كان نفلاً غير فَرض. يقول الفقهاء: يجمع المسافرُ بينَ الصَّلاتين ولا يُسبِّح بينهما، أي لا يتنفَّل بينهما بصلاةٍ. ومن الباب التَّسبيح، وهو تنْزيهُ الله جلَّ ثناؤه من كلِّ سوء. والتَّنْزيه: التبعيد. والعرب تقول: سبحان مِن كذا، أي ما أبعدَه. قال الأعشى:

أقــولُ لــمّــا جــاءنــي فــخــرُهُ ... سُــبحــانَ مِــنْ عــلــقــمــةَ الــفــاخِــر

=

لأنه صار علما في الدين على أعلى مراتب التعظيم، وذلك لا يستحقه إلا الله الذي لا يعجزه شيء، وسبحان الله: تنزيه له مما لا يليق به، ونصبه على مذهب المصدر؛ كأنك قلت: تسبيحا له، وسبحان: معرفة وعلم خاص؛ فإن نونه شاعر فللضرورة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلًا ۝٧﴾ [سورة آية المزمل: ٧] أي: فراغا كبيرا للنوم[١]، وقد أوجب الله على العباد أن يسبحوه ويقدسوه، وفي ذلك أوضح الدلالة على أنه لا يجوز إضافة الفواحش إليه.

والتسبيح في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول[٢]: الصلاة، قال الله تعالى: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ۝١٧﴾ [الروم آية، الأنبياء: ١٧، ٢٢]، والسبحة: صلاة التطوع، وقوله: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣﴾ [الصافات آية: ١٤٣] أي: المصلين.

الثاني: ظهور أثر الصنعة والخلق، وهو قوله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ [الإسراء آية: ٤٤] يعني: ما ظهر فيها من آثار الصنع الدال على التوحيد.

والثالث: الاستثناء، وهو قوله: ﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ۝٢٨﴾ [القلم آية: ٢٨] أي: تستثنون، وهو قول: إن شاء الله، وإنما قيل للاستثناء: تسبيح؛ لأنه تعظيم، كما أن قول " سبحان الله " تعظيم له، وكانوا قالوا: قال: ﴿لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ﴾ [القلم آية: ١٧]، ولم يقولوا: إن شاء الله، وفسر أيضا على ظاهره؛ فقيل: لولا تسبحون الله وتقدسونه وتعطون حقوق المساكين.

= وقال قوم: تأويلُهُ عجباً له إذَا يَفْخَر. وهذا قريبٌ من ذاك لأنَّه تبعيدٌ له من الفَخْر. وفي صفات الله جلَّ وعز: سُبّوح. واشتقاقه من الذي ذكرناه أنّه تنزَّه من كل شيء لا ينبغي له. والسُّبُحات الذي جاء في الحديث: جلال الله جلَّ ثناؤه وعظمته.

والأصل الآخر السَّبْح والسِّباحة: العَوم في الماء. والسّابح من الخيل: الحَسَنُ مدِّ اليدين في الجَرْي. قال:

فولَّيْتَ عنه يرتَمِي بِكَ سابحٌ وقد قابَلَتْ أُذْنَيه منك الأخادعُ

يقول: إنّك كنتَ تلتفتُ تخافُ الطّعنَ، فصار أخْدَعُك بحذاء أُذُن فرسِك.

(١) سقط من: ن.

(٢) في ت: أولها.

الباب الرابع

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ثاء

الثواء[1]

الثواء: الإقامة، يقال: ثوى بالمكان، وأثوى: لغتان فصيحتان[2]، قال الحارث بن حلزة:

آذَنَتنا ببَينِها أَسماءُ ... رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ مِنهُ الثَّواءُ

ويتصرف هذا الحرف في القرآن على أوجه:

الأول[3]: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهلِ مَديَنَ﴾ [القصص آية: ٤٥] أي: لم تكن مقيما فيهم، فتعلم من أخبارهم ما تخبر به، وإنما هو وحي، وإن كان " مدين " عربيا فاستقامة من قولهم: مدن بالمكان إذا أقام به، والياء فيه زائدة، والذي أظن: أنه أعجمي الأصل.

الثاني: المثوى بمعنى المأوى، قال تعالى: ﴿يَعلَمُ[4] مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [محمد آية: ١٩]، وقوله: ﴿فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [فصلت آية: ٢٤] وهو قريب من الأول؛ بل هو فيه بعينه لأن المثوى: مفعل من ثوى، وقيل للمنزل والمسكن: مثوى؛ لأن صاحبه يقيم فيه.

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٣٠٤.

(٢) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (ثوي): الثاء والواو والياء كلمةٌ واحدة صحيحة تدلُّ على الإقامة. يقال ثَوَى يثْوِي فهو ثاوٍ. وقال:

آذَنَتْنَا بِبَيْنِها أسماءُ ... ربَّ ثاوٍ يُمَلّ منه الثَّواءُ

ويقال أثْوَى أيضاً. قال:

أَثْوَى وَقَصَّرَ لَيْلَهُ لِيُزَوَّدا ... فَمضَى وأخلفَ من قُتَيْلَةَ مَوْعِدا

والثَّوِيَّة والثَّايَة: مأوى الغَنَم. والثَّوِيَّة: مكان. وأمُّ مَثْوَى الرّجلِ: صاحبةُ منزلِهِ. والقياس كلُّه واحد. والثّايَة أيضاً: حِجارةٌ تُرفَع للرّاعي يَرجع إليها لَيْلاً، تكونُ علماً له.

(٣) في ت: أولها.

(٤) سقط من: ت.

الثالث: المنزلة، قال: ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ [يوسف آية: ٢٣] أي: أعلى منزلتي، ولو أوردنا[١] هذين الحرفين في باب الميم جاز، وأم المثوى[٢]: المرأة التي ينزل[٣] بها وبأهلها الضيف، وأبو المثوى: الرجل، وتقول: من أم مثواك الليلة[٤]، ومن أبو مثواك؟

---

(١) في ن: أردنا.
(٢) في ت: المثوى الرجل المرأة.
(٣) في ت: ينزل.
(٤) سقط من: ت.

الباب الخامس

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله جيم

الجبار[1]

أصل الكلمة: الإصلاح[2]، جبر العظم؛ إذا أصلحه وجبر هو، ثم استعمل في الامتناع، فقيل: نخلة جبارة؛ إذا امتنعت ففاتت الأيدي، وهو راجع إلى الأصل؛ لأنها إذا فاتت اليد صلحت ثمرتها ولم تشعث، والجبيرة: الدملوج، وكذلك الجبارة؛ لأنه يصلح ويسوى، والجبارة أيضا، والجمع: الجبائر: الخشب الذي يشد على العضو المكسور، وأجبرت الرجل على الأمر؛ إذا أكرهته عليه؛ لأنك تريد بإجبارك إياه إصلاحه، وإصلاح نفسك ـ جبار يرجع إلى ذلك.

والجبار في أسماء الله - عز وجل - بمعنى أنه لا ينال بالأذى، وبمعنى الكبرياء والعظمة، وقال واصل بن عطاء: الجبار في صفات الله تعالى بمعنى أنه يجبر فاقة العبد.

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٦٧.

(٢) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (جبر): الجيم والباء والراء أصلٌ واحد، وهو جِنْسٌ من العظَمة والعُلوّ والاستقامة. فالجَبَّار: الذي طَال وفاتَ اليد، يقال فرسٌ جَبَّارٌ، ونخلة جَبَّارَةٌ. وذو الجُبُّورة وذو الجُبُرُوت: الله جلّ ثناؤه. وقال:

فإنّكَ إن أغضَبْتَني غَضِبَ الحَصَى ... عَليكَ وذُو الجَبُّورَةِ المتُغَطْرِفُ

ويقال فيه جبريّة وجَبَرُوَّةٌ وجَبَروتٌ وجورة. وجَبَرْتُ العظْم فجَبَر. قال:

قد جَبَرَ الدِّينَ الإلهُ فَجَبَرْ

ويقال للخَشَب الذي يُضَمُّ به العَظْمُ الكسيرُ جِبارة، والجمع جبائِر. وشُبِّه السِّوارُ فقيل له جِبارة. وقال:

وأرَتْكَ كَفّاً في الخِضا ... ب ومِعْصَماً مِلْءَ الجِبَارَه

ومما شذَّ عن الباب الجُبَار وهو الهَدَر. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "البِئْرُ جُبَارٌ، والمَعْدِنُ جُبار". فأمَّا البئر فهي العادِيَّةُ القديمة لا يُعلم لها حافرٌ ولامالك، يقع فيها الإنسانُ أو غيره، فذلك هدر. والمعدنُ جُبارٌ، قومٌ يحفرونه بِكِراءٍ فينهارُ عليهم، فذلك جُبارٌ، لأنّهم يعملون بِكِراء. ويقال أجبرتُ فلاناً على الأمر، ولا يكون ذلك إلّا بالقَهْر وجنسٍ من التعظم عليه.

وهو في[1] القرآن على أربعة أوجه:

الأول: القهار، قال الله تعالى: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ﴾ [الحشر آية: ٢٣] يعني: القهار لخلقه بما أراد، وقال: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [ق آية: ٤٥] أي: بمسلط تقهرهم على الإيمان؛ إنما أنت مذكر، ويجوز أن يكون معناه: إنك لست بمتكبر تياه، كما قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم آية: ٤].

الثاني: المتغلب الجابر، قال الله: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ۝١٣٠﴾ [الشعراء آية: ١٣٠] أي: متغلبين جبارين، وقال: ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص آية: ١٩] وقال بعض أهل التفسير: المراد بالجبار في هذه المواضع: القتال، والبطش: الأخذ بالغلبة والشدة.

الثالث: المتكبر قال: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم آية: ٣٢] جاء في التفسير أنه عنى المتكبر عن عبادة ربه.

والرابع: العظيم الخلق القوي، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ [المائدة آية: ٢٢] جاء في التفسير: إنه عنى العظام الأجساد الطوال الأقوياء، زعموا أنه لا يقاومونهم، وقيل: إنه[2] أراد الممتنعين الغلابين العتاة، وهذا أصح؛ لقوله: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ﴾ [المائدة آية: ٢٣] كأنهم قالوا: إن فيها قوما من عادتهم غلب أعدائهم، فقيل لهم[3]: اذهبوا إليهم فإنكم تغلبونهم، وأعمل إن في القوم وجعل الجبارين من صفتهم؛ لأن ما فيها ليس باسم.

قال: ومثله: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر آية: ٣٥]، والجبار هاهنا والمتكبر سواء، وإنما كرر للتوكيد، ولا يجوز أن يقال أنه يعني: بـ"الجبار" هاهنا: القتال والغلاب؛ لأن القتل والغلبة لا يضافان إلى القلب ويضاف إليه الكبر، ويجوز أن تكون هذه الوجوه كلها بمعنى واحد وهو التكبر، وإنما أوردتها على ما جاء في التفسير.

الجعل[4]

يقال: جعلت بمعنى أنشأت ولا يتجاوز مفعولا، ومنه: جعل الله الناس، وجعل الأرض، وجعلت أيضا بمنزلة نقلت، كقولك: جعلت الطين آجرا، وجعلت

---

(١) في ت: من.
(٢) سقط من: ت.
(٣) سقط من: ن.
(٤) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٨٤.

الفضة خاتما، وجعلت بمنزلة[١] ظننت، تقول: اجعل الأمين خادما وكلمه؛ أي: ظنه خادما، وجعلت بمنزلة سميت، قال: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾ [الزخرف آية: ١٩]، ويقال أيضا: جعلت القرية عن يميني.

والفرق بين الجعل والفعل؛ أن جعل الشيء يكون بإحداث غيره فيه، كجعلك الطين خزفا، وفعل الشيء إحداثه لا غير.

وقال بعضهم: جد الجعل الفعل ولابد لكل جعل من تعلق بمجعول ومفعول، أما نفس الشيء الواقع عليه ظاهر اللفظ؛ كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ [الملك آية ٢٣، النحل: ٧٨، السجدة: ٩] أي: خلقهما، وأما اسمه ووصفه، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾ أي: جعلوا[٢] اسمهم اسم الإناث ووصفهم، وفعلوا ذلك، وأما حكمه؛ كقوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة آية: ١٩] أي: جعلتم حكم هذا كحكم هذا، وكقولك: جعل الله هذا حلالا وهذا حراما؛ أي: جعل حكمه حكم ذلك، وأما علته لها كان المجعول على صفته؛ كقولك: جعلت المتحرك متحركا؛ أي: فعلت العلة.

وأما قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾ [الأنبياء آية: ٧٣] فمعناه سميناهم بذلك، ومثله[٣]: جعلت فلانا لصا، وقوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ [الفرقان آية، الأنعام: ٣١، ١١٢] أي: وصفناهم بهذا الوصف بعد أن عادوا الأنبياء، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد آية: ٢٧] أراد الخبر بما في قلوبهم من ذلك ووصفه؛ فالمجعول هو الخبر ويكون بمعنى اللطف، وقوله: ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف آية: ١٠٠] أي: خلقها، ويجوز أن يكون مكن يوسف عليه السلام فظهر صدق رؤياه؛ فالمجعول نفس الرؤيا في الأول وفي الثاني للدلالة على صحته.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ [القصص آية: ٤] أي: فرقا، والجعل راجع إلى ما به كانوا فرقا؛ وهو الفعل الذي فرق بينهم، وقوله تعالى: ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ [القصص آية: ٣٥] أي: حجة؛ وهو قلب الفصاحة.

وقوله تعالى: ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت آية: ١٠] هؤلاء قوم

(١) في ن: بمعنى.
(٢) في ن: اجعلوا.
(٣) في ن: ومنه.

آمنوا فلحقهم أذى من الكفار وهزوا[١] فكفروا[٢]، وكان يجب أن يدعوا الكفر خوفا من عذاب الله وتركوا الإيمان خوفا من عذاب الناس؛ فأبدلوا حكم عذاب الناس حكم عذاب الله؛ فالحكم هو المجعول، وقال: ﴿وَجَعَلْنَـٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء آية: ٩١] فالمجعول فعل ما صارت به آية، وقال: ﴿وَجَعَلْنَـٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الزخرف آية: ٥٩] أي عبرة، وفعل ما صار به المسيح عبرة هو المجعول.

وقوله تعالى: ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص آية: ٥] فأمره بالاقتداء بهم هو المجعول، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [هود آية: ١١٨] أي: بالإجبار.

والجعل بعد ذلك في القرآن على ستة أوجه فيما ذكره بعض المفسرين:

الأول[٣]: التسمية؛ قال: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا﴾ [الزخرف آية: ١٩]، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً﴾ [المائدة آية: ١٣] أي: سميناها[٤] قاسية.

الثاني[٥]: بمعنى التخلية، قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام آية: ١٢٥] أي: يخلي بينه وبين ما يخرج به صدره من الكفر؛ لأن مع الإيمان ثلج الصدور، وليس ذلك مع الكفر.

وأما الطبع والختم واللعن والأكنة والوقر والعمى والصمم والبكم والرجس ونحو ذلك فإنه ذم وليس بمن ذكره إلا بعد ذكر المعصية ولزمهم هذه الأسماء جزاءا لذنوبهم، ويجوز أن يكون تسميته إياهم بهذه الأسماء على جهة التمثيل؛ لأنا نعلم أنه ليس على بصر الكافر غشاوة.

الثالث[٦]: منع الإلطاف؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [الإسراء آية: ٤٥] أي: تمنعه ألطافنا فيعرض عن القرآن ولا ينتفع به؛ فكأنا جعلنا بينه وبينه حجابا، ولو علم أن ألطافه تنفعه ما منعه إياها ولكنها لا تنفعه فهو بمنزلة من لا ألطاف له [ولو كان الطبع

---

(١) سقط من: ت.
(٢) سقط من: ن.
(٣) في ت: أولها.
(٤) في ن: سميناهما.
(٥) في ت: والثاني.
(٦) في ت: والثالث.

والختم وما بسبيلهما منعا لهم عن الإيمان لما قال: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [١] [الزمر آية: ٥٤].

الرابع[٢]: **بمعنى الوصف؛ قال:** ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ [الأنعام آية: ١٠٠] و: ﴿ٱلْجِنَّ﴾ هاهنا الملائكة سموا بذلك لاستتارهم عن الأبصار، وأصل الجن والجنة، والجنة والجنون الستر، أي: وصفوا الملائكة بأنهم شركاء الله، ونحوه قول الرجل لمن يصفه باللصوصية: جعلتني لصا، أي: وصفتني بذلك، ونحوه قوله: ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ [الزخرف آية: ١٥]، قال بعض أهل اللغة: الجزء هاهنا بمعنى الإناث، يقال: أجزئت المرأة إذا ولدت أنثى، وأنشد:

إن أجزأت حُرَّة يومًا فلا عَجَب ... وقد تجزئُ الحُرة المِذكار أحيانا

ويجوز أن يكون الجن في قوله تعالى: ﴿شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ [الأنعام آية: ١٠٠]. الجن[٣] المعروف.

وكان بعض العرب يذهب[٤] إلى أن سروات الجن بنات الله، فرد الله ذلك بهذا القول وشرح ذلك جرى في كتابنا في التفسير.

الخامس[٥]: الخلق، قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف آية: ٣]، أي: خلقناه كذلك، وأحدثناه ومثله: ﴿جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [النمل آية: ٦١]، أي: خلقها صلبة يمكن الاستقرار عليها، ومثله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون آية: ٥٠]، أي: خلقه من غير ذكر، فصار عبرة وعلامة.

السادس[٦]: الحكم، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام آية: ١٣٦]، أي: حكموا بذلك.

والمراد أنهم حكموا بأن لله نصيبا في زروعهم ومواشيهم ولأصنامهم نصيبا فيها، وسماهم شركاءهم؛ لأنهم جعلوا بعض أموالهم لها، ثم كانوا يصرفون مما جعلوه [لله إلى أوثانهم فينفقونه عليها ولا يصرفون ما جعلوه][٧] لأوثانهم إلى ما يتقربون به إلى الله، وقيل الأنعام هاهنا البحيرة والسائبة.

فأما قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان آية: ٣١]،

---

(١) سقط من: ن.
(٢) في ت: والرابع.
(٣) سقط من: ن.
(٤) سقط من: ن.
(٥) في ت: والخامس.
(٦) في ت: والسادس.
(٧) سقط من: ن.

فمعناه أنه جعل نبيه عدوا له؛ لأنه فرض عليه محاربتهم ومناصبتهم، فإذا جعل النبي عدوا لهم، فقد جعلهم عدوا له، وليس معنى ذلك أنه أمره بعداوته وأرادها [منهم أو خلقها][١] فيهم لأنه لو فعل ذلك لم يذمهم عليه، وقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة آية: ٢٢٤]، أي: لا تجعلوا القسم بالله عرضة لإيمانكم فتكثروا الحلف، وكذلك: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل آية: ٩١]، أي: ضمنتموه ثوابكم على الوفاء بإيمانكم فلا[٢] تنقضوها.

الجناح

أصله الميل[٣]، ومنه قيل: جنحت السفينة، أي: مالت، وقال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال آية: ٦١]، وسمي الإثم جناحا، لأنه ميل إلى هوى النفس، وجنح الليل حين يميل، وقيل: حين تميل الشمس للمغيب، ومنه جناح الطائر، لأنهما في جانبيه ما يلين عن سواء جنبك.

والجناح في القرآن على وجهين:

الأول[٤]: الإثم، قال الله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ [البقرة آية: ٢٣٥]، أي: لا إثم عليكم في التعريض للمرأة المعتدة ترغبون في نكاحها، إذا خرجت من العدة، فأما التصريح بذلك، فهو إثم.

الثاني[٥]: الضرر، هو قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ [البقرة آية: ٢٨٢]، أي: إذا تبايعتم بالنقد فلا ضرر عليكم في ترك الكتاب والإشهاد، فإن قيل أن قوله: لا جناح عليكم في ترك ذلك في الحاضر، دليل على أن عليه جناحاً في تركه في النساء، قلنا: أراد بالجناح الضرر على ما ذكرنا، ولم يرد الإثم، ولو أراد الإثم لكان قوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [البقرة آية: ٢٨٣]، رخصة في تركه.

---

(١) في ن: منها وخلقها. (٢) في ت: ولا.

(٣) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (جنح): الجيم والنون والحاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على المَيْلِ والعُدْوان. ويقال جنح إلى كذا، أي مالَ إليه. وسمِّي الجَناحانِ جَناحَيْنِ لميلهما في الشِّقَّين. والجُنَاح: الإثم، سمّي بذلك لمَيْلِه عن طريق الحقّ.
وهذا هو الأصل ثمَّ يشتقّ منه، فيقال للطائفة من الليل جُنْح وجِنْح، كأنَّه شُبِّه بالجَناح، وهو طائفةٌ من جسم الطائر. والجوانح: الأضلاع: لأنها مائلة. وجُنِح البعيرُ إذا انكسرَتْ جَوانحهُ من حِمْلٍ ثقيل. وجَنَحَت الإبل في السَّيْر: أسرعت. فهذا من الجَناح، كأنَّها أعْمَلَت الأجنحة..

(٤) في ت: أحدهما. (٥) في ت: والثاني.

الجهاد[1]

الجهاد اسم إسلامي لم يعرف في الجاهلية، وهو قتال المشركين خاصة.

وأصله من الجهد[2]، وهو استفراغ الطاقة في الأمر، وهو جهد وجهد لغتان، ويقال: الجهد الطاقة نفسها، وبلغ الرجل جهده ومجهوده، إذا بلغ أقصى قوته.

والأرض الجهاد اليابسة لأن الرجل لا يحفرها إلا إذا بلغ مجهوده، والمجهود والجهد سواء، مثل: العقل والمعقول.

وجاهدت العدو إذا استفرغت قوتك في دفعه، والمفاعلة تكون من اثنين إلا في حرف جاءت نوادر منها طالبت الحاجة، وحاولت الشيء، وسافرت في الأرض.

والجهاد في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول[3]: الجهاد بالقول، قال الله تعالى: ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ [الفرقان آية: ٥٢]، وهذه الآية مكية نزلت قبل الأمر بالكتاب.

وهذا دليل على أنه أراد بها الجهاد بالقول، فيها دلالة على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يلزم على حسب الطاقة، يقول: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ﴾ [الفرقان آية: ٥٢]، أي: تترك طاعتك لهم فيما يريدونه من مقاربتك إياهم جهادا كبيرا.

والجهاد هو بذل المجهود في الشيء، وترك التقصير فيه، : ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ﴾ [الفرقان آية: ٥٢]، أي: بالقرآن الذي افتتح به أول السورة، والأول أجود.

الثاني[4]: الجهاد بالسلاح، قال الله تعالى: ﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ [التحريم آية: ٩]، وقال: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص٣١٩.

(٢) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (جهد): الجيم والهاء والدال أصلُهُ المشقَّة، ثم يُحمَل عليه ما يقارِبُه. يقال جَهَدْتُ نفسي وأجْهَدت والجُهْد الطَّاقَة. قال الله تعالى: }والَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة ٧٩]. ويقال إنّ المجهود اللبن الذي أُخرِجَ زُبْده، ولا يكاد ذلك يكونُ إلّا بمشقّةٍ ونَصَب. قال الشّمّاخ:

تُضْحِ وقد ضَمِنَتْ ضَرّاتُها غُرَقاً ... مِنْ طَيِّبِ الطَّعْمِ حُلْوٍ غَيْرِ مَجْهُودِ

ومما يقارب البابَ الجَهادُ، وهي الأرض الصُّلبة. وفلانٌ يَجْهَد الطّعامَ، إذا حَمَل عليه بالأكل الكثير الشديد. والجاهد: الشَّهْوان. ومَرْعىً جَهِيدٌ: جَهَدَهُ المالُ لِطِيبه فأكَلَه.

(٣) في ت: أولها. (٤) في ت: والثاني.

سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء آية: ٩٥]، ثم قال: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء آية: ٩٥] كذا قال مقاتل.

وهو غلط؛ لأن المنافق لا يقاتل ولا يقتل، لأنه إذا أظهر الإسلام حقن دمه، وإنما المراد أن جاهد الكفار بالسلاح والمنافقين بالغلظة عليهم والتنكير لهم، وقيل: جاهدهم بإقامة الحدود عليهم، وكانوا هم الذين تصيبونها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما كانوا عليه في الجاهلية.

الثالث[١]: الاجتهاد في العمل، قال تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ [العنكبوت آية: ٦]، أي: من يعمل الخير مجتهدا فإنما يعمل لنفسه، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا﴾ [العنكبوت آية: ٦٩]، أي: عملوا لنا: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت آية: ٦٩]، أي: يزيدهم إلطافا ويزدادون معها من الطاعة فتعلو درجاتهم، وقال: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج آية: ٧٨]، أي: اعملوا لله حق العمل، هكذا[٢] فسر هذه الآيات ويجوز أن تكون بمعنى جهاد المشركين.

الجدال

أصله من الجدل[٣]، وهو الفتل، يقال: جدلت الحبل جدلا إذا فتلته، وهو

---

(١) في ت: والثالث.

(٢) في ت: هذا.

(٣) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (جدل): الجيم والدال واللام أصلٌ واحدٌ، وهو من باب استحكام الشيء في استرسالٍ يكون فيه، وامتدادِ الخصومة ومراجعةِ الكلام. وهو القياس الذي ذكرناه.
ويقال للزّمام المُمَرّ جَديل. والجَدْوَل: نهر صغيرٌ، وهو ممتدٌّ، وماؤُه أقْوى في اجتماع أجزائه من المنبطح السائح. ورجلٌ مجدولٌ، إذا كان قَضِيف الخِلْقة من غير هُزَال. وغلام جادِلٌ إذا اشتدّ. والجُدُول: الأعضاء، واحدها جَدْل. والجادل من أولاد الإبل: فوق الرَّاشح. والدِّرع المجدولة: المحكمة العَمَل. ويقال جَدَلَ الحَبُّ في سُنْبُله: قَوِيَ. والأجدَل: الصَّقر؛ سمِّي بذلك لقوّته. قال ذو الرمة يذكر حَميراً في عَدْوِها:

كأنَّهُنَّ خَوافي أجْدَلٍ قَرِمٍ ... وَلَّى ليسبِقَه بالأمْعَزِ الخَرَبُ

الخَرَبُ: الذّكَر من الحبارى. أراد: ولّى الْخَرَب ليسبِقَه ويطلبه.
ومن الباب الجَدَالة، هي الأرض، وهي صُلْبة. قال:

قد أركبُ الآلَةَ بَعْدَ الآلَهْ ... وأتركُ العاجِزَ بالجَدالهْ

ولذلك يقال طعَنَه فجدَّلَه، أي رماه بالأرض. والمِجْدل: القَصْر، وهو قياسُ الباب. قال:

في مِجْدَلٍ شُيِّدَ بنيانُهُ ... يَزِلُّ عنه ظُفُرُ الطائرِ

والجَدَال: الخَلال، الواحدة جَدالة، وذلك أنّه صُلْبٌ غير نضيجٍ، وهو في أوّل أحواله إذا كان =

مجدول، وأصل الكلمة من القوة، ثم سميت الأرض جداله لقوتها، وسمي الجدال جدالا لأنك تقوم به حق القيام، لتقوي مذهبك، كما أن الحبل يجدل القول، والأجدل الصقر، وسمي بذلك لقوته، ويجوز أن يقال: الجدال هو أن تفتل الخصم عن مذهبه بحجة أو شبهه أو شغب، ويفتلك عن مذهبك بمثل ذلك.

والجدال في القرآن على أربعة أوجه:

الأول[١]: الخصومة، قال: ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾ [الرعد آية: ١٣]، أي: يخاصمون، وقال: ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [غافر آية: ٥].

الثاني: السؤال، قال الله: ﴿يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود آية: ٧٤]، أي: تسأل رسلنا ويستثبت أمر ما يعذب به قوم لوط، وقال أبو علي: جادلهم بما استحقوا عذاب الاستئصال، وهل ذلك واقع بهم لا محالة، أم هم إخافة ليقبلوا إلى الطاعة، وهذا يقوي ما تقدم من[٢] أنه سؤال.

الثالث: المناظرة على إثبات الحق وإبطال الباطل، قال تعالى: ﴿يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا﴾ [هود آية: ٣٢]، وفي هذا دليل على أن الجدال لإقامة الحجة حسن، وأنه يقوم به الحجة ولولا ذلك لم يجادل نوح عليه السلام.

وقد يكون المناظران محقين بأن يكون كل واحد منهما يناظر ليعرف الحق، ولا يكونان متجادلين إلا وأحدهما مبطل أو كلاهما؛ لأن الجدال هو فتل الخصم عن مذهبه، وفتل الحق عن الحق باطل، قال الله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا﴾ [الزخرف آية: ٥٨]، وقد عاب الله تعالى من[٣] جادل في آياته بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ [غافر آية: ٣٥]، لأن الجدال بها هو الصحيح، والجدال فيها رد ودفع.

الرابع: المراء، قال الله: ﴿وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة آية: ١٩٧]، فنهى عن المراء الواقع بين المترافقين في طريق الحج، لأن لا يؤديهما ذلك إن فعلاه إلى

= أخضرَ. قال:

يـخِرُّ عـلـى أيـدي الـسُّـقَـاة جـدَالُـهـا

وجَدِيلٌ: فحلٌ معروف. قال الرّاعي:

صُـهْـبـاً تُـنـاسِـبُ شَـدْقـمـاً وجَـدِيـلاَ

(١) في ت: أولها.
(٢) في ت: مثل.
(٣) في ت: في.

قول ما لا ينبغي تعظيما لأمر الحج.

وقيل معناه: أن الحج قد تبين وجوهه فلا ينسى ولا يشك فيه، ونحوه: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر آية: ٤] أي: لا يماري، والمراء أن تستخرج ما عند خصمك بالمناظرة، وأصله من المري، وهو استخراج اللبن من الضرع.

الجن

أصله الستر(١)، ومنه الجنة وهي البستان الذي تشتبك فيه الشجر، حتى يستر من يدخله.

والجنة السلاح، لأنها تستر عورة صاحبه عن قرنه، يقال: أعور الفارس إذا انكشف منه موضع للضرب أو الطعن.

والمجنون المستور على عقله، وقد جن وأجنه الله، ولا يقال جنه، ومثله أجده الله وهو مجدود، وقد جد ولا يقال: جده الله وليس مجدوداً من أحد، لأن ذلك نقص للأصل، وإنما هو على معنى أن ذلك فيه، وكذلك أجنة الله، وهو مجنون، أي: فيه جنون وليس مجنون من أجن.

---

(١) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (جن): الجيم والنون أصل واحد، وهو [السَّتْر و] التستُّر. فالجنَّة ما يصير إليه المسلمون في الآخرة، وهو ثواب مستورٌ عنهم اليومَ. والجَنّة البستان، وهو ذاك لأنّ الشجر بِوَرَقه يَستُر. وناسٌ يقولون: الجَنّة عند العرب النَّخْل الطِّوَال، ويحتجُّون بقول زهير:

كــأنَّ عَـيْـنَـيَّ فـي غَـرْبَـيْ مُـقَـتَّـلَـةٍ ... مِـن الـنَّـواضـح تَـسْـقِـي جَـنَّـةً سُـحُـقـا

والجنين: الولد في بطن أُمّه. والجنين: المقبور. والجَنَان: القَلْب. والمِجَنُّ: الترسُ. وكلُّ ما استُتِر به من السِّلاح فهو جُنَّة. قال أبو عبيدة: السِّلاح ما قُوتِل به، والجُنّة ما اتُّقِيَ به. قال:

حيثُ تَرَى الـخيلَ بـالأبـطال عـابِـسَـةً ... يـنْـهَـضْـنَ بـالـهُـنْـدُوانـيّـاتِ والـجُـنَـنِ

والجِنّة: الجنون؛ وذلك أنّه يغطّي العقل. وجَنَانُ الليل: سوادُه وسَتْرُه الأشياءَ. قال:

ولـولا جَـنَـانُ الـلـيـلِ أدْرَكَ رَكْـضُـنـا ... بذِي الرِّمْث والأرْطَى عِياضَ بنَ ناشِبِ

ويقال جُنون الليل، والمعنى واحد. ويقال جُنَّ النَّبتُ جُنوناً إذا اشتدّ وخَرَج زهره. فهذا يمكن أن يكون من الجُنونِ استعارةً كما يُجنُّ الإنسان فيهيج، ثم يكون أصل الجنون ما ذكرناه من السَّتْر. والقياس صحيح. وجَنَان النّاس مُعْظَمُهم، ويسمَّى السَّوَادَ. والمَجَنّة الجنون. فأمّا الحيّة الذي يسمَّى الجانَّ فهو تشبيهٌ له بالواحد من الجانّ. والجنُّ سُمُّوا بذلك لأنهم متستِّرون عن أعيُنِ الخَلْق. قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف ٢٧]. والجناجنِ: عظام الصَّدْر.

والولد ما دام في بطن أمه جنين، والجمع أجنة، لأنه مستور، وفي القرآن: ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النجم آية: ٣٢].

والجان يقع على واحد من الجن، والجن مثل الإنس يقع على الجمع.

والجن في القرآن على وجهين:

الأول[(١)]: الملائكة، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ [الأنعام آية: ١٠٠]، يعني: الملائكة، وذلك أنهم كانوا عبدوها[(٢)]، وسماهم جنا؛ لأنهم مستورون عن الأبصار.

وذكر بعض المفسرين أنهم الجن، وليسوا بملائكة، وكانت العرب تعبد الجن، وتذهب إلى أن سروات الجن بنات الله، وفي الخبر أنه لما هدمت العزى خرجت منها جنية منفشة شعرها تدعو بالويل فحمل خالد بن الوليد عليها فقتلها.

الثاني[(٣)]: الجن المعروف من غير خلاف، قال الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات آية: ٥٦] ويجوز أن تدخل الملائكة في ذلك، وقوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الأحقاف آية: ٢٩].

---

(١) في ت: أحدهما. (٢) في ن: عبدوهما. (٣) في ت: والآخر.

الباب السادس

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله حاء

الحسنة[1]

أصل الكلمة القبول[2]، والحسن ما تقبله النفس إذا رأته، والحسنة الخصلة التي تقبلها النفس.

والإحسان ما تشتهيه النفس وتقبله، ونقيضه الإساءة، وهي التي تكرهها وتردها، ويقال: حسن الشيء، وهو حسن على غير الأصل، وإنما الأصل حسين كما يقال: قبح وهو قبيح، ويجوز أن يقال: حسن أحسن من حسن، ولا يقال: صدق أصدق من صدق، ولأن الحسن فاعل، والفاعل يصح فيه أفعل، والصدق مصدر[3] ولا يصح في المصادر ذلك ولو لم يكن حسن أحسن من حسن لم يكن للمبالغ في قولهم: ما أحسن زيدا فائدة، ويقولون هذه الخصلة الحسنى، والمرأة الحسناء.

ولا يقال في التذكير أحسن، ولا يجوز أن يوصف الله بالحسن؛ لأن الحسن حال في الحسن ألا تراه يقبح بعد أن كان حسنا، ولا يجوز أن يكون الله محلا للأشياء، ولا يجوز أن يقال بأن الله حسن في العقل أيضا؛ لأنه لا يتصور للعقول

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٤٧.

(٢) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (حسن): الحاء والسين والنون أصلٌ واحد. فالحُسن ضِدُّ القبح. يقال رجلٌ حسن وامرَأة حسناءُ وحُسّانَةٌ. قال:

دارَ الفَتاةِ التي كُنّا نقولُ لها ... يا ظَبيةً عُطُلاً حُسّانَةَ الجِيدِ

وليس في الباب إلّا هذا. ويقولون: الحسَن: جَبَل، وحَبْلٌ من حبال الرمل. قال:

لأمِّ الأرضِ وَيْلٌ ما أجَنَّتْ ... غداةَ أضَرَّ بالحَسَنِ السَّبيلُ

والمحاسنُ من الإنسان وغيره: ضدُّ المساوي. والحسن من الذراع: النصف الذي يلي الكوع، وأحسِبه سمّي بذلك مقابلةً بالنِّصف الآخر؛ لأنّهم يسمُّون النصف الذي يلي المِرفَق القبيح، وهو الذي يقال له كِسْرُ قبيح. قال:

لو كنتَ عيراً كُنتَ عَيْرَ مذَلَّةٍ ... ولو كنت كِسْراً كنت كِسْرَ قبيحِ

(٣) في ت: المصدر.

فيحسن فيها كالحكمة والصلاح الحسن في العقول لتصوره لها.

والحسنة في القرآن على خمسة أوجه:

الأول: النصرة والغنيمة، قال الله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ [آل عمران آية: ١٢٠] يعني: ما كانت لهم من الدولة يوم بدر، وكذلك المعنى في هذه الآية من سورة النساء وبراءة، وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران آية: ١٢٠] يعني: القتل والهزيمة؛ هكذا جاء في التفسير.

ويجوز عندنا أن يدخل في الحسنة هاهنا جميع ما ينالهم من المحبوب، وفي السيئة جميع ما يصيبهم من المكروه.

الثاني[1]: العمل الصالح، قال الله تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام آية: ١٦٠]، وقوله: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ [النمل آية: ٨٩] والسيئة التي في هاتين الآيتين بمعنى المعصية، وقرئ: ﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام آية: ١٦٠] [بالإضافة أي: عشر حسنات أمثالها وقرئ: ﴿عَشْرٌ أَمْثَالُهَا﴾][2] على أن أمثالها من صفة العشر.

فإن قيل: كيف قال: ﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام آية: ١٦٠] والمثل مذكر؟ قلنا: لأنه مضاف إلى مؤنث، وهي في المعنى أيضا حسنة أو درجة فأنت على المعنى، وأراد بذكر العشر التكثير ولم يرد عشر بعينها، كما تقول: إن كلمتني واحدة كلمتك عشرا؛ وكذلك قوله: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [التوبة آية: ٨٠] أراد التكثير، ولم يرد عددا بعينه، ألا ترى أنه لو زاد على السبعين لم يغفر الله لهم أيضا.

الثالث[3]: الخصب والسعة، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ﴾ [النساء آية: ٧٨]، يقول إن أصابهم خير وسعة وخصب نسبوه إلى الله تعالى، وإن أصابهم ضيق وقحط نسبوه إليك، وقالوا: إنما نالنا ذلك من شؤمك، ومثله قوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ [الأعراف آية: ٩٥]، أي: بدل الضيق بالسعة، ومثله: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ [الأعراف آية: ١٦٨]، أي: اختبرناهم بالضيق والسعة والبلوى.

والاختبار والتجربة سواء، وحقيقة معناه فعل ما يحدث معه العلم بالمبلو

---

(١) في ت: والثاني. (٢) سقط من: ن. (٣) في ت: والثالث.

المختبر، ولا يجوز ذلك على الله، لأنه عالم بنفسه.

وإنما المراد أنه يكلف عباده ويأمرهم وينهاهم، لأن الابتلاء والامتحان هو الأمر والنهي، فسمى الله تكليفه وأمره عباده ابتلاء من هذا[١] الوجه على سبيل التوسع.

ولا يجوز أن يقال أنه يجرد عباده، وإن كان الابتلاء والتجريد بمعنى واحد، وذلك أن استعمال الابتلاء في الله مجاز، والمجاز لا يقاس عليه، وإنما يقاس على الحقائق، ولولا أن أهل اللغة استعملوا الابتلاء [في الله لم يجز استعماله فيه والعلة التي في الابتلاء ليست في التجربة وهي الاستعمال][٢].

ولو جاز القياس على المجاز لجاز أن تقول: سل الحمار وسل الشاة، وأنت تريد صاحبها، كما جاء: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف آية: ٨٢] أي: أهلها، وفي امتناع ذلك دليل على ما قلنا.

الرابع[٣]: العافية والسلامة، قال الله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [الرعد آية: ٦]، يعني: أنهم يريدون تقديم العذاب لهم في الدنيا على ما هم فيه من العافية فيها، وقوله: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال آية: ٣٢].

الخامس: العفو والمعروف من القول، قال: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [الرعد آية: ٢٢]، أي: يدفعون القول القبيح المؤذي بالقول الحسن مرة وبالعفو أخرى، والمعنى أنهم يتغافلون عنه فينقطع[٤]، وكأنهم دفعوه[٥]، ولو أجابوا عنه زيد فيه.

وقيل: معناه أنهم يدفعون بما يعملون من الحسنات ما تقدم لهم من السيئات، قاله الزجاج، وهو غلط لأن ما تقدم لا يدفع، وإنما يقال ذلك في المستقبل، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت آية: ٣٤]، أمره بالصفح والتغافل.

والمعنى لا تستوي الحسنة والسيئة، ولا دخلت تأكيدا، و: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، أي: ادفع السيئة، ومما يلحق بما تقدم أن حد الحسن الفعل الذي

---

(١) في ن: هذه.
(٢) سقط من: ن.
(٣) في ت: والرابع.
(٤) في ن: فيقطع.
(٥) في ن: دفعوا.

يدعوا إليه العقل، وحد القبيح الفعل الذي يزجر عنه العقل، والإحسان الدفع الحسن، والإساءة الضرر القبيح.

وكل فعل مقصود لا يخلو من أن يكون حسنا أو قبيحا، وتدخل في الحسنة الفرائض والنوافل، ولا يدخل فيها المباح؛ لأن الحسنة مرغب فيها ولا يجوز أن يرغب في المباح؛ لأن ذلك قبيح، والمباح(١) حسن وليس بحسنة.

الحبل

أصله من الإمساك(٢)، ومنه قيل: الحابول للحبل الذي يصعد به في النخلة، والحبالة شبكة الصائد، والمحتبل الصائد، وكذلك الحابل.

---

(١) في ت: فالمباح.

(٢) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (حبل): الحاء والباء واللام أصلٌ واحدٌ يدلُّ على امتداد الشيء. ثمّ يحمل عليه، ومَرْجِع الفروع مرجعٌ واحد. فالحبل الرَّسَن، معروف، والجمع حِبال. والحبل: حبل العاتق. والحَبل: القطعة من الرّمل يستطيل.

والمحمول عليه الحَبْل، وهو العهد. قال الأعشى:

وإذا تُجَوِّزُها حبالُ قبيلةٍ أخذت من الأخرى إليك حبالَها

ويريد الأمانَ وعُهودَ الخُفارة. يريد أنّه يُخفَر من قبيلةٍ حتّى يصل إلى قبيلةٍ أخرى، فتخفر هذه حتّى تبلغ. والحِبالة: حِبالة الصائد. ويقال احتَبَلَ الصّيدَ، إذا صادَهُ بالحبالة. قال الكميت:

ولا تجعلوني في رجائِيَ وُدَّكُمْ كَراجٍ على بيض الأنوق احتبالَها

لا تجعلوني كَمنْ رجا مَن لا يكون؛ لأنّ الرخَمَة لا يُوصَل إليها، فمَنْ رجا أن يَصِيدَها على بيضها فقد رجا ما لا يكون.

وأمّا قول لبيد:

ولقد أغدُو وما يُعْدِمُني صاحبٌ غَيْرُ طويلِ المحْتَبَلْ

فإنّه يريد بمحتَبَلِهِ أرساغَه، لأنّ الحبلَ يكون فيها إذا شُكِلَ. ويقال للواقف مكانَه لا يفرّ. "حَبِيلُ بَرَاحٍ"، كأنّه محبولٌ، أي قد شُدّ بالحِبال. وزعم ناسٌ أنّ الأسدَ يقال له حَبِيلُ بَرَاحٍ.

ومنَ المشتق من هذا الأصلِ الحِبْل، بكسر الحاء، وهي الداهية. قال:

فلا تَعْجَلِي يا عَزَّ أنْ تتفهَّمِي بنُصْحٍ أتَى الواشونَ أم بِحُبولِ

ووجْهُهُ عندي أنّ الإنسان إذا دُهِي فكأنّه قد حُبِل، أي وقعَ في الحِبالة، كالصَّيد الذي يُحبَل. وليس هذا ببعيدٍ.

ومن الباب الحَبَل، وهو الحَمْل، وذلك أن الأيّام تَمْتَدُّ به. وأمّا الكَرْم فيقال له حَبْلة وحَبَلَة، وهو من الباب، لأنه في نباتِهِ كالأرشية. وأما الحُبْلَة فثمر العِضاه. وقال سعد بن أبي وقّاص: "كنا نَغزُو مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وما لنا طعامٌ إلّا الحُبْلَة وورق السَّمُر". وفيما أحسب أنّ الحُبْلَة، وهي حَلْي يُجعَل في القلائد، من هذا، ولعلَّه مشبَّه بثمرِهِ. قال:

ويَزِينها في النَّحر حَلْيٌ واضِحٌ وقلائدٌ من حُبْلَةٍ وسُلُوسِ

وهو في القرآن على وجهين:

الأول[١]: القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران آية: ١٠٣]، أي: بكتابه، وسماه حبلا لما فيه من توكيد الحجج والبيان، كما يؤكد العهد، والحبل عند العرب العهد.

الثاني[٢]: الأمان، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران آية: ١١٢]، أي: بأمان، قال الأعشى:

وإذا تُجاوزها حِبَال قَبِيلَة أخـ ـذت مِنَ الأُخرَى إلَيكَ حِبَالها

ومعنى الآية أن اليهود لا يزالون مقهورين أذلاء إلا أن يأخذوا بحبل الله، أي: إلا أن يكونوا ذمة للمسلمين، وعنى بالناس النبي عليه السلام والمسلمين، وهذا خبر غيب، وفيه دلالة على صحة الدعوة، وقال: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران آية: ١١٢]، أي: من أولياء الله.

ويجوز أن يكون عنى قولك لمن تعاهده إذا فعلت كذا، فأنت أمين بأمان الله وأمان الرسول.

وقال الفراء: أراد إلا أن يعتصموا بحبل من الله فحذف لبيان المعنى، وقال الأخفش: هذا مثل قوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ [آل عمران آية: ١١١]، وهو[٣] استثناء خارج من أول الكلام، وهو بمعنى لكن، وليس بأشد من قوله[٤]﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا﴾ [مريم آية: ٦٢].

الحسنى[٥]

قد مضى القول فيها قبل.

وجاءت في القرآن على أربعة أوجه:

الأول[٦]: الخلف من النفقة في سبيل الله، وهو قوله: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ [الليل آية: ٦]، ومثله قوله: ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩﴾ [الليل آية: ٩]، أي: بما يخلفه الله عليه في الآخرة.

الثاني[٧]: الخير، قال الله تعالى: ﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [التوبة آية: ١٠٧]،

---

(١) في ت: أحدهما.
(٢) في ت: والآخر.
(٣) في ت: فهو.
(٤) في ن: قولك.
(٥) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٤٩.
(٦) في ت: أولها.
(٧) في ت: والثاني.

أي: الخير وتأنيثها على معنى الخصلة والحلة والحال، وهي تأنيث الأحسن فكأنه سمى الخير خصلة أو حلة، وقد يقع ذلك على الخير والشر، يقول هذه خصلة محمودة يعني: الخير، وهذه خصلة مذمومة، يعني: الشر.

الثالث(١): الجنة، قال الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس آية: ٢٦]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ [الأنبياء آية: ١٠١]، يعني: الجنة كذا قيل، ويجوز أن يكون المعنى: الذين سبقت لهم منا الحسنى العدة الحسنة، وهم المؤمنون لأن الله وعدهم أحسن العدة.

الرابع(٢): الهداية، قال الله تعالى: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾ [النحل آية: ٦٢]، أي: يزعمون مع قبح فعلهم أنهم على الهداية، وجاء في التفسير أن الحسنى هاهنا اليقين.

والمراد تصف ألسنتهم أن لهم الحسنى بدل، أي: اليقين، وهم كاذبون في ذلك، أي: هم في شك أو شبهة وإن بدل من الكذب المعنى، وتصف ألسنتهم أن لهم الحسنى، وذلك الكذب لا جرم أن لهم النار رد لقولهم المعني جرم فعلهم هذا أن لهم النار، أي: كسب، والجرم الكسب.

وقال قطرب: أن في موضع رفع، والمعنى وجب أن لهم النار، وأنهم مفرطون مقدمون للنار، وقرئ ﴿مُفَرَّطُونَ﴾ بفتح الراء مع التشديد، أي: متروكون كأنهم جعلوا مقدمين إلى العذاب متروكين فيه، وقرئ ﴿مُفَرِّطُونَ﴾ بكسر الراء وتشديده أي: فرطوا في الدنيا.

الحسن(٣)

على ثلاثة أوجه:

الأول(٤): قوله عز وجل: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة آية: ٨٣]، وهي قراءة أي: حقا كذا قيل، ويجوز أن يكون المراد أن قولوا لهم قولا حسنا، وهو أولى؛ لأنه على مقتضى اللفظ.

الثاني(٥): بمعنى المحتسب، وقال تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾

---

(١) في ت: والثالث.
(٢) في ت: والرابع.
(٣) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٦٠.
(٤) في ت: أولها.
(٥) في ت: والثاني.

[البقرة آية: ٢٤٥]، أي: محتسبا كذا قيل، ويجوز أن يقال: أن القرض الحسن هو للبر والصدقة التي لا مَنَّ فيها، وسمي ذلك قرضا؛ لأنه يقرض من المال أي: يقطع منه، والقرض القطع، ويجوز أن يكون سماه قرضا؛ لأنه يرد عليه جزاءه، فكأنه رد عليه بعينه كالقرض يرد على المقرض.

الثالث[1]: الجنة، قال الله[2]: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾ [القصص آية: ٦١]، يعني: الجنة، ويجوز أن يكون حسنا أي: حسن المسموع.

الحكمة[3]

أصلها المنع[4]، يقال: أحكمت الرجل عن كذا، أي: منعته عنه، وسميت الكلمة الواعظة حكمة، لأنها تمنع عن التورط في الجهل، ومن ثم قيل: حكمة الراية، وقال جرير:

أَبَنِي حَنِيفَةَ احكُمُوا سُفَهَاءَكُم   إِنِّي أَخَافُ عَلَيكُم أَن أَغضَبَا

وسمي الحكم حكما؛ لأنه إذا تم منع عن التخاصم، وسمي العلم حكمة؛ لأنه[5] يمنع صاحبه من الموارد القبيحة التي يردها الجاهل.

وتسمية الله بأنه حكيم على وجهين:

أحدهما: يستحقه لذاته، وهو أنه عالم.

والآخر: يستحقه لفعله، وهو أن أفعاله محكمة، وفعيل بمعنى مفعل معروف في اللغة، يقال: سميع بمعنى مسمع، قال عمرو بن معدي كرب:

---

(١) في ت: والثالث.   (٢) في ت: تعالى.

(٣) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٩١.

(٤) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (حكم) الحاء والكاف والميم أصلٌ واحد، وهو المنْع. وأوّل ذلك الحُكْم، وهو المَنْع من الظُّلْم. وسمِّيَتْ حَكَمة الدابّة لأنها تمنعُها يقال حَكَمْت الدابّةَ وأَحْكَمتها. ويقال: حكَمت السَّفيهَ وأحكمتُه، إذا أخذتَ على يديه. قال جرير:

أبَنِي حَنيفة أحْكِمُوا سُفهاءَكم   إنّي أخاف عليكم أن أغْضَبَا

والحِكمة هذا قياسُها، لأنها تمنع من الجهل. وتقول: حكَّمت فلاناً تحكيماً منعتُه عمّا يريد. وحُكِّم فلانٌ في كذا، إذا جُعِل أمرُه إليه. والمحكَّم: المجرِّب المنسوب إلى الحكمة. قال طرفة:

ليت المحكَّمَ والموعوظَ صَوْتَكُما   تحتَ التُّرَاب إذا ما الباطلُ انكشَفَا

أراد بالمحكَّم الشيخَ المنسوبَ إلى الحكمة. وفي الحديث: "إنّ الجنة للمحكَّمين" وهم قومٌ حُكِّمُوا مخيَّرين بين القَتل والثّبات على الإسلام وبين الكفر، فاختارُوا الثّباتَ على الإسلام مع القتل، فسُمُّوا المحكمين..

(٥) في ت: لأنها.

أمــن ريــحــانــة الــداعــي الــســمــيــع

ويجيء فعيل بمعنى مفعل، وفي القرآن: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [الدخان آية: ٤]، وبصير بمعنى مبصر، وهذا من الأول.

والحكمة في القرآن على خمسة أوجه:

الأول: الحلال والحرام والسنن والأحكام، قال الله: ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [البقرة آية: ٢٣١]، فالكتاب القرآن، والحكمة ما فيه من وجوه التحليل والتحريم ومعرفة الشريعة كلها، والدليل على صحة ذلك أنه أتى بذلك بعد بيان الأحكام، وشرح الحلال والحرام، وسمي ذلك حكمة؛ لأنه يمنع من الوقوع في المحظور، ومثله: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران آية: ٤٣].

الثاني[١]: الفهم والعلم، قال الله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان آية: ١٢]، وقال: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم آية: ١٢]، يعنى الحكمة، وهو الفهم والعلم والحكمة والحكم سواء، وهو مثل العذر والعذرة، والقل والقلة، والنحل والنحلة، وهي[٢] العطية والخير والخيرة.

ومثله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ [الأنعام آية: ٨٩]، يعني: الفهم، وقال: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف آية: ٢٢]، ويجوز أن يكون الحكم هنا القضاء، أي: جعله قاضيا بين الناس، وقال: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران آية: ٤٣]، [أي: علمناه الخط، يقال: كتب كتابا، والحكمة:][٣] ما أجري على لسانه من الكلم الداعية إلى الرشد الزاجرة عن الغي، وقيل: الحكمة هنا الشرائع.

الثالث[٤]: النبوة، قال: ﴿ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء آية: ٥٤]، يعني: النبوة، ومثله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص آية: ٢٠]، يعني: النبوة، والفصل الذي ينفصل به بين المتخاصمين، وقيل: فصل الخطاب هو أما بعد وداود أول من قاله، والأول الوجه. ومثله: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة آية: ٢٥١]، أي: النبوة، أي: أتى الله داود الملك والحكمة بعد قتل جالوت، فدل على أن ملك جالوت انتقل إلى داود بعد قتله جالوت أو بعد موت طالوت.

---

(١) في ت: والثاني.
(٢) في ن: وهو.
(٣) سقط من: ت.
(٤) في ت: والثالث.

الرابع[١]: **تفسير القرآن، قال:** ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة آية: ٢٦٩]، قالوا: يعنى العلم بتفسير القرآن، ويجوز أن تكون الحكمة القرآن نفسه، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء آية: ٣٩].

ويجوز أن تكون النبوة والشاهد قوله: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء آية: ٥٤]، ويجوز أن يكون العلم والأصالة كقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان آية: ١٢]، وجماع الحكمة، والحكم الرد إلى الصواب [فكل ما رد إلى الصواب حكمة وحكمه التامة من ذل؛ لأنها ترد إلى القصد][٢].

الخامس[٣]: **القرآن، قال:** ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل آية: ١٢٥] يعني القرآن ونظيره: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء آية: ٣٩]، ويجوز أن يكون المعنى في قوله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ﴾ [النحل آية: ١٢٥]، القرآن، وغيره من الكلم المرشدة الزاجرة، وكل ذلك تسمى حكمة.

الحشر[٤]

أصل الحشر الجمع مع السوق[٥]، قال الله تعالى: ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾

---

(١) في ت: والرابع.
(٢) سقط من: ن.
(٣) في ت: والخامس.
(٤) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٦٣.
(٥) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (حشر) الحاء والشين والراء قريبُ المعنى من الذي قبلِه، وفيه زيادةُ معنىً، وهو السّوق والبعثُ والانبعاث.
وأهل اللغة يقولون: الحشر الجمع مع سَوْقٍ، وكلُّ جمعٍ حَشْر. والعرب تقول: حَشَرَتْ مالَ بني فلانٍ السنةُ كأنّها جمعته، ذهبت به وأتَتْ عليه. قال رؤبة:

وما نجا من حَشْرِها المحشوشِ وحْشٌ ولا طَمْشٌ من الطُّموشِ

ويقال أُذُنٌ حَشْرَةٌ، إذا كانت مجتمِعة الخَلْق. قال:

لها أذُنٌ حَشْرَةٌ مَشْرَةٌ كإعْلِيطِ مَرْخٍ إذا ما صَفِرْ

ومن أسماء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "الحاشر"، معناه أنّه يحشر النّاس على قدمَيه، كأنّه يقدُمُهم يوم القِيامة وهم خلْفه. ومحتملٌ أن يكون لَمّا كان آخِرَ الأنبياء حُشِر النّاس في زمانه.
وحشرات الأرض: دوابُّها الصغار، كاليرابيع والضِّباب وما أشبهها، فسمِّيت بذلك لكثرتها وانسياقها وانبعاثها. والحَشْوَرُ من الرّجال: العظيم الخَلْق أو البطن.
وممّا شذّ عن الأصل قولهم للرجل الخفيف حَشْرٌ. والحَشْر من القُذَذ: ما لَطُف. وسِنانٌ حَشْرٌ، أي دقيق؛ وقد حَشَرْته..

[الشعراء آية: ٣٦]، أي: رجالا يجمعون[١] السحرة إليك، ويقال: حشرت القوم إذا جمعتهم وسقتهم، ويجوز أن يكون أصله من الخفة كأن الذي تحشره يخف لك، ولهذا قيل: إذن حشرة، أي: حقيقة، وسهم حشرات خفيف، وحشرات الأرض صغار دوابها، وناقة حشور ملززة الحلق، وقيل: المنتفخة الجنين العظيمة البطن كأنها من الأضداد.

وفسر الحشر في القرآن على وجهين:

الأول[٢]: الجمع، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس آية: ٢٨]، أي: نجمعهم، قال: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف آية: ٤٧]، ومثله: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ [التكوير آية: ٥]، أي: جمعت، وقوله: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ﴾ [النمل آية: ١٧]، وقال: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات آية: ٢٢]، ولا يكون هذا بمعنى السوق، لأنه يقال: ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝٢٢ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الصافات الآيتان: ٢٢-٢٣]، يعني: الأصنام، والأصنام لا تساق، ولكن يجمع على أنه يقال في الجماد والأغراض السوق على سبيل المجاز.

الثاني[٣]: السَّوق، قال الله: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء آية: ٩٧]، أي: نسوقهم، وقال: الأول الحشر يعني: سوقهم إلى الشام، وجعله أولا لأن الناس يحشرون إلى الشام يوم القيامة، أي: يجمعون ويساقون، وهؤلاء بنو النضير، أخرجهم الله من ديارهم واعتمها النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لأول الحشر، أي: هو أول ما حشروا: ﴿وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾ [آل عمران آية: ١٩٥]، وهذا أصح وأقرب.

الحق[٤]

الحق[٥]: العقد على المعنى على ما هو به، ويدعو إليه الحكمة، والحق في

(١) في ن: يجتمعون. (٢) في ت: أحدهما.
(٣) في ت: والثاني.
(٤) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٧٢.
(٥) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (حق): الحاء والقاف أصلٌ واحد، وهو يدل على إحكام الشيء وصحّته. فالحقُّ نقيضُ الباطل، ثم يرجع كلُّ فرع إليه بجَودة الاستخراج وحُسْن التّلفيق ويقال حَقَّ الشيءُ وجَبَ. قال الكسائيّ: يقول العرب: "إنك لتعرف الحَقَّةَ عليك، وتُعْفي =

الدين ما شهد به الدليل على الثقة فيما طريقه العلم والقوة فيما طريقه غالب الظن.

= بما لَدَيْكَ". ويقولون: "لَمَّا عَرَف الحِقَّةَ منّي انْكَسَرَ". ويقال حاقّ فلانٌ فلاناً، إذا ادّعى كلُّ واحدٍ منهما، فإذا غَلَبَه على الحقِّ قيل حَقَّه وأحَقَّه. واحتَقَّ الناس من الدَّيْنِ، إذا ادَّعى كلُّ واحدٍ الحقَّ. وفي حديث عليّ عليه السلام: "إذا بلغَ النِّساء نَصَّ الحِقاقِ فالعَصَبَةُ أَوْلى". قال أبو عبيدٍ: يريدُ الإدراكَ وبُلوغَ العقل. والحِقاقُ أن تقول هذه أنا أحقُّ، ويقولَ أولئك نحنُ أحقّ. حاقَقْتُه حِقاقاً. ومن قال "نَصَّ الحقائق" أراد جمع الحقيقة. ويقال للرجُلِ إذا خاصَمَ في صغار الأشياء: "إنَّه لَنَزِقُ الحِقاق" ويقال طَعْنَةٌ مُحْتَقَّةٌ، إذا وصلَتْ إلى الجوف لشدَّتها، ويقال هي التي تُطعَن في حُقِّ الورِك. قال الهذلي:

وَهَلاً وقد شَرِعَ الأسِنّةَ نحوَها مِن بينِ مُحْتَقٍّ بها ومُشَرِّمِ

وقال قومٌ: المحتقُّ الذي يُقتَل مكانَه. ويقال ثوبٌ مُحَقَّقٌ، إذا كان محكم النَّسج. قال:

تَسَرْبَلْ جِلْدَ وَجهِ أبيك إنّا كَفَيناك المحَقَّقَة الرّقاقا

والحِقَّةُ من أولاد الإبل: ما استحقَّ أن يُحمَل عليه، والجمع الحِقاق. قال الأعشى:

وهُمُ ما هُمُ إذا عزَّت الخَمْـ ـرُ وقامت زِقاقُهم والحِقاقُ

يقول: يباع زقٌّ منها بحِق. وفلان حامِي الحقيقة، إذا حَمَى ما يَحقُّ عليه أن يحمِيه؛ ويقال الحقيقة: الراية. قال الهذليّ:

حامِي الحقيقة نَسَّالُ الوَديقة مِعْـ ـتاقُ الوَسيقة لا نِكسٌ ولا وانِ

والأحقّ من الخيل: الذي لا يعْرَق؛ وهو من الباب؛ لأن ذلك يكون لصلابته وقوّته وإحكامه. قال رجلٌ من الأنصار:

وأَقْدَرُ مُشرِفُ الصَّهَواتِ ساطٍ كُمَيتٌ لا أحَقُّ ولا شَئيتُ

ومصدره الحَقَق. وقال قوم: الأقدر أن يسبقَ موضعُ رِجليه موقعَ يديه. والأحقّ: أنْ يطبِّق هذا ذاك. والشئيت: أن يقصر موقع حافر رجلَيه عن موقع حافر يديه.

والحاقَّة: القيامة؛ لأنها تحقّ بكل شيء. قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر ٧١]. والحَقْحَقَة أرفعُ السَّير وأتْعَبُه للظَّهْر. وفي حديث مطرّف بن عبد الله لابنه: "خَير الأمور أوساطُها، وشرُّ السَّير الحَقْحَقَة". والحُقُّ: مُلتقى كلِّ عظمَين إلا الظهرَ؛ ولا يكون ذلك إلا صُلباً قوياً.

ومن هذا الحُقّ من الخشب، كأنه ملتقى الشيء وطَبَقُه. وهي مؤنّثة، والجمع حُقق. وهو في شعر رؤبة:

تَقْطِيطَ الحُقَقْ

ويقال فلانٌ حقيقٌ بكذا ومحقوقٌ به. وقال الأعشى:

لَمَحْقوقةٌ أن تستجيبي لِصَوتِهِ وأنْ تعلمي أنّ المُعانَ مُوَفَّقُ

قال بعضُ أهل العلم في قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ﴾ [الأعراف ١٠٥]. قال: واجِبٌ عليّ. ومن قرأها ﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ﴾ فمعناها حريصٌ عَلَى. قال الكسائي حُقّ لك أن تفعل هذا وحُقِقْتَ. وتقول: حَقّاً لا أفعل ذلك، في اليمين. قال أبو عبيدة: ويُدخلون فيه اللام فيقولون: "لَحَقُّ لا أفعل ذاك"، يرفعونه بغير تنوين. ويقال حَقَقْتُ الأمرَ وأحقَقْتُه، أي كنتُ على يقينٍ منه. قال الكسائيّ: حَقَقْتُ حَذَرَ الرجُل وأحقَقْتُه: فعلتُ ما كان يحذر. ويقال أَحَقَّت الناقة =

والحق أعم من الأصلح، لأن الأصلح حق و إلا دون في الصلاح حق، ومعنى الحق وقوع الشيء في موقعه.

والصلاح: استقامة الشيء على مقدار، وأصله من الثبات، ويقول: تحققت الشيء، أي: ثبت عندي، وهذا حقك؛ لأنه قد ثبت لك ملكه، والحق من الإبل الذي يثبت للعمل.

والحق خلاف الباطل؛ لأنه يثبت، والحق في أسماء الله تعالى بمعنى أنه الدائم الثابت الملك غير زائل السلطان، وأنا أحق بكذا، أي: هو أثبت لي، وفي القرآن: ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾ [يونس آية: ٣٥]، وقال: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ [الأنعام آية: ٨١].

وفسر الحق في القرآن على عشرة أوجه:

الأول(١): يعني: به الله تعالى، قال: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [المؤمنون آية: ٧١]، قالوا: معناه لو اتبع الله أهواءهم، ويجوز أن يكون الحق هاهنا هو الحق في قوله تعالى: ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [المؤمنون آية: ٧٠]، : ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ﴾ [المؤمنون آية: ٧١]، أي: لو كان التنزيل بما يحبون لفسدت الأمور، وفسر قوله أيضا: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾ [العصر آية: ٣]، أي: أن الله واحد، وهذا بعيد، والصحيح أن بعضهم يوصي بعضا باستعمال الحق وترك تجاوزه.

الثاني(٢): القرآن، قال الله: ﴿ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [الزخرف الآيتان: ٢٩- ٣٠]، يعني: القرآن قالوا: هذا سحر، وإنما سموه سحرا لخفاء مسلكه عندهم، وقال: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ [ق آية: ٥]، وقال: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ﴾ [القصص آية: ٤٨]، أو لم يكتفوا من الدلالة بالقرآن مع عجزهم عنه فطلبوا مثلا آيات موسى فأخبرهم أنهم مع تلك الآيات أيضا كفروا على الحجة في القرآن أبلغ منها في قلب

= من الرّبيع، أي سَمِنَت. وقال رجلٌ لتميميٍّ: ما حِقَّةٌ حَقَّتْ عَلَى ثلاث حِقاقٍ؟ قال: هي بَكْرَةٌ معها بَكْرتان، في ربيع واحد، سمِنت قبل أن تسمنا ثم ضَبِعَتْ ولم تَضْبَعا، ثم لَقِحت ولم تَلقَحا. قال أبو عمرو: استحقّ لَقَحُها، إذا وجب. وأحقَّت: دخلَتْ في ثلاث سنين. وقد بلغت حِقَّتها، إذا صارت حِقَّة. قال الأعْشَى:

بحِقّتها رُبِطَتْ في اللَّجيـ ... ـنِ حتى السَّديسُ لها قد أَسَنّْ

يقال أَسَنَّ السِّنُّ نَبَتَ..

(١) في ت: أولها. (٢) في ت: والثاني.

العصا حية؛ لأن التحدي بالقرآن قد وقع على قوم كان صناعتهم الكلام.

وكان السحر في أيام موسى[١] عليه السلام في القليل من الناس كما هو فينا اليوم، ولأن القرآن يبقى على الأيد ويقف عليه في الأطراف، من لا يقف على أمر للعصا إلا بالإخبار.

الثالث[٢]: الإسلام، قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء آية: ٨١]، يعني: مجيء الإسلام وذهاب الشرك، والزهوق الهلاك، وقال: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾ [الأنفال آية: ٨]، أي: ثبت الإسلام ويزيل الشرك.

الرابع[٣]: العدل، قال الله: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ [النور آية: ٢٥]، أي: جزاءهم العدل: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور آية: ٢٥]، وقربت منه: ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [المؤمنون آية: ٧٠]، أي: بالعجز، ويجوز أن يكون اسلم عنى بالصدق، ويجوز أن يكون الحق هاهنا خلاف الباطل؛ لأنه قال: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [النور آية: ٧٠]، على حسب ما تقول: الحق مر.

الخامس[٤]: الصدق، قال الله: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ [النساء آية: ١٢٢، يونس: ٤، لقمان: ٩] أي: صدقا، وقال: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنعام آية: ٧٣]، يعني: الصدق.

السادس[٥]: حق بمعنى وجب، قال الله: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ [السجدة آية: ١٣]، أي: وجب، : ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [غافر آية: ٦]، يعني: وجبت.

السابع[٦]: الحق خلاف الباطل قال الله: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر آية: ٨٥]، أي: للحق، يقول: ليعمل فيها بالحق دون الباطل، وفيه دليل على بطلان قول المجبرة.

الثامن[٧]: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام آية: ٦٢]، أي: مولاهم على الحقيقة.

التاسع[٨]: بمعنى الدَّيْن، قال: ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة آية:

---

(١) سقط من: ن.
(٢) في ت: والثالث.
(٣) في ت: والرابع.
(٤) في ت: والخامس.
(٥) في ت: والسادس.
(٦) في ت: والسابع.
(٧) في ت: والثامن.
(٨) سقط من: ت.

٢٨٢]، أي: الذي عليه الدين، وإنما يملي الذي عليه الحق؛ لأنه مشهود عليه وإملاؤه إقراره تشهد به عليه، : ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ [البقرة آية: ٢٨٢] أي: ليتق عذاب الله ولا ينقص مما عليه شيئا.

وفي هذا دلالة على أن القول قول المطلوب فيما يقر به، لأن البخس النقصان، و قد وعظه الله أن ينقص فدل علي أنه إذا بخس، أو ذكر الزيادة أو نقص الأجل أن القول قوله فيه.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ [البقرة آية: ٢٢٨]، لما وعظهن الله في الكتمان، دل على أن القول قولهن في الحمل، : ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ﴾ [البقرة آية: ٢٨٢] أي: فإن كان ضعيف العقل أو عيبا لا يستطيع الإملاء، أملى وليه، يعني: ولي الصغير والضعيف العقل.

والمراد بالإملاء الإشهاد على نفسه بما حصل على الصغير، والضعيف العقل لولايته عليهما؛ لأن الشهادة لا تقع إلا على العاقل، والشاهد على أنه أراد بالإملاء الإشهاد إجماع الأمة لو أملى غيره الكتاب جاز.

العاشر(١): بمعنى الحظ، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾﴾ [المعارج آية: ٢٤]، أي: حظ، وإنما جعله حقا؛ لأنهم أوجبوه على أنفسهم، فصار كالدين.

وأما قوله: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر آية: ٨]، فمعناه أنه لا ننزل الملائكة إلا بوحي أو بأجل، وكلاهما حق، : ﴿وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ [الحجر آية: ٨]، أي: لو نزل الملائكة لم يمهلوا وانقطع التوبة، فلم يقبلوا، والفرق بين الإنظار والإمهال أن الإنظار مقرون بمقدار ما يقع فيه النظر، والإمهال مبهم.

الحساب(٢)

أصل الحساب في العربية الكفاية(٣)، يقال: أحسبني الشيء، أي: كفاني،

---

(١) في ت: والعاشر.

(٢) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٧٨.

(٣) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (حسب) الحاء والسين والباء أصول أربعة:
فالأول: العدّ. تقول: حَسَبْتُ الشيءَ أَحْسُبُه حَسْباً وحُسْباناً. قال الله تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾﴾ [الرحمن ٥]. ومن قياس الباب الحِسْبانُ الظنّ، وذلك أنّه فرق بينه وبين العدّ بتغيير =

وحسبي الله، أي: كافي الله، وفي القرآن: ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ آية: ٣٦]، أي: كافيا، : ﴿حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال آية: ٦٢]، أي: هو العالم لفعلك، ومجازاتك عليه.

وقيل: الحسيب المقتدر، وقيل: الحسيب الكافي، ومعناه كافي إياك الله، وقيل: الحسيب المحاسب كما يقال للمحافظ الحفيظ، وللمشارب الشريب، وفي القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال آية: ٦٤]، أي: كافيك الله، وسمي الحساب حسابا لأنك تكتفي به من وكيلك ومعاملك، ولا تطلب شيئا بعده.

وهو في القرآن على عدة أوجه:

الأول: الجزاء، قال الله: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الشعراء آية: ١١٣]، أي: جزاؤهم، وقال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية آية: ٢٦]، جاء

= الحركة والتّصريف، والمعنى واحد، لأنّه إذا قال حسِبته كذا فكأنّه قال: هو في الذي أعُدُّه من الأمور الكائنة.

ومن الباب الحَسَبُ الذي يُعَدُّ من الإنسان. قال أهل اللغة: معناه أن يعد آباءً أشرافاً.

ومن هذا الباب قولهم: احتسب فلانٌ ابنَه، إذا مات كبيراً. وذلك أنْ يَعُدّه في الأشياء المذخورة له عند الله تعالى. والحِسْبَة: احتسابك الأجرَ. وفلان حَسَنُ الحِسْبَة بالأمر، إذا كان حَسَن التدبير؛ وليس من احتساب الأجر. وهذا أيضاً من الباب؛ لأنه إذا كان حسنَ التدبير للأمر كان عالماً بِعِدَادِ كل شيءٍ وموضِعِه من الرأي والصّواب. والقياسُ كله واحد.

والأصل الثاني: الكِفاية. تقول شيء حِسَابٌ، أي كافٍ. ويقال: أحسَبْتُ فلاناً، إذا أعطيتَه ما يرضيه؛ وكذلك حَسَّبْته. قالت امرأة:

ونُقْفِي وليدَ الحيِّ إن كان جائعاً ونُحْسِبه إن كان ليسَ بجائِع

والأصل الثالث: الحُسْبَانُ، وهي جمع حُسبانَةٍ، وهي الوِسادة الصغيرة. وقد حسَّبت الرّجلَ أُحَسِّبه، إذا أجلسته عليها ووسَّدْته إياها. ومنه قول القائل:

غداة ثَوى في الرّمْلِ غيرَ مُحَسَّبِ

وقال آخر:

يا عامِ لو قَدَرَتْ عليكَ رِماحُنا والرّاقصاتِ إلى مِنَىً فالغَبْغَبِ
لَلَمَسْتَ بالوكْعاء طعنةَ ثائرٍ حَرّانَ أو لثَوَيْتَ غيرَ مُحَسَّبِ

ومن هذا الأصل الحُسْبان: سهامٌ صغار يُرْمى بها عن القسيِّ الفارسية، الواحدة حُسبانة. وإنما فرق بينهما لصِغَر هذه وكبر تلك.

ومنه قولهم أصاب الأرض حُسبان، أي جراد. وفُسِّرَ قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الكهف ٤٠]، بالبَرَد.

والأصل الرابع: الأحسب الذي ابيضَّت جِلدتُه من داءٍ ففسدت شَعرته، كأنَّه أبرص. قال:

يا هِنْدُ لا تَنْكحي بُوهَةً عليه عَقيقتُه أحْسَبا

وقد يتّفق في أصول الأبواب هذا التفاوتُ الذي تراه في هذه الأصول الأربعة.

في التفسير أنه أراد بهاتين الآيتين الجزاء، وكذلك قالوا في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ [المؤمنون آية: ١١٧]، أي: جزاؤه.

والأجود أن يفسر على الوجه المعروف، فيقال: أراد أن عليك أن تبلغهم، وعلينا أن نحاسبهم، وفي هذا تهديد شديد، وهو[١] أيضا يرجع إلى معنى الجزاء، لأنه إذا حاسبهم جازاهم.

الثاني[٢]: الحساب المعروف، قال: ﴿وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [الإسراء آية: ١٢]، وأراد بالحساب هاهنا عدد الأيام والأعوام، ومدد الأعمار والآجال والديون، وغير ذلك مما يجري مجراه.

ولم يعن حساب الأموال وما بسبيلها، وقال: ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [البقرة آية: ٢٠٢]، ومعنى ذلك أنه إذا أراد حسابهم لم يتعذر عليه، وفي هذا دليل على أنه ليس بجسم؛ لأن الجسم يتعذر عليه حساب الجماعات الكثيرة في حال واحدة.

وقيل الحساب أن تأخذ ما لك، وتعطي ما عليك، والله تعالى قد أحصى الأعمال؛ فهو يجازي عليها من غير تعذر ولا إطالة.

الثالث[٣]: بمعنى الكافي، قال الله: ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ آية: ٣٦]، أي: كافيا على ما ذكرنا.

ووجه رابع: وهو قوله: ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر آية: ٤٠]، قال المبرد: المراد أنه يتجاوز بهم جد ما فعلوا، وعندنا أن هذا موضوعه للكثرة، يقال: أعطاه بغير حساب، أي: أعطاه كثيرا، وذلك أن الحساب للإحاطة والحصر؛ وكأنه قد أعطاه عطاء لا يحصر كثرة، ومثله قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران آية: ٣٧]، ويجوز أن يكون تفضل عليه، بغير استحقاق، والتفضل غير محسوب.

الحياة[٤]

أصلها من الطراة والجدة[٥]، ومن ثم قيل: والشمس بيضاء حية، أي: باقية

---

(١) في ت: وهذا.
(٢) في ت: والثاني.
(٣) في ت: والثالث.
(٤) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٣٧.
(٥) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (حي) الحاء والياء والحرف المعتل أصلان: أحدهما خِلاف المَوْت، والآخر الاستحياء الذي هو ضِدُّ الوقاحة.

=

على حالها غير حائلة اللون، وسمي الحياء حياء؛ لأن اللون يحمر معه، والحمرة لون الحياة؛ وسمي الحي من القرب؛ لأن بعضهم يجيء مع بعض، وسميت الحية حية؛ لأنها لا تموت حتى تقتل وإلا فهي حية أبدا تكبر [إلى أن تنتهي ثم تبتدئ فتصغر حتى تنتهي ثم تكبر][١] وكذلك أبدا إلى أن يصاب هكذا قالوا، وأنشدوا:

دَاهِيَــةٌ قَـدْ صَغُـرَت مِـنَ الكِبَـرِ

والحياة في القرآن على ستة أوجه:

الأول[٢]: تميز الصورة ونفخ الروح قال: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة آية: ٢٨]، أي: كنتم نطفا فميز صورتكم، ونفخ فيكم الروح كذا قيل، ويجوز عندنا أن يكون أراد أنكم كنتم نطفا أمواتا فجعلكم أحياء.

وليس في الكلام دلالة على أنه أراد تمييز الصورة، وسمي النطف أمواتا؛ لأن كل ما ينفصل من الإنسان سمي ميتا مثل النطفة والدم وما بسبيلهما ونحوه، : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ [الحج آية: ٦٦]، وقوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [الروم آية: ١٩]، قالوا: معناه يخرج الحيوان من النطفة والطائر من البيضة، وقيل: يخرج المؤمن من الكافر، ويجوز أن يكون أراد أنكم كنتم ترابا فجعلكم أحياء، والجماد قد تسمى ميتا على جهة التوسع؛ لأنه عدم الحس والحركة.

الثاني: محي الحي بمعنى العاقل العارف، قال الله: ﴿لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس آية: ٧٠]، ونحوه قول الشاعر:

لَقَدْ أسمَعتَ لَو نَادَيتَ حَيًّا ... وَلَكِن لا حَيَاةَ لِمَن تُنَادِي

أي: لو تنادي عاقلا، والمراد أنه لا يستعمل عقله، ولو لم يكن له عقل أصلا لم يكن مكلفا.

الثالث[٣]: الحي بمعنى المهتدي، قال الله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾

= فأمّا الأوّل فالحياة والحَيَوان، وهو ضِدُّ الموت والمَوَتان. ويسمّى المطرُ حياً لأن به حياةَ الأرض. ويقال ناقةٌ مُحْيٍ ومُحْيِيَةٌ: لا يكادُ يموت لها ولد. وتقول: أتيتُ الأرضَ فأحييْتُها، إذا وجَدْتَها حيَّةَ النّباتِ غَضَّة.

والأصل الآخَر: قولهم استحييت منه استِحياءً. وقال أبو زيد: حَيِيتُ مِنه أَحيا، إذا استحيَيْتَ. فأمّا حَياء النّاقة، وهو فَرْجُها، فيمكن أن يكون من هذا، كأنّه محمولٌ على أنّه لو كان ممن يستحيي لكان يستحيي من ظهوره وتكشُّفه..

(١) سقط من: ن.
(٢) في ت: أولها.
(٣) في ت: والثالث.

[الأنعام آية: ١٢٢]، أي: كافرا فهديناه ونحوه قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُۚ﴾ [فاطر آية: ٢٢]، معناه لا يستوي المؤمن ولا الكافر، فأخرج ما لا يقع عليه الحاسة إلى ما يقع عليه الحاسة، كما قال: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍۖ﴾ [إبراهيم آية: ١٨]، وما كان يجري هذا المجرى، وهو أعظم في البيان؛ لأن العيان فضلا على ما سواه.

الرابع(١): الحياة بمعنى البقاء، قال: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة آية: ١٧٩]، يعني: أن من يعرف أنه إذا قتل اقتص منه كف عن القتل فبقى.

والمراد أنه يبقى حيا فحقيقة المعنى أن لكم في القصاص بقاء حياة ونحوه: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْۚ﴾ [الأعراف آية: ١٤١]، أي: يستبقونهن فتضاعف(٢) المحنة عليكم ببقاء النساء مع فناء الرجال، واستحياه واستبقاه بمعنى واحد فاستبقاه طلب بقاءه، واستحياه طلب حياته، ولا يستبقيه إلا وهو يستحييه، ولكن لفظ الاستبقاء [أكثر في الاستعمال فلأجل هذا فسروا الاستحياء بالاستبقاء](٣)، أخرجوا الأغمض إلى الأشهر.

الخامس(٤): مثل قال الله: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ﴾ [المائدة آية: ٣٢]، أي(٥): من استنقذها من الضلال أو أغاثها من المكروه فكأنه أحيا الناس جميعا، أي: أجره أجر من أحيا الناس جميعا [وأجر من يحيي الناس جميعا](٦) يتضاعف على قدر ذلك، ويجوز أن يكون معناه أنه قد أسدى إلى كل واحد منهم يدا بإحيائه أخاه المؤمن؛ فكأنه أحياهم كما تقول للرجل يسدي إليك يدا قد أحييتني، وإن كان لا يقدر على ذلك.

السادس(٧): الحياة بعد الموت، قال: ﴿وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران آية ٤٩]، وقال: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [القيامة آية: ٤٠].

حين(٨)

الحين يقع على كل شيء من الأوقات قصير وطويل، ويكون محدوداً أو غير

---

(١) في ت: والرابع.
(٢) في ن: فيتضاعف.
(٣) سقط من: ت.
(٤) في ت: والخامس.
(٥) في ت: أو.
(٦) سقط من: ن.
(٧) في ت: والسادس.
(٨) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٤٨.

محدود، وأصله من القرب[١]، ومنه حان الشيء إذا قرب، والحائن الذي قرب أجله، والاسم الحين.

والحين في القرآن على أربعة أوجه:

الأول[٢]: السنة، قال: ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ﴾ [إبراهيم آية: ٢٥]، أي: كل سنة، هذا قول بعض الفقهاء، وإليه ذهب مقاتل.

وذهب الكوفيون إلى أن الحين هنا ستة أشهر، وهو من أوان الطلع إلى وقت الضرام، قالوا: فمن حلف لا يكلم فلانا حينا، فهو ستة أشهر، لأنه قد علم أنه لم يرد أقصر الأوقات ومعلوم أنه لم يرد أربعين سنة؛ لأن من أراد ذلك حلف على التأييد دون التوقيت ثم كان قوله تعالى: ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ﴾ [إبراهيم آية: ٢٥]، لما اختلف السلف فيه كان أقصر الأوقات فيه ستة أشهر أولها أوان الطلع وآخرها وقت الضرام، وهو أولى من اعتبار السنة؛ لأن وقت الثمرة لا يمتد سنة، بل ينقطع حتى لا يكون منه شيء، وأما الشهران فلا معنى لاعتبارهما إذ قد علم أن الزمان بين ضرام النخل، وبين ظهور الطلع أكثر من شهرين فلما بطل اعتبار السنة واعتبار الشهرين ثبت اعتبار السنة الأشهر.

الثاني[٣]: منتهى الآجال، قال الله: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة آية: ٣٦]، وقال: ﴿وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس آية: ٩٨].

الثالث[٤]: قال الله: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾، [الروم

---

(١) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (حين) الحاء والياء والنون أصلٌ واحد، ثم يحمل عليه، والأصل الزمان. فالحِينُ الزَّمان قليلُه وكثيرُه. ويقال عامَلْتُ فلاناً مُحَايَنَةً، من الحِين. وأحْيَنْتُ بالمكان: أقمتُ به حيناً. وحاز حِينُ كذا، أي قرُب. قال:

وإنَّ سُلُوِّي عن جميلٍ لَساعةٌ ... من الدّهر ما حانت ولا حان حِينُها

ويقال حَيَّنْتُ الشاة، إذا حَلَبْتَها مرة بعد مرة. ويقال حَيَّنْتُها جعلت لها حيناً. والتأفين: أن لا تجعل لها وقتاً تحلبُها فيه. قال المُخَبَّل:

إذا أُفِنَتْ أرْوَى عِيالَكَ أَفْنُها ... وإن حُيِّنَت أربَى على الوَطْبِ حِينُها

وقال الفراء: الحِين حِينانِ، حينٌ لا يُوقَف على حَدِّه، وهو الأكثر، وحينٌ ذكره الله تعالى: ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ﴾ [إبراهيم ٢٥]. وهذا محدودٌ لأنه ستّة أشهر.

وأما المحمول على هذا فقولهم للهلاك حَيْنٍ، وهو من القياس، لأنه إذا أتَى. فلا بد له من حين، فكأنه مسمًّى باسم المصدر.

(٢) في ت: أولها.

(٣) في ت: والثاني.

(٤) في ت: والثالث.

آية: ١٧]، ثم قال: ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم آية: ١٨]، يعني: ساعة غروب الشمس، وساعة طلوعها، وساعة الظهر، وأراد بالتسبيح هاهنا، وجوب الصلاة في هذه الأوقات.

الرابع(١): زمان غير مؤقت، قال الله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾ [ص آية: ٨٨]، وكان المراد به ما كان ببدر من الدبرة على الكفار، فلم يؤقت في وقت الإنزال، وقوله: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾ [الإنسان آية: ١].

الحرج(٢)

أصل الحرج من الضيق(٣)، ومكان حرج ضيق، والحرجة الشجر الملتف.

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول(٤): الشك، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا

(١) في ت: والرابع.

(٢) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٤٠.

(٣) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (حرج) الحاء والراء والجيم أصلٌ واحد، وهو معظم الباب وإليه مرجع فروعه، وذلك تجمُّع الشيء وضِيقُه. فمنه الحَرَج جمع حَرَجة، وهي مجتمع شجرٍ. ويقال في الجمع حَرَجات. قال:

أيا حَرَجاتِ الحيِّ حِينَ تحمَّلوا ... بذي سَلَمٍ لا جادكُنَّ ربيعُ

ويقال حِراجٌ أيضاً. قال:

عايَنَ حيّاً كالحراج نَعَمُهْ

ومن ذلك الحرَجَ الإثم، والحَرَج الضِّيق. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام ١٢٥]. ويقال حَرِجَتِ العينُ تَحرَج، أي تحارُ. وتقول: حَرِجَ عَلَيَّ ظُلمك، أي حرُم. ويقال أحْرَجَها بتطليقةٍ، أي حرّمَها. ويقولون: أكسَعَها بالمُحْرِجات، يريدون بثلاث تطليقات. والحَرَج: السَّرير الذي تُحمَل عليه الموتى. والمِحَفَّةُ حَرَجٌ. قال:

فإمّا تَرَيْني في رِحالةِ جابرٍ ... على حَرَجٍ كالقَرّ تَخْفِق أكفاني

وناقة حَرَجٌ وحُرْجُوجٌ: ضامرة، وذلك تداخُلُ عظامِها ولحمِها. ومنه الحَرِجُ الرّجل الذي لا يكاد يبرحُ القتال. ومما شذّ عن هذا الباب قولهم إنّ الْحِرْجَ الوَدَعة، والجمع أحراج. ويقال هو نَصيب الكلْب من لحم الصَّيْد. قال جحدر:

وتقدُّمي لِلَّيْثِ أرْسُفُ مُوثَقاً ... حتى أُكابِرَه على الأحْراجِ

ويقال الحِرْج الحِبالُ تُنْصَب. قال:

كأنّها حرج حبائلِ

(٤) في ت: أولها.

﴿قَضَيْتَ﴾ [النساء آية: ٦٥] أي: شكا، وذلك أن الرجل يضيق بالشك صدرا، والثلج هو مع العلم واليقين، ومثله: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف آية: ١] المخاطبة له والمعنى لأمتة كما قال في موضع آخر: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الإسراء آية: ٣٩].

وقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر آية: ٦٥]، وليس كل ما خاطب به النبيين والمؤمنين أرادهم به، ألا ترى إلى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [البقرة آية: ١٧٨]، والقصاص في العمد فكأنه أثبت لهم الإيمان مع قتل العمد، وقتل العمد يبطل الإيمان، وإنما أراد أن يعلمهم الحكم فيمن يستوجب ذلك، ونحوه قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [الأنفال آية: ٢٧]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا﴾ [آل عمران آية: ١٣٠].

الثاني(١): الضيق، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج آية: ٧٨]، أي: من ضيق، وقيل: من ضيق لا مخرج منه، وذلك أنه يتخلص من الذنب بالتوبة، فالتوبة مخرج.

وليس في الإسلام ما لا سبيل إلى الخلاص من عقوبته، ويحتج به فيما اختلف فيه من الحوادث، فقيل: أن ما أدى إلى الضيق وهو منفي، وما أوجب التوسعة فهو أولى، وقال: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام آية: ١٢٥]، والمعنى أنه تعالى يمنعهم الطاعة التي ينشرح مع أمثالها قلوب المؤمنين جزاء بما قدموا من الذنوب، ودليل ذلك قوله في آخر الآية: ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام آية: ١٢٥]، فيحلهم الذنب كما تسمع.

الثالث(٢): الإثم، قال الله: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة آية: ٩١]، أي: إثم، وقوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ [النور آية: ٦١]، وإذا لم يكن عليه مع العمى إثم، فكيف يكون مع عدم القدرة عليه الإثم والعقاب.

وقال(٣) الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة(٤): أن المسلمين كانوا إذا غزوا خلفوا زمناهم وعميانهم في بيوتهم، ودفعوا إليهم المفاتيح، وقالوا لهم:

---

(١) في ت: والثاني.
(٢) في ت: والثالث.
(٣) في ت: قال.
(٤) في ت: غنيمة.

أحللنا لكم أن تأكلوا منها؛ فكانوا يتحرجون من ذلك فنزل قوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ [النور آية: ٦١].

وذهب أبو علي رحمه الله إلى أن معنى قوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ [النور آية: ٦١]، أنه ليس عليه ضيق في ترك القتال، والصحيح الذي قلنا، والدليل على ذلك قوله: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ [النور آية: ٦١]، فتلا ذكر الأكل بذكر الأكل، وليس بالوجه أن يتلو ذكر الحرب بذكر الأكل.

حتى(١)

حتى بمعنى الغاية تقارب إلى، وهي من عوامل الأسماء خاصة؛ فإذا وقع بعده الفعل أضمرت بينهما أن، فتكون أن مع الفعل اسما، كقولك: أسير حتى تمنعني، ويرتفع بعدها الفعل أيضا؛ وإن ارتفع فهو خبر لمحذوف، وذلك قولك: مرض حتى تمر به الطائر فترحمه، كأنه قال: حتى أنه هذه حالة، ويكون أيضا بمعنى كم(٢) فينصب، كقولك: أطع الله حتى يدخلك الجنة، ويرتفع الفعل بعده، فيقول: سرت حتى أدخلها؛ أي: كان مني سير فدخول، أي: أنا في حالة دخول اتصل به سير ونحوه، فإن المبدئ رحلة فركوب.

ولها في الرفع موضع آخر، وهو قولك مرض حتى لا يرجوه، أي: هو الآن كذلك، ويقع الاسم بعدها مرفوعا ومنصوبا ومجرورا، تقول: ضربت القوم حتى زيد وقدم القوم حتى المشاة، وأكلت السمكة حتى رأسها، وينشد:

أَلقَى الصَّحِيفَةَ كَي يُخَفِّفَ رَحلَهُ ... وَالزَّادَ حَتَّى نَعلَهُ أَلقَاهَا

نصبوا نعله وخفضوها ورفعوها فمن نصب جعلها بمنزلة الواو على قولك: ضربت زيدا وعمرا كلمته.

ومن رفع فعلى قولك: ضربت زيدا وعمرو كلمته، ومن خفضها فعلى قولك: غاية بمنزلة، أي: إلى أن أنتهي إلى نعله.

وكذلك القول في أكلت السمكة حتى رأسِها، ورأسَها، ورأسُها، والكلام فيه يطول.

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٩١.

(٢) في ت: كي.

وحتى في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول: بمعنى إلى، قال تعالى: ﴿تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [الذاريات آية: ٤٣]، أي: إلى حين، وقال: ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ [المؤمنون آية ٥٤] أي: إلى حين، وقال[1]: ﴿حتى مَطلَعِ الفَجرِ﴾ [القدر آية: ٥].

الثاني[2]: بمعنى فلما، وذلك إذا وقعت مع إذا، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ [يوسف آية: ١١٠]، وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ [الانبياء آية: ٩٦]، وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ﴾ [المؤمنون آية: ٦٤]، وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ [هود آية: ٤٠].

الثالث[3]: بمعنى إلى أن، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ﴾ [التوبة آية: ٢٩]، كذا جاء عن أهل التفسير فينبغي أن يحمل هذه الوجوه على الأصول التي ذكرناها في أول الباب؛ فيصح.

الحرام

أصله المنع[4]، ومنه حرمته عطاءه حرمانا أي: منعته [إياه وحريم الرجل ما

---

(١) في ت: قال.
(٢) في ت: والثاني.
(٣) في ت: والثالث.
(٤) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (حرم) الحاء والراء والميم أصلٌ واحد، وهو المنْع والتشديد. فالحرام: ضِدُّ الحلال. قال الله تعالى: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ [الأنبياء ٩٥]. وقرئت: ﴿وَحِرْمٌ﴾. وسَوْطٌ مُحرَّم، إذا لم يُلَيَّن بعدُ. قال الأعشى:

تُحاذِر كَفِّي والقَطيعَ المُحَرَّمَا

والقطيع: السوط، والمحرَّم الذي لم يمرَّن ولم يليَّنْ بعدُ. والحريم: حريم البئرِ، وهو ما حَولَها، يحرَّم على غير صاحبها أن يحفِر فيه. والحَرَمانِ: مكة والمدينة، سمِّيا بذلك لحرمتهما، وأنّه حُرِّم أن يُحدَثَ فيهما أو يُؤْوَى مُحْدِثٌ. وأحْرَم الرّجل بالحجّ، لأنه يحرُم عليه ما كان حلالاً له من الصَّيد والنساءِ وغير ذلك. وأحرم الرّجُل: دخل في الشهر الحرام. قال:

قَتَلُوا ابنَ عفّانَ الخليفةَ مُحْرِماً ... فمضى ولم أرَ مثلَه مقتولا

ويقال المُحْرِم الذي له ذِمَّة. ويقال أحْرَمْتُ الرّجُلَ قَمرْتُه، كأنّك حرمْتَه ما طمِعَ فيه منك. وكذلك حَرِم هو يَحْرَم حَرَماً، إذا لم يَقْمُر. والقياس واحدٌ، كأنه مُنِع ما طَمِع فيه. وحَرَمْتُ الرّجلَ العطية حِرماناً، وأحرمْتُه، وهي لغة رديّة. قال:

ونُبِّئْتُها أحْرَمَتْ قَومَها ... لِتَنْكِحَ في مَعْشَرٍ آخَرِينا

ومَحارِمِ اللّيل: مخاوفه التي يحرُم على الجبان أن يسلُكَها. وأنشد ثعلب:

والله لَلنَّومُ وبِيضٌ دُمَّجُ ... أَهْوَنُ مِن لَيْلِ قِلاصٍ تَمْعَجُ
مَحارِمُ اللَّيلِ لَهُنّ بَهْرَجُ ... حِينَ يَنام الوَرَعُ المزَلَّجُ

=

يجب عليه منعه][1] وكذلك حرمته، وهو ذو رحم محرم؛ لأنه منع عن نكاحها بالنهي والشهر الحرام الممنوع فيه عن سفك الدماء، والبلد الحرام قربت من ذلك.

وجاء في القرآن على وجهين:

الأول: المنع بالنهي، وهو قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة آية: ٣]، وهي ما قد مات من غير تزكية مما شرط علينا التزكية وإباحته، والدم يعني: المسفوح؛ لأن الكبد والطحال مباحان بالإجماع، ولحم الخنزير، وذكر اللحم وأراد جميع أجزائه من شحم وعظم، وغير ذلك، لأن اللحم معظمه، وإذا ذكره فقد دخل فيه غيره، : ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [المائدة آية: ٣]، وهذا يوجب أن ترك التسمية عليه يقتضي تحريمه؛ لأنه لا فرق بين التسمية عليه وبين تسمية زيد عليه.

الثاني[2]: عدم الإمكان وهو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [المائدة آية: ٢٦]، ودليل هذا قوله: ﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة آية: ٢٦]، ونظيره قول الشاعر:

إِنِّي امرؤٌ صَرعِي عَلَيكَ حَرَام

يخاطب فرسه أي: لا يمكنك صرعي إني[3] جيد الفروسية.

= ويقال من الإحرام بالحجِّ قوم حُرُمٌ وحَرَامٌ، ورجلٌ حَرَامٌ. ورجُلٌ حِرْمِيٌّ منسوب إلى الحَرَم. قال النابغة:

لِصَوْتِ حِرْمِيَّةٍ قالت وقد رحلوا ... هل في مُخِفِّيكُم من يَبتغي أَدَما

والحَرِيم: الذي حُرِّم مَسُّهُ فلا يُدْنَى منه. وكانت العرب إذا حجُّوا ألقَوا ما عليهم من ثيابهم فلم يلبَسوها في الحرَم، ويسمَّى الثوبُ إذا حرّم لُبسه الحَريم. قال:

كَفى حَزَناً مَرِّي عليه كأنّهُ ... لَقىً بين أيدي الطائِفين حريمُ

ويقال بين القوم حُرْمةٌ ومَحْرُمة، وذلك مشتقٌّ من أنه حرامٌ إضاعتُه وترْكُ حِفظِه. ويقال إنّ الحَرِيمةَ اسمُ ما فات من كل همٍّ مطموعٍ فيه. ومما شذّ الحيْرَمَة: البقرة.

(١) سقط من: ن.

(٢) في ت: والآخر.

(٣) في ن: لا في.

الباب السابع

فيما جاء من الوجوه والنظائر وفي أوله خاء

الخزي[1]

العيب التي تظهر فضيحته ويلزم الاستحياء منه، ومن ثم سمي الحياء خزاية، يقال: خزى يخزي خزيا من العيب، وخزى يخزي خزاية من الاستحياء ثم كثر حتى استعمل في الهوان، فيقال: خزى الرجل، إذا هان وذل.

وهو في القرآن على أربعة أوجه:

الأول: بمعنى القتل والجلاء، قال الله: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ﴾ [البقرة آية: ٨٥]، وإنما سمي خزيا لما فيهما من الهوان يعني: قتل قريظة، وجلاء النضير، وقال تعالى: ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ [البقرة آية: ١١٤، المائدة ٤١]، وفي الحج: ﴿لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ [الحج آية: ٩]، يعني: القتل يوم بدر هكذا جاء في التفسير، ويجوز أن يكون الخزي في هذه الآيات الهوان والذل يلحق العاصين في الدنيا.

الثاني[2]: العذاب، قال الله: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ﴾ [هود آية: ٦٦]، يعني: العذاب لا غير، وجاء في تفسير قوله: ﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الشعراء آية: ٨٧]، وقوله: ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران آية: ١٩٤]، وقوله: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾ [التحريم آية: ٨]، أنه أراد العذاب، ويجوز أن يكون بمعنى الهوان أيضا.

الثالث[3]: الهوان، قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران آية: ١٩٢]، أي: أهنته، وقوله: ﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الحشر آية: ٥]، أي: يهينهم، وذلك أن اليهود أنكروا قطع المسلمين تحيلهم، فأخبر الله أن القطع والترك بإذن الله لميزوا غيرهم يتصرفون في أفعالهم فبدلوا.

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٥٠.

(٢) في ت: والثاني. (٣) في ت: والثالث.

الرابع(١): الفضيحة، قال الله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ [هود آية: ٧٨]، أي: لا تفضحوني.

الخوف

الخوف خلاف الأمن، والأمن سكون النفس والخوف انزعاجها وقلقها، وهو معنى غير العلم؛ لأن العلم يبقى بعد ذهاب الخوف. وأصله(٢) من النقصان(٣)، ومنه قيل: خوفت الشيء إذ أنقصته، ودينار مخوف ناقص الوزن، وقد يجيء الخوف بمعنى العلم، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [البقرة آية: ٢٢٩]، وكذلك الخشية بمعنى العلم، قال الله: ﴿فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف آية: ٨٠]، وقالوا: الخوف كالظن يكون شكا ويقينا(٤)، وأنشد:

أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ أَلَّا أَذُوقُهَا

أي أعلم، وموضعه في الظن قولك لصاحبك قد أبق غلامك، فيقول: قد خفت ذاك، ويجوز أن يكون هذا من الخوف خلاف الأمن.

والخوف في القرآن على خمسة أوجه فيما زعم بعض المفسرين:

الأول(٥): القتل، وهو قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ [البقرة آية: ١٥٥]، يعني: القتل، وليس بالوجه لأن قوله: ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ﴾ [البقرة آية: ١٥٥]، قد تضمن القتل، ولكن معناه الخوف على الأنفس لكثرة الأعداء، وذلك كان حال أهل المدينة بعد الهجرة، وهم مخاطبون بهذه الآية.

الثاني: الحرب، قال الله: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾ [الأحزاب آية: ١٩]، يعني: الحرب، وسماها خوفا لما فيها من الخوف كما تسمى الحرب روعا لما فيها من الروع، والروع والخوف سواء.

الثالث(٦): العلم، قال الله: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾ [البقرة آية:

---

(١) في ت: والرابع. (٢) في ت: وأصلها.

(٣) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (خوف) الخاء والواو والفاء أصلٌ واحد يدلُّ على الذُّعرِ والفزَع. يقال خِفْتُ الشَّيءَ خوفاً وخِيفةً. والياء مبدَلةٌ من واو لمكان الكسرة. ويقال خاوَفَني فلانٌ فخُفْتُه، أي كنتُ أشدَّ خوفاً منه. فأمّا قولهم تخوَّفْتُ الشَّيءَ، أي تنقّصتُه، فهو الصحيح الفصيح، إلا أنّه من الإبدال، والأصلُ النّون من التنقُّص، وقد ذُكِر في موضعه..

(٤) في ت: ونفسا. (٥) في ت: قال: أولها.

(٦) في ت: والثالث.

١٨٢]، أي: علم، وقد تكلمنا في هذه الآية، ومثله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [البقرة آية: ٢٢٩]، أي: فإن علمتم، وأول الآية: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [البقرة آية: ٢٢٩]، يعني: أن المهر الذي استحل به الرجل فرجها؛ لا يحل له أن يأخذه مهرها على الكره، ولا على سبيل الإلجاء لها إلى دفعه إليه ليتخلص منه؛ إلا أن يكون الرجل على حال لا تصبر المرأة عليها، فتفتدي منه بمهرها وله أن يأخذ ذلك منها، ويسرحها.

وقيل: لا يحل لكم إذا أردتم طلاقهن أن تضاروهن حتى تفتدين أنفسهن بترك مهورهن: ﴿إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [البقرة آية: ٢٢٩]، فيما يجد لكل واحد منهما على الآخر، وقيل: يعني: في النشوز؛ لأنها إذا نشزت لم يكن على الرجل جناح في أخذ ما افتدت به نفسها منه ليطلقها، وفي النساء: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ [النساء آية: ٣]، ومثله: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام آية: ٥١].

الرابع[١]: الخوف بعينه، قال الله: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف آية: ٣٥]، وقال: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [فصلت آية: ٣٠]، وقوله: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف آية: ٥٦]، وقوله: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة آية: ١٦].

الخامس[٢]: التخوف، وليس هذا بابه[٣]، وهو التنقص، قال: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النحل آية: ٤٧]، أي: تنقص أموالهم وثمارهم حتى يهلكهم.

الخسران[٤]

أصله النقصان[٥]، ومنه قيل للتاجر: إذا وضع أنه خسر ثم كثر حتى، قيل لكل من سعى في شيء فأداه إلى مكروه خاسر، وقيل: الخسران الضلال.

وهو في القرآن على أربعة[٦] أوجه:

---

(١) في ت: والرابع.
(٢) في ت: والخامس.
(٣) في ت: بأنه.
(٤) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٤٨.
(٥) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (خسر) الخاء والسين والراء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على النَّقص. فمن ذلك الخُسْر والخُسْران، كالكُفْر والكُفْران، والفُرْق والفُرْقان. ويقال خَسَرْتُ المِيزانَ وأخْسَرْتُه، إذا نقَصْتَه.
(٦) في ت: خمسة.

الأول: بمعنى العجز، قال الله: ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ﴾ [يوسف آية: ١٤] أي: عجزه، ومثله قوله: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المؤمنون آية: ٣٤]، وقال: ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ﴾ [الأعراف آية: ٩٠].

الثاني(١): بمعنى الغبن، قال: ﴿إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ [الزمر آية: ١٥]، أي: غبنوا فصاروا(٢) إلى النار، وأصل الخسران ذهاب رأس المال، فلما كانت النفس بمنزلة رأس المال وما يستفيده بعد ذلك بمنزلة الربح، قال للهالك الذي خسر نفسه؛ لأنه بمنزلة من ذهب منه رأس المال.

الثالث(٣): الضلال، قال: ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء آية: ١١٩]، أي: ضل ضلالا بينا، ويجوز أن يكون بمعنى الحرمان، أي: حرم الثواب كما إذا حرم الربح، فقد خسر، وقال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [العصر الآيتان: ٢-٣]، أي: في ضلال.

الرابع(٤): النقصان، قال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾ [الشعراء آية: ١٨١]، أي: الناقصين في الكيل والوزن، وقال جرير:

إِنَّ سليطًا فِي الخَسَارِ إِنَّه ... أَولادُ قومٍ خُلِقُوا أَقِنَّه

أي: فيما ينقصهم حظهم من الشرف.

الخلق(٥)

أصله التقدير(٦)، وكل مقدر مخلوق، وفي كلام بعضهم لا أخلق إلا فريت

---

(١) في ت: والثاني. (٢) في ت: فصار.

(٣) في ت: والثالث. (٤) في ت: والرابع.

(٥) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٨١.

(٦) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (خلق) الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء، والآخر مَلاسَة الشيء.

فأمّا الأوّل فقولهم: خَلَقْت الأديم للسِّقاء، إذا قَدَّرْتَه. قال:

لم يَحْشِمِ الخالقاتِ فَرْيَتُها ... ولم يَغِضْ من نِطافِها السَّرَبُ

وقال زهير:

ولأنتَ تَفْرِي ما خلَقْتَ وبَعْـ ... ـضُ القوم يخلُق ثمَّ لا يَفْري

ومن ذلك الخُلُق، وهي السجيَّة، لأنّ صاحبَه قد قُدِّر عليه. وفلانٌ خَليق بكذا، وأَخْلِقْ به، أي ما أَخْلَقَهُ، أي هو ممَّن يقدَّر فيه ذلك. والخَلاقُ: النَّصيب؛ لأنّه قد قُدِّرَ لكلِّ أحدٍ نصيبُه.

ومن الباب رجلٌ مُخْتَلَقٌ: تامُّ الخَلْق. والخَلْق: خَلْق الكذِب، وهو اختلاقُه واختراعُه وتقديرُه في =

ولا أعد إلا وفيت، وأختلق الكلام إذا زوره وقدره، ورجل مختلق، حسن القامة، قد قدر تقديرا [جميلا وشيء أخلق أملس لأنه أحسن تقديرا][(١)] من الأخشن.

والخليقة خليقة الإنسان، وهو خليق لهذا أي: شبيه، وامرأة خليقة ذات جسم وخلق، وقد خلقت خلاقة، وليس له خلاق، أي: نصيب، وثوب خلق وأخلاق وخليقا الجبهة مستواها، ولا نعرف الخلق في أفعال الإنسان إلا في الأديم، ولا يجوز إطلاق اسم الخالق في غير تقييد إلا لله تعالى.

والخلق في القرآن على ستة أوجه:

الأول: الدين، قال: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ﴾ [الروم آية: ٣٠]، أي: لدينه، والشاهد ذلك قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ [الروم آية: ٣٠]، واللفظ خبر، والمعنى أمر، أي: لا تبدلوا دين الله، وقال: ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء آية: ١١٩]، معناه أنهم يغيرون دين الله.

لأن الله خلق الخلق على الفطرة، فمن كفر فقد غير ما خلق له، وهو مثل قوله: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ﴾ [الروم آية: ٣٠]، أي: لدينه، ويجوز أن يقال: [أن الدين سمي خلقا؛ لأن الله قدره وبينه، ويجوز أن يقال][(٢)] أنه دخل في قوله: ﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء آية: ١١٩]، جميع ما حرموه مما أحل الله أو أحلوه مما حرم الله، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ [الروم آية: ٢١]، ثم قال للذين يأتون الرجال: ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٥ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ﴾ [الشعراء الآيتان: ١٦٥-١٦٦]،

= النَّفس. قال الله تعالى: ﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾ [العنكبوت ١٧].
وأمّا الأصل الثاني فصخرة خَلْقَاء، أي مَلْساء. وقال:

قد يَتْرُكُ الدَّهرُ في خَلْقَاءَ راسِيَةٍ ... وَهْياً ويُنزِل منها الأعْصَمَ الصَّدعا

ويقال اخلَوْلَقَ السَّحابُ: استوَى. ورسمٌ مخْلَولِقٌ، إذا استوى بالأرض. والمُخلَّق: السّهم المُصْلَح.
ومن هذا الباب أخْلَقَ الشّيءُ وخَلُق، إذا بَلِيَ. وأخلقْتُهُ أنا: أبليتُه. وذلك أنَّه إذا أخْلَقَ امْلاسَّ وذهب زِئْبِرُه. ويقال المُخْتَلَق من كلِّ شيء: ما اعتدَلَ. قال رُؤبة:

فـي غِيـل قَصْبَـاءَ وخِيـسٍ مُخْتَلَـقْ

والخَلُوق معروفٌ، وهو الخِلاق أيضاً. وذلك أنّ الشّيء إذا خُلِّق مَلُسَ. ويقال ثوبٌ خَلَقٌ ومِلحَفةٌ خَلَق، يستوي فيه المذكَّر والمؤنث. وإنما قيل للسَّهم المُصلَح مُخَلَّقٌ لأنّه يصير أملس. وأمّا الخُلَيْقاء في الفَرَس كالعِرنين من الإنسان..

(١) سقط من: ن. (٢) سقط من: ن.

وقيل: لا تغيروا الدين عن صحته.

والمراد أنه خلق الأنعام ليركبوها، ويأكلوها، فحرموا على أنفسهم ذلك، أي: البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي، وخلق الشمس والقمر والأرض والحجارة مسخرة للناس فعبدوها، وقيل: تغيير خلق الله. . . . [١].

الثاني[٢]: التخرص، قال الله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الشعراء آية: ١٣٧]، وقال: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت آية: ١٧]، وقال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص آية: ٧]، فسمي الكذب اختلاقا؛ لأنه يقدر ويزين ليتشبه بالصدق.

الثالث[٣]: التصوير، قال الله: ﴿أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ [آل عمران آية: ٤٩]، أي: تصوره.

الرابع[٤]: على قول بعض المفسرين النطق، قال الله: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [فصلت آية: ٢١]، قال: أنطقكم، والوجه عندي، وهو خلقكم أول مرة ناطقين فحذف لما في أول الآية من ذكر النطق.

الخامس[٥]: الجعل، قال: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ [الشعراء آية: ١٦٦]، والجعل هاهنا الفعل.

السادس[٦]: البعث، قال: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ [يس آية: ٨١]، أي: على أن يبعث.

الخطأ[٧]

يقال: أخطأ الرجل إذا عمد الصواب، فأصاب غيره، وخطئ يخطأ إذا فعل الخطأ على عمد، والاسم من الأول الخطأ، ومن الثاني الخطى، وفي القرآن: ﴿كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء آية: ٣١]، وعند كثير من أهل اللغة أن الخطأ والخطى سواء.

والإخطاء يكون حسنا وقبيحا، وذلك أن الإنسان إذا رمي في محظور، فعمد الإخطاء، كان ذلك حسنا، وكذلك الإصابة يقع حسنه وقبيحه كالإنسان يصيب في

---

(١) كلمة غير واضحة ولعلها الحصان.

(٢) في ت: والثاني.

(٣) في ت: والثالث.

(٤) في ت: والرابع.

(٥) في ت: والخامس.

(٦) في ت: والسادس.

(٧) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٣٠٣.

المحظور، فتكون إصابته قبيحة، ولا يكون الصواب إلا حسنا؛ لأن الصواب اسم لما وقع على وجهه وحقه، والخطى أكثر في القراءة.

والخطأ أفشى في كلام الناس، ولم يجيء الخطى في شيء من الشعر، إلا في بيت واحد وهو قول الشاعر:

الخِطْأُ فَاحِشَةٌ وَالبِرُّ نَافِلَةٌ ... كَعَجْوَةٍ غُرِسَت فِي الأَرضِ تُؤتَبَرُ

وقال أبو عبيدة: خطئت وأخطأت لغتان

فمن قال: خطئت جعل الخطأ مصدرا، والخطئ اسما.

ومن قال: أخطأت جعل الخطأ والخطئ اسمين، والأخطاء المصدر.

وقال المبرد: الخطأ اسم مفرد كالإثم، والخطيئة الذنب.

قال أبو عبيدة: يكون الخطأ ما لم تتعمد، وليس هذا موضعه، يعني: الآية التي في بني إسرائيل، وأنشد:

وَإِنَّ مُهَاجِرِينَ تَكَنَّفَاهُ غَدَا ... تَئِذٍ لَقَد خَطِئَا وَحَابَا

خطئا: ركبا ذنبا، وحاب من الحوب، وهو الذنب المزجور عنه مأخوذ من قولهم في زجر الإبل حوب حوب.

وجاء في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول[1]: الذنب المتعمد دون الشرك، قال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف آية: ٩٧].

الثاني[2]: الشرك، قال: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص آية: ٨] [أي مشركين][3].

الثالث[4]: ما لم يتعمد من الذنوب، قال تعالى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة آية: ٢٨٦]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ [النساء آية: ٩٢].

وقيل: هو استثناء منقطع، كأنه قال: لكن إن قتله خطأ فحكمه كيت وكيت، وقيل: هو استثناء صحيح وهو أن له أن يقتله في بعض الأحوال إذا رأى عليه سيماء المشركين، وهو خطأ.

---

(١) في ت: أولها.
(٢) في ت: والثاني.
(٣) سقط من: ن.
(٤) في ت: والثالث.

وقيل: إلا بمعنى الواو، أي: ولا خطأ، وليس بشيء، وقيل: هو استثناء صحيح، لأن الآية قد أفادت إيجاب العقاب على قاتله، ثم قال: ﴿إِلَّا خَطَـًٔا﴾ ، فإنه لا عقاب عليه، فاستثني من هذا المعنى، وقوله: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا﴾ [النساء آية: ١١٢]، يعني: أن من أخطأ خطأ يجب فيه العزم أو يعمد إثما فيه عار فرمى غيره بذلك ليغرمه أو يلحق به عاره، فقد احتمل الكذب أو[١] الباطل، وقد مضى تفسير البهتان.

الخبيث

أصل الخبث الدنس والرداءة[٢]، ومنه خبث الحديد وخبث الفضة ما ينفى منها؛ لأنه يفسدها ويدنسها، وتستعمل في الدهاء، فيقال: خبيث [إذا كان داهيا، ويستعمل في المعصية والحرام، وإن ذلك كله مما يدنس العرض والدين، ورجل خبيث][٣]: رديء المذهب، والمخبث الذي له أصحاب خبثاء.

والخبثة الفجور، والأخبثان الرجيع والبول، في الحديث "لا يصلي أحدكم وهو يدافع الأخبثين[٤]".

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف آية: ٥٨]، أي: الذي [رد ولا][٥] يكون إلا قليلا، والنكد القليل، وهو العسر أيضا؛ لأن خير العسر قليل.

وهو في القرآن على وجهين[٦]:

الأول: الحرام، قال الله: ﴿لَّا يَسْتَوِى الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ [المائدة آية: ١٠٠]، يعني: الحلال والحرام، معناه أن الخبيث وإن كثر فأعجب، فإن الطيب خير منه في العافية، وإن قل.

---

(١) في ن: و.

(٢) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (خبث) الخاء والباء والثاء أصلٌ واحد يدلُّ على خلاف الطّيّب. يقال خبيثٌ، أي ليس بطيِّب. وأخْبَثَ، إذا كانَ أصحابُه خُبثاء. ومن ذلك التعوُّذ مِن الخبيث المُخْبِث. فالخبيث في نفسه، والمُخْبِث الذي أصحابُه وأعوانُه خُبَثاء.

(٣) سقط من: ن.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٠٧٤) ٥ / ٤٣٠، أبو نعيم الأصبهاني في مسنده المستخرج على صحيح الإمام مسلم (١٢٢٥) ٢ / ١٥٨، ابن أبي شيبة في مصنفه (٧٩٤٠) ٢ / ١٨٥، أبو يعلى الموصلي في مسنده ٨ / ٢٣٣، أبو زكريا النووي في شرحه على صحيح مسلم ٥ / ٤٦.

(٥) في ت: رده لا.

(٦) في ت: ثلاثة أوجه.

والخبيث اسم يقع على جميع ما حرم الله، والطيب اسم يتناول جميع ما أحله الله وأعجبك مخاطبة الواحد، والمراد الجماعة، ومجاز الكلام أن الخبيث لا يساوي الطيب، وإن كان على حال يعجب ويسر.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾ [النساء آية: ٢]، أي: لا تأخذوا الحرام من أموال اليتامى بدلا مما أحل[١] من سائر الأموال.

الثاني[٢]: الكافر، قال الله: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران آية: ١٧٩]، يعني: الكافر والمؤمن، والطيِّب والفاجر، قال الله [: ﴿وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ [النور آية: ٢٦]][٣] من الرجال.

وهذه الآية منسوخة بالإجماع، ونزلت في الوقت الذي نزل فيه قوله: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ [النور آية: ٣]، [وقد علمنا أن النبي صلى الله عليه كان طيبا من الرجال فينبغي أن تكون أزواجه طيبات لقضية الله بذلك في هذه الآية.

وفي قوله: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾][٤] دليل على أن الزناة ليسوا بمؤمنين في أسماء الدين التي هي على جهة المدح، ولو كانوا مؤمنين على ما تقول المرجئة، لكان هذا التحريم يجب أن يعم هؤلاء الزناة كما عم المؤمنين لاجتماعهم في هذا الاسم الذي أجرى الله التحريم عليه في قوله: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور آية: ٣]، فلما كان هذا ناقضا لحكم الآية موجبا[٥] أن يكون حلل فيها ما حرم فيها ذلك على أن الزناة لا يدخلون في[٦] هذا الاسم.

الخير[٧]

الخير اسم لكل منفعة ومنه الخيرة في الأمور والاختيار، اختيارك الشيء على الشيء لما في المخبار من المنفعة في الظاهر، وقد تكلمنا في هذا الحرف بأكثر من هذا في كتابنا في[٨] التفسير.

والخير في القرآن على عشرة أوجه:

---

(١) في ن: أخذ. (٢) في ت: والثاني.

(٣) في ت: قال تعالى ﴿ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ يعني: الفواجر للفاجرين، وقيل: معناه الكلمات الخبيثات للخبيثين.

(٤) سقط من: ن. (٥) في ت: وموجبا.

(٦) في ت: يدخلوك. (٧) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٧٤.

(٨) سقط من: ن.

الأول(١): المال، قال: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة آية: ١٨٠]، وقال: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾ [ص آية: ٣٢]، وقيل: الخير هنا المال الكثير الذي له قدر، وكذلك في قوله: ﴿حُبَّ الْخَيْرِ﴾ [ص آية: ٣٢].

وروي أن رجلا من بني هاشم حضرته الوفاة، فأراد أن يوصي، فقال علي عليه السلام: كم ترك، قيل: أربع مائة، فقال: إن هذا قليل إن الله يقول: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ ، وقيل: كانت سبع مائة.

وقال قتادة: الخير ألف درهم فصاعدا.

وقال الزهري: الخير كل ما وقع عليه اسم المال من كثير وقليل، وأزاد علي عليه السلام: أن المال إذا كان قليلا يوفر على الورثة ولا يوصي منه استحبابا لا إيجابا.

الثاني(٢): الإيمان، قال الله: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال آية: ٢٣]، وكانوا يقترحون أن يسمعهم الله كلام الموتى، فقال: لو علم الله أنهم إن سمعوا ذلك آمنوا لفعل ذلك، وقيل: معناه لو علم فيهم إيمانا لسماهم سمعاء، ولم يسمهم بكما وصما.

الثالث(٣): الثواب، قال: ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ [هود آية: ٣١]، أي: ثوابا أي: لا أقول أن أعمالهم الحسنة تضيع عند الله لأجل فقرهم، والمراد أن المؤمن الزري المنظر ليس عند الله بمحروم، كما أنه عندكم محروم.

الرابع(٤): القرآن، قال: ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة آية: ١٠٥]، ويجوز أن يكون المراد ما يرزقهم الله من نعمة وسعة.

الخامس: بمعنى أفضل، قال الله: ﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون آية: ١١٨]، ومثله: ﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ، و: ﴿خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف آية: ٨٧، سورة يونس آية: ١٠٩، سورة يوسف آية: ٨٠]، وخير وشر يجيئان بمعنى أفعل، ولا يقال: أخير ولا أشر.

السادس: النعمة، قال الله: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس آية: ١٠٧]، يعني: بنعمة وعافية.

---

(١) في ت: أولها.
(٢) في ت: والثاني.
(٣) في ت: والثالث.
(٤) في ت: والرابع.

السابع: المنفعة، قال: ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ [الحج آية: ٣٦]، يعني: في ظهورها وألبانها.

الثامن: الطعام، قال: ﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص آية: ٢٤].

التاسع: الظفر في القتال، قال الله: ﴿لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ [الأحزاب آية: ٢٥]، أي: ظفرا ولا غنيمة.

العاشر: الهدى والبيان، قال الله: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾[1] [النحل آية: ٣٠]، أي: بيانا وهدى، والمراد القرآن، وخرج لنا وجه آخر، وهو الخير بمعنى الكفاية، قال الله: ﴿ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ [الكهف آية: ٩٥]، أي: كفاية، وأنت تقول: فلان في خير أي: في كفاية وتشبع القول في ذلك في باب القاف إن شاء الله.

ومما يجري مع هذا الباب الكلام في الاختيار والإيثار، فالاختيار إرادة الشيء بدلا من غيره، والإيثار مثل الاختيار؛ إلا أنه قيل في قوله: ﴿لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [يوسف آية: ٩١]، أي: قدم اختيارك علينا، فكان الإيثار وهو الاختيار المقدم؛ ولا يكون أيضا إيثار شيء إلا على شيء.

وأجود من هذا أن يقال: الإيثار اختصاص[2] الشيء دون غيره مأخوذ من قولهم: هو عندي من أهل الأثرة، أي: من أهل الاختصاص، وذلك لما يظهر فيه من آثار الصلاح، والاختيار إرادة الشيء دون غيره، لما فيه من الخير.

وسميت الإرادة اختيارا؛ لأن المريد من الأجسام لا يريد في الأغلب إلا الخير في الحقيقة، أو ما هو عنده خير ثم اتسع فيه فسميت كل إرادة أوثر بها على شيء اختيارا، وسميت أفعال الجوارح اختيارا تفرقة بين حركة البطش، وحركة المرتعش، كأنه سمى المختار منه اختيارا، كما سمى المشتهي شهوة، والمسروق سرقة.

الخيانة[3]

الخيانة ترك الوفاء للمؤتمن، وأصله من النقص تخونه إذا تنقصه، وبين الخائن

---

(١) وردت في المخطوطتان ن، ت: ﴿وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا﴾، وقد أثبتنا ما في المصحف.

(٢) في ن: لاختصاص.

(٣) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٧٦.

والسارق فرق، وكل سارق خائن، وليس كل خائن سارقا.

والخيانة في القرآن الكريم على وجهين:

الأول: المعصية، قال الله: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة آية: ١٨٧]، وقال: ﴿لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [الأنفال آية: ٢٧]، كذا قيل، والصحيح أنه أراد أنكم تنقصون أنفسكم من شهواتها بامتناعكم عن مباشرتهن لنهينا إياكم، والمخاطبة على هذا عامة، ويجوز أن تكون خاصة لقوم لا يصرون على الفرض، فيتركونه فينقصون أنفسهم الثواب، ويقال: ما يتخونك عندي إلا خصلة، أي: ما ينقصك.

الثاني[١]: خيانة المؤتمن، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء آية: ١٠٥]، نزلت في طعيمة بن أثيرق، رجل من بني ظفر من الأنصار، سرق درعا من حديد، وخفاها في جراب دقيق، وأودعها يهوديا، فاطلع عليه فعذره بنو ظفر عند النبي صلى الله عليه وسلم، وألزموا اليهودي الذنب، فهمَّ النبي صلى الله عليه وسلم بعقوبته، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء آية: ١٠٥]، أي: معينا واستغفر الله من همك باليهودي، ثم خاف طعيمة القطع[٢] فهرب إلى مكة فنقب بيت الحجاج بن غلاط، فتشبث في النقب فأخذ ثم خلى لجوازه فمضى نحو الشام فسرق في منزل نزله، فرمي بالحجارة حتى قتل، وفيه نزل: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ [المائدة آية: ٣٨]، قال ابن عباس: ﴿تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة آية: ١٨٧]، أي: تظلمونها بالخيانة، وقيل: لا تنصحون لتعرضكم إياها للعذاب الدائم.

والخصيم

المخاصم خاصمه، وهو خصيمه، مثل عاشره وهو عشيره، وخالطه وهو خليطه، ومن خاصم عن الإنسان فهو معينه، ولهذا قيل: أن الخصيم المعين[٣]، وقد ذكرنا أن كل سارق خائن، وليس كل خائن سارقا، ولهذا سمى الله طعيمة خائنا في هذه الآية، وقيل: للدهر خؤون؛ لأنه يأتي بأحداثه من حيث يؤمر.

وذكر في الخائنين كل ذي ذنب كبير، لأن الآتي بالكبير خائن لنفسه، كأنه لم يناصحها إذ عرضها لغضب الله عز وجل.

---

(١) في ت: والثاني. (٢) في ت: والقطع. (٣) في ن: المعنى.

الباب الثامن

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله دال

الدين(١)

أصله في العربية اللزوم(٢)، ويتصرف في العربية على خمسة أوجه: الملة،

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٢٠.

(٢) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (دين) الدال والياء والنون أصلٌ واحد إليه يرجع فروعُه كلُّها. وهو جنسٌ من الانقياد والذُّل. فالدِّين: الطاعة، يقال دان له يَدِين دِيناً، إذا أَصْحَبَ وانقاد وطَاعَ. وقومٌ دِينٌ، أي مُطِيعون منقادون. قال الشاعر:

وكانَ النَّاس إلّا نحنُ دِينا

والمَدِينة كأنّها مَفْعلة، سمّيت بذلك لأنها تقام فيها طاعةُ ذَوِي الأمر. والمدينة: الأَمَة. والعَبْدُ مَدِينٌ، كأنهما أذلّهما العمل. وقال:

رَبَتْ وَرَبَا في حِجْرِها ابنُ مدينةٍ ... يظل على مِسحاتِهِ يَتركَّلُ

فأمّا قول القائل:

يا دِينَ قَلْبُكَ مِن سَلْمَى وقد دِينَا

فمعناه: يا هذا دِينَ قلبُك، أي أُذِلَّ. فأمّا قولهم إنّ العادة يقال لها دِينٌ، فإن كان صحيحاً فلأنّ النفسَ إذا اعتادت شيئاً مرَّتْ معه وانقادت له. وينشدون في هذا:

كدِينِكَ مِن أمِّ الحُويرِثِ قَبْلَهَا ... وجارتِها أمِّ الرَّبابِ بِمَأْسَلِ

والرواية "كَدَأبك"، والمعنى قريبٌ. فأمّا قوله جلّ ثناؤه: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ [يوسف ٧٦]، فيقال: في طاعته، ويقال في حكمه. ومنه: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة ٤]، أي يوم الحكم. وقال قومٌ: الحساب والجزاء. وأيُّ ذلك كان فهو أمرٌ يُنقاد له. وقال أبو زَيد: دِينَ الرّجُل يُدان، إذا حُمِل عليه ما يَكره.

ومن هذا الباب الدَّيْن. يقال دايَنْتُ فلاناً، إذا عاملتَه دَيْناً، إمّا أَخْذاً وإمّا إعطاء. قال:

دايَنْتُ أَرْوَى والدُّيُونُ تُقْضَى ... فمطَلَتْ بعضاً وأدَّتْ بعضَا

ويقال: دِنْتُ وادَّنْتُ، إذا أَخَذْتَ بدَين. وأَدَنْتُ أَقْرَضْتَ وأعطيت دَيْناً. قال:

أَدَانَ وَأَنْبَأَهُ الأوَّلُون ... بأنَّ المُدانَ مَلِيٌّ وَفِيُّ

والدَّيْن من قياس الباب المطّرد، لأنّ فيه كلَّ الذُّلّ والذِّل. ولذلك يقولون "الدَّين ذُلٌّ بالنّهار، وغَمٌّ بالليل". فأمّا قول القائل:

يا دارَ سَلْمَى خَلاءً لا أُكَلِّفُهَا ... إلّا المَرَانةَ حَتَّى تعرفَ الدِّينَا

فإنّ الأصمعيّ قال: المَرَانة اسمُ ناقتِه، وكانت تَعرِفُ ذلك الطريقَ، فلذلك قال: لا أكلِّفُها إلّا =

والعادة، والحساب، والطاعة، والجزاء. وكل ذلك مما يلزم الإنسان أو يلزمه الإنسان، ومن ثم أيضا قيل: الدين للزومه الدائن لا يسقط عنه إلا بالأداء.

وهو في القرآن على خمسة(١) أوجه:

الأول(٢): التوحيد، قال: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر آية: ١٤]، وقال: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر آية: ٣]، يعني: التوحيد كذا قيل، ويجوز أن يكون أراد جملة ما عليه المؤمن من دينه.

الثاني: الحساب، قال الله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة آية: ٤]، أي: يوم الحساب، وقيل من دان نفسه ربح: أي: من حاسبها، وقيل: الدين هنا الجزاء ومثله: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ [الصافات آية: ٢٠]، ومثله: ﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝١١﴾ [المطففين آية: ١١]، والتكذيب به جحده(٣).

الثالث: الحكم، قال الله: ﴿وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور آية: ٢]، أي: في حكمه، وفيه دليل على أن الزاني والزانية ليسا بمؤمنين لإخراجه إياهما من استحقاق الرأفة والرحمة اللتين جعلهما للمؤمنين، ويجوز أن يكون الدين هاهنا بمعنى الملة، وقيل: في طاعة الله، وقيل: لا تأخذكم بهما رأفة فتقصروا في دين الله.

الرابع: الطاعة، قال الله: ﴿مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ﴾ [يوسف آية: ٧٦]، أي: في طاعته، وقد دان الناس لملكهم إذا أطاعوه، قال الشاعر:

لئن حللت بِحَيٍّ فِي بَنِي أَسَدٍ فِي دِينِ عَمرو وَحَالت بَينَنَا فدك

الخامس(٤): الملة، قال الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الفتح آية: ٢٨]، أي: ليعلو على كل دين يدان به، والظهور العلو، وظهر فوق البيت علاه، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران آية: ١٩]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ﴾ [التوبة آية: ٣٦]، أي: الملة المستقيمة.

وقال بعض الشعوبية: الدين فارسي واستدل على ذلك بأن الدين يوجد في

= المَرانة. حَتَّى تعرف الدِّين: أي الحالَ والأمر الذي تَعهده. فأراد لا أكلف بلوغَ هذه الدار إلّا ناقتي..

(١) في ت: ستة.
(٢) في ت: أولها.
(٣) في ت: جحده.
(٤) في ت: والخامس.

كتب الفرس القديمة [فقالوا دين ذو يرى على قديم الدهر][١] من قبل أن تدخل العربية أرضهم، يعنون خطا يكتبون به علوم دينهم، ونحن لا نعرف هذا، والصحيح أن الدين عربي معروف.

الدعاء[٢]

أصله الطلب، يقول: دعا إلى الشيء، أي: طلب المصير إليه، وادعى على فلان حقا؛ لأنه يطلبه.

والدعوة إلى الطعام معروفة، ثم كثر حتى سمي الطعام دعوة، وسمي بالمصدر من قولك: دعا دعوة واحدة، والدعوة في النسب؛ لأنه طلب الدخول فيه.

والدعاء أيضا الاستعانة، لأنها طلب الإعانة، قال الله عز وجل: ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة آية: ٢٣]، أي: استعينوهم، قال الشاعر:

وَقَبلَكَ كُلّ خصمٍ قَد تَمَالُوا ... عَلَيَّ فَمَا جَزِعتُ وَلا دَعَوتُ

أي: ما استعنت غيري على دفعهم.

وكل ما وقع لأجله الفعل فهو داع إليه إلا أن يقع على غير[٣] الاختيار، كالمتولد الذي يقع سببه عن سهو.

والدعاء في القرآن على خمسة أوجه:

الأول[٤]: القول، قال الله: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾ [الأعراف آية: ٥]، وقال: ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ [الأنبياء آية: ١٥]، أي: مازالت تلك الكلمة دعواهم، أي: يدعونها، وهو قوله: ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ﴾ [الأنبياء آية: ١٤، يس: ٥٢، الصافات: ٢٠]، ويقولون: فلان يدعوا بالويل، إذا كان يقول: يا ويله، وقال: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ [يونس آية: ١٠].

الثاني[٥]: العبادة، قال: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [الأنعام آية: ٧١]، وقال: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون آية: ١١٧]، وقال: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [الفرقان آية: ٧٧]، أي: لولا عبادتكم الأوثان لم ينال لعذابكم.

---

(١) سقط من: ن.

(٢) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٣١٣.

(٣) في ت: كبر.

(٤) في ت: أولها.

(٥) في ت: والثاني.

الثالث(١): الدعاء بعينه، وهو النداء، قال: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾ [القمر آية: ١٠]، وقال: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر آية: ٦]، وقال: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء آية: ٥٢]، وقال: ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ﴾ [الأنبياء آية: ٤٥]، وقال: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ [فاطر آية: ١٤].

الرابع(٢): الاستعانة، قال الله: ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة آية: ٢٣]، وقال: ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [يونس آية: ٣٨]، قال(٣)﴿ لَيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ [غافر آية: ٢٦]، أي: ليستعن به.

الخامس(٤): السؤال، قال الله: ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ [البقرة آية: ٦٨]، أي: سله، وقال: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾ [الأعراف آية: ١٣٤]، أي: سله يفعل، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الزخرف آية: ٤٩]، وقال: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ [الأعراف آية: ٥٥، غافر: ٤٩]، أي: سلوه، وهذا الضرب من السؤال واجب على العبد، لأن الأمر قد جاء به مطلقا، والأمر على الوجوب.

---

(١) في ت: والثالث.
(٢) في ت: والرابع.
(٣) في ت: وقال.
(٤) في ت: والخامس.

الباب التاسع

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ذال

الذكر(١)

أصل الذكر القوة(٢)، ومنه تسمية الذكر خلاف الأنثى؛ لأنه أقوى من الأنثى وجديد ذكر لفضل قوته على الأنوثة، والذكر بالقلب يرجع إلى هذا؛ لأن الشيء يثبت في القلب مع الذكر، فكان له قوه، والذكر باللسان شبيه بذلك.

وهو في القرآن على خمسة عشر وجها:

الأول(٣): الطاعة، قال الله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة آية: ١٥٢]، قال(٤) بعض المفسرين: معناه أطيعوني أثبكم، ويجوز أن يكون معناه اذكروني بقلوبكم وألسنتكم، أذكركم بالمدح والتعظيم وإيجاب الثواب، وهو جواب لقوله: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ [البقرة آية: ١٥١]، : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة آية: ١٥٢]، فيكون لاذكروني جوابان مقدم ومؤخر، كما يقال: إذا آتاك فلان فآته ترضه، ومعناه مثل معنى قوله: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر آية: ٦٠]، وقيل:

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٦٨.

(٢) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (ذكر) الذال والكاف والراء أصلان، عنهما يتفرَّع كَلِمُ الباب. فالمُذْكِر: التي وَلَدَتْ ذكراً. والمِذْكار: التي تَلِد الذُّكْرانَ عادةً. قال عديّ:

وَلَقَدْ عَدَّيْتُ دَوسَرَةً كَعَلَاةِ القَيْنِ مِذْكَارَا

والمِذْكار: الأرض تُنْبِت ذُكور العُشْب. والمذَكَّرَة من النُوق: التي خَلْقها وخُلُقها كخَلْق البعير أو خُلُقه. قال الفرّاء: يقال كَمِ الذِّكَرَةُ مِن ولدك؟ أي الذُّكور. وسيف مذكَّر: ذو ماءٍ. وذُو ذُكْرٍ، أي صارم.

وذُكور البَقْل: ما غلُظ منه، كالخُزامَى والأُقْحُوانِ. وأحرار البُقول: ما رَقَّ وكرُم. وكان الشَّيبانيّ يقول: الذُّكور إلى المرارَةِ ما هِيَ.

والأصل الآخر: ذَكَرْتُ الشيء، خلافُ نسِيتُه. ثم حمل عليه الذِّكْر باللِّسان. ويقولون: اجعلْه منك على ذُكْرٍ، بضم الذال، أي لا تَنْسَه. والذِّكر: العَلاء والشَّرَف. وهو قياس الأصل. ويقال رجلٌ ذَكِرٌ وذكيرٌ، أي جيِّد الذِّكْر شَهْمٌ..

(٣) في ت: أولها.

(٤) في ت: وقال.

اذكروني بطاعتي أذكركم برحمتي، وقيل: اذكروني بالثناء بنعمتي أذكركم بالثناء [في الطاعة](١)، وأكثر ما يستعمل الذكر بعد النسيان، وهذا حقيقة، وليس ذلك بموجب ألا يكون إلا بعد النسيان إذ كل من حضره المعنى بالقول أو العقد أو الخطور بالبال، فهو ذاكر، ويكون أصله التنبيه على الشيء، وكل من ذكر لنا شيئا فقد نبهنا عليه، والذَّكر أنبه من الأنثى.

الثاني(٢): قال هو الذكر باللسان في قوله: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْۚ﴾ [النساء آية: ١٠٣]، وقوله: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأنفال آية: ٤٥]، وقال: ﴿ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب آية: ٤١]، كذا قيل، ولا تنكر أن يكون أراد الذكر بالقلب واللسان جميعا.

الثالث: الذكر في القلب خاصة، قال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران آية: ١٣٥]، أي: ذكروا قدرة الله عليهم وأياديه إليهم فاستغفروه وتابوا إليه.

الرابع: ذكر الصفة والأمر، قال: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف آية: ٤٢]، أي: اذكر أمري وصفتي، وقال: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ [مريم آية: ١٦]، أي: اذكر أمرها، فإن فيه عجبا، وهكذا قوله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَۚ﴾ [مريم آية: ٤١]، أي: اذكر في الكتاب الذي أنزل عليك قصة إبراهيم عليه السلام، أي: اقرأها واعتبر بها.

الخامس(٣): الحفظ، قال الله: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ [البقرة آية: ٦٣]، وكذلك في الأعراف: ﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ [الأعراف آية: ١٧١]، أي: احفظوه.

السادس: الوعظ، قال: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ [الأنعام آية: ٤٤]، أي: وعظوا، وفي الأعراف أيضا: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ﴾ [الأعراف آية: ١٦٥]، وقال: ﴿أَئِن ذُكِّرْتُمۚ﴾ [يس آية: ١٩]، أي: وعظتم، وقال: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ [ق آية: ٤٥]، وقال: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ [الغاشية آية: ٢١]، وفي هذه الآيات دليل على أن الطاعة والمعصية من العبد؛ لأنهما لو كانتا من الله لم يكن لتذكير الله إياه فائدة.

---

(١) في ت: بالطاعة. (٢) في ت: والثاني. (٣) في ت: والخامس.

السابع: الشرف والنباهة، قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف آية: ٤٤]، وقال: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المومنون آية: ٧١]، فامتن عليهم بما جعل لهم من النباهة بهذا الدين، ودل على أن الخمول[1] معيب.

الثامن: الخبر، قال: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الصافات آية: ١٦٨]، وقال: ﴿سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف آية: ٨٣]، أي: خبرا، وقيل في قوله: ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾ [الأنبياء آية: ٢٤]، أي: هذا خبري وخبر من قبلي، والوجه هل فيما أنزل إلي أو فيما أنزل من قبلي دليل على أن مع الله إلها آخر، وذكر له.

التاسع: الوحي، قال: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [ص آية: ٨]، وقال: ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾﴾ [الصافات آية: ٣]، [ومثله: ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾﴾][2] [المرسلات آية: ٥].

العاشر: القرآن، قال: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء آية: ٥٠]، وقال: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء آية: ٢]، فسماه محدثا.

والمحدث إذا كان مقدرا مخلوقاً، وجاء في قوله: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ [الزخرف آية: ٥]، أنه أراد القرآن، وقيل: أراد ذكر العذاب أي: أفنضرب عنكم ذكر العذاب فلا تذكرة لكم لأجل إشراككم[3]، لا بل نذكر لكم العذاب لتنزجروا، ويقال: أضربت عنه الذكر أيضا، والشاهد على هذا التأويل قوله: ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ [الزخرف آية: ٨].

الحادي عشر: التوراة، قال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ [النحل آية: ٤٣]، يعني: أهل التوراة عبد الله بن سلام وأصحابه، الذين يصدفون عن الذكر وهو التوراة دون من يكتم ويتخرص لأن القبول يكون من أهل الثقة، : ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل آية: ٤٣]، أن الرسل بشروا بمحمد صلى الله عليه وسلم.

الثاني عشر: اللوح المحفوظ، قال: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ [الأنبياء آية: ١٠٥]، أي: من بعد اللوح المحفوظ.

الثالث عشر: البيان، قال الله: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ [الأعراف آية: ٦٣]، أي: بيان، وقال: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾﴾ [ص

---

(١) في ت: الخيول. (٢) سقط من: ن. (٣) في ن: إسرافكم.

آية: ١]، يعني: ذا البيان، وقيل: يعني: به ما ذكر فيه من الأقاصيص والحلال والحرام.

الرابع عشر: الدليل، قال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس آية: ٦٩]، وقال[1]: ﴿إِن هُوَ إِلا ذِكرٌ لِلعَالَمِينَ﴾ [ص آية: ٨٧، عبس: ٢٧، يوسف: ١٠٤]، ويجوز أن يكون الذكر هنا الموعظة.

الخامس عشر: الصلوات الخمس كذا قال بعض المفسرين في تفسير قوله: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة آية: ٢٣٩]، والصحيح أنه أراد تمام الصلاة مع الذكر فيها؛ لأنه تعالى قال في أول الآية: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ [البقرة آية: ٢٣٩].

والمراد فإن خفتم عدوا أو سبعا فلم تقدروا على الركوع والسجود، فصلوا على أرجلكم وعلى رواحلكم أيما، والرجال جمع رجل، والرجل جمع راجل فإذا زال عنكم الخوف فصلوا الصلاة التامة واذكروا الله فيها كما علمكم الشرائع.

وقوله: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور آية: ٣٧]، قالوا: يعني: الصلوات الخمس، وليس هذا بالوجه في هذه الآية؛ لأنه قال فيها: ﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [النور آية: ٣٧]، وقال: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون آية: ٩]، يعني: الصلوات الخمس زعموا، قال: ودليل ذلك قوله: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة آية: ٩]، يعني: صلاة الجمعة.

وقالوا في قوله تعالى: ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾ [ص آية: ٣٢]، أي: أثرت حب المال على الصلاة، وقيل: على ذكر الله، وينبغي أن تكون الصلاة هنا تطوعا؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يصنع المفروض، وخرج لنا وجه آخر، وهو الذكر بمعنى الغيب في قوله: ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنبياء آية: ٦٠] أي: يعيبهم، كذا قيل، والصحيح أنه يذكرهم بالعيب.

---

(١) في ت: وقالوا.

الباب العاشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله راء

الرحمة(1)

أصلها من الرقة، وقيل: ذوا الأرحام، لأن بعضهم يرق لبعض، والرحم في الأصل رحم المرأة ثم صارت ذو القربى أرحاما.

والرحيم في أسماء الله تعالى بمعنى المنعم المقيل للعترة القابل للتوبة وليس معناه الرقة، كما أن أصل العفو الترك، والترك لا يجوز على الله، يقال: عفا المنزل إذا ترك حتى درس ودلالة التعظيم أيضا يوجب انتفاء الرقة عن الله، ومع أن نعمة في الاتساع تقع موقع ما يبعث عليه الرقة، والرحمن أبلغ من الرحيم.

وليس لأحد من المخلوقين فيه شركة والرحمة الإنعام على المحتاج إلى ذلك، ألا ترى أن الإنسان إذا أهدى إلى ملك شيئا، لم يقل: إنّه رحمه، ويقال: إنه أنعم عليه.

والرحمة في القرآن على ثمانية أوجه:

الأول(2): قالوا هو بعثة الرسل وإنزال الكتب، قال [تعالى](3)﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء آية: ١٠٧]، وقوله: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [الأحقاف آية: ١٢]، وهذه الرحمة العامة المبتدأه بالدعاء والبيان، والوجه أن يقال: أنه أراد أن(4) بعثة للرسل وإنزال الكتب نعمة من الله على عباده، والرحمة من الله النعمة.

الثاني: الجنة، قال: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران آية: ١٠٧]، وقال: ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾ (5) [النساء آية: ١٧٥]، وقال:

---

(1) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٥٣.

(2) في ت: أولها.

(3) سقط من: ن.

(4) سقط من: ت.

(5) في ت: ﴿فسيدخلهم ربهم في رحمة منه وفضل﴾.

﴿فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِۦٓ﴾[(١)] [الجاثية آية: ٣٠]، وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة آية: ٢١٨]، وهي خاصة للمؤمنين جزاء لأعمالهم، وقال أبو علي رضي الله عنه: الرحمة والفضل هنا هو[(٢)] الثواب.

الثالث[(٣)]: **المطر، قال**: ﴿يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦۖ﴾ [الأعراف آية: ٥٧]، وقوله: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾[(٤)] [الروم آية: ٥٠]، يعني: المطر.

الرابع[(٥)]: **الرزق، قال**: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ﴾ [فاطر آية: ٢]، وقيل: وينشر رحمته يعني: رزقه، وقال: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ [إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ][(٦)]﴾ [الإسراء آية: ١٠٠]، وقال: ﴿ابتِغَاءَ رَحمَةٍ مِن رَبكَ تَرجُوهَا﴾ [الإسراء آية: ٢٨]، وقال: ﴿ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ [الكهف آية: ١٠]، ويجوز أن تكون هذه كلها بمعنى النعم والرزق داخل فيها.

الخامس: النبوة، قال: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ [ص آية: ٩]، وقال: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ﴾ [الزخرف آية: ٣٢].

السادس[(٧)]: الرحمة، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء آية: ٨٣]، أزاد: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [النساء آية: ٨٣]، فقدم وأخر؛ لأن الناس كلهم آمنوا بفضل الله عليهم في ألطافه وفوائده، وقوله: ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾[(٨)] [الزمر آية: ٣٨]، وقيل: يعني: العافية، وقوله: ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةًۚ﴾ [الأحزاب آية: ١٧]، يعني: نعمة، وقيل: أراد الفتح والنصر.

السابع[(٩)]: القرآن، قال الله: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف آية: ٢٠٣]، ويجوز أن يكون بمعنى النعمة، أي: هذا القرآن بيان ونعمة.

الثامن[(١٠)]: الهداية، قال: ﴿وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [هود آية: ٢٨]، أي: دلني على الإيمان فآمنت وصدقت، وهذا كله يرجع إلى معنى النعمة؛ لأن الرحمة

---

(١) في ت، ن: ﴿فسيدخلهم ربهم في رحمته﴾ والصحيح ما أثبتناه من نص المصحف.

(٢) سقط من: ن.

(٣) في ت: والثالث.

(٤) وردت في ت، ن ﴿فانظروا إلى آثار رحمة الله﴾ والصحيح ما أثبتناه من نص المصحف.

(٥) في ت: والرابع.

(٦) سقط من: ت.

(٧) في ت: والسادس.

(٨) في ن: ﴿أو أرادني برحمة منه﴾.

(٩) في ت: والسابع.

(١٠) في ت: والثامن.

من الله تعالى النعمة، وإنما أوردت هذه الوجوه على ما جاء في التفسير.

الروح[١]

أصل الريح، والروح والروح، والراحة واحد؛ وإنما الريح فعل، والروح فعل، والراحة فعلة، والرائحة فاعلة، وقد يجيء فاعلة في أسماء الأفعال، مثل العافية.

وأصل الكلمة من الطيب، وذلك أن الريح تطيب الهواء، والروح يطيب به الجسد، والرائحة أصلها في الطيب ثم استعملت في النتن، والأريحية طيب النفس بالبذل، وقيل: الراحة، لأن العيش يطيب معها، والطيب في الأصل فيما يستنشق، وإنما قيل: طيب النفس بالبذل.

والراحة طيب العيش على وجه التشبيه، والريحان معروف سمي بذلك لطيب ريحه، والريحان الرزق؛ لأن من وجده استراح؛ ولأن النفس تحبه كما تحب الريحان.

والروح في القرآن على ستة أوجه:

الأول[٢]: على ما قيل الرحمة، قال تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة آية: ٢٢]، أي: قولهم برحمة منه، والوجه أنه أراد بالروح هاهنا القرآن، وسماه روحا؛ لأنه يوصل به إلى المنافع كما يوصل الروح، والشاهد قوله: ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى آية: ٥٢]، والتأييد التقوية، ومعنى التأييد بالقرآن أنه أبطل به حجج خصماء الدين، وثبت حجج أهله به؛ لما عجز الناس عن الإتيان بمثله.

الثاني: جبريل عليه السلام، قال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ آية: ٣٨]، وقيل الروح هاهنا خلق كالإنسان، وقيل: هو ملك يقوم على يمين العرش، وقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء آية: ١٩٣]، يعني: جبريل عليه السلام على قلبك بالقرآن، وخص القلب لأنه موضع الحفظ، [ولو قال: عليك لم يتضمن معنى الحفظ][٣]، وقوله: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة آية: ٨٧]، وقال: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم آية: ١٧].

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٥٤.

(٢) في ت: أولها.

(٣) سقط من: ن.

الثالث: الوحي، قال: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ [النحل آية: ٢]، أي: بالوحي، و: ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ [النحل آية: ٢]، أي: بأمره، وبعض حروف الصفات يقوم مقام بعض؛ إذا لم يشكل المعنى، ويجوز أن يكون المعنى أن ابتداء تنزيله من أمر الله، ومن لابتداء الغاية، أي: حين أمرهم به نزلوا.

الرابع: عيسى عليه السلام، قال الله: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء آية: ١٧١]، وسماه روحا وكلمة؛ لأن الناس ينتفعون به كانتفاعهم بكلام الله، وكانتفاعهم بالروح، وقال بعضهم: قال: ﴿بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة آية: ٢٢]، لأنه خلقه من غير شر، ولا أعرف ما هذا.

الخامس: خلق يرون الملائكة ولا يرونهم كما يرانا الملائكة، ولا نراهم، وهو المعنى بقوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء آية: ٨٥]، هكذا جاء عن بعض المفسرين، ويجوز أن يكون معناه الروح الذي بحياته الحيوان، وهو يذكر ويؤنث، وقال: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء آية: ٨٥]، ولم يبين لهم كيفية ذلك؛ لأنهم كانوا توافقوا على أن يردوا كل ما يقول فيه، فأجابهم بما لا يمكنهم رده، فقال: هو من أمر ربي.

السادس: الروح الذي يحيا معه الحيوان لا غير بلا خلاف(١)، قال الله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [ص آية: ٧٢]، وقال: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ [السجدة آية: ٩]، ونسب الروح إلى نفسه؛ لأنه الفاعل له(٢)، ويجوز أن يكون قال ذلك تعظيما لأمر الروح، كما يقال: بيت الله، وحرم الله، وخليفة الله، وقال: ﴿وَنَفَخَ﴾ [السجدة آية: ٩]، لأن الروح من جنس الريح.

الرجاء(٣)

الرجاء مقصور الناحية، والرجاء ممدود من الأصل، الأصل الميل، وذلك أن من يرجو نيل الشيء فإنه يخاف فوته في أكثر الحال، فكان الرجاء طرف، والخوف طرف، ومنه قيل: رجاء البئر لناحيته؛ فأما الطمع فيما قيل فتوطين النفس على نيل المطلوب من غير مخافة للفوت، والصحيح أن الرجاء ما كان عن سبب، والطمع ما كان عن غير سبب، ولهذا ذم الطمع، ولم يذم الرجاء، وربما جاء الطمع في

---

(١) في ن: حذف. (٢) سقط من: ن.

(٣) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٦٣.

معنى الأصل، وهو قوله: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء آية: ٨٢].

والرجاء في القرآن على وجهين:

الأول[١]: الأمل، قال الله: ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ [الإسراء آية: ٥٧]، وهذا دليل على ما قلنا من أن الرجاء يكون طرفا، والخوف طرفا.

الثاني: الخوف، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا ﴿٢٧﴾﴾ [النبأ آية: ٢٧]، ونحوه قوله: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت آية: ٥]، أي: بحسن البعث، وقال: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ [الكهف آية: ١١٠].

وليس اللقاء الرؤية، ألا ترى الأعمى يقول لقيت فلانا، ولم يعن أنه رآه، وأصل اللقاء المصادفة، وهو هاهنا لقاء ما وعد الله، لأن الله لا يصادف، والرجاء بمعنى الخوف معروف في العربية، قال الهزلي:

إذا لَسَعَتهُ النَّحلَ لَم يَرجِ لَسعَهَا

الرقبة[٢]

أصل الرقبة الانتظار، وسميت الرقبة رقبة، لأنك تمدها إذا انتظرت توقفا للمنتظر، والرقبى أن تعطي الرجل دارا أو أرضا، فإن مات قبلك رجعت إليك، وإن مت قبله كانت له، وسميت رقبى؛ لأن كل واحدا منهما[٣] يرقب موت صاحبه، والمرقب المربا.

والرقيب الذي يشرف على أصحاب الميسر، والارتقاب انتظار مع مخافة، ولهذا يقال: فلان يراقب فلانا، أي: يخافه، وراقب الله، أي: خفه، ولهذا كان أكثر ما يستعمل الارتقاب في المكروه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ﴾ [هوة آية: ٩٣]، والرقيب في أسماء الله تعالى الحفيظ.

وهو في القرآن على وجهين:

الأول[٤]: الحفيظ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء آية: ١]، أي: هو حافظ لأعمالكم، وفي ذلك ترغيب وترهيب، وإخبار بأن الجزاء من وراء العباد، وقوله: ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [المائدة آية: ١١٧].

---

(١) في ت: أحدهما.
(٢) في ت: الرقيب..
(٣) في ت: منكما.
(٤) في ت: أحدهما.

الثاني(١): بمعنى الانتظار، قال: ﴿وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود آية: ٩٣]، وقال: ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ۝٥٩﴾ [الدخان آية: ٥٩]، أي: انتظر ما يكون(٢) من نصرنا إياك، أنهم منتظرون ما يكون من مثل ذلك لهم.

الرجم(٣)

أصله الرمي(٤) ثم قيل للقتل رجم، والشتم رجم تشبيها، والرجمة القبر لما يرمى فيه من التراب [على الميت](٥).

والرجم في القرآن على أربعة(٦) أوجه:

الأول(٧): القتل، قال في يس: ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ [يس آية: ١٨]، أي: نقتلنكم، وقال: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ۝٢٠﴾ [الدخان آية: ٢٠]، أي: أن تقتلون، وقال: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ [هود آية: ٩١]، وقيل: معناه رجمناك بالحجارة، وقيل: بالسب، ويجوز أن يكون ما تقدم مثل ذلك، وقال: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم آية: ٤٦]، يعني: القتل، وقيل الشتم.

الثاني(٨): الرمي، قال الله: ﴿رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك آية: ٥].

الثالث(٩): الظن، قال الله: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ [الكهف آية: ٢٢]، أي: يقولون

---

(١) في ت: والثاني. (٢) في ن: بكم.

(٣) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٨٥.

(٤) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (رجم) الراء والجيم والميم أصلٌ واحدٌ يرجع إلى وجهٍ واحد، وهي الرَّمْي بالحجارة، ثم يستعار ذلك. من ذلك الرِّجام، وهي الحجارة. يقال رُجم فلانٌ، إذا ضُرب بالحجارة. وقال أبو عُبيدة وغيرُه: الرِّجام: حجَرٌ يشَدُّ في طرف الحَبْل، ثم يدَلَّى في البئر، فَتُخَضْخَضُ الحمأةُ حتى تَثُور ثم يُسْتقى ذلك الماء فتُسْتَنْقَى البئر. والرُّجْمَة: القبر، ويقال هي الحجارة التي تجمع على القَبر ليُسَنم. وفي الحديث: "لا تُرَجِّمُوا قَبْري"، أي لا تجعلوا عليه الحجارةَ، دَعُوه مستوياً. وقال بعضُهم: الرِّجام حجرٌ يشَدُّ بطَرَف عَرْقُوَةِ الدّلو، ليكون أسرَعَ لانحدارها.

والذي يستعار من هذا قولُهم: رَجَمْتُ فلاناً بالكلامِ، إذا شَتَمْتَه. وذُكِر في تفسير ما حكاه عزّ وجلّ في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم ٤٦] أي لأشتُمنَّك؛ وكأنه إذا شتَمه فقد رجَمَه بالكلام، أي ضرَبَه به، كما يُرجَم الإنسان بالحجارة. وقال قوم: لأرجُمَنَّك: لأقتُلنّك. والمعنى قريبٌ من الأول..

(٥) سقط من: ن. (٦) في ت: خمسة.

(٧) في ت: أولها. (٨) في ت: والثاني.

(٩) في ت: والثالث.

ذلك ظنا، ويقال رجمت الظن في كذا إذا ذهب ظنك فيه كل مذهب، قال زهير:

وَمَا هُوَ عَنهَا بِالحَدِيثِ المُرجَمِ

أي المظنون.

الرابع[١]: بمعنى اللعين[٢]، جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل آية: ٩٨]، أنه يعني: الملعون، وقيل: الرجيم المرجوم بالشهب، من قوله: ﴿رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك آية: ٥].

الرؤية

أصل الرؤية رؤية العين، ثم استعمل في العلم لوقوع العلم مع الرؤية، كما أن أصل البصر بصر العين، [ثم سمي العلم بصيرة وبصرا؛ لأنه قد يقع مع بصر العين][٣] ورؤية العين يتعدى إلى مفعول واحد، والرؤية التي بمعنى العلم يتعدى إلى مفعولين لا غير، مثل العلم، تقول: رأيت الرجل حكيما بمعنى علمته، كذلك رأيت الرجل بمعنى أبصرته.

والرؤية في القرآن على ثلاثة أوجه:

أولها: رؤية العين، قال الله: ﴿تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ [الزمر آية: ٦٠]، ومثله كثير.

الثاني[٤]: العلم، قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ [الأنبياء آية: ٣٠]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان آية: ٤٥]، ومثله[٥]: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [يس آية: ٧٧]، أي: أولم يعلم، ولم يرد أنه خصيم في الحال، ولكن إذا بلغ، ونحوه قوله: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف آية: ٣٦]، أي: ما يكون خمرا، ومثله قول الراجز:

الحَمدُ للهِ العَلِيمِ المَنَّانْ ... صَارَ الثَّرِيدُ فِي رُءوسِ العِيدَانِ

فسمي الحب في سنبله ثريدا على معنى أنه يكون كذلك.

الثالث[٦]: بمعنى الخبر، جاء في التفسير عن ابن عباس أن قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى

---

(١) في ت: والرابع.
(٢) في ت: اللعن.
(٣) سقط من: ن.
(٤) في ت: والثاني.
(٥) في ت: وقوله.
(٦) في ت: والثالث.

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران آية: ٢٣]، أنه يعني: ألم تخبر، وذلك أن جني بن أخطب، وكعب بن الأشرف سارا إلى مكة، فقال المشركون: هذان خبر اليهود، وأهل العلم بالكتب فاسألوهما عنكم وعن محمد [أيكم خير فسألوهما، فقالا] [1]: إنكم[2] خير منه أنتم أهل هذا البيت وذاك صابئ فأنزل: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾ [النساء آية: ٥١].

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران آية: ٢٣]، معناه ألم تخبر بذلك، وهذا أيضا يرجع إلى معنى العلم؛ لأنه إذا أخبر به فقد علمه، ويجوز أن يكون تعجيبا منهم كما تقول لصاحبك: ألم تر إلى فلان كيف أحسن إليه ويحفو بي ونحو ذلك.

---

(١) سقط من: ن.

(٢) في ت: أنتم.

الباب الحادي عشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله زاي

الزخرف(1)

أصله الذهب، ثم استعمل في التزيين، فيقال: زخرفت البيت إذا زينته، وزخرفت القول إذا زورته وحسنته، وسميت أنوار الربيع زخارف؛ لأنها تزين الأرض.

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول: الذهب، قال الله: ﴿وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ [الزخرف آية: ٣٥]، وقال: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ [سورة: آية ٩٣]، يعني: الذهب.

الثاني(2): الزينة والحسن، قال الله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾، [يونس آية: ٢٤]، يعني: حسنها وزينتها.

الثالث: تزوير القول حتى يشبه كذبه صدقا وغروره حقا، قال تعالى: ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [سورة: آية ١١٢]، والمعنى أن بعضهم يزين لبعض الأعمال القبيحة، وغرورا منصوب على المصدر ومحمول على المعنى، كأنه قال: يغرون غرورا.

الزبر(3)

أصل الزبر الكتب في الحجر(4)، ثم كثر حتى جعل كل كتابة زبرا، يقال:

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٥٨.

(٢) في ت: والثاني.

(٣) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٠٠.

(٤) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (زبر) الزاء والباء والراء أصلان: أحدهما يدلُّ على إحكام الشيء وتوثيقه، والآخر يدلُّ على قراءةٍ وكتابةٍ وما أشبه ذلك.
فالأوّل قولهم زَبَرْت البِئر، إذا طويتَها بالحجارة. ومنه زُبْرة الحديدِ، وهي القطعة منه، والجمع زُبَر. ومن الباب الزُّبْرة: الصّدر. وسُمّي بذلك لأنه كالبئر المزبورة، أي المطويّة بالحجارة. ويقال إنَّ الزُّبْرة من الأسد مُجتمع وَبَرِه في مِرفقيْهِ وصدرِهِ. وأسد مَزْبَرانيٌّ، أي ضخم الزُّبْرة. =

زبرت الكتاب[1] كتبته، وزبرته قرأته، والزبور فعول، بمعنى مفعول، أي: هو مزبور، كما قيل: ركوبة وحلوبة، وقد يقال: ركوبة، قال الله تعالى: ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ [يس آية: ٧٢].

وأصل الكلمة الاجتماع، ومنه قيل: زبرت البئر، إذا طويتها بالحجارة بجمعك الحجارة فيها، وزبرة الأسد الشعر المجتمع على كاهله، وأسد أزبر ومزبر عظيم الزبرة، والزبرة القطعة من الحديد، قال الله: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ [الكهف آية: ٩٦].

وروي الفقير الذي لا زبر له أي: ليس له معتمد يجمع أمره، ومن ثم سمي الزبير، وأخذت الشيء بزوبره أي: بأجمعه، والواو زائدة، ويجوز أن يكون أصل الكلمة الغلظ، ومنه قولهم: زبره إذا أغلظ له القول.

والزبر في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول: الكتب، قال الله: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ [آل عمران آية: ١٨٤]، أي: أرسلناهم بالعلامات البينات، والزبر يعني: الكتب المضمنة للأمر والنهي، وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الشعراء آية: ١٩٦]. وقال بعض المفسرين: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء آية: ١٠٥]، أنه يعني: بالزبور الكتب كلها، وليس بالوجه؛ لأن الظاهر لا يترك إلا بدليل، ولا دليل إلا أن يكون القراءة في الزبور، جمع زبر مثل سفر وسفور، وليس ذلك المشهور، ولا ينبغي القراءة به عندنا.

الثاني: اللوح المحفوظ، قال الله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾ [القمر آية: ٥٢]، هكذا جاء في التفسير.

الثالث: قوله تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ [المؤمنون آية: ٥٣]، و[من

= ومن الباب الزَّبير، وهي الدَّاهية. ومن الباب: أخَذَ الشَيءَ بزَوْبَرِه، أي كُلِّه. ومنه قول ابن أحمر في قصيدته:

عُـــدَّتْ عـــلـــيَّ بِـــزَوْبَـــرَا

فيقال إنَّ معناهُ نُسِبتْ إليَّ بكمالها. ومن الباب: ما لِفلَانٍ زَبْرٌ، أي ما له عقلٌ ولا تماسُك. ومنه ازبأرَّ الشَّعر، إذا انتفَش تقوى.

والأصل الآخر: زَبَرْتُ الكتابَ، إذا كتبتَه. ومنه الزبور. وربَّما قالوا: زبرتَه، إذا قرأتَه. ويقولون في الكلمة: "أنا أعرفُ تَزْبِرَتي". أي كتابتي..

(١) في ن: الكتب.

قرأ][1] زبرا أراد قطعا، الواحدة زبرة، ومنه: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ [الكهف آية: ٩٦]، ومن قرأ زبرا أي: جعلوا دينهم كتبا مختلفة.

الزوج

الأشهر عند العرب أن الزوج واحد[2]، والمرأة زوج الرجل، والرجل زوج المرأة، ولا يقال للمرأة زوجة إلا قليلا، وكل اثنين لا يستغنى أحدهما عن الآخر، وهما زوجان مثل زوجي، يقال: وزوجي خفاف، وربما قيل للاثنين زوج، وهو قليل شاذ، والزوج النمط يطرح تحت الهودج، قال لبيد:

زوجٌ عـــلـيـــهِ كـلـــة وقِـــرَامُـــهَـــا

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول: الحليلة، قال الله: ﴿لَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة آية: ٢٥]، وقال: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ﴾ [النساء آية: ١١].

الثاني: الصنف، قال: ﴿خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ [يس آية: ٣٦]، وقال: ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [3] [ق آية: ٧]، وقال: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الأنعام آية: ١٤٣]، وقال: ﴿جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الرعد آية: ٣].

وكل ذلك بمعنى الصنف، ودخل اثنين تأكيدا، ويجوز أن يقال: أنه دخل؛ لأن الزوج في بعض اللغات اثنان، فلو لم يقل: اثنين لتوهم من تلك لغته، لأن الزوجين أربعة، فلما قال: اثنين ارتفع الإشكال.

---

(١) سقط من: ن.

(٢) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (زوج) الزاء والواو والجيم أصلٌ يدلُّ على مقارنَة شيءٍ لشيء. من ذلك الزّوج زوج المرأة.
والمرأةُ زوج بعلِها، وهو الفصيح. قال الله جل ثناؤه: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة ٣٥، الأعراف ١٩].
ويقال لفلانٍ زوجانِ من الحمام، يعني ذكراً وأنثى. فأمّا قولُه جلّ وعزّ في ذِكْر النبات: ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج ٥، ق٧]، فيقال أراد به اللّون، كأنّه قال: من كل لونٍ بهيج.
وهذا لا يبعد أن يكون مِن الذي ذكرناه؛ لأنه يزوِّج غَيْرَه ممّا يقاربه. وكذلك قولهم للنَّمَط الذي يُطرَح على الهودج زَوج؛ لأنّه زوجٌ لما يُلْقَى عليه. قال لبيد:
مِـن كـل مـحـفـوفٍ يُـظِـلُّ عِـصِـيَّـهُ زَوْجٌ عـلـيـه كِـلّـةٌ وقِـرامُـهـا.

(٣) وردت في م، ط ﴿وأنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾، ووردت في المصحف ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾، والصحيح ما أثبتناه من نص المصحف.

الثالث: القرين، قال: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات آية: ٢٢]، أي: قرناءهم من الشياطين.

وذلك أنه لما كان الزوج الواحد الذي له قرين سمي القرين زوجا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان آية: ٥٤]، أي: قرناؤهم[١].

ولا يجوز أن يكون من التزويج؛ لأنه لا يقال: زوجت فلانا بفلانة، وإنما يقال: زوجت فلانة فلانا بغير باء، وقال: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ [التكوير آية: ٧]، أي: قرن كل واحد بمن شايع.

---

(١) في ت: قَرَنَاهم.

الباب الثاني عشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله سين

سواء[1]

أصل السواء من التماثل، ومنه قيل للمثل السيء، وهما سيئان أي: مثلان، وسواء لا يجمع؛ لأنه في مذهب الفعل فإن احتجت إلى جمعه قلت: أسوئة، وقال بعضهم: جمع سواسية على غير قياس، وهو غلط لأن سواء يستعمل في الخير والشر، وسواسية لا يستعمل إلا في الشر، وهذا دليل على أنه حرف برأسيه، وهو جمع لا واحد له من لفظه.

وسواء في القرآن على خمسة أوجه:

الأول: العدل، قال الله: ﴿إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران آية: ٦٤]، أي: عدل، وهو قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد آية: ١٩، الصافات: ٣٥]، وقوله: ﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت آية: ١٠]، أي: عدل لمن يطلب الرزق.

ومعنى ذلك أنه خلق الأرض والماء وجعل فيهما قوت الخلق بالعدل، لأنه رزق كلا منهم على قدر ما علم أنه صلاح له، وقيل: ﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت آية: ١٠]، أي: لمن سأل في كم خلقت الأرض، وما فيها؟، فقيل: خلقت الأرض في أربعة أيام سواء لا زيادة ولا نقصان جوابا لمن سأل.

الثاني: الوسط، قال: ﴿فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات آية: ٥٥]، وقال: ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ [ص آية: ٢٢]، أي: إلى أحكم البين فشبهه بوسط الطريق، وقيل: السواء هاهنا بمعنى العدل.

الثالث: الأمر البين، قال: ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الأنفال آية: ٥٨]، يعني: على أمر بين، قال أبو عبيد: قال الكسائي وغيره: السواء العدل، وقال غير واحد من أهل العلم: ﴿انبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ [الأنفال آية: ٥٨]، أي: أعلمهم

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٣٦.

أنك محاربهم حتى يصيروا مثلك في العلم بذلك، فذلك هو السواء.

الرابع: الاستواء، قال: ﴿سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ﴾ [الحج آية: ٢٥]، وقال: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ﴾ [النساء آية: ٨٩]، قال: ﴿فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ [الروم آية: ٢٨]، أي: مستوون، ومثله: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ [لَا يُؤۡمِنُونَ](١)﴾ [يس آية: ١٠]، أي: مستو عندهم إنذارك وخلافه، وقال: ﴿عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ﴾ [النحل آية: ٧١].

الخامس: القصد، قال الله: ﴿أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص آية: ٢٢]، وقال: ﴿وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة آية: ٧٧]، ونحوه: ﴿وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ [ص آية: ٢٢]، وقيل: معناه هاهنا العدل، والمراد عندي الحكم البين، فشبهه بوسط الطريق، ووسط الطريق بينه فخصه بالذكر.

السوء(٢)

أصله المكروه ومنه قولهم: دفع الله عنك السوء؛ ثم استعمل في الحزن؛ لأن الحزن مكروه، فقيل: ساءه الأمر، والدليل على أنه يراد به الحزن أنهم يجعلونه خلاف السرور، فيقولون: ساءه ذلك، وسره هذا، وقوله: ﴿سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الملك آية: ٢٧]، أي: يتبين فيها أثر الحزن.

والسوء في القرآن على ثمانية أوجه:

الأول: الشدة، قال الله: ﴿يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [البقرة آية: ٤٩]، وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ [النمل آية: ٥] أي: شدته.

الثاني: المكروه، قال: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ﴾ [الأعراف آية: ٧٣]، أي: بمكروه، وقال: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ﴾ [الرعد آية: ١١]، قوله: ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾ [الأعراف آية: ١٨٨]، وقوله: ﴿إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا﴾ [الأحزاب آية: ١٧]، أي: مكروها، وقيل: المراد القتل والهزيمة.

الثالث: جاء بمعنى الزنا، قال: ﴿مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ﴾ [يوسف آية: ٥١]، وهذا راجع إلى المكروه؛ لأن الزنا مكروه.

الرابع: البرص، قال الله: ﴿تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾ [طه آية: ٢٢].

---

(١) سقط من: ن.

(٢) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٤٤.

الخامس: العذاب، قال الله: ﴿إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [النحل آية: ٢٧]، وقال: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الزمر آية: ٦١]، يعني: العذاب، ومعنى ذلك كله راجع إلى المكروه ونحوه: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ [الروم آية: ١٠]، أي: العذاب.

السادس: المعصية من الشرك وغيره، قال: ﴿مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭ﴾ [النحل آية: ٢٨]، يعني: الشرك، وقال: ﴿يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ﴾ [النساء آية: ١٧]، يعني: ما دون الشرك.

السابع: الشتم، قال: ﴿وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ [الممتحنة آية: ٢].

الثامن: قوله: ﴿سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الرعد آية: ١٨]، قال: هو أن لا يقبل منه حسنة، ولا يتجاوز عن سيئة، و: ﴿سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد آية: ٢٥]، يعني: شر الدار، وعذابها، وقيل: معناه بئس الدار.

السعي(١)

أصله السرعة في المشي، ثم استعمل في غيره، فيقال: سعى الرجل سعاية، إذا ولي الصدقة، والساعي إلى السلطان لسرعته، لأن الساعي حنق على المسعي به؛ فهو سريع إلى إلحاق الضرر به، والمساعاة الزنا بالإماء خاصة.

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول: المشي، قال الله: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة آية: ٩]، لم يرد سرعة المشي؛ وإنما أراد صدق القيام في أمر الصلاة، وتقوية العزم عليه، والمستحب أن المشي إلى الجمعة مشيا رويدا لا سرعة فيه ولا بطء، وقال: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ﴾ [الصافات آية: ١٠٢]، يعني: المشي، يقال: أراد المعاونة على أمره ونحوه قولهم: فلان يسعى في حوائج أهله، أي: يعينهم فيها.

الثاني: العمل، قال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا﴾ [الإسراء آية: ١٩]، وقوله: ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩﴾ [النجم آية: ٣٩]، أي: ما عمل، وحقيقته جزاء ما عمل.

وقال: ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ [الإسراء آية: ١٩]، أي: عملها،

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٠٦.

وقال: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾ [الليل آية: ٤]، أي: عملكم مختلف، وأصل الشتت التفرق.

وقال: ﴿سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾ [الحج آية: ٥١]، أي: سابقين جادين في الصرف عن آياتنا، وقال[١]: مغالبين.

وأصل العجز الضعف، وقد عاجزه كأنه طلب ضعفه [وقرئ: ﴿مُعَجِّزِينَ﴾ أي: يعجزون من يؤمن بها، وهو معنى التثبيط][٢] عنها، ويرجع الأول إلى الإسراع.

الثالث[٣]: السرعة، قال الله: ﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨﴾ [عبس آية: ٨]، أي: يسرع إليك للاستفادة منك.

وقال: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ [القصص آية: ٢٠]، وقال: ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البقرة آية: ٢٦٠]، وقيل: أراد مشيا، والأول أجود.

السوي[٤]

أصله من الاستواء، وقد جاء في معنى الصحة؛ لأن المستوي صحيح التقاسيم، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي[٥] ".

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول[٦]: الصحيح، قال: ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم آية: ١٠]، أي: صحيحا من غير خرس.

---

(١) في ت: وقيل.

(٢) سقط من: ن.

(٣) في ت: والثالث.

(٤) في ن: سوى. و انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص١٦٨.

(٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣٣٩٤) ٨ / ١٨٧، وابن خزيمة في صحيحه (٢٣٨٧) ٤ / ٧٨، والحاكم في مستدركه على الصحيحين (١٤٧٧) ١ / ٥٦٥، والترمذي في سننه (٦٥٢) ٣ / ٤٢، والدارمي في سننه (١٦٣٩) ١٢ / ٤٧٢، والبيهقي في سننه الكبرى (١٢٩٣٤) ٧ / ١٣، (١٣٠٣٢) ٧ / ٣٤، والنسائي في سننه الكبرى (٢٣٧٨) ٢ / ٤، وفي المجتبى (٢٥٩٧) ٥ / ٩٩، وأبو داود في سننه (١٦٣٤) ٢ / ١١٨، وابن ماجة في سننه (١٨٣٩) ١ / ٥٨٩ والإمام أحمد في مسنده (٦٥٣٠) ٢ / ١٦٤، (٦٧٩٨) ٢ / ١٩٢، (٩٠٤٩) ٢ / ٣٨٩، (٢٣٢٣١) ٥ / ٣٧٥، وأبو يعلى في مسنده (٦١٩٩) ١١ / ٦٢.

(٦) في ت: أولها.

الثاني[١]: المستوي الصورة، السوي الخلق، قال: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم آية: ١٧]، أي: سوي الخلق في صورة البشر.

الثالث: العدل، قال: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾ [طه آية: ١٣٥]، أي: العدل، وقال: ﴿فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ [مريم آية: ٤٣]، يعني: دينا عدلا، قال[٢] ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك آية: ٢٢]، يعني: عدلا مهديا.

السبب

أصله الحبل، ثم قيل: لكل شيء وصلت به إلى موضع أو حاجة تريدها سبب، تقول: فلان سببي إليك، أي: وصلني، وما[٣] بيني وبينك سبب، أي: وصلة ورحم.

وهو في القرآن على أربعة أوجه:

الأول[٤]: الباب، قال: ﴿فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ [ص آية: ١٠]، يعني: أبواب السماوات كما قال تعالى: ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ [غافر آية: ٣٦]، [أسباب السموات][٥] وسبب الشيء ما يتوصل به إليه، ويجوز أن يكون قوله: ﴿فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ [ص آية: ١٠]، يعني: في الحبال وغيرها مما يتوصل به إلى الموضع العالي.

ويجوز أن يكون أراد الهواء الذي هو سبب لصعود الملائكة إلى السماء يمدون فيه أجنحتهم فيصعدون، وهذا على جهة التعجيز للكفار المخاطبين بهذه الآية، والإخبار بأنهم يغلبون ولا يتم أمرهم، والشاهد على صحة هذا قوله: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾ [ص آية: ١٠].

الثاني: الطريق، قال تعالى: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ [الكهف آية: ٨٥]، وجعل الطريق سببا، لأنك إذا سلكته وصلت إلى الذي تريده، ومنه قولهم[٦] سبب لك على فلان، أي: جعل لك طريقاً إلى مطالبة.

الثالث: الحبل، قال الله: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج آية: ١٥].

الرابع: العلم، قال: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف آية: ٨٤]، أي:

---

(١) في ت: والثاني.
(٢) في ت: وقال.
(٣) في ت: ما.
(٤) في ت: أولها.
(٥) في ت: سقط من: ن.
(٦) في ت: قيل.

علما، ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ۝٨٥﴾ [الكهف آية: ٨٥]، أي: طريقا يهد به إلى معلومه، ويجوز أن يكون المراد: إنا أعطيناه من كل شيء يتوصل به إلى الغلبة والسلطان ألة أو قوة أو ذريعة أو علما على ما ذكر.

السمع[١]

أصل السمع سمع الأصوات، ثم سميت الأذن سمعا؛ لأن السمع بها يكون فيما بيننا، وسمى الإجابة سمعا، لأنها مع السمع تكون في أكثر الأوقات، والسميع لا يقتضي المسموع، لأن فعيلا جعل للمبالغة، وليس هو على مقتضى فعل، والله تعالى لم يزل سميعا، ومعناه أنه الذي لا آفة به لمنعه عن سمع المسموع إذا وجد، والسامع يقتضي المسموع، فلا يسمى الله سامعا، فيما لم يزل.

والسمع[٢] في القرآن على وجهين:

الأول[٣]: سمع الصوت، قال الله: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ [هود آية: ٢٠]، أي: يعرضون عن الإيمان وينصرفون عنه انصراف من لا يستطيع سمعه.

الثاني: القبول والإجابة، قال الله: ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران آية: ٣٨]، أي: مجيبه، وأنت تقول لصاحبك: اسمع نصيحتي مع أنك تعلم أنه يستجيبها، وإنما يريد أقبل، ونحوه قولك لمن يحله: سمعا وطاعة، أي: أقبل ما تقول وأطيعك فيه، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال آية: ٢٣]، أي[٤]: لسماهم سمعاء، ولم يسمهم صما بكما.

السلطان[٥]

أصل السلطان القوة، والسطوة، والجدة، وهو مشتق من السليط، وهو الزيت، وذلك أن الزيت مادة للسراج يشتعل به وتقويه حتى يبقى، والسلطان مادة وقوة لكل خير وشر، ونفع وضر، وهو يذكر ويؤنث.

ورجل سليط اللسان فصيحه، يرجع إلى معنى الجدة، والمصدر السلاطة، وهو للرجل مدح وللمرأة ذم، يقال: امرأة سليطة إذا كانت كثيرة الصخب، ويقال:

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٣٣.

(٢) في ت: السميع. (٣) في ت: أحدهما.

(٤) في ت: وإما.

(٥) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٦٧.

ذهب سلطان الحر وسلطان البرد أي: شدتهما، وسميت القدرة على الشيء سلطانا، يقال: مالي على هذا الأمر سلطان، أي: قدرة.

والسلطان في القرآن على وجهين:

الأول: الحجة، قال الله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٩٦﴾﴾ [هود آية: ٩٦]، يعني: حجة وبينة[١]، وقال: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [الحج آية: ٧١]، وقال: ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾﴾ [الصافات آية: ١٥٦]، وقال: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [النمل آية: ٢١]، وإنما سميت الحجة سلطانا، لأنك تقوى بها على خصمك.

الثاني: الملك والقهر، قال الله: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [إبراهيم آية: ٢٢]، وقوله[٢]﴿مَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [الصافات آية: ٣٠]، أي: من ملك يقهرهم به على فعل المعاصي.

السلام[٣]

قد مضى القول في أصل هذا الحرف، وهو في القرآن على ستة أوجه:

الأول[٤]: اسم الله تعالى، قال: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر آية: ٢٣]، ومعناه أن عباده يسلمون من ظلمه، وقال: ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾ [المائدة آية: ١٦]، أي: سبل[٥] الله، وهو دينه، وقال: ﴿يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس آية: ٢٥]، يعني: الجنة، ونسبها إلى نفسه تعظيما لها، كما يقال: بيت الله وخليفة الله، ويجوز أن يكون أراد بالسلام الأمن من الخوف، لأن موضوع السلام لذلك.

الثاني: الخير[٦]، قال: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾ [الزخرف آية: ٨٩]، أي: قل خير كذا قيل، ولو كان كذلك النصب[٧]، فقال: سلاما؛ لأن ما كان من القول يجيء بعده فهو منصوب، قلت: خيرا، وقلت: شرا.

والمراد أن قل أنا سلم ولست بحرب، وإنما أقول ما أقوله على وجه النصيحة، فإن قتلتموه وإلا فقد بلغت، وحسابكم على الله، وهذا قبل أن يؤمر بالحرب، وقال: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان آية: ٦٣]، أي:

---

(١) في ت: حجة بينة.
(٢) سقط من: ت.
(٣) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٣٤٢.
(٤) في ت: أولها.
(٥) في ت: سبيل.
(٦) سقط من: ت.
(٧) في ت: لنهب.

ردوا خيرا، وقيل: ﴿سَلَمًا﴾، أي: تسلما منكم، قال سيبويه: يقال: لا تكونن من فلان إلا سلاما بسلام، يعني: به المباركة.

وقوله: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَمٌ﴾ [الذاريات آية: ٢٥]، أي: قال خيرا كذا قيل، والوجه أن يكون من السليم فنجد الأول، لأن القول هو السلم[١]، وكل ما يجيء بعد القول فهو رفع إلا أن يكون من القول، [فيقول: قلت: زيد في الدار، وقلت: كلاما حسنا، لأن القول][٢] هو الكلام، وليس زيد هو القول، ورفع السلام[٣] الأخير، كأنه قال حين أنكرهم: هو سلام إن شاء الله، فمن أنتم؟ ولو كانا جميعا نصا لجاز.

الثالث: الثناء الحسن، قال تعالى: ﴿سَلَمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الصافات آية: ٧٩]، وقوله: ﴿سَلَمٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الصافات آية: ١٠٩]، : ﴿سَلَمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الصافات آية: ١٢٠]، أراد الثناء الحسن عليهم، ويجوز أن يكون أراد قول المسلمين عند ذكر الأنبياء عليهم السلام.

الرابع: السلامة من الشر، قال الله: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء آية: ٦٩]، وقال: ﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ [الواقعة آية: ٩١]، أي: إنك ترى لهم ما تجب من السلامة، وقد علمت ما أعد لهم من الجزاء، كذا قال الزجاج، وليس بالوجه؛ لأنه ليس على مقتضى لفظ الآية.

والصحيح أنه أراد أن يكون لك من إيمانهم وطاعتهم لله الخير عند الله، لأنهم آمنوا بدعائه وهدايته، "ومن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها[٤]" أي: مثل أجره، ويجوز أن يكون المراد أنك مسرور بثوابهم فجعل سروره......[٥].

الخامس[٦]: بمعنى تسليم الشيء إلى صاحبه، قال: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحجر آية: ٤٦]، وكذلك قوله: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ [ق آية: ٣٤، الحجر:

---

(١) في ت: من السلام. (٢) طمس في: ت.

(٣) في ن: السلم.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٠١٧) ٤ / ٢٠٥٩، وابن خزيمة في صحيحه (٢٤٧٧) ٤ / ١١٢، وابن حبان في صحيحه (٣٣٠٨) ٨ / ١٠١، والدارمي في سننه (٥١٢) ١ / ١٤٠، (٥١٤) ١ / ١٤١، والبيهقي في سننه الكبرى (٧٥٣٠) ٤ / ١٧٥، (٧٥٣١) ٤ / ١٧٦، والنسائي في سننه الكبرى (٢٣٣٥) ٢ / ٣٩، وابن ماجة في سننه (٢٠٣) ١ / ٧٤، (٢٠٧) ١ / ٧٥، والإمام أحمد في مسنده ٤ / ٣٥٧، ٣٥٨.

(٥) كلمة غير واضحة. (٦) في ت: والخامس.

٤٦]، أي: قد سلمت إليكم فخذوها مهنأة، ويجوز أن يكون معناه ادخلوها مع السلامة من الآفات، والسلام والسلامة واحد مثل الضلالة والضلال، والجلالة والجلال.

السادس: التحية، قال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد آية: ٢٤]، أي: يدخل الملائكة عليهم مسلمين مهنئين، ونحوه قوله: ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور آية: ٦١]، أي: على إخوانكم، وقال: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب آية: ٤٤]، حكاية ما تحيون به.

وتقديره في العربية الابتداء، والخبر وتأويله ما تحيون به هو هذا القول، ومثله: ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ [الفرقان آية: ٧٥]، والتحية أعم من السلام، والسلام مخصوص، ويدخل في التحية: حياك الله، ولك البشرى، ولقيت كل خير.

فإن قيل: كيف يعطف الجزء من الشيء على جميعه، قلنا: لأن من كلامهم عطف الخاص على العام، كقوله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة آية: ٢٣٨]، وكقوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة آية: ٩٨]، وقال جرير:

سَائِلْ ذَوِي يُمْنٍ وسَائِلِ مذحَجًا ... [والأزْدُ أدْهُرِ والنَّارُ][1] مسْعُودَا

والأزد من اليمن.

السيئات[2]

قد تكلمنا في هذا الحرف بما فيه كفاية، وهو في القرآن على خمسة أوجه:

الأول[3]: المعاصي، قال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا﴾ [يونس آية: ٢٧]، وارتفع جزاء بإضمار لهم، [أي: لهم][4]: ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا﴾ [يونس آية: ٢٧].

وقال البلخي: الباء في قوله: ﴿بِمِثْلِهَا﴾ زائدة، وليس كما قال، وإنما هو على تقديم وتأخير، كأنه قال: يجازي بسيئة مثلها، والسيئات هنا الكبائر من المعاصي.

---

(١) طمس في: ت.
(٢) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٣٥٥.
(٣) في ت: أولها.
(٤) سقط من: ن.

والمراد أن من يأتي بكبيرة من الكبائر يجازى بما يستحق عليها من غير زيادة، وهذا دليل على أنه لا يعاقب بغير ذنب؛ لأن العقاب بغير ذنب أقبح من الزيادة في العقاب.

ولا يسمى إيصال العذاب زيادة، وقيل: أن قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس آية: ٢٦] أنه أراد به إيصال الثواب، وقيل: هي التفضل، وقال الكلبي: الزيادة للواحد عشرة ونحوه عن الحسن رحمه الله.

الثاني: العذاب، قال: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ [النحل آية: ٣٤]، وسمي العذاب، وهو فعلة سيئة، كما سماه شرا في قوله: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ﴾ [الإنسان آية: ١١]، وإنما سماه شرا وسيئة من أجل أنه مضرة، وقال الشاعر:

أَنَا عَلَى المَاءِ لِشَرٍّ مَوضُوعِ

فسمى نفسه وقومه شرا، أراد أنهم مضرة على من يزاحمهم على الماء.

ولا يجوز أن يسمى الله شريرا ولا مسيئا لفعله العذاب الذي سماه شرا أو سيئة، لأن الشرير هو الذي يفعل الشر القبيح، مثل الظلم وما بسبيله.

الثالث: الضر، قال الله: ﴿بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾ [هود آية: ١٠]، وقال: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ [الأعراف آية: ١٦٨]، أي: بالضر وسوء الحال، والبلوى من الله التكليف، وأصلها استنارة العلم بالمبلو.

الرابع: الشر، قال: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ [غافر آية: ٤٥]، أي: الشر الذي أراده به فرعون.

الخامس: الفاحشة، قال: ﴿وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود آية: ٧٨]، يعني: إتيان الرجال.

ويجوز أن يكون أراد ذلك وغيره من قبيح أعمالهم، والأصل في هذا كله المكروه على ما ذكرنا، وهاهنا وجه آخر وهو قوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء آية: ٣١]، والسيئات هاهنا الصغائر.

والمراد أن اجتنبتم المعاصي التي هي [أكبر من طاعتكم وغفرت لكم معاصيكم التي هي][(١)] أصغر منها ولو لم تكن هذه الكبائر أعظم من طاعات فاعليها لغفرت بالطاعات؛ كما يغفر[(٢)] بها الصغائر، ولو كانت الكبائر تغفر

---

(١) سقط من: ن.

(٢) في ت: تغفر.

بالطاعات لم يكن، لقوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء آية: ٣١] فائدة[١].

السبيل[٢]

تذكر وتؤنث[٣]، وأصلها[٤] من الامتداد، ومنه قيل للمطر بين السماء والأرض سبل، لامتداده من السحاب إلى الأرض، وأسبلت الستر إذا أرخيته فامتد من علو إلى سفل، والسبيل في القرآن على ثلاثة عشر وجها:

الأول: الطاعة، قال الله: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة آية: ١٩٥]، أي: في طاعته.

الثاني: البلاغ، قال: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران آية: ٩٧]، أي: بلاغا، والمراد بالاستطاعة هاهنا وجدان النفقة، وصحة البدن، ورفع الموانع، وتمام الوقت.

الثالث: المخرج، قال الله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء آية: ٤٨]، وقال الله: ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾، [النساء آية: ١٥]، وكان الله فرض أن يحصن الزاني، وهو قوله: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ﴾ [النساء آية: ١٥]، فلما نزل: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور آية: ٢]، وقال عليه السلام: "قد جعل الله لهن سبيلا[٥] ".

وأخرج من كان عنده من الزناة محبوسا فجلدهم مائة مائة وخلاهم، ثم فصل عليه السلام حد الزاني فجعل للذكر الجلد، وللأنثى الرجم، وقال: ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ [النساء آية: ١٥]، ولم يذكر الذكور؛ لأنه معلوم أن [حد الزناة مثل][٦]

---

(١) سقط من: ن.
(٢) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٨٥.
(٣) في ت: يذكر ويؤنث.
(٤) في ن: وأصله.
(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٦٩٠) ٣ / ١٣١٦، وابن حبان في صحيحه (٤٤٢٥) ١٠ / ٢٧١، (٤٤٢٦) ١٠ / ٢٧٢، (٤٤٢٧) ١٠ / ٢٧٣، (٤٤٤٣) ١٠ / ٢٩١، والترمذي في سننه (١٤٣٤) ٤ / ٤١، والدارمي في سننه (٢٣٢٧) ٢ / ٣٦، والبيهقي في سننه الكبرى ٨ / ٢١٠، ٢١٢، ٢٢١، والنسائي في سننه الكبرى (٧١٤٢، ٧١٤٣، ٧١٤٤) ٤ / ٢٧٠، (٧٩٨٠) ٥ / ٣، (١١٠٩٣) ٦ / ٣٢٠، وابن ماجة في سننه (٢٥٥٠) ٢ / ٨٥٢، والإمام أحمد في مسنده (٢٢٧١٨) ٥ / ٣١٣، (٢٢٧٥٧) ٥ / ٣١٧، (٢٢٧٦٧) ٥ / ٣١٨، (٢٢٧٨٢، ٢٢٧٨٦) ٥ / ٣٢٠، (٢٢٨٣٢) ٥ / ٣٢٧.
(٦) سقط من: ت.

حد الزواني فاكتفى[(١)] بذكر أحد الصنفين.

والفاحشة هنا الزنا، واستشهدوا مثل اشهدوا كما تقول: استوقد نارا، أي: أوقد، هذا قول، والأجود أن يقال: استشهد، طلب الإشهاد.

واستوقد طلب الاستضاءة بالنار، ولا يجوز أن يكون افعل واستفعل بمعنى واحد، كما لا يكون علم واستعلم بمعنى واحد.

الرابع: الصنيع، قال الله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء آية: ٢٢] [أي: صنيعا][(٢)].

الخامس: العلة، قال: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء آية: ٣٤]، أي: علة، تقول: إذا نشزت المرأة على زوجها فله أن يهجرها من غير أن يمنعها النفقة والسكنى، وإذا أطاعته فلا يبغ عليها سبيلا، أي: لا يكلفها حبه، فإن ذلك لا تملكه.

السادس: الدين، قال الله: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [(٣)] [النساء آية: ١١٥]، أي: غير دينهم، وقال: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل آية: ١٢٥].

السابع: الهدى، قال: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النساء آية: ٨٨]، والإضلال هاهنا التسمية كما تقول: جهلت الرجل إذا سميته جاهلا، وعدلته إذا سميته عدلا، ومثله قوله: ﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ [الروم آية: ٢٩]، أي: من حكم عليه باسم الضلال عقوبة له.

ودليل ذلك قوله في أول الآية: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم﴾ [الروم آية: ٢٩]، ومثله: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ [الشورى آية: ٤٦].

الثامن: الحجة، قال الله: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء آية: ١٤١]، أي: حجة، وفي هذا دليل على أن الله قد مكنهم من الإيمان؛ لأنه لو لم يمكنهم منه لكان للكافرين على من يدعوه إلى الإيمان حجة.

التاسع: الطريق، قال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [النساء آية: ٩٨]، يعني: أنهم لا يعرفون الطريق إلى المدينة.

وقال: ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، وابن السبيل المسافر يأخذ من الصدقة، وإن كان له مال في بلده، وكل من ذكر في الآية، أنه يأخذها فإنما يأخذها بالفقر إلا ابن

---

(١) في ت: واكتفى. (٢) سقط من: ن.

(٣) في ن: ﴿ومن يتبع غير سبيل المؤمنين﴾.

السبيل، والعاملين عليها، والمؤلفة قلوبهم، وقوله في هذه الآية: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة آية: ٦٠]، فإنه يعني: الجهاد.

وقال الكوفيون: لا يعطى إلا الفقراء من المجاهدين؛ فإذا أعطوها وهم فقراء فقد ملكوها وأجرى المعطي وإن لم تصرفوه في سبيل الله، وقال الشافعي: "يعطى الغني والفقير من المجاهدين".

العاشر: الهدى، قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة آية: ٦٠] [أي: عن قصد الهدى، يعني: الإسلام، ومثله: ﴿وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة آية: ٧٧][١].

الحادي عشر: قيل: الانتقام، قال: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ﴾ [الشورى آية: ٤٢]، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ﴾ [التوبة آية: ٩٣].

وقيل: المراد أن الحجة على الذين يستأذنونك في القعود عن الجهاد، وهم [يقدرون على النقود][٢] فيه، وقالوا: ومثله: ﴿مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ﴾ [التوبة آية: ٩١]، يعني: أن[٣] مناصحتهم للدين إحسان، وليس على المحسن حجة.

الثاني عشر: الطاعة والقربة، قال الله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا﴾ [الفرقان آية: ٥٧]، أي: زلفى وقربة.

الثالث عشر: الملة، قال الله: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ [يوسف آية: ١٠٨]، أي: ملتي وديني.

---

(١) سقط من: ن.

(٢) في ت: يعذرون على التقوى.

(٣) سقط من: ت.

الباب الثالث عشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله شين

الشرك[(١)]

أصل الشرك إضافة الشيء إلى مثله، ومنه قيل: شراكا النعل، لأن كل واحد منها يشبه الآخر، وشراك الطريق مشبه بشراك النعل، وأشرك بالله عبد معه غيره؛ لأنه أضافه إليه وشبهه به.

والشرك في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول[(٢)]: الإشراك بالله في العبادة، كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء آية: ٤٨]، وإن في موضع نصب.

والمعنى إن الله لا يغفر الشرك به إلا بالتوبة؛ فحذف ذكر التوبة لدلالة العقل عليه، ولشهادة السمع به، وهو قوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ [مريم آية: ٦٠، الفرقان: ٧٠]، وقال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء آية: ٤٨]، يعني: أصحاب الصغائر؛ لأن [ما دون الشرك صغائر وكبائر فلو كانا جميعا مغفورين لم يكن لقوله: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ فائدة ولا يجوز أن يكون][(٣)] ما دون الشرك [لا يكون كفرا][(٤)]، لأن الشرك والكفر في أسماء الدين واحد، وكل كافر مشرك.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [(٥)] [المائدة آية: ٧٢]، وقوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة آية: ٣].

الثاني: قالوا: الشرك بمعنى الطاعة، قال الله: ﴿إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ [إبراهيم آية: ٢٢]، أي: أطعتموني.

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٣٥.

(٢) في ت: أولها. (٣) سقط من: ن.

(٤) في ت: كفر.

(٥) في ن ﴿ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة﴾ والصحيح ما أثبتناه من نص المصحف وهو موافق لما في المخطوطة (ت).

وقيل: أراد أني كفرت اليوم بما أنتم في الدنيا تدعونه لي من الشرك لله، وهو مثل قوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر آية: ١٤].

وقال الكلبي: هو على التقديم والتأخير، أي: أني[1] في دار الدنيا كفرت بربي الذي أشركتموني به.

وقال الحسن: إني كفرت بما جعلتموني إلها وما على التفسير مصدر، أي: كفرت بإشراككم إياي بالله، وقال أبو علي - رحمه الله -: أي: إني كفرت بما أشركتموني به بعد ذلك، لأنه قد تقدمهم بالكفر.

الثالث: الرياء على ما جاء في التفسير، قال الله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف آية: ١١٠]، أي: لا يرائي فيما نفعل من العبادة.

وقيل أيضا: أنه أراد الإشراك بالله غيره، وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ [الأنعام آية: ١٣٧]، يعني: الشياطين المذكورين في قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ [الأنعام آية: ١٠٠]، يزينون لهم ذلك بالوسوسة، وقيل: هم رؤساء السوء، وقيل: هم السدنة، وقوله: ﴿وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ [الأنعام آية: ١٣٦]، يعني: للأصنام[2] وجعلها لهم شركاء، لأنهم جعلوا لها نصيبا من أموالهم ينفقونه عليها.

الشقاق[3]

أصل الشقاق من قولهم: شققت الشيء إذا قطعته بنصفين فبعد أحدهما عن الآخر، وكل قطعة منه شقة، [وسمي الثوب الطويل القليل العرض شقة][4] كأنه من قلة عرضه قد شق من غيره، وشقيق الرجل أخوه؛ كأنه شق منه، وسميت الأرض البعيدة شقة لطولها وتراخي بعضها عن بعض، ومن ثم قيل للطويل أشق، وشق الأمر على فلان طال حتى أتعبه، وشاق فلان فلانا إذا عاداه وباعده، والأصل في ذلك كله البعد.

والشقاق في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول[5]: الضلال، قال الله: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾

(١) سقط من: ن. (٢) في ت: الأصنام.
(٣) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٦٦.
(٤) سقط من ط. (٥) في ت: أولها.

[البقرة آية: ١٧٦]، ويجوز أن يكون أراد المجانبة والمباعدة، أي: هم في بعد عن الحق وعن صاحب الحق شديد.

الثاني: الخلاف، قال: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ [النساء آية: ٣٥]، جاء في التفسير أنه أراد الخلاف، ويجوز أن يكون بمعنى الفرقة، وهو أجود.

الثالث: العداوة، قال: ﴿وَشَاقُّوا الرَّسُولَ﴾ [محمد آية: ٣٢]، أي: عادوه، قال[١]: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الحشر آية: ٤]، وقال: ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي﴾ [هود آية: ٨٩]، وهذه الألفاظ يقام بعضها مقام بعض في هذه الآيات، وأصلها واحد، وإنما أوردتها على ما جاء في التفسير.

الشهادة[٢]

الشهادة الإخبار عن[٣] معرفة تقوم[٤] مقام الرؤية، والشاهد المخبر بها.

وهو في اللغة على وجوه:

أحدها: الحضور، شهدته حضرته.

والآخر: الإعلام شهد الشهود، وهو إعلام ما عندهم، ومنه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران آية: ١٨]، أراد تعريف عباده أنه لا إله إلا هو، فقال: شهد بذلك لأن هذا القول أفخم وأوكد ومن الألفاظ ما هو أقوم فتفخم المعنى ألا ترى أن قولك: تضعضع ركن فلان أفخم من قولك: ضعف فلان، ولذلك رغم أنف فلان أفخم من قولك: ذل فلان.

ومنه الإقرار، وهو قوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ [آل عمران آية: ١٨]، وقال: ﴿شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾ [الأنعام آية: ١٣٠].

ومنه الحكم، قال: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [يوسف آية: ٢٦]، واليمين في قوله: ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ﴾ [النور آية: ٦]، وأربع، والرفع على خبر الابتداء، أي: فشهادة أحدهم أربع، والنصب على أن تشهد أحدهم أربع شهادات، وهو أن تقول: أشهد بالله وأحلف بالله أني صادق فيما قذفتها به، وتقول المرأة: أشهد بالله وأحلف بالله أنه لمن الكاذبين فيما قذفني به[٥]، فإذا

---

(١) في ت: وقال.
(٢) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٣٧.
(٣) في ن: على. (٤) في ن: يقوم.
(٥) سقط من: ن.

فعلا ذلك فرق بينهما، ولا يحل له أبدا عند أكثر الفقهاء.

وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ [المائدة آية: ١٠٦]، قيل: أراد اليمين، والصحيح أنه أراد أن أحدكم إذا حضره[١] الموت وهو ضارب في الأرض، أي: مسافر وأراد أن يوصي فينبغي أن يشهد على وصيته اثنين منكم، أي: من المسلمين، فإن لم يجدها فمن أهل الذمة، وهو قوله: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة آية: ١٠٦]، فإن ارتبتم في شهادتهما فأقيموها بعد الصلاة، أي: صلاة العصر، وذلك لتعظيم أهل الذمة لهذا الوقت، فيحلفان على صحة شهادتهما، وقيل: أنها منسوخة بقوله[٢]﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق آية: ٢].

والشهداء في قوله: ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة آية: ٢٣]، الكبراء الأعلام، وقيل: الأصنام.

والشهيد في القرآن على ثمانية أوجه:

الأول[٣]: نبي كل أمة شهيد عليهم يوم القيامة، قال: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء آية: ٤١]، وقال: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [القصص آية: ٧٥]، وقال: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة آية: ١١٧]، إلا أن هذا في الدنيا.

وفي هذا دليل على أن ذنوبهم بعلمهم، وإلا فبأي شيء يشهد عليهم، الأنبياء أتراهم يشهدون عليهم بأفعال الله، وليس ذلك بمعقول[٤].

الثاني: الحافظ، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس آية: ٤٦]، أي: حافظ له مجاز عليه.

ويجوز أن يكون العالم ومنه الشهادة في الحقوق؛ لأنها لا تصح إلا مع العلم، وهو قوله: ﴿وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا﴾ [النور آية: ٤]، ثم قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ ، قالوا: فشهادتهم في كتاب الله مقبولة.

وعن شريح، وابن المسيب، وإبراهيم، وسعيد بن جبير: أن شهادته غير مقبولة، وإن تاب.

وعن عطاء، وطاووس، ومجاهد، والشعبي، والقاسم بن محمد، وسالم، والزهري: أنها مقبولة إذا تاب.

---

(١) في ن: حضر.
(٢) في ن: فقوله.
(٣) في ت: أولها.
(٤) في ت: بمفعول.

والصحيح أنها لا تقبل وإن تاب؛ لأن حكم الاستثناء أن يكون راجعا إلى ما يليه، ولا يرجع إلى ما تقدمه، إلا بدلالة، ألا ترى أن قائلا لو قال لفلان علي عشرة دراهم إلا ثلاثة درهم إلا درهما كان عليه ثمانية دراهم، لأن الدرهم مستثنى من الثلاثة، هذا أصل الاستثناء.

وقد جاء في القرآن مثنا ولا لجميع المذكور، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المائدة آية: ٣٣]، إلى قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ [المائدة آية: ٣٣]، فكان الاستثناء راجعا إلى جميع المذكور، فيقول في ذلك أن الدلالة قد قامت في هذه الآية، ولم تقم في الأول.

وقال الأوزاعي: لم تقبل شهادة محدود في قذف في الإسلام.

وقال أبو علي رحمه الله: تقبل(١) شهادته إذا تاب؛ لأنها إنما ترد عقوبة، فإذا تاب سقطت العقوبة، وقيل: ليس ذلك بشيء؛ لأنه أيضا(٢) يحد عقوبة، وإذا تاب لم يسقط الحد بالإجماع، فكذلك الشهادة لا تقبل بالتوبة.

[قلنا: وهذه المعارضة ليست بالصحيحة؛ لأن الحد في القذف حتى لأدمي فلا يسقط بالتوبة](٣)، وليست كذلك الشهادة.

وقال: ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١﴾ [ق آية: ٢١]، يعني: الملك الذي حفظ عليه عمله في الدنيا يشهد عليه في الآخرة.

ومثله: ﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [الزمر آية: ٦٩]، يعني: الحفظة من الملائكة.

ومثله: ﴿وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر آية: ٥١]، يعني: الحفظة، ويجوز أن يكون المعنى الذين يشهدون على الناس بأعمالهم من كل أمة(٤).

والأشهاد جمع شهيد نادر وجاء في جمع بان أبناء، وفي جمع جان أجناء، فقيل في مثل أجناؤها أبناؤها، وله حديث ذكرناه في كتاب "جامع الأمثال ".

الثالث(٥): قوله: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة آية: ١٤٣]، يعني: أمة محمد صلى الله عليه وآله، : ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة آية: ١٤٣]، يعني: على أهل زمانه.

---

(١) في ت: يقبل.
(٢) في ت: إنما.
(٣) سقط من: ن.
(٤) في ت: أمر.
(٥) في ت: والثالث.

ولو كان شهيدا على غيرهم فمن جاء بعده لم يكن لقوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة آية: ١٤٣]، أي: معرفين منبهين، : ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة آية: ١٤٣]، أي: معرفا ومبينا، كما قال: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ [هود آية: ١٧]، وكما قال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ [المزمل آية: ١٥]، والوجه أن يكون المراد الشهادة عليهم بأعمالهم.

الرابع: المستشهد في سبيل الله، قال الله: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد آية: ١٩]، يعني: من قتل في سبيل الله وسمي شهيدا، لأن الملائكة تشهده، فعيل بمعنى مفعول، ويجوز أن يكون فعيلا بمعنى فاعل، أي: شهد ما سره من الثواب والبشارة الحسنة.

الخامس: الذي يشهد على الحقوق، وقال تعالى: ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ [البقرة آية: ٢٨٢]، والمرضي هو العدل، وهذا موكول إلى الاجتهاد؛ لأنه قد يجوز أن يكون المرضي عندك غير مرضي عند غيرك.

وقال أبو يوسف: إذا سلم من الفواحش وكان ما فيه من أخلاق البر أكثر عن المعاصي الصغار قبلت شهادته؛ لأنه لا يسلم عبد من الذنب، ومثله: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ [البقرة آية: ٢٨٢]، أي: من أهل ملتكم.

وجواز شهادة أقل من رجلين أو رجل وامرأتين خطأ بدلالة هذه الآية، ومن أجاز[1] بتثبيت الحق بتميز الطالب وإشهاد شاهد واحد؛ فإنه مبطل لظاهر هذه الآية.

والأمة مجمعة على أنها غير منسوخة، وقوله: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة آية: ٢٨٢]، لفظ عام، والمعنى خصوص، أي: إذا خفتم رجوع أحد المبايعين عما عقد على نفسه، فاشهدوا عليه بما عقد.

والكتاب والإشهاد واجبان عند تخوف الإضاعة، وقوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ [البقرة آية: ٢٨٣]، يشهد بصحة هذا التأويل، وقال: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [الطلاق آية: ٢].

السادس: الحاضر، قال تعالى: ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ [النساء آية: ٧٢]، وقال: ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾ [المدثر آية: ١٣]، أي: حضورا

---

(١) في ت: جاز.

وقال: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ [البقرة آية: ١٣٣]، أي: حضورا.

السابع: الأحكام والأعلام من الناس؛ وهو قوله: ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة آية: ٢٣] وقد مر.

الثامن: الفطن الحاضر الذهن؛ قال: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق آية: ٣٧] وحقيقة إلقاء السمع الاستماع؛ أي: استمع إليك وهو شهيد؛ أي: قلبه شاهد عندك لا يغيب عنك فهمه، وإذا كان كذلك انتفع بالخير الذي تدعوا إليه.

وأما قوله: ﴿قُلْ[1] أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام آية: ١٩] فمجازه أي: شيء أكبر شهادة فيكون شاهد لي على دعائي إياكم، وتكذيبكم لي قل الله شاهد لي على ذلك.

وفي هذا دليل على أن الله شيء؛ ألا ترى أنه لا يجوز لك إذا قيل لك: أي: الناس أصدق؟ أن تقول جبريل؛ لأن جبريل ليس من الناس، ولو لم يكن منفردا عند القائل والسامع أن الله شيء؛ لكان هذا الكلام لغوا لا معنى له؛ فإن قيل: ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ تمام.

وقوله[2]: ﴿شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ ابتداء وليس بجواب، ولو كان جوابا كان ما بعده من قوله: ﴿شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾.

والشهادة في قوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الأنعام آية: ٧٣]، بمعنى المشاهدة، وأصل الكلمة الظهور، ومنه قيل: شاهده؛ أي: ظهر به ظهور المقابل بالشهادة، ويشهد ذكر الشهادة وهو قول: أشهد أن لا إله إلا هو، وتشاهدوا: تعاونوا على إقامة الشهادة.

وقال: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ [البروج آية: ٣] قيل: الشاهد: محمد صلوات الله عليه، والمشهود: يوم القيامة، والشهد: العسل على ما شوهد في موضعه قبل أن يصفى.

والشهادة في قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة آية: ١٨٥] الحضور؛ يعني: من كان حاضرا في أهله، ومن شرائط ذلك الصحة، والشاهد قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة آية: ١٨٥].

---

(١) سقط من: ت.

(٢) في ت: وهو قوله.

الشيع(١)

أصلها من العموم(٢)، ومنه شاع الخبر؛ إذا فشا فعرفه كل أحد، ولك سهم شائع في الدار وشاع؛ أي: هو في جميع الدار غير مشار إليه في موضع منها دون موضع.

وشيعة الرجل؛ من يعينه على أموره، وشايعه؛ إذا عاونه معاونة عامة، وشيع الرجل؛ الرجل إذا سار معه كما يسير الخبر الشائع، ويقال: هو شيعة لك، وقيل: الشيعة مأخوذة من الشياع؛ وهو الحطب الصغار التي تشعل بها النار ويعين الحطب الكبار على الاتقاد.

وقيل: أصل الكلمة من الاتباع، ومنه شاعك؛ أي: تبعك، [وشاعكم](٣) السلام؛ أي: تبعكم.

والشيع في القرآن على أربعة أوجه:

الأول: الفرق المختلفة؛ قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ [الأنعام آية: ١٥٩] يعني: أنهم فارقوا الإسلام وصاروا فرقا يهودا ونصارى وجعل الإسلام دينهم ولم يدينوا به؛ لأنهم بدلوا إليه وأمروا به.

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٤٣.

(٢) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (شيع) الشين والياء والعين أصلان، يدلُّ أحدُهما على معاضدة ومساعفة، والآخر على بَثٍّ وإشادة.
فالأوّل: قولُهم شَيَّعَ فلانٌ فلاناً عند شُخوصه. ويقال آتيكَ غداً أو شَيْعَه، أي اليوم الذي بعده، كأنَّ الثاني مُشَيِّع للأوّل في المضيّ. وقال الشّاعر:
قال الخليطُ غداً تَصَدُّعُنا … أو شَيْعَه أفلا تُوَدِّعُنا
وقال للشجاع: المشيَّع؛ كأنَّه لقُوَّته قد قَوِي وشُيِّع بغيره، أو شُيِّع بقُوّة.
وزعم ناسٌ أنَّ الشَّيْعَ شِبل الأسد، ولم أسمْعه من عالم سَماعاً. ويقول ناس: إنَّ الشَّيْع المِقدار، في قولهم: أقام شهراً أو شَيْعَه. والصَّحيح ما قلته، في أنَّ المشيَّع هو الذي يُساعِد الآخَر ويقارنه. والشِّيعة: الأعوان والأنصار.
وأما الآخر [فقولهم]: شاع الحديث، إذا ذاع وانتشر. ويقال شَيَّع الراعي إبلَه، إذا صاح فيها. والاسم الشِّيَاع: القصبة التي ينفُخُ فيها الراعي. قال:
حنينَ النِّيبِ تَطربُ للشِّياع
ومن الباب قولهم في ذلك: له سهم شائع، إذا كان غير مقسوم. وكأنَّ من له سهمٌ ونَصِيب انتشرَ في السَّهم حتَّى أخذه، كما يَشِيعُ الحديثُ في الناس فيأخذ سَمعَ كلِّ أحد.
ومن هذا الباب: شيَّعت النّارَ في الحطب، إذا ألهَبْتَها..

(٣) سقط من: ت.

ويجوز أن يكون معناه أنهم فارقوا دينهم حين اختلفوا فيه[١]، وذلك أن النصارى يكفر بعضهم بعضا وصاروا شعابا لاختلاف فيه.

وفي هذا نهي عن إحداث البدع في الدين، ومفارقة جميع المسلمين، ومثله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ [الروم آية: ٣٢]، وقال: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ [القصص آية: ٤].

الثاني: قوله: ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص آية: ١٥] يعني: أنه ولد ابنه[٢] إسرائيل ولم يكن من القبط.

الثالث: أهل دين؛ قال الله: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾ [القمر آية: ٥١] أي: من كان على دينكم، وقال: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ [سبأ آية: ٥٤]، وقال: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ [مريم آية: ٦٩] أي: من كل أهل[٣] دين باطل، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾﴾ [الصافات آية: ٨٣] أي: من أهل دينه.

الرابع: اختلاف الآراء وتغاير الأهواء، قال الله: ﴿هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ [الأنعام آية: ٦٥] يوعدهم بالعذاب من فوقهم وهو الطوفان، أو من تحت أرجلهم الخسف، أو يلبسهم شيعا أي: يخذلهم ويخليهم من ألطافه وفوائده كل ذلك بذنوبهم فيلتبس عند ذلك أمرهم ويختلفون[٤] حتى يذوق بعضهم بأس بعض.

---

(١) في ت: منه.
(٢) في ت: أبيه.
(٣) سقط من: ت.
(٤) في ت: ويختلفون.

الباب الرابع عشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله صاد

الصدق(١)

أصل الصدق من الثبات(٢)، ومنه قيل: صدقهم القتال؛ إذا ثبت لهم، وتمر صادق الحلاوة يرجع إلى هذا.

والصدق خلاف الكذب؛ لأنه يثبت(٣)، والكذب يبطل، والصداقة: ثبات المودة، ثم صار الصداقة اسما لاتفاق الضمائر على المودة؛ فإذا أضمر(٤) كل واحد من المتعاشرين مودة صاحبه؛ فصار باطنه فيها كظاهره سميا صديقين.

ولهذا لا يجوز أن يقال: أن الله صديق المؤمن، كما يقال: أنه وليه، ولا يجوز أن يكون المؤمن صديقه كما أنه خليله وحبيبه ووليه، ومعنى الولي أنه يحب الخير لوليه، كما أن العدو يحب الضر(٥) لعدوه، ويقول الله: ﴿وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٣٩.

(٢) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (صدق) الصاد والدال والقاف أصلٌ يدلُّ على قوّةٍ في الشيء قولاً وغيرَه. من ذلك الصِّدْق: خلاف الكَذِب، سمِّيَ لقوّته في نفسه، ولأنَّ الكذِبَ لا قُوَّة له، هو باطلٌ. وأصل هذا من قولهم شيءٌ صَدْقٌ، أي صُلْب. ورُمْح صَدْقٌ. ويقال صَدَقُوهم القِتالَ، وفي خلاف ذلك كَذَبوهم. والصِّدِّيق: الملازم للصِّدْق. والصَّدَاق: صَدَاقَ المرأة، سُمِّيَ بذلك لقوّته وأنَّه حقٌّ يَلزمُ. ويقال صَدَاقٌ وصُدْقة وصَدُقة. قال الله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةً﴾ [النساء ٤]. وقرئت: ﴿صُدُقَتِهِنَّ﴾. ومن الباب الصَّدَقة: ما يتصدَّق به المرءُ عن نفسه وماله. وأمَّا المُصَدِّق فخبّرنا أبو الحسن علي بن إبراهيم، عن المفسِّر، عن القُتَيْبِيّ قال: ومما يضَعُهُ النّاسُ غير موضعه قولهم: هو يتصدَّق، إذا أعطى، ويتصدَّقُ إذا سأل. وذلك غلطٌ، لأن المتصدِّق المُعطي. قال الله تعالى في قصّة من قال: ﴿وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ﴾ [يوسف ٨٨]. وحدَّثَنا هذا الشيخ عن المَغْدَانيّ عن أبيه، عن أبي مُعاذٍ، عن اللَّيْث، عن الخليل قال: المُطْعِم مُتصدِّق والسَّائلُ متصدِّق. وهما سواء. فأمَّا الذي في القرآن فهو المعطِي. والمُصَدِّق: الذي يأخذ صَدَقات الغنم. ويقال: هو رجلُ صِدقٍ. والصَّدَاقة مشتقّة من الصِّدق في المودّة. ويقال صَدِيق للواحد وللاثنين وللجماعة، وللمرأة. وربما قالوا أصدقاء، وأصادق. قال:

فلا زِلْنَ حَسْرَى ظُلَّعاً لِمْ حَمَلْنَها ... إلى بلدٍ ناءٍ قليلِ الأصادقِ

(٣) في ت: ينبت.

(٤) في ت: أصر.

(٥) في ت: الضر.

عمران آية: ٦٨] بمعنى أنه يتولى حفظهم وكفايتهم، كما أن ولي الطفل هو المتولي لشأنه والمتكفل لمعونته، ومعنى محبة العبد لله؛ إرادة[١] طاعته، ومحبة الله للعبد إرادة ثوابه.

ومعنى الخلة الاختصاص، [فقيل: أن إبراهيم خليل][٢] الله لاختصاص الله إياه بالرسالة، ولا يجوز أن الله خليل له؛ لأنه لا يجوز أن يخص الله بشيء غير العبادة، والخلق في عبادة الله سواء ليس لأحد فيها خصوصية.

والوجه الأجود في أصل الصدق والصداقة وما في بابه أن يقال: أن أصل الكلمة الكمال، فقيل: الصدق لكماله في الحسن، وصادق الحلاوة كامل الحلاوة، والصداقة كمال المودة بحمل جميع في[٣] هذا الباب على هذا الوجه فيصح.

والصادقون في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول: النبيون؛ قال الله: ﴿لِيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب آية: ٨] فأخبر أنه يسأل الأنبياء ليكون غيرهم على حذر.

الثاني: المهاجرون؛ قال تعالى: ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر آية: ٨] جاء في التفسير أنه أراد[٤] المهاجرين خاصة؛ لأن الآية نزلت فيهم، وذكر بعدهم الأنصار.

الثالث: المؤمنون جميعا؛ قال الله: ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾[٥] [الأحزاب آية: ٢٤] يعني: المؤمنين؛ لأن الآية نزلت فيهم.

الصف[٦]

أصله في اللغة الامتداد والطول؛ ومنه قيل: صفة البيت؛ لأنها ممدودة طويلة، وصف الطائر: جناحاه إذا مدهما في طيرانه، وصفة السرج: ما غشي به ما بين القربوسين والسرحين وهما جانبا الرحل، والصفيف من[٧] اللحم: ما شرح طولا وخفف في الشمس.

---

(١) في ن: أراد.
(٢) سقط من: ت.
(٣) سقط من: ن.
(٤) في ن: أراد أنه.
(٥) وردت في ت، ن: ﴿ليجزي الصادقين بصدقهم﴾ والصحيح ما أثبتناه من نص المصحف.
(٦) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٦٢.
(٧) في ن: في.

وهو في القرآن على وجهين:

الأول[1]: بمعنى الجميع؛ قال الله: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف آية: ٤٨]، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفًّاۚ﴾ [طه آية: ٦٤] أي: جمعا، وقيل: ذكر الواحد وأراد الجمع؛ أي: عرضوا صفوفا، وقيل: صفا؛ أي: قياما، وذلك أن القائم يصف قدميه في القيام وهو أجود.

الثاني: الصف الممدود، قال تعالى: ﴿ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ [الصف آية: ٤]، وقال[2]﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ [الصافات آية: ١] يعني: صفوفا ملائكة في السماء مصلين ومسبحين.

والمعنى ورب الصافات، وأنث على معنى الجماعة للصافة، ثم جمع فقال: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾، فأما قوله: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ﴾ [الحج آية: ٣٦] فالمراد به أنها قائمة قد صفت بدنها، ولم يرد أنها مصطفة لإجماع الناس أنها يجوز نحرها غير مصطفة.

فأما[3] السنة في نحر الإبل أن تنحر قائمة، وفي قوله: ﴿فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا﴾ [الحج آية: ٣٦] ما يدل على أنه أراد بالصواف القيام؛ لأنها إذا كانت باركة فنحرت فانقلبت على جنب، لم يقل: أنها سقطت لجنبها.

الصيحة[4]

فعلة من صاح يصيح، ويستعمل في جميع الحيوان، وجاء في غير ذلك أيضا، قال الشاعر:

تَصِيحُ الرُّدَيْنيَّاتُ فِينَا وفِيهِم   صِيَاحَ بَنَاتِ المَاءِ أصْبَحْنَ جُوَّعَا

والصيحة في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول[5]: صيحة جبريل صلى الله عليه؛ قال الله: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ [المؤمنون آية: ٤١، الحجر: ٧٣، ٨٣] في مواضع من القرآن.

الثاني[6]: النفخة الأولى لفناء الخلق؛ قال الله: ﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ۝٢٩﴾ [يس آية: ٢٩]، ومثله: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [يس آية: ٤٩].

---

(١) في ت: أولهما. (٢) في ن: قال.

(٣) في ت: وإنما.

(٤) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص١٩٩.

(٥) في ت: أولها. (٦) في ت: والثاني.

الثالث(١): النفخة الثانية لقيام الساعة؛ قال الله: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [يس آية: ٥٣]، ونحوه: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الصافات آية: ١٩] ولم يقل: ما ينظرون ليكون أعظم في الإخبار، كما يقول: لو رأيت عليا بين الصفين، ومثله: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ [ق آية: ٤٢].

الصاعقة(٢)

هي ما كثف من البروق وعظم، وأصلها من شدة الضرب(٣)، يقال: صقعه إذا ضربه ضربا شديدا، وأكثر ما يستعمل في الضرب على الرأس فقلب، فقيل: صاعقة، وربما قيل: صاقعة على الأصل، وصعق الرجل؛ إذا سمع صوتا شديدا فغشي عليه وهو صعق، وفي القرآن: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف آية: ١٤٣]، وصعق الرجل بالفتح؛ إذا صاح، ويجوز أن تكون الصاعقة من هذا.

والصاعقة في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول(٤): شدة الصوت، قال: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء آية: ١٥٣] وكانوا سمعوا صوت تدكدك الجبل؛ فماتوا موتا لم يضطروا معه إلى معرفة البارئ؛ ولهذا أجاز أن يكلفهم بعده لأن التكليف مع وقوع العلم ضرورة لا يصح من أجل أن العالم ضرورة ملجأ إلى فعل الطاعات، والتكليف لا يكون إلا مع الاختيار وإلا فإنه ليس بتكليف.

الثاني(٥): العذاب، قال: ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت آية: ١٣].

الثالث: الموت قال: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر آية: ٦٨] أي: ماتوا، وقيل: معنى ذلك أنهم يغشى عليهم ثم يموتون.

---

(١) في ت: والثالث.

(٢) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٥٢.

(٣) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (صعق) الصاد والعين والقاف أصلٌ واحدٌ *يدلُّ على صَلْقَةٍ وشِدَّة صَوت. من ذلك الصَّعْق، وهو الصَّوت الشَّديد. يقال حِمارٌ صَعِقُ الصَّوتِ، إذا كان شديدَه. ومنه الصَّاعقة، وهي الوقع الشّديدُ من الرَّعْدِ. ويقال إنَّ الصُّعاق الصَّوت الشديد. ومنه قولهم: صَعِق، إذا ماتَ، كأنَّه أصابته صاعقةٌ. قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر ٦٨]..

(٤) في ت: أولها. (٥) في ت: والثاني.

الصلاح[(١)]

الصلاح نفع يلتئم به الأمور[(٢)]، والإصلاح تقويم العمل على ما ينفع بدلا مما يضر؛ والفساد ضر تضطرب به الأمور، والإفساد تقويم[(٣)] العمل على ما يضر بدلا مما ينفع.

وأما القبح فهو المنكر في النفس من جهة زجر العقل، والفرق بين فساد التفاحة بتعينها وفساد الإنسان بخطيئته؛ أن أحدهما تزجر عنه الحكمة، والآخر لا تزجر عنه على أنه قد حدث ما ينافي في المنفعة به[(٤)].

والصلاح في القرآن على سبعة أوجه قالوا:

الأول[(٥)]: الإيمان؛ قال الله عز وجل: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ﴾ [الرعد آية: ٢٣]، قال: ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ﴾ [النور آية: ٣٢]، يعني: المؤمنين، وقال تعالى: ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل آية: ١٩].

الثاني: المنزلة الرضية؛ قال الله: ﴿وَتَكُونُواْ[(٦)] مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾ [يوسف آية: ٩]، قال بعض أهل التفسير: تصلح منزلتنا عند أبينا، ومثله: ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النحل آية: ١٢٢]، أي: في المنزلة الرضية عند الله. ويجوز أن يكون المراد إنا نتوب فيما بعد ونكون من الصلحاء، وقيل: الصلاح في قوله[(٧)]: ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ﴾ [النور آية: ٣٢]، العفة وليس أن من لم تكن عفيفة لا تزوج؛ وإنما أراد الحث على الصلاح.

وظاهر هذا الأمر الوجوب؛ وهو ندب بالإجماع، ولم يخل عصر من الأعصار من الأيامى من الرجال والنساء، ولم يذكر أحد أن ترك تزويجهن محظور.

وأيضا فإن الأيم إذا لم ترد التزويج لم يكن للولي إجبارها، وأيضا فإن الرجل

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٨٦.

(٢) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (صلح) الصاد واللام والحاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على خِلاف الفَساد. يقال صلُحَ الشَّيءُ يصلُحُ صلاحاً. ويقال صَلَح بفتح اللام. وحكى ابنُ السكِّيت صلَحَ وصلُح. ويقال صَلَح صُلوحاً. قال:

وكيف بأطرافي إذا ما شتمتَني ... وما بعد شَتْم الوالِدَينِ صُلوحُ

وقال بعض أهل العلم: إنَّ مكة تسمَّى صَلاحاً.

(٣) في ت: تعويج.

(٤) في ت: بها.

(٥) في ت: أولها.

(٦) في ت: وكانوا.

(٧) في ت: فقوله.

لا يجبر على تزويج عبده وأمته وهو معطوف على الأيامى.

قال أبو علي رحمه الله: هو في الأيم إذا أرادت التزويج على الوجوب، وفي العبد والأمة ترغيب، قال: ويجوز أن يكون المعنى ترغيب الأحرار أن يتزوجوا الإماء الصالحات، وترغيب الحرائر أن يتزوجن العبيد الصالحين.

الثالث: الرفق على قولهم؛ قال تعالى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القصص آية: ٢٧]، أي: ممن يرفق ولا يخرق، قال: ومثله: ﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ﴾ [الأعراف آية: ١٤٢].

وليس هذا بالوجه؛ وإنما أراد ضد الفساد، والشاهد: ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الأعراف آية: ١٤٢]، ويجوز أن يكون المراد بقوله: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القصص آية: ٢٧] أي: أصلح لك في أمورك، وإني أفي لك ولا أخونك فأفسد أمرك.

الرابع: تسوية الخلق؛ قال الله: ﴿لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف آية: ١٨٩] أي: ولدا سويا، ويجوز أن يكون أراد صلاح الطريقة.

الخامس: ضد الفساد؛ قال: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ﴾ [هود آية: ٨٨]، وقال: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ [البقرة آية: ١١] أي: لأمور أنفسنا فيما نولي الكافرين؛ لأنهم إذا ظهروا أبقوا[١] علينا، والدليل على صحة هذا التأويل أنه قرنه بالفساد، وقال[٢]: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ﴾ [البقرة آية: ١٢].

السادس[٣]: الطاعة؛ قال: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يعني: الطاعات.

السابع[٤]: الأمانة؛ قال الله: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا﴾ [الكهف آية: ٨٢] قالوا: يعني: ذا أمانة، ويجوز أن يكون معناه صلاح الطريقة في الدين، ويرجع معناه إلى الطاعة، وفلان صالح في نفسه؛ إذا أتى بمحاسن الأفعال، وفاسد في نفسه؛ إذا أتى بمقابحها.

الصراط[٥]

هو في العربية الطريق الواضح السهل، يذكر ويؤنث، مثل: الطريق، والسبيل

(١) في ت: اتقوا.
(٢) في ت: فقال.
(٣) في ت: والسادس.
(٤) في ت: والسابع.
(٥) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٣١٧.

ولم نسمع له بجمع، والقياس: أصرطة، وسرط، وأصل الصاد فيه سين؛ من قولهم: سرطت الطعام؛ إذا أسرعت بلعه، وذلك أن السراط: ممر الحلق، والمسرط: البلعوم؛ لسرعة مرور الطعام فيه.

وسمي الفالوذ سرطراطا؛ لسرعته وسهولته في الحلق، وسيف سراطي سريع القطع، سمي الطريق القاصد السهل سراطا؛ لسرعة المشاة فيه؛ لسهولته لا يمنعه من ذلك شيء، وجعل السين صادا لموافقة الصاد الطاء[1].

وهو في القرآن على وجهين:

الأول[2]: الطريق؛ قال الله: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ [الأعراف آية: ٨٦]، ومثله: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات آية: ٢٣].

الثاني: الدين؛ قال الله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة آية: ٦] يعني: الدين المستقيم؛ فجعله صراطا على التمثيل، ومثله: ﴿وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام آية: ١٢٦].

والمستقيم: القاصد، والاستقامة: الاستمرار في جهة واحدة؛ فإذا كان في الدين فالاستمرار على طريق الحق.

وقال بعضهم: الصراط: الطريق المستقيم، والذي يفيده الصراط هو السهولة على ما ذكرنا، والذي يدل على ذلك أصل الكلمة وما يتصرف منها، مثل: السرطراط وسرطته؛ إذا أسرعت بلعه لسهولته.

الصلاة

أصلها الدعاء؛ صليت إذا دعوت، قال الشاعر[3]:

وَقَابَلَهَا الرِيحُ فِي دنِّهَا وَصَلَّى عَلَى دنِّهَا وَارتَشَمَ

وسميت الصلاة لما فيها من الدعاء، والصلاة على الجنازة؛ لأنها دعاء لا سجود فيه[4] ولا ركوع، وقيل: أصلها اللزوم، ومن[5] قيل: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا﴾ [الغاشية آية: ٤] أي: يلزمها.

واستعمل في القرآن على خمسة أوجه زعموا:

الأول[6]: الدعاء؛ قال الله: ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة آية: ١٠٣] أي:

---

(١) في ت: والطاء.
(٢) في ت: أحدهما.
(٣) في ت: الأعشى.
(٤) في ت: فيها.
(٥) في ت: ومنه.
(٦) في ت: أولها.

ادع لهم إن دعائك مما يسكنهم وتطمئن إليهم قلوبهم، وقيل: معناه استغفر لهم، ومعناهما قريب.

والثاني: الترحم: قال بعضهم: قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة آية: ١٠٣] أي: ترحم عليهم أنهم يسكنون إلى ذلك، قال الأعشى:

عَلَيكَ مِثلُ الّذِي صَلَّيتَ فَاعتَصِمِي[١]

رفع مثل على الدعاء دعا لها[٢] مثل الذي دعوت له، ونصبه على الأمر؛ أي: تزداد من الدعاء، أي: عليك بمثل ما قلت، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب آية: ٥٦].

[الثاني: الرحمة][٣]؛ قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة آية: ١٥٧].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الله[٤] صلي على آل أبي أوفى[٥]" أي: ارحمهم، وهذا والأول واحد لأن الترحم دعاء، ولا شك أن الله يرحم نبيه.

والفائدة في الترحم عليه ما يستحق المترحم من الثواب، فإذا جدد الله تعالى لنبيه تكريما عند دعاء الداعي؛ قيل: إن الله أجاب دعاءه وفي الإجابة تكريم المجاب.

والدعاء ليس بواجب في العقول؛ وإنما أوجبه القرآن لأن العاقل يعلم أن الله لا يختار له إلا الأصلح في دينه ودنياه. فيجوز أن ينصرف عن الدعاء تفويضا لأمره إلى الله، والله لا يمنع العبد ما فيه صلاحه؛ ولكنه أمره بالدعاء تعريضا للإجابة لما فيها من إكرام المجاب.

---

(١) في ت: فاغتمضي.
(٢) في ت: دعاها.
(٣) سقط من: ت.
(٤) في ت: اللهم.
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (١٠٧٨) ٢/ ٧٥٢، والبخاري في صحيحه (١٤٢٦) ٢/ ٥٤٤، (٣٩٣٣) ٤/ ١٥٢٩، (٥٩٧٣) ٥/ ٢٣٣٣، (٥٩٩٨) ٥/ ٢٣٣٩، وابن خزيمة في صحيحه (٢٣٤٥) ٤/ ٥٧، وابن حبان في صحيحه (٩١٧) ٣/ ١٩٧، والبيهقي في سننه الكبرى (٢٦٩٤) ٢/ ١٥٢، (٧٤٤٦) ٤/ ١٥٧، (١٢٩٠١) ٧/ ٥، وأبو داود في سننه (١٥٩٠) ٢/ ١٠٦، والنسائي في سننه الكبرى (٢٢٣٩) ٢/ ١٥، (٢٤٥٩) ٥/ ٣١، وابن ماجه في سننه (١٧٩٦) ١/ ٥٧٢، والبزار في مسنده (٣٣٥٣) ٨/ ٢٨٤، والإمام أحمد في مسنده ٤/ ٣٥٣، ٤/ ٣٥٤، ٤/ ٣٥٥، ٤/ ٣٨١، ٤/ ٣٨٣، والطيالسي في مسنده (٨١٩) ١/ ١١٠، والطبراني في معجمه الكبير (١١) ١٨/ ١٠.

ويجوز أن يكون أمره بالدعاء؛ لأن الذي يطلبه لا يكون مصلحة له إلا بالدعاء.

الثالث: الصلاة المعروفة؛ قال: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ [الإسراء آية: ٧٨]، وقيل: دلوكها: غروبها، وقيل: زوالها.

الرابع: قوله: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ [هود آية: ٨٧] قال المفسرون: أراد قراءتك والمشهور الصلاة المعروفة.

وقالوا له ذلك لما أنكروا ما يدعوهم إليه من مخالفة دينهم، كما تقول للرجل الصالح: تنكر منه أمرا أورعك أو صلاحك أمرك بهذا وأنت تريد نهيه عن ذلك وإنكاره عليه.

الخامس(١): المغفرة؛ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب آية: ٤٣] يعني: أنه يغفر لكم(٢) إذا تبتم إليه، ويستغفر لكم ملائكته، وهذا الوجه قريب من الوجه الثاني؛ لأن الرحمة والمغفرة يتقاربان.

الصوم

أصله الإمساك، ومصام الشيء مكانه، قال امرؤ القيس:

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِهَا ... بِأَمْرِ أَسرِ كِتَّانِ الصَّائِمِ جَنْدَلِ

والخيل الصائمة: الممسكة عن الحملة، وقد صام النهار عبد قائم الظهيرة؛ كأن الشمس تسكن عند ذلك فلا تسير.

والصوم في القرآن على وجهين:

الأول(٣): الإمساك عن الطعام والشراب والنكاح مع النية، وهو قوله: ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة آية: ١٨٤] وفي هذه الآية دليل على أن هذه الآية منسوخة لأنه لا يجوز أن تقول في هذا الوقت أن الصيام في شهر رمضان خير من الإفطار فيه.

الثاني(٤): الصمت؛ قال الله: ﴿إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ [مريم آية: ٢٦] أي: صمتا، ويسمى الصمت صوما لأنه إمساك عن الكلام، ومن قال: إن الصوم ليس

---

(١) في ت: والخامس.
(٢) في ن: لك.
(٣) في ت: أحدهما.
(٤) في ت: والوجه الآخر.

بمعنى؛ فقد قال: أن الله فرض ما ليس بشيء، وأن النية والعزم يصح ما ليس بشيء، والنهي نحو عن ترك ما ليس بشيء، وتوطين النفس يكون لا على شيء وليس هذا بمعقول[١]، وقد يكون صوم أعظم من صوم، وهذا يوجب على قوله: أن يكون لا شيء أعظم من لا شيء.

(١) في ت: بمفعول.

الباب الخامس عشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ضاد

الضحى[1]

مؤنثة وأصلها من البروز، ويقال مكان ضاح؛ أي: بارز، وضواحي المدينة: ظواهرها، وضحى الرجل يضحي إذا برز للشمس، وفي القرآن: ﴿لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه آية: ١١٩] والأضحية ترجع إلى هذا، وذلك أنهم كانوا يذبحونها في الضحى، والضحا بالمد بعد الضحى.

والضحى في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول[2]: النهار كله؛ قال: ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأعراف آية: ٩٨] جاء في التفسير أنه بمعنى النهار جمع[3] قلنا، وذلك أنه جعله بإزاء البيات، والبيات يكون في جميع الليل، ولا يحسن في نظم الكلام أن يجعل الضحى التي هي أول النهار إزاء الليل كله.

الثاني: إذا ترجل النهار؛ قال الله: ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات آية: ٤٦].

الثالث: حر الشمس؛ قال الله: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾ [الشمس آية: ١] [قالوا][4] يعني: حرها، ويجوز أن يكون الوقت ونسبه إلى الشمس؛ لأن الأوقات تعرف بمسير الشمس.

الضرب[5]

أصله الثبات، ومن ثم قيل: ضرب علي فلان البعث أي: ألزمه وأثبت عليه حكمه ومنه قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ [البقرة آية: ٦١].

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٤٧.

(٢) في ت: أولها.

(٣) في ت: أجمع.

(٤) سقط من: ن.

(٥) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٤٠.

ويخبر[(١)] عن الإلزام بالضرب؛ لأن الضرب تأثيرا ليس إلا إلزاما؛ فلما أراد أنهم ألزموا ذلة تبقى أثرها كبقاء[(٢)] أثر الضرب، عدل عن ذكر الإلزام إلى ذكر الضرب، وقيل: المعنى أن الذلة أحاطت بهم من قولك: ضربت الخيمة على القوم، ونحوه قوله:

ضَرَبتْ عَلَيكَ العَنْكَبوتُ بِنَسجِهَا وَقَضَى عَلَيكَ بِهَا الكِتَابُ المُنَـزَّلُ

ومنه المضرب لأنه تضرب أوتاده في الأرض فتثبت، ويقال للجليد: الضريب؛ لأنه يثبت أكثر مما يثبت الثلج ولا[(٣)] يثبت ولا يجري.

واستضرب العسل إذا غلظ تشبيها بالجليد، وضريبة الإنسان: خليقته لأنها ثابتة له لا يكاد يزول عنها، والضرب في الأرض المسير فيها؛ وهذا خلاف الثبات، والمضارب مشتق من الضرب في الأرض.

والضرب العسل الأبيض الغليظ، والضريب ضرب من اللبن، والضرب من الشيء: الصنف منه.

والضرب في القرآن على ثلاث أوجه:

الأول[(٤)]: الضرب في الأرض؛ قال الله: ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء آية: ٩٤]، وقال معاوية لبعض رؤساء اليمن: ما قول قومك في: ﴿بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبأ آية: ١٩] قال: أرادوا بعد الهمة والضرب في الأرض؛ ولكن ما قول قومك في: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال آية: ٣٢] هلا قالوا: إن كان هذا هو الحق من عندنا فاهدنا له؟ ومثله: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل آية: ٢٠] فوضع التاجر مع المجاهد، وفي ذلك بيان عن فضل التجارة.

الثاني: الضرب باليد والسيف وغيره؛ قال: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد آية: ٤] وسمي ضربا لأن أثره يثبت في المضروب، ونصب ضرب الرقاب على المصدر.

والمراد فإذا لقيتم الذين كفروا فاقتلوهم؛ ولكن أكثر القتل ضرب الرقبة، فأخرج الكلام على الأكثر، ولم يرد أن هذا الضرب مقصور على الرقبة.

والشاهد قوله: ﴿وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال آية: ١٢]، وقال: ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ [الأنفال آية: ١٢] يعني: اضربوا الرؤوس، واضربوا منهم

---

(١) في ت: وخبر.
(٢) في ت: هلكيها.
(٣) في ت: أو لأنه.
(٤) في ت: أولها.

كل بنان؛ لأنه[١] قال: إنكم تتمكنون منهم أشد تمكن؛ فاضربوا الجليل من أبدانهم والدقيق.

وقيل: ﴿فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ [الأنفال آية: ١٢] أي: ما بدا منها وهو على ما قلنا أنه أراد أن اقتلوهم.

الثالث[٢]: التبين والوصف؛ قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ [إبراهيم آية: ٢٤] أي: وصف شبها وبينه.

وقال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل آية: ٧٤] قالوا: معناه لا تصفوا بصفات غيره ولا تشبهوه بسواه.

وضارب المثل كأنه ينصب شبها لما يريد أن يعرفك إياه فتنظر إليه وهو راجع إلى الإثبات.

ويجوز أن يقال: ضرب المثل أي: جعله يسير فيكون من الضرب في الأرض، وقال: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ [النحل آية: ١١٢] أي: وصف له شبها ومثله كثير.

وأما قوله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور آية: ٣١] فإنما أراد إلقاء الثوب على الصدر ليستتر[٣] به، والجيب جيب[٤] الدرع، وكن يلبسن الدروع، ولدرع جيب مثل جيب الدراعة، والمرأة فيها مكشوفة الصدر فأمر بستره؛ وفيه دليل على أن صدر المرأة ونحرها عورة.

الضر[٥]

الضر ضد النفع[٦]، و الضر: الهزال وسوء الحال، وكذلك الضراء، وقيل:

---

(١) في ت: كأنه.
(٢) في ت: والثالث.
(٣) في ت: ليتستر.
(٤) سقط من: ت.
(٥) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٣١.
(٦) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (ضر) الضاد والراء ثلاثةُ أصول: الأوّل خلاف النَّفْع، والثاني: اجتماعُ الشَّيء، والثالث القوّة.
فالأوَّل الضَّرّ: ضدُّ النَّفْع. ويقال ضَرَّه يضُرُّه ضَرّاً. ثمَّ يحمل على هذا كلُّ ما جانَسَه أو قارَبَه. فالضُّرُّ: الهُزال. والضِّرّ: تزوُّج المرأة على ضَرَّة. يقال نكحَتْ فلانةُ على ضِرّ، أي على امرأةٍ كانت قَبْلَها. وقال الأصمعيّ: تزوّجَت المرأةُ على ضُرٍّ وضِرّ. قال: والإضرار مثلُه، وهو رجلٌ مُضِرٌّ. والضَّرَّة: اسمٌ مشتقٌّ من الضَّرّ، كأنَّها تضرُّ الأخرى كما تضرُّها تلك. واضطُرَّ فلانٌ إلى كذا، من الضرورة. ويقولون في الشِّعر "الضَّارُورة". قال ابنُ الدُّمينة:

الضر والضر لغتان وليس بالوجه.

وذكر أن الضر أبلغ من الضر؛ لأنه عدل عن صيغة المصدر للمبالغة وهذا أجود، وأصل الكلمة الدنو، ومعنى قولهم: ضره؛ إذا لحق به المكروه، وإذا لحقه[١] به فقد أدناه منه، وسحاب مضر إذا دنا من الأرض لكثرة مائه، قال الشاعر:

غَـوَاشـي مُـضـر تَـحْـتَ ريـحٍ وَوَابـلِ

وسميت الضرة ضرة؛ لأنها أدنيت من مثلها، والضرة أصل الضرع لقربها من البدن.

والضر في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول[٢]: الشدة وسوء الحال؛ قال: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ [يونس آية: ١٢] والفرق بين المس واللمس؛ أن المس يكون من الحجارة وما بسبيل ذلك، يقول: مس الحجر الحجر، واللمس لا يكون إلا لطلب معرفة اللين، أو الخشونة، والحرارة، والبرودة فهو مستعمل في الإنسان.

الثاني: الهول، قال الله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ [الإسراء آية: ٦٦] يعني: الهول، ويجوز أن يكون المعنى جميع ما يدخل عليهم من الضرر عند الضلال.

الثالث: النقص؛ قال الله: ﴿لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [محمد آية: ٣٢، آل عمران: ١٧٦- ١٧٧] أي: لا ينقصونه من ملكه شيئا بمعاصيهم.

وأما الضراء فقد جاءت بمعنى القحط والجدب، في قوله: ﴿أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ

= أَتـيـبِـي أخـا ضـارورةٍ أشـفَـقَ الـعِـدَى عـلـيـه وقَـلّـت فـي الـصـديـق مَـعـاذرُهْ

والضَّرِير: المُضَارَّة. وأكثر ما يُستعمَل في الغَيْرة؛ يقال ما أشدَّ ضريره عليها. وشُبِّه الحَجَرانِ للرَّحَى بالضَّرَّتينِ فقيل لهما الضَّرَّتانِ. والضَّرير: الذي به ضَرَرٌ من ذَهاب عَيْنِه. أو ضَنَى جِسْمِه.

وأمّا الأصلُ الثاني فَضَرَّة الضَّرع: لَحْمتُه. قال أبو عُبيد: الضَّرَّة: التي لا تخلو من اللَّبن. وسمِّيت بذلك لاجتماعِها. وضَرَّةُ الإبهام: اللحم المجتمع تحتَها. ومن الباب: المُضِرّ: الذي له ضَرَّةٌ من مال، وهو من صِفَة المال الكثير. قال:

بِـحَـسْـبِـكَ فـي الـقـوم أن يَـعـلـمـوا بـأنّـك فـيـهـم غَـنِـيٌّ مُـضِـرّْ

وأمّا الثالث فالضرير: قُوَّة النَّفْس. ويقال: فلانٌ ذو ضرير على الشيء، إذا كان ذا صبرٍ عليه ومقاساة، في قول جرير:

جُراةً وضَرِيرا

ويقال للفرس: أضرَّ على فأس اللِّجامِ، إذا أزَم عليه.

(١) في ت: ألحقه.

(٢) في ت: أولها.

بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ﴾ [يونس آية: ٢١] أي: خصبا وسعة بعد قحط وشدة.

والفرق بين الضر والضراء؛ أن الضراء مضرة تظهر، ويجوز أن يكون الضر خافيا، والضراء خرجت مخرج الأحوال الظاهرة؛ مثل: الحمراء، والسوداء.

وكذلك الفرق بين النعمة والنعماء؛ أن النعماء أنعام تظهر أثره، ويجوز أن تكون النعمة خافية.

الضلال[١]

أصل الضلال الزوال عن القصد والسير عن غير بصيرة[٢]، وصاحبه بصدد الهلاك؛ ولهذا قيل: إنَّ الضلال الهلاك.

ثم استعير لمن زال عن سبيل طاعة الله؛ فقيل للكافر ضال، وللفاسق مثله؛ ثم جعل اسما للعقاب على الفسق والكفر، ويقال: أضللت فرسي وبعيري، وكل ما زال عنك فذهب.

وضللت الطريق والدار وكل ما لا يترح، وأضللت فلانا؛ وجدته ضالا، ومنه قوله: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ [الجاثية آية: ٢٣].

والإضلال؛ أيضا الإحباط في قوله: ﴿أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد آية: ١]، والإضلال؛ الصرف عن القصد في قوله: ﴿وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ٧٩﴾ [طه آية: ٧٩].

وقال بعضهم: الضلال والهلاك من قولهم: ضلت الناقة إذا أهلكت[٣] بضياعها، وضل الكافر إذا هلك بكفره، وضللنا في الأرض؛ إذا هلكنا بقطع

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص٣٣١.

(٢) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (ضل) الضاد واللام أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على معنىً واحد، وهو ضَياع الشيء وذهابُهُ في غيرِ حَقِّه. يقال ضَلَّ يَضِلّ ويَضَلّ، لغتان. وكلُّ جائرٍ عن القصد ضالٌّ. والضَّلَال والضَّلالَة بمعنى. ورجلٌ ضِلِّيلٌ ومُضلَّل، إذا كان صاحبَ ضَلَالٍ وباطل. وممّا يدُلُّ على أنّ أصلِ الضَّلَال ما ذكرناهُ، قولُهم أُضِلّ الميّتُ، إذا دُفِنَ. وذاكَ كأنَّهُ شيءٌ قد ضاع. ويقولون: ضَلَّ اللَّبَنُ في الماءِ، ثم يقولون استُهْلِكَ. وقال في أُضِلَّ الميّت:

وآبَ مُضِلُّوهُ بعينٍ جَلِيَّةٍ وغودِرَ بالجَوْلان حَزمٌ ونائلُ

قال ابنُ السكّيت: يقال أَضلَلْتُ بعيري، إذا ذهبَ منك؛ وضللت المسجد والدَّارَ، إذا لم تهتدِ لهما. وكذلك كلُّ شيءٍ مُقيمٍ لا يُهتَدَى له. ويقال: أرضٌ مَضِلّة ومَضَلّة. ووقعوا في وادِ تُضُلِّلَ، إذا وَقعوا في مَضَلَّة.

(٣) في ت: هلكت.

أوصالنا، ورجل مضل؛ منسوب إلى الهلاك بأنه لا يتوجه لخير، وضل الرجل عن الطريق؛ إذا هلك عن قصده.

والضلال في القرآن على اثني[١] عشر وجها:

الأول: التسمية والحكم، وقال تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ﴾ [إبراهيم آية: ٢٧] يعني: أنه يسميهم ضالين، كما تقول: جهلته إذا سميته جاهلا.

الثاني: النسيان؛ قال: ﴿أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا﴾ [البقرة آية: ٢٨٢] أي: تنسى، وإذا ذهب عن الطريق، قيل: قد ضل وكذا إذا ذهب عن معرفة الشيء.

الثالث: عدم العلم بمبلغ الجرم؛ قال: ﴿قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٢٠﴾ [الشعراء آية: ٢٠] أي: لم أعلم أن وكرتي تبلغ القتل؛ كأنه قال: فعلتها وأنا ضال عن العلم بها أنها تبلغ القتل، ومن ذهب عن الشيء يجوز أن يقال: أنه ضل عنه.

وقال الزجاج: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء آية: ٢٠] أي: الجاهلين، وهذا خطأ لأن اسم الجاهلين لا يطلق على الأنبياء.

الرابع: الخطأ؛ قال الله: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [يوسف آية: ٨] أي: في خطأ بين، ولو عنوا غير ذلك كفروا؛ فإن تضليل الأنبياء عليهم السلام على الحقيقة كفر، وحقيقة المعنى أنه ذهب عن الاستواء في تدبير أمر الدنيا؛ لأنه يفضل من لا غنى له على من له غنى.

الخامس: الكفر، وهو قوله تعالى: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة آية: ٧] يعني: بالضالين النصارى، والمغضوب عليهم اليهود، والمعنى غير طريق الذين تريد عقابهم في الآخرة من اليهود والنصارى، والغضب من الله العقاب.

السادس: الغفلة؛ قال الله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧﴾ [الضحى آية: ٧] أي: كنت في غفلة عن النبوة لم تدر أنك تؤتاها، ودليله قوله: ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ﴾ [الشورى آية: ٥٢].

وقال بعضهم: ﴿ضَآلّٗا﴾ أي: في قوم ضلال؛ كما قال أبو عثمان المازني؛ لنزوله في بني مازن، وعمر والغزال؛ لمقامه بين الغزالين، وكل من نزل في قوم نسب إليهم، ومن ذلك قولهم: العلوي الحماني؛ فأما قول من قال أنه كان على

---

(١) في ن: اثنتى.

دين قومه فخطأ؛ لأن من يصلح للنبوة لا يجوز أن يستصوب عبادة الصنم.

السابع: الإحباط؛ قال الله: ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد آية: ١] أي: أحبطها ولم يحصلوا على ثوابها، وفي هذا دليل على أن الحساب لا ينفع مع الكفر.

الثامن: العذاب؛ قال: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ [نوح آية: ٢٤] أي: عذابا؛ لأنه لا يضلهم في الأول فيزيدهم، والزيادة لا تكون إلا على أصل، وما سمي ما يوصل إليهم من العذاب المستحق في الحال الثاني والثالث، وما بعد ذلك زيادة لم يرد إنه يريدهم منه ما لا يستحقونه.

التاسع[1]: تفرق الشيء حتى لا يرى؛ قال تعالى: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة آية: ١٠].

العاشر[2]: الصد؛ قال تعالى: ﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾ [النساء آية: ١١٣] أن يصدوك عن الإيمان ويردُّوك إلى الكفر.

الحادي عشر: الخسار؛ قال الله: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾﴾ [القمر آية: ٤٧].

وكل ما نسبه الله إلى نفسه من الضلال فسبيله التسمية والحكم، أو الضلال عن الثواب، ودليل هذا قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة آية: ٢٦].

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة آية: ١٧٥]، وقال: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم آية: ٢٧].

وأما قوله تعالى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ﴾ [الأعراف آية: ١٥٥] فالفتنة؛ المحنة والابتلاء.

ونسب الضلال بها إلى نفسه، لأن الضلال وقع من بعض الناس عندما ابتلى به؛ فنسب ذلك إلى نفسه؛ كما قال: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة آية: ١٢٥] يعني: السورة، والمراد أنهم ازدادوا رجسا عندها.

الثاني عشر: الحيرة؛ قال تعالى: ﴿فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [إبراهيم آية: ٣، ق: ٢٧] أي: في حيرة شديدة، أو في حيرة بعيد دواؤها وتلافيها ويقال: ضل الطائر إذا تحير وضل الصبي، مثله.

وأما قوله: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد آية: ١٤] فمعناه أن دعاء

---

(١) في ت: والتاسع.

(٢) في ت: والعاشر.

الكافرين لأوثانهم باطل لا مرجوع له، وضل الشيء إذا بطل وهلك.

وأما قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد آية: ٢٧] فمعناه أنه يهدي الناس[١] إلى ثوابه لا إلى الدين؛ لأن الناس[٢] مهتدون إلى الدين.

وكذلك ينبغي أن يكون الإضلال[٣] هنا[٤] عن الثواب لا عن الدين، ولو جاز أن يضل عن الدين لجاز لنا ذلك، كما أنه جاز لنا أن نهدي إليه إذ كان الله يهدي إليه، ولو جاز أن يضل عن الإيمان لجاز أن يدعو إلى الكفر، ولو جاز له ذلك لجاز لنا.

---

(١) في ت: التائبين.
(٢) في ت: التائبين.
(٣) في ت: لإضلال.
(٤) في ت: معنا.

الباب السادس عشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله طاء

الطهارة[1]

أصل الطهارة في اللغة: البعد[2]، يقال: طهرت الشيء وطهرته؛ إذا أبعدته، وسمي الطهور طهورا لأنه يبعد الفاحشة[3] عن الجسد وغيره.

والطهور اسم ما يتطهر به، والطهور اسم الفعل على القياس دون السماع، والمسموع[4] للطهر والطهارة.

والطهارة في الشريعة: اسم يقع على معان كثيرة، منها: الصلاة، والزكاة، والبر؛ كلها طهارة؛ يعني: أنها تطهر من الذنوب، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل آية: ٥٦] يطلبون[5] إطهار النساء ولا يأتون الرجال، أو يأتوهن في قبل الطهر يطلبون النجاسة على ما كانت العرب تدعي من ذلك.

والطهارة في القرآن على عشرة أوجه:

الأول[6]: طهارة المرأة من دم الحيض؛ قال الله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة آية: ٢٢٢].

الثاني: الاغتسال؛ وهو قوله: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة آية: ٢٢٢] أي: إذا اغتسلن أو تيممن عند عدم الماء.

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١١١.

(٢) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (طهر) الطاء والهاء والراء أصلٌ واحدٌ صحيح يدلُّ على نقاءٍ وزوالِ دَنَسٍ. ومن ذلك الطُّهْر: خلاف الدَّنَس. والتطهُّرُ: التنزُّه عن الذمِّ وكلِّ قبيح. وفلانٌ طاهر الثِّياب، إذا لم يدنَّس. قال:

ثيابُ بني عوفٍ طَهارَى نقيّةٌ ... وأوجُهُهم عند المَسافِرِ غُرّانُ

والطَّهور: الماء. قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان ٤٨]. وسمعتُ محمّد بن هارونَ الثَّقَفِي يقول: سمعتُ أحمد بن يحيى ثعلباً يقول: الطَّهور: الطاهر، في نفسه، المُطَهِّرُ لغيرِهِ.

(٣) في ت: النجاسة.

(٤) في ت: والمسموح.

(٥) في ت: يعلمون.

(٦) في ت: أولها.

ولا يجوز عند الفقهاء مجامعتهن[١] إذا طهرن فقط؛ لأنه قال تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة آية: ٢٢٢] يعني: الفرج، وفيه دليل على أن إيتائهن في أدبارهن حرام؛ لأنه حرام إيتائهن في الحيض لأجل الأذى؛ وهو القذر، والقذر للدبر الزم.

ويجوز عند بعضهم مجامعتهن إذا طهرن قبل أن يتطهرن، ومنه[٢] كلام كثير استقصيناه في غير موضع.

الثالث: التطهر بمعنى الاستنجاء بالماء؛ قال الله: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ [التوبة آية: ١٠٨] قال المفسرون: أراد غسل أثر البول والغائط بالماء، وقيل: نزل في الأنصار وذلك أنهم كانوا يتبعون الحجر بالماء[٣].

الرابع: الطهور من جميع الأحداث والجنابة؛ قال الله: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾ [الأنفال آية: ١١] يعني: من الأحداث والجنابة، ونظيره قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان آية: ٤٨].

الخامس: التنزه عن إتيان الرجال في أدبارهم، قال: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل آية: ٥٦] ويحتمل أيضا الوجوه التي ذكرنا.

السادس[٤]: طهارة نساء أهل الجنة من الحيض والقذر؛ قال الله[٥]: ﴿وَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة آية: ٢٥] ويتضمن ذلك طهارة الأخلاق أيضا، لأنه جاء بلفظ التكثير.

السابع: الطهارة من الذنوب؛ قال: ﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة آية: ٧٩] يعني: الملائكة، وأراد طهارتهم من الذنوب، وقرئ المطهرون؛ ومعناه أنهم يطهرون غيرهم وليس بالوجه، وقيل: هو على الأمر؛ أي: لا يمس المصحف إلا طاهر، ومثله: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [المجادلة آية: ١٢] أي: أطهر من الذنوب.

ومعنى ذلك أنه يكون كفارة، ونحوه قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [البقرة آية: ٢٣٢] أراد إذا لم يعضلوهن لأن[٦] أزكى لكم وأطهر لكم ولهن من الذنوب، لأنكم تأثمون بعضلكم إياهن، ولعل العضل يحملهن على الزنا، والعضل: المنع

(١) في ت: لمجامعة من.
(٢) في ت: وفيه.
(٣) في ت: الماء.
(٤) في ت: والسادس.
(٥) سقط من: ت.
(٦) في ت: كأن.

من التزويج وخبرها هنا أفعل.

الثامن: التبرئة من الخطأ والغلط؛ قال الله: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾﴾ [عبس الآيتان: ١٣، ١٤] يعني: القرآن، كذا قيل؛ وقيل: يقول أنها مكرمة عند الملائكة، مرفوعة عن الأرض.

ويجوز أن يكون أراد رفع القذر مطهرة أن ينالها يد عاصية، ومثله: ﴿يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ [البينة آية: ٢] يعني: القرآن أيضا، ويجوز أن يكون: ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ أي: منزهة أن يكون فيها كذب وباطل.

التاسع(١): إبعاد الأوثان والأصنام؛ قال الله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ [الحج آية: ٢٦] أي: أبعد عنه ما يعبد منها.

العاشر(٢): تطهير الله العبد من الذنوب؛ بمعنى أنه يمنحه ألطافا يمتنع معها(٣) من الذنوب، قال الله(٤) ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [آل عمران آية: ٤٢]: ﴿اصْطَفَاكِ﴾ اختصك بأن قبل نذر أمك فيك ففرغك لعبادته وسداته نبيه، وطهرك من الذنوب بأن وفقك لمجانبتها، واختصك من نساء العالمين بولادة عيسى عليه السلام من غير ذكر؛ فلما كان المراد بالاصطفاء الأخير غير المراد بالاصطفاء الأول لم يكن تكرارا معيبا، وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب آية: ٣٣] والمعنى أن الله وفقكم لمجانبة الذنوب فتجنبتموها وكنتم طاهرين.

الطاغوت(٥)

كل ما عبد من دون الله وهو طاغوت، والطاغوت أيضا الشيطان وهو من طغى يطغو، مثل: الملكوت من ملك يملك، وقيل: هو أعجمي، مثل: جالوت، وطالوت، وهو واحد وجمع.

وجاء في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول(٦): الشيطان؛ قال الله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ [البقرة آية: ٢٥٦] قالوا: هو الشيطان، ويجوز أن يكون الأوثان والذي لا شك فيه أنه الشيطان،

---

(١) في ت: والتاسع.
(٢) في ت: والعاشر.
(٣) سقط من: ن.
(٤) في ت: تعالى.
(٥) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٩٦.
(٦) في ت: أولها.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ [النساء آية: ٧٦] لأنه قال بعد ذلك: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ [النساء آية: ٧٦].

الثاني: الأوثان؛ قال الله: ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل آية: ٣٦] وهو يذكر ويؤنث، والتأنيث[1] قوله: ﴿الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ [الزمر آية: ١٧]، والتذكير قوله: ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء آية: ٦٠].

الثالث: قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ [النساء آية: ٦٠] جاء في التفسير أنه أراد كعب بن الأشرف، وقيل: الكاهن.

وأصله أن رجلا من المنافقين نازع يهوديا، فقال اليهودي: بينك وبيني محمد صلى الله عليه.

وقال المنافق: بيني وبينك الكاهن.

وقيل: كعب بن الأشرف ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله؛ فحكم على المنافق؛ فلم يرض، وجاء أبا بكر فحكم عليه أيضا، فجاءا عمر وقص اليهودي عليه القصة؛ فأخرج السيف وقتل المنافق؛ فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال له: أنت الفاروق، ثم قال: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء آية: ٦٠] فذكر الشيطان وأراد أولياء الشيطان، كما[2] قال: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف آية: ٨٢]، وكما قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب آية: ٥٧] أي: أولياء الله.

الطمأنينة

أصلها الانخفاض، والمطمئن من الأرض: المنخفض، وتطأمن الشيء إذا تلاطا ثم استعمل في السكون.

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول[3]: السكون؛ قال: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة آية: ٢٦٠] وتزول عنه الوسوسة؛ لأنه إذا شاهد إحياء الموتى لم يكن للشيطان إلي وسوسته سبيل، ومثله: ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ [المائدة آية: ١١٣]، ونظيره: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد آية: ٢٨].

ويجوز أن يكون المعنى أنها تطمئن إلى ما وعد الله من ثوابه، ويجوز أن

(١) في ت: فالتأنيث. (٢) في ن: كذا. (٣) في ت: أولها.

يكون المعنى الذين نظروا واستدلوا فعرفوا الله من طريق الدلائل فاطمأنت قلوبهم ولم يخالجها شك، فإن قيل: أوليس قد قال: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج آية: ٣٥] والوجل ضد الطمأنينة، قلنا: المراد في هذا أنهم إذا ذكر الله وجلت قلوبهم بذكر عقوباته للعصاة؛ وجلت قلوبهم لأنهم لا يأمنون أن يعصوه؛ فبصروا إلى عذابه.

وقوله: ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم﴾ [الرعد آية: ٢٨] أنهم إذا ذكر بذكر ثوابه اطمأنت قلوبهم لأنهم لا يعرفون من أنفسهم معصية، وقد وثقوا بأن وعد الله حق.

الثاني: بمعنى الرضا؛ قال: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾ [الحج آية: ١١].

الثالث: بمعنى الأمن؛ قال الله: ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء آية: ١٠٣] ويجوز أن يكون هذا أيضا بمعنى السكون، قال بعضهم: معناها هاهنا الإقامة؛ أي: فإذا أقمتم فأقيموا الصلاة؛ أي: أتموها.

الطيبات(١)

أصل الياء في الطيب واو، ومن ثم قيل للقادم: أوبة، وطوبة، وقيل: طوبى له، وقيل: شيء طيب للزوم الطيب له، كما قيل: ضيق، وميت، وسيد، وما كان الصفة فيه عارضة، قيل: فاعل، كما قيل: ضائق.

وهي في القرآن على ستة أوجه:

الأول(٢): الحلال؛ قال تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف آية: ٣٢]، وقال: ﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون آية: ٥١]، وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة آية: ٥] يعني: أن الطيبات أحلت لهم عند كمال الدين.

وذلك أنه قد أمنهم عند نزول هذه الآية أن ينسخ شيئا مما أحل لهم، واليوم هو الذي أنزل فيه هذه الآية، ويجوز أن يكون بمعنى الوقت، ويجوز أن تكون الطيبات الأرزاق التي جعلها الله للناس، ومنع بالنهي عن منازعتهم فيها، وإنما سمي الحلال طيبا لطيبه في العاقبة.

الثاني: المن والسلوى؛ قال: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [طه آية: ٨١] وهو راجع إلى الأول؛ لأن ذلك كان حلالا، ويجوز أن يكون المراد أنه طيب المطعم،

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٠٨.

(٢) في ت: أولها.

ومثله: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [يونس آية: ٩٣]، وقوله: ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الجاثية آية: ١٦].

الثالث: الطعام اللذيذ، واللباس الحسن، والجماع؛ قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة آية: ٨٧] وكان قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هموا بترك ملاذ الدنيا؛ فأنزل الله هذه الآية، ونحوه قوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الإسراء آية: ٧٠]، ومثله[1] ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف آية: ٣٢] أي: لم يحرم الله ذلك فاللفظ لفظ الاستفهام، والمعنى الإنكار، وهو يرجع إلى معنى الأمر باستعمال هذه الأشياء من وجوهه وحله.

الرابع: الشحوم ولحوم الإبل؛ قال الله: ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء آية: ١٦٠] فالمراد أنه عجل عليهم طائفة من العذاب؛ فحرم عليهم من الماء كل ما كان حلالاً[2] لهم، وهي ما ذكر في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا﴾ [الأنعام آية: ١٤٦، النحل: ١١٨] كذا وكذا وذلك ما كان من ظلمهم.

الخامس: الذبائح؛ قال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة آية: ٤] يعني: الذبائح، والشاهد قوله: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ [المائدة آية: ٤] فقرر ذلك بما هو من جنسه.

السادس: الغنيمة؛ قال: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال آية: ٢٦] إلى أن قال: ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الأنفال آية: ٢٦] جاء في التفسير أنه أراد الغنيمة يوم بدر؛ لأنه في قصد بدر وأواكم؛ يعني: أنه أسكنكم المدينة، وقال في آخر السورة: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال آية: ٦٩]، ويجوز أن يكون الطيب هاهنا الذي لا إثم فيه؛ فهو طيب في العاقبة، وكانت الغنائم محرمة على من قبل هذه الأمة؛ فأحلها الله لهذه الأمة.

الطعام[3]

كل ما أكل للشبع أو للشهوة مما فيه صلاح للبدن فهو طعام، وذلك أن الطير

(١) في ت: ومنه.
(٢) في ت: حالا.
(٣) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٨٨.

يؤكل للشهوة وليس بطعام والذي يؤكل للشبع الخبز واللحم، وما بسبيل ذلك والذي يؤكل للشهوة والفاكهة والأدام وما يجري هذا المجرى، والطعم: المذاق؛ يقال: هو طيب الطعم، والطعم أيضا اسم يقام مقام المصدر، والمصدر الطعم بالتحريك، ورجل مطعم من الشيء؛ مرزوق منه كأنه جعل له طعمه، وفلان خبيث الطعمة؛ أي: رديء المكسب.

والطعام في القرآن على أربعة أوجه:

الأول: الطعام الذي يأكله الناس؛ قال: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ [قريش آية: ٤]، وقال: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام آية: ١٤]، وقال: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟﴾ [الأحزاب آية: ٥٣] ونحوه كثير.

الثاني: مليح السمك؛ وقال: ﴿وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾ [المائدة آية: ٩٥] كذا جاء في التفسير، وقيل أيضا: أنه أراد ما يصب عليه(١) الماء وأخذ فهو من طعام البحر، وقيل: هو ما سقاه البحر [فنبت فهو طعام البحر](٢) لأنه ينبت عن مائه(٣).

الثالث: الذبائح؛ قال: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة آية: ٥]، ومعروف أنه لم يرد الخبز والأدام فينبغي أن يكون على الذبائح.

وقال بعضهم: أهل الكتاب(٤) هنا هم بنوا إسرائيل دون غيرهم ممن تنصر وتهود من العرب والعجم، وليس كذلك لأن هذا اسم لمن ينتحل التوراة والإنجيل ويظهر التدين بذلك، ولم يسموا أهل الكبائر(٥) لأنهم من بني إسرائيل؛ فكل من شاركهم في هذه العلة فهو منكم(٦) وطعامكم حل لهم؛ أي: حل لكم أن تطعموهم؛ لأن الحلال أو(٧) الحرام والفرائض بعد عقد التوحيد.

الرابع: طعم بمعنى شرب؛ قال الله: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ﴾ [البقرة آية: ٢٤٩] أي: من لم يشربه، ومجازه لم يذقه فيجد طعمه، وقوله: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى﴾ [البقرة آية: ٢٤٩] مع قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ [البقرة آية: ٢٤٩] دل على أن الشرب من النهر الكرع فيه، وهو أن يضع شفته عليه فيشرب منه، وهو من اغترف: بيده فليس بشارب(٨) من النهر، وهو يدل على صحة قول

---

(١) في ت: عنه.
(٢) سقط من: ن.
(٣) في ت: ماله.
(٤) في ن: الكبائر.
(٥) في ن: الكتاب.
(٦) في ت: منهم.
(٧) في ت: و.
(٨) في ن: شارب.

أبي حنيفة فيمن قال: إن شربت من الفرات فعبدي حر أنه على الكرع؛ وإذا شرب بيده أو بإناء لم يحنث.

الطغيان[١]

أصله مجاوزة الحد، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ⑪﴾ [الحاقة آية: ١١]، ثم استعمل في شدة الظلم؛ لأنه تجاوز لحد الصفة؛ وهو في القرآن على أربعة أوجه:

الأول[٢]: الضلال؛ قال الله: ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة آية: ١٥] أي: في ضلالهم يتحيرون، ويجوز أن يكون أراد أنهم يتحيرون فيما هم فيه من مجاوزة الحد في التمرد؛ وتحيرهم فيه لأنهم[٣] لا يعرفون وجه قباحته، والمتحير غير عارف لوجه أمره والعمد التحير.

ومثله قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ [ق آية: ٢٧] أي: ما أضللته، والشاهد قوله: ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [ق آية: ٢٧]، ويجوز أن يكون المراد أي: لما حمله على التمرد وشدة الظلمة لنفسه ولغيره.

الثاني: قال تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ㊸﴾ [طه آية: ٤٣] ويجوز أن يكون أراد أنه جاوز الحد في[٤] الكبر أو الظلم والغشم، وقال: ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾ [الصافات آية: ٣٠].

الثالث: الارتفاع ومجاوزة الحد في الكثرة؛ وقال: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ⑪﴾ [الحاقة آية: ١١] أي: حملنا آباءكم على حسب ما يقال لبني شيبان: اليوم أنتم أصحاب يوم ذي قار.

الرابع: الخطأ؛ قال: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ⑰﴾ [النجم آية: ١٧] أي: ما[٥] يمل ولم يخطئ في الرؤية، وقيل: ما عدل وما جاوز القصد في رؤيته؛ يعني: جبريل عليه السلام، وزاغ: مال وعدل، وقيل: ﴿مَا زَاغَ﴾ ما قصر عن شيء رمى إليه ببصره، : ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ ما طلب أن يجاوز ما رآه إلى غيره.

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٢٦.
(٢) في ت: أولها. (٣) في ت: أنهم.
(٤) في ت: من. (٥) في ت: لم.

الطمس

أصله ذهاب الأثر[١]؛ طريق طامس: لا علم فيه، كتاب مطموس: ممحو، وجبل طامس: لا طريق إليه؛ قال جميل:

أَلَا يتكُمَا أَعْلَامُ بُثَيْنَةَ قَدْ بَدَتْ كَأَنَّ ذُرَاهَا عُممت بِسَبَيِب
طَوَامِسُ لِي مِنْ دونِهِنَّ عَدَاوةٌ وَلِي مِنْ وَرَادُ الطَّامِسَاتِ حَبيب
بَعيدٌ عَلَى مَنْ لَيْسَ يَطْلُبُ حَاجةً وَأَمَّا عَلَى ذِي حَاجَةٍ فَقَرِيبُ

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول[٢]: بمعنى القلب؛ قال الله: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ [النساء آية: ٤٧] أي: نقلبها فنجعلها إلى ما يلي أدبارها.

وقوله: ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ تفسير لطمسها، وتصديق هذا قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾﴾ [الانشقاق آية: ١٠] لأن الوجوه إذا قلبت أقفاء كان أصحابها يعطون الكتب وراء ظهورهم.

الثاني: ذهاب البركات؛ قال: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [يونس آية: ٨٨] أي: اذهب ببركتها ومنفعتها وخذهم بالقحط، ﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [يونس آية: ٨٨] أي: حبب إليهم أوطانهم حتى لا يغار قومها لطلب الأرزاق فيموتوا هزلا وجوعا هكذا قيل.

والصواب أن يقال: أراد أن صبرهم على البلاء والإقامة في البلد المطموس فيه على أموالهم حتى لا يجزعوا فيخرجوا منه. وذلك أن الشد على القلب والربط عليه هو تصبيره بما هو فيه.

وقوله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟﴾ [يونس آية: ٨٨] موصول بقوله: ﴿لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ﴾ [يونس آية: ٨٨] ومعنى ذلك كله على العاقبة؛ كقوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص آية: ٨].

الثالث: ذهاب النور؛ قال الله: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾﴾ [المرسلات آية: ٨].

---

(١) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (طمس) الطاء والميم والسين أصلٌ يدلُّ على محوِ الشيء ومسحِهِ.
يقال طَمَسْتُ الخَطَّ، وطَمست الأثرَ. والشيءُ طامسٌ أيضاً. وقد طَمَسَ هو بنفسهِ.

(٢) في ت: أولها.

الطائر

طار الطائر يطير طيرانا والفعلان للاضطراب، مثل: اللمعان والضربان.

والطائر في القرآن على وجهين[١]:

الأول[٢]: الطائر واحد الطير؛ قال الله: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾ [الأنعام آية: ٣٨]، وطائر وطير مثل: صاحب وصحب، ولا يقال للواحد: طير إلا شاذا.

الثاني[٣]: الحظ؛ قال تعالى: ﴿طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء آية: ١٣] أي: حظه من الرزق وغيره لازم له، كما يقال[٤]: أمانتي في عنقك، وهذا الحق لي في عنقك؛ أي: هو لازم لك.

وقيل: الطائر العمل الصالح[٥] من الخير؛ أي: يلزمك ذلك حتى تجازي به، وقيل: الحظ من الخير والشر طائر، تقول العرب: جرى على الفلان الطائر بكذا على طريق الفأل، ويقال: طار لي منك كذا؛ أي: صار حظي منك.

وقيل: معناه أن الأمر الذي يجعلونه بالطائر يلزم أعناقهم؛ والمراد أنهم إذا تشاءموا بشيء أصابهم على ما قال النبي صلى الله عليه: " البلاء موكل بالمنطق[٦] "، ومثله: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ﴾ [يس آية: ١٩] أي: حظكم لأنفسكم وتطيركم لا يزيدكم ولا ينقصكم.

وقال تعالى: ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾ [النمل آية: ٤٧] أي: حظكم من الجزاء على أعمالكم لا معدل لكم عنه في الآخرة.

وقال ابن الأنباري في قولهم: طير الله لا طيرك، قال: فعل الله وحكمه لا فعلك وما يتخوفه[٧] منك، قال الفراء: الطائر عندهم العمل، [فإن الله تعالى][٨] قال[٩]: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء آية: ١٣]، وقوله: هو ميمون الطائر؛ يعنون الحظ، وهو الذي تسميه العامة البخت.

---

(١) في ت: ثلاثة أوجه.
(٢) في ت: أولها.
(٣) في ت: والثاني.
(٤) في ت: تقول.
(٥) سقط من: ت.
(٦) أخرجه ابن الجعد في مسنده (١٩٦٣) ١/ ٢٩٠، وأبو عبد الله القضاعي (١٥٧) ١/ ١٦١، (٢٢٨) ١/ ١٦٢.
(٧) في ت: مخوفه.
(٨) سقط من: ن.
(٩) سقط من: ت.

الباب السابع عشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ظاء

الظلمات(١)

الظلم: وضع الشيء في غير موضعه(٢)، ومنه: ظلم السقاء إذا شربه قبل أن يروب، وقال الشاعر:

هَـزَّتِ الـشَّـقَـاشِـقُ ظَـلامُـونَ لِـلـجـزرِ

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٩٨.

(٢) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (ظلم) الظاء واللام والميم أصلانِ صحيحانِ، أحدهما خلافُ الضِّياء والنور، والآخَر وَضْع الشَّيءِ غيرَ موضعه تعدِّياً.
فالأوَّل الظُّلْمة، والجمع ظلمات. والظَّلام: اسم الظلمة؛ وقد أظْلَمَ المكان إظلاماً. ومن هذا الباب ما حكاه الخليل من قولهم: لقيته أوَّلَ ذِي ظُلْمة. قال: وهو أوَّلُ شيءٍ سَدَّ بصرَك في الرُّؤْية، لا يشتقُّ منه فِعل. ومن هذا قولهم: لَقيته أدنى ظَلَم، للقريب. ويقولونه بألفاظٍ أُخَرَ مركبةٍ من الظاء واللام والميم، وأصل ذلك الظُّلمة، كأنَّهم يجعلون الشَّخصَ ظُلْمَةً في التشبيهِ، وذلك كتسميتهم الشَّخصَ سواداً. فعلى هذا يُحمل الباب، وهو من غريب ما يُحمل عليه كلامُهم.
والأصل الآخَر ظلَمَه يظلِمُه ظُلْماً. والأصل وضعُ الشَّيْءِ في غير موضعه؛ ألا تَراهم يقولون: "مَنْ أشْبَهَ أباه فما ظَلَمَ"، أي ما وضع الشَّبَه غيرَ موضعه. قال كعب:

أنا ابنُ الذي لم يُخْزِني في حياته ... قـديـمـاً ومَـنْ يـشـبهْ أبـاهُ فـمـا ظـلـمْ

ويقال ظَلَّمت فلاناً: نسبتُه إلى الظُّلم. وظَلَمْتُ فلاناً فاظَّلَم وانظلم، إذا احتملَ الظُّلْم. وأُنشد بيت زُهَير:

هـو الـجـوادُ الـذي يُـعـطـيـك نـائـلَـهُ ... عَـفْـواً ويُـظْـلَـمُ أحـيـانـاً فَـيَـظَّـلِـمُ

بالظاء والطاء. والأرض المظلومة: التي لم تُحفَر قطُّ ثمَّ حفرت؛ وذلك التُّرابُ ظَليم. قال:

فأصبح في غَبْراءَ بعد إشاحةٍ ... على العيشِ مردودٍ عليها ظليمُها

وإذا نُحِرَ البعيرُ من غيرِ عِلَّةٍ فقد ظُلِمَ. ومنه قوله:

عـادَ الأذِلَّـةُ فـي دارٍ وكـان بـهـا ... هُـرْتُ الـشَّـقـاشِـقِ ظَـلَّامـون لـلـجُـزُرِ

والظُّلَامة: ما تطلبه من مَظْلِمَتك عند الظَّالم. ويقال: سقانا ظَليمَةً طيِّبة. وقد ظَلَمَ وطْبَه، إذا سَقَى منه قبل أن يروبَ ويُخرِجَ زُبَده. ويقال لذلك اللَّبن ظليمٌ أيضاً. قال:

وَقـائِـلَـةٍ ظـلـمـتُ لـكـم سِـقـائـي ... وهـل يَـخْـفَـى عـلـى الـعَـكِـدِ الـظَّـلِـيـمُ

والله أعلم بالصَّواب.

أي يعرقبونها فيجعلون العرقبة مكان النحر؛ ومنه قيل الظلمة لأنها قد تكون سببا لوضع الشيء في غير موضعه لعدم الإبصار فيها، وقال بعض أهل اللغة: يقال في الجمع القليل منه ظلم ومنه ثلث ظلم، والكثير الظلمات وهذا خلاف الأصل؛ لأن الجمع القليل يجيء بالتاء في جميع(١) اللغة.

والظلمات في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول: الكفر؛ قال الله: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب آية: ٤٣، الحديد: ٩] أي: من الكفر إلى الإيمان؛ فأخرج ما يرى بالعين إلى ما لا يرى بالعين ليتولد التشبيه، وجعل الكفر ظلمة لما في الكفر من الحيرة والوحشة، والإيمان نورا لما يكون مع النور من الاهتداء والاستقامة والأنس بثلج اليقين.

الثاني: الأهوال؛ قال الله: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام آية: ٦٣] قال أهل التفسير: أراد أهوالهما، ويجوز أن يكون أراد الظلمات بعينها، ومن الأول قولهم: يوم مظلم، وأظلم النهار في عينه؛ يريدون الهول والشدة.

الثالث: الظلمة بعينها؛ قال الله: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام آية: ١] وقد تقدم(٢) ذكر الظلمات لأنه خلق الظلمة قبل النور، كما خلق الجنة قبل النار، والسماوات قبل الأرض.

وفي هذا معنى حسن، وهو جعله مثالا للشك الذي غلبه البرهان والدلالة؛ فأما الجنة فقدمت لأنها الغرض المطلوب، وأما السماوات فقدم خلقها لأنها أشرف من الأرض من غير اعتراض معنى يزيلها عن مرتبتها.

والفرق بين جعل الظلمات وفعل الظلمات؛ أن الجعل يقتضي فعلها على الصفة التي هي عليها، كما يقال: جعل الطين خزفا، والجعل أيضا يدل على الاتصال؛ ولذلك جعل طرفا للفعل يستفتح به؛ كقولك: جعل يقول، وجعل ينشد، قال الشاعر:

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ سَوفَ تَسْلُكَ فَازِرًا ... وَالمَوتُ مُكْتَنِع طَرِيقِي فَازِرِ
فَاجعَل بِحلل مَنْ يَمُسّكَ إِنَّمَا ... حِنْثُ اليَمِينِ عَلَى الأَثِيمِ الفَاجِرِ

(١) في ن: جمع.
(٢) في ت: قدم.

الظلم(١)

قد ذكرنا أن أصله وضع الشيء في غير موضعه، ويجوز أن يكون أصله النقصان، ومنه قوله: ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾ [الكهف آية: ٣٣] أي: لم تنقص، والمظلومة: أرض لم تمطر بين أرضين قد مطرتا؛ كأنها نقصت حقها.

وهو في القرآن على أربعة أوجه:

الأول: الشرك؛ قال الله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام آية: ٨٢]، والشاهد قوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان آية: ١٣]، ولما نزلت قوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شق على الناس؛ فقالوا: يا رسول الله، وأينا لا يظلم نفسه، فقال: " أنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا إلى ما قال العبد الصالح: إن الشرك لظلم عظيم(٢)".

الثاني: ظلم العبد نفسه؛ قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة آية: ٢٣١].

فإن قيل: كيف يظلم العبد نفسه ولم يقصد ضررها ؟ قلنا: لأنه يقصد إلى ضرر قبيح ينزل بها من أجل شهوته له فيضرها من حيث يظن أنه ينفعها، ولو نظر فيما يأتيه حق النظر وقف على مكان الضرر منه فيكون ظالما لنفسه بذلك؛ ونظيرها قوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر آية: ٣٢].

ويجوز أن يكون المعنى أنه ينقصها الحظ من الثواب والذكر الجميل.

الثالث(٣): ظلم الإنسان غيره؛ قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا﴾ [النساء آية: ٣٠] والعدوان والظلم واحد؛ وإنما كرر اللفظين على المعنى الواحد إرادة التوكيد والتصرف في الكلام على ما بينا من مذهب قوم يذهبون إلى ذلك، وأصح منه أن يقال: العدوان مجاوزة الواجب، والظلم هنا وضع الشيء في غير موضعه من قبل النفس المذكورة في الآية، فلما اختلف معنى اللفظين عطف أحدهما على الآخر؛ ولولا ذلك لم يجز العطف(٤).

الرابع(٥): النقص؛ قال: ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾ [الكهف آية: ٣٣] أي: لم

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص١٠٢.

(٢) أخرجه أبو عوانة في مسنده (٢١٤) ١/ ٧٣، ١/ ٧٤، والبزار في مسنده (١٤٩٣) ٤/ ٣١٢، (١٤٩٤) ٤/ ٣١٣، والإمام أحمد في مسنده (٣٥٨٩) ١/ ٣٧٨.

(٣) في ت: والثالث.

(٤) في ن: اللفظ.

(٥) في ت: والرابع.

تنقص وقال[١]: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء آية: ٤٧].

الظالمون[٢]

في القرآن على أربعة أوجه:

أولها: المشركون؛ قال: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود آية: ١٨] كذا قيل، ويجوز أن يكون غيرهم ممن يظلم، كثير الظلم داخلا معهم، وقوله: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف آية: ٤٧] وهم يعلمون أن الله لا يجعلهم مع المشركين؛ ولكن هذا القول منهم تعظيم لما فيه المشركون من العذاب.

الثاني[٣]: الظالم لنفسه؛ وهو الذي ينقصها بعض ثوابها بمعصية يوافقها[٤]، قال: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة آية: ٣٥، الأعراف: ١٩]، وقوله: ﴿سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء آية: ٨٧] أي: لنفسه بخطيئته، وقال موسى عليه السلام: ﴿إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ [القصص آية: ١٦] ومعنى هذين الحرفين داخل فيما تقدم.

الثالث: الجحود؛ قال تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف آية: ٩] أي: يجحدون؛ كذا قال ابن عباس، ومقاتل.

وقيل: أراد أنهم يظلمون أنفسهم بالكفر بها، وقيل: يظلمون بها؛ أي: يكفرون بها لوضعهم إياها في غير موضعها.

ويجوز أن يكون المعنى أنهم يظلمون النبي والمؤمنين بها؛ أي: بتصديقهم بها لأنهم ينسبونهم في ذلك إلى الخطأ ويؤذونهم من أجلها وهذا على مقتضى اللفظ، وقوله: ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ [الأعراف آية: ١٠٣، الإسراء: ٥٩] أي: جحدوا بها.

ويحتمل الوجوه التي تقدمت أيضا، ويقال: جحد بالشيء؛ إذا أنكر صحته، وجحده؛ إذا أنكر وجوده، كما يقال: جحد حقه.

الرابع: السرقة؛ قال: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾، ثم قال: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ﴾ [المائدة الآيتان: ٣٨، ٣٩]،

(١) سقط من: ن.
(٢) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٩٩.
(٣) في ت: والثاني. (٤) في ت: يواقعها.

وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف آية: ٤١] يعني: السارقين.

والظلم في هذا الوجه يرجع إلى النقصان؛ لأن السارق ينقص مال المسروق، ويجوز أن يكون سمى الله السارق ظالما لأنه يدخل الضرر على من لا يستحقه، وكل ضرر غير مستحق ولا معقب نفعا ظلم، وقد سمي أيضا ظالما؛ لظلمه لنفسه.

الظهور وما يتصرف منه

قد ذكرنا أن أصله من العلو، يقال: ظهر فوق البيت إذا علاه، وقال الشاعر:

وَتِـلْـكَ شِـكَـاةٌ ظَـاهِـرٌ عَـنْـكَ عَـارُهَـا

أي عارها مرتفع عنك لا يلحقك، وظهر كل شيء أعلاه، وظهر[1] الرجل؛ [بين درعين إذا ألبس إحداهما فوق أخرى، وظاهر الرجل][2] الرجل إذا عاونه فعلا أمره، وهو ظهيره؛ أي: معينه، ودرع مظاهرة؛ إذا نسجت حلقتين حلقتين.

وهو في القرآن على سبعة أوجه:

الأول[3]: ظهر إذا بدا؛ قال الله: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الروم آية: ٤١]، ونتكلم في هذه الآية في باب الفاء إن شاء الله تعالى.

وقال: ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر آية: ٢٦]، وقال: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الروم آية: ٧] يعني: ما بدا منه من معاشهم؛ أي: يعرفون ذلك من شدة عنايتهم به، ويغفلون عن المعاد[4]، وقال: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور آية: ٣١] أي: لا يبدين الزينة الباطنة[5]، نحو: المخنقة، والخلخال، والدملوج، والسوار؛ فإن ذلك من التبرج، والذي يظهر الثياب والوجه والكفان، وزينة الوجه الكحل، وزينة الكف الخضاب والخاتم.

وقد أباح النظر إلى زينة الوجه والكف؛ فاقتضى ذلك لا محالة إباحة النظر إلى الوجه والكف، ويدل على أن الوجه والكف ليسا من العورة؛ إنها تصلي مكشوفة الوجه واليدين فجاز نظر الأجنبي إليهما لغير شهوة، وجاز أن ينظر إليهما لعذر وإن كان تشبيها، مثل: أن يريد تزويجها، أو ينظر إليها لشهادة، أو لأنه حاكم يريد أن يسمع إقرارها، ويدل على أنه لا يجوز النظر إلى الوجه لشهوة، قول النبي صلى

---

(١) في ت: وظاهر.
(٢) سقط من: ن.
(٣) في ت: أولها.
(٤) في ن: المعادة.
(٥) في ن: الباطنية.

الله عليه وسلم: " لا تتبع النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة [١] ".

الثاني[٢]: الإطلاع؛ قال الله: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن الآيتان: ٢٦، ٢٧]، وقال: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾ [الكهف آية: ٢٠] أي: يطلعوا.

الثالث[٣]: الارتقاء؛ قال الله: ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف آية: ٣٣] أي: يرتقون، والمعارج: الدرج، يقال: أعرج[٤] الملك إذا صعد، وعرج إذا نزل، وقال: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف آية: ٩٧] أي: يعلوه، وهو من قولهم: ظهر فوق البيت؛ إذ أعلاه.

الرابع: التعاون؛ قال: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ [التحريم آية: ٤] أي: تعاونا، وقال: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم آية: ٤] أي: ظهرا، يريد أن الملائكة أيضا تضار النبي صلى الله عليه وسلم، وقريب منه: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾ [الحاقة آية: ١٧] أي: الملائكة، وقال: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحريم آية: ٤] فذكر الواحدا[٥] وأراد الجمع.

والأرجاء: الجوانب واحدها رجاء مقصور، وهما رجوان، ويقال: يرمى بفلان الرجوان، إذا كان سائرا لا يستقر ركابه، وقال: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ [الأحزاب آية: ٢٦].

الخامس: العلو والغلبة؛ قال: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة آية: ٣٣، الفتح: ٢٨، الصف: ٩] أي: ليغلبه حتى يغلب كل دين يدان به.

وفي هذا دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنه خبر وقع مخبره على ما أخبر به، ومثله: ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [غافر آية: ٢٩] أي: عالين قاهرين، ومثله: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف آية: ١٤].

السادس: الباطل؛ قال أهل التفسير في قوله: ﴿أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الرعد

---

(١) أخرجه أبو عبد الله الحاكم في مستدركه على الصحيحين (٢٧٨٨) ٢/ ٢١٢، والترمذي في سننه (٢٧٧٧) ٥/ ١٠١، والدارمي في سننه (٢٧٠٩) ٢/ ٣٨٦، والبيهقي في سننه الكبرى (١٣٢٩٣) ٧/ ٩٠، وأبو داود في سننه (٢١٤٩) ٢/ ٢٤٦، والبزار في مسنده (٧٠١) ٢/ ٢٨١، والإمام أحمد في مسنده (٢٣٠٢٤) ٥/ ٣٥١، (٢٣٠٤١) ٥/ ٣٥٣، (٢٣٠٧١) ٥/ ٣٥٧، الروياني (٢٢) ١/ ٦٩.

(٢) في ت: والثاني.

(٣) في ت: والثالث.

(٤) في ت: عرج.

(٥) في ن: واحد.

آية: ٣٣] أي: بباطل، وأم هاهنا بمعنى بل، ومنه قوله: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ [الزخرف آية: ٥٢] أي: بل أنا خير لأنه[١] قال: أيخبرونهم بما لا يعلم في الأرض بل يقول: زائل باطل لا ينبت، وهو ادعاؤكم لهم الألوهيّة.

وقوله: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [الرعد آية: ٣٣] يعني: الملائكة لأنهم عبدوهم، فقال لهم: إنكم تعبدونهم فما أسماؤهم، قالوا ومنه قوله تعالى: ﴿يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾ [المجادلة آية: ٣] أي: يقولون باطلا.

وأصل هذه الكلمة عندنا من قولهم: أنت علي كظهر أمي، وكان من طريق[٢] الجاهلية، وصار في الإسلام فيه كفارة صورتها معروفة ونزلت في خولة بنت ثعلبة، وأوس بن الصامت.

السابع: بمعنى الإعراض عن الشيء؛ قال: ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ [هود آية: ٩٢] أي: جعلتموه وراء ظهوركم؛ يعني: أنكم تركتم العمل به، ويقال: جعلت حاجتي تظهر إذا أطرحتها ولم تلتفت إليها.

والاتخاذ: أخذ الشيء لأمر يستمر، وقيل: الظهري؛ ما جعل وراء الظهر وقد ظهرته أي: جعلته كذلك، وقيل: معناه أنه ثقل عليكم، من قول العرب: حملت فلانا على ظهري إذا ثقل عليك، ويقال أيضا: ظهر بفلان؛ إذا لم يلتفت إليه، قال الشاعر:

جَدَّ تَأمرُ بَنِي البرِّ شَاءَ من وَلَدِ الظَّهْرِ

أي الذين يظهر بهم ولا يلتفت إلى أرحامهم، والظهري في غير هذا الموضع: العون، ومنه الظاهري[٣] في الدواب.

والكلمة من الأضداد، : ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ﴾ أي: اتخذتم الله وراءكم، وحقيقة المعنى أنكم جعلتم أمره بمنزلة ما وراء ظهوركم لا يلتفتون إليه، وقيل: الضمير في: ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ﴾ لما جاء به متغيب وهو قول مجاهد، ولفظ الآية دال على الوجه الأول.

---

(١) في ت: كأنه.

(٢) في ت: حالا.

(٣) في ت: إظهاري.

الظلال(١)

يجوز أن يقال أصل الظل(٢): الدوام، ومنه يقال: ظل يفعل كذا؛ أي: دام يفعله، ويجوز أن يكون أصل الظل: الستر، وظل الليل: ظلمته لأنها تستر كل شيء، وهو بالغداة وما(٣) طلعت عليه الشمس ثم زالت فهو في، لأنه فاء من جانب إلى جانب، والفيء الرجوع.

وهو في القرآن على وجهين:

الأول(٤): جمع ظل، قوله: ﴿وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ﴾ [الرعد آية: ١٥] جاء في التفسير أن الكافر لا يسجد لله، ومثله: يسجد على كره منه، والمراد أن الحال يتصرف بالظل لدوران الشمس وتنقلها من مكان إلى مكان؛ وفيه دليل على الخالق؛ فجعل ذلك سجودا لأن حال السجود أبين، والغدو هنا اسم للوقت، وأصله المصدر، والآصال جمع أصيل، وهو العشي، وقال بعضهم: الظل ما يستراح إليه.

الثاني(٥): جمع ظلة؛ قال الله: ﴿فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ [يس آية:

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٧٠.

(٢) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (ظل) الظاء واللام أصلٌ واحد، يدلُّ على ستر شيءٍ لشيءٍ، وهو الذي يُسمَّى الظِّلّ. وكلمات البابِ عائدةٌ إليه. فالظِّل: ظِلّ الإنسان وغيرِه، ويكونُ بالغداةِ والعَشيّ، والفيءُ لا يكون إلا بالعشيّ. وتقول: أظلَّتني الشَّجرة. وظِلٌّ ظليل: دائمٌ. واللَّيل ظِلٌّ. قال:

قد أغْسِفُ النّازحَ المجهولَ مَعْسِفُه   في ظل أخضَرَ يدعو هامَهُ البومُ

يريدُ في سترِ ليلٍ أخضر. وأظَلَّكَ فلانٌ، كأنَّه وقاكَ بظِلِّه، وهو عزُّه ومَنَعَتُهُ. والمِظَلَّةُ معروفة. وأظَلَّ يومُنا: دامَ ظِلُّه، ويقال إنَّ الظُّلَّة: أوّلَ سحابةٍ تُظِلّ. والظُّلَّة: كهيئةِ الصُّفَّةِ. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ [الأعراف ١٧٠].

ومن الباب قولهم: ظلَّ يفعل كذا، وذلك إذا فعله نهاراً. وإنما قلنا إنّه من الباب لأنّ ذلك شيءٌ يخصّ به النهار، وذلك أن الشيء يكون له ظلٌّ نهاراً، ولا يقال ظلَّ يفعلُ كذا ليلاً؛ لأنّ الليلَ نفسه ظِلّ.

ومن الباب، وقياسُهُ صحيح: الأظَلّ، وهو باطنُ خُفّ البعيرِ. ويجوز أن يكون كذا لأنَّه يستُر ما تحتَه، أو لأنَّه مُغَطّى بما فوقه. قال:

في نَكِيبٍ مَعِرٍ دامِي الأظَلّ

فأمّا قول الآخر:

تشكو الوَجَى من أظْلَلٍ وَأظْلَلِ

فهو الأظلّ، لكنه أظهر التَّضعِيفَ ضرورة..

(٣) في ت: مما.   (٤) في ت: أولها.

(٥) في ت: والثاني.

٥٦] وهي جمع ظلة، مثل: قلة، وقلائل.

وأما قوله: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الواقعة آية: ٤٣] و: ﴿ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ [المرسلات آية: ٣٠] ومعناه[1] دخان جهنم، واليحموم الأسود، وأراد أنه يغشاهم فيسترهم؛ فسماه ظلاً لأن الظل الستر.

الظن[2]

الظن في العربية[3] على وجهين: شك، ويقين، وقد جاء في القرآن كذلك، قال الله: ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾ [الحاقة آية: ٢٠] أي: أيقنت، ومنه قول الشاعر:

ظَـــنُّـــوا بـــألـــفَـــي مُـــدْحَـــج

أي: أيقنوا ذلك، وليس ذلك في أصل اللغة، وإنما صار كذلك في الاستعمال، ومن جهة الاستعارات وكثرتها في الكلام.

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة آية: ٤٦] أي: يوقنون.

وقال ابن درستويه: يتوهمون ذلك، والكافر لا يتوهمه.

---

(١) في ت: فمعناه.

(٢) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٣٧٤.

(٣) في ن: اللغة. وجاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (ظن) الظاء والنون أُصَيْل صحيحٌ يدلُّ على معنيين مختلفين: يقين وشكّ.
فأمّا اليقين فقولُ القائل: ظننت ظناً، أي أيقنتُ. قال الله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ﴾ [البقرة ٢٤٩] أرادَ، والله أعلم، يوقِنون. والعربُ تقول ذلك وتعرفه. قال شاعرهم:

فـقـلـت لـهـم ظُـنُّـوا بـألْـفَـيْ مُـدَجَّـج سـراتُـهـم فـي الـفـارسـيِّ الـمُـسَـرَّدِ

أراد: أيقِنُوا. وهو في القرآن كثير. ومن هذا الباب مَظِنَّة الشيء، وهو مَعْلَمه ومكانُه. ويقولون: هو مَظِنَّةٌ لكذا. قال النّابغة:

فـإنَّ مَـظِـنَّـة الـجـهـلِ الـشَّـبـابُ

والأصل الآخر: الشَّك، يقال ظننتُ الشيءَ، إذا لم تتيقّنْه، ومن ذلك الظِّنَّة: التُّهْمَةَ. والظَّنِين: المُتّهم. ويقال اظَّنَّني فلانٌ. قال الشاعر:

ولا كُـلُّ مـن يَـظَّـنُّـنِـي أنـا مُـعْـتِـبٌ ولا كُـلُّ مـا يُـرْوَى عـلـيَّ أقُـول

وربّما جُعلت طاء، لأنَّ الظَّاء أُدغمت في تاء الافتعال. والظَّنُون: السَّيِّئُ الظنّ. والتَّظَنِّي: إعمال الظَّنّ. وأصل التظَنِّي التظنُّن. ويقولون: سُؤت به ظنّاً وأسأت به الظّنّ، يدخلون الألف إذا جاؤوا بالألف واللام. والظَّنُون: البِئر لا يُدرَى أفيها ماءٌ أمْ لا. قال:

مـا جُـعِـلَ الـجُـدُّ الـظَّـنُـونُ الـذي جُـنِّـبَ صَـوبَ الـلَّـجِـبِ الـمـاطـرِ

والدَّين الظَّنُون: الذي لا يُدرى أيقضى أم لا. والباب كلّه واحد.

وهذا خطأ لأنهم لو كانوا يتوهمونه ولا يوقنونه لكانوا كفارا؛ لأن التوهم من قبيل الشك، والشاك بالبعث كافر.

والآخر قوله: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ﴾ [الانشقاق الآيتان: ١٤، ١٥] أخبر أنه كان شاكا في البعث.

وقال أبو بكر رحمه الله: الظن على أربعة أقسام: محظور، وواجب، ومندوب إليه، ومباح.

فالمحظور: سوء الظن بالله، وكل ظن لصاحبه سبيل إلى العلم فيه؛ مما[1] تعبد به فهو محظور.

وأما الظن الواجب: فمثل ما تعبد بإنفاذ الحكم به، ولم ينصب عليه دليل؛ نحو: قبول شهادة العدول، وتحري القبلة، وتقويم المستهلكات، وأروش الجنايات التي لم يرد بها توقيف.

وأما المباح: فكالظان في الصلاة، أمره النبي صلى الله عليه بالعمل على غالب الظن؛ فإن فعل كان مباحا، وإن عدل إلى البناء على اليقين كان جائزا.

والمندوب إليه: حسن الظن بالأخ المسلم، قال الله تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور آية: ١٢].

(١) في ت: ما.

الباب الثامن عشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله عين

القول في العالَمين(١)

العالم يقع على الملائكة والإنس والجن، واشتقاقه من العلم(٢)؛ لأنه يقع على من يعلم، ويصلح أن يكون من العلامة؛ لأن فيهم دلائل على خالقهم.

وقيل: أهل كل زمان عالم، وقيل: كل ما يحوي الفلك عالم، والناس يقولون: العالم العلوي؛ يعنون السماء وما فيها، والعالم السفلي؛ يريدون الأرض

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٢٠.

(٢) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (علم) العين واللام والميم أصلٌ صحيح واحد، يدلُّ على أثرٍ بالشيء يتميَّزُ به عن غيره.

من ذلك العَلامة، وهي معروفة. يقال: عَلَّمت على الشيء علامة. ويقال: أعلم الفارس، إذا كانت له علامةٌ في الحرب. وخرج فلانٌ مُعْلِماً بكذا. والعَلَم: الراية، والجمع أعلام. والعلم: الجبَل، وكلُّ شيءٍ يكون مَعْلَماً: خلاف المَجْهَل. وجمع العلَم أعلامٌ أيضاً. قالت الخنساء:

وإنَّ صخراً لتأتمُّ الهُداةُ به كأنَّه علَمٌ في رأسه نارُ

والعلَم: الشَّقُّ في الشَّفَة العليا، والرجل أعلَمُ. والقياس واحد، لأنَّه كالعلامة بالإنسان. والعُلَّام فيما يقال: الحِنَّاء؛ وذلك أنّه إذا خضب به فذلك كالعلامة. والعِلْم: نقيض الجهل، وقياسه قياس العَلَم والعلامة، والدَّليل على أنَّهما من قياسٍ واحد قراءة بعض القُرَّاء: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف٦١]، قالوا: يراد به نُزول عيسى عليه السلام، وإنَّ بذلك يُعلَمُ قُرب الساعة. وتعلّمت الشَّيء، إذا أخذت علمَه. والعرب تقول: تعلّمْ أنّه كان كذا، بمعنى اعلَمْ. قال قيس بن زهير:

تَعَلَّمْ أنَّ خيرَ النّاسِ حَيّاً على جَفْرِ الهَباءة لا يريمُ

والباب كلُّه قياس واحد.ومن الباب العالَمُون، وذلك أنّ كلَّ جنسٍ من الخَلْق فهو في نفسه مَعْلَم وعَلَم. وقال قوم: العالَم سمِّي لاجتماعه. قال الله تعالى: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام ٤٥، الصافات ١٨٢]، قالوا: الخلائق أجمعون. وأنشدوا:

ما إنْ رأيتُ ولا سمعتُ بمثلِهِمْ في العالَمِينا

وقال في العالَم:

فخِنْدِفُ هامةُ هذا العالَمِ

والذي قاله القائلُ في أنّ في ذلك ما يدلُّ على الجمع والاجتماعَ فليس ببعيد، وذلك أنّهم يسمون العَيْلَم، فيقال إنّه البحر، ويقال إنّه البئر الكثيرةُ الماء.

وما عليها، ويقولون على وجه التشبيه: إن الإنسان العالم الصغير وإلي فلان تدبير العالم يعنون الدنيا.

واشتقاقه على هذا القول من العلامة فقط، وقيل: العالم اسم أشياء مختلفة فلا يوحد وليس هو مثل الناس؛ لأن كل واحد من الناس إنسان، وليس كل واحد من العالم ملائكة.

والعالم إن كان جميعا لا واحد له من لفظه؛ فليس[1] هو، كالنعم والرهط والنسوة؛ لأن كل واحد من هذه الأشياء جمع لجنس بعينه، والعالم جمع لأجناس مختلفة، وقال بعضهم: العالم كل جنس ذي روح.

وحكي عن العرب: عالم من الطير ومن الظباء وليس ذلك بمعروف عندنا، وعندنا أن العالم سمي عالما لأنه يصلح أن يستدل به فيوصل إلى العلم، ومثله: الخاتم لأنه يصلح للختم على الأشياء، والطابع يصلح أن يطبع به.

قال المفضل: العرب تقول: العالمين في الرفع والنصب والجر؛ لأنه جمع لا نظير له، وكان حقه أن يجمع به على عوالم وعواليم، مثل: خاتم وخواتيم وخواتم، فلما انقطع عن بابه جمع بالنون وألزم الياء وأجرى مجرى: المقتوين والمفتكرين، قال: وقد جاء عن قوم من كنانة وأسد عالمون وليس بمشهور.

ولفظ العالمين في القرآن مستعمل في أربعة مواضع:

الأول[2]: الملائكة والجن والإنس؛ وهو قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هذا قول أكثر المفسرين، وإنما ذكر هؤلاء: ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام آية: ١٦٤] لأن الأقل داخل في الأكثر.

الثاني: الجن والإنس خاصة؛ قال الله: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان آية: ١] أي: عظة وزجرا عن المعاصي وداعيا إلى التوحيد.

الثالث: قوله: ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الجاثية آية: ١٦] يعني: عالمي زمانهم، ودليل هذا أنه لم يفضلهم على أمة محمد عليه السلام؛ ولو فضلهم لم يقل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران آية: ١١٠].

الرابع: الناس من لدن آدم عليه السلام إلى يوم القيامة، قال: ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران آية: ٤٢] والاصطفاء هاهنا بمعنى أنه خصها بإخراج

---

(١) في ت: وليس.

(٢) في ت: أولها.

الولد منها من غير ذكر.

ويجوز أن يكون في الأنبياء[(١)] من هو مثلها في الفضل، مثل: آسيا وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه، للأثر المروي "خير نساء العالمين: آسيا، ومريم بنت عمران، وفاطمة بنت محمد [صلى الله عليه][(٢)]".

العمى

أصل العمى[(٣)] من الستر، ومنه قيل: السحاب العماء؛ لأنه يستر السماء،

---

(١) في ت: النشأ.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٩٥١) ١٥/ ٤٠١، وأبو عبد الله الحاكم في مستدركه على الصحيحين (٤٧٣٣) ٣/ ١٦٨، والطبراني في معجمه الكبير (١٠٠٤) ٢٢/ ٤٠٢.

(٣) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (عمي) العين والميم والحرف المعتل أصلٌ واحد يدلُّ على سَترٍ وتغطية. من ذلك العَمَى: ذَهاب البصر من العينين كلتيهما. والفعل منه عَمِي يَعْمَى عَمًى. وربَّما قالوا اعمايَّ يعمايُّ اعميَاءً، مثل ادهَامّ. أخرجوه على لفظ الصحيح. رجلٌ أعمى وامرأة عمياء. ولا يقع هذا النعت على العين الواحدة. يقال عَمِيَتْ عيناه. في النساء عَمْيَاءُ وعَمْياوان وعمياوات. ورجل عَم، إذا كان أعمى القلب؛ وقومٌ عمون. ويقولون في هذا المعنى: ما أعماه، ولا يقولون في عمى البصر ما أعماهُ؛ لأنّ ذلك نعتٌ ظاهر يُدركُه البصر، ويقولون فيما خفي من النعوت ما أفعله. قال الخليل: لأنّه قبيحٌ أن تقول للمشارِ إليه: ما أعماه، والمخاطبُ قد شارَكَكَ في معرفة عماه. قال: والتَّعمِية: أن تعمِّيَ على إنسانٍ شيئاً فتَلْبِسَه عليه لَبْساً. وأمّا قولُ العجّاج:

وبلدٍ عاميَةٍ أعماؤُهُ

فإنّه جعل عَمىً اسماً ثم جمعه على الأعماء. ويقولون: "حبك الشَّيءَ يُعمِي ويُصِمّ". ويقولون: "الحبُّ أعمى". وربَّما قالوا: أعميت الرّجُلَ إذا وجدتَه أعمى. قال:

فأصممت عَمْراً وأعميتُه ... عن الجُود والفَخْر يوم الفَخَارِ

وربما قالوا: العُمْيان للعَمَى، أخرجوه على مثال طُغيان. ومن الباب العُمِّيَّة: الضلالة، وكذلك العِمِّيَّة. وفي الحديث: "إنّ الله تعالى قد أذهب عنكم عِمِّيَّة الجاهليّة" قالوا: أراد الكِبْر. وقيل: فلانٌ في عَمْياء، إذا لم يدر وَجْهَ الحقّ وقتِيل عِمِّيًا، أي لم يُدرَ من قتَلَه. والعَمَاية: الغَوَاية، وهي اللَّجاجة. ومن الباب العَمَاء: السَّحاب الكثيف المُطْبِق، والقِطعة منه عَمَاءة. وقال الكسائيّ: هو في عمايةٍ شديدةٍ وعَماءٍ، أي مُظلم. وقال أهل اللغة: المَعَامِي من الأرَضِينَ: الأغفالُ التي ليس بها أثرٌ من عمارة. ومنه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأُكَيْدِر: "إنَّ لنا المَعَاميَ وأغفال الأرض".

ومن الباب: العَمْي، على وزن رَمْي، وذلك دَفْع الأمواج القَذَى والزَّبَد في أعاليها. وهو القياس، لأنَّ ذلك يغطِّي وجهَ الماء. قال:

لها زبدٌ يَعْمِي به الموجُ طامِيا

والبعير إذا هَدَرَ عَمَى بلُغامِه على هامَتِه عَمْياً. قال:

وعمي الرجل؛ كأنه سترت عنه المرئيات، وعمى عن الصواب تشبيه كأنه ستر عنه، ويقولون للفلاة التي لا علم فيها: عمياء وعطشاء، والعطش ضعف البصر، وقالوا لها ذلك لأنهم لا يبصرون فيها القصد لأنه قد ستر، وفي القرآن: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ﴾ [القصص آية: ٦٦] لأنها سترت.

والعمى وما يتصرف منه في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول[١]: عمى القلب؛ قال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ﴾ [الحج آية: ٤٦] والمعنى أنها لا[٢] تنتفع ببصائرها كما لا تنتفع العمى بأبصارها، ومثله: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ [البقرة آية: ١٨، ١٧١] فجعلهم صما لأنهم لا ينتفعون بما يسمعون فكأنهم لا يسمعون، كما أن الأصم لا يسمع؛ وسماهم عميا على هذا السبيل، وبكما لأنهم إذا سئلوا عن صحة ما يذهبون إليه لم يأتوا بحجة وكأنهم[٣] بكم.

وقوله: ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾ [يونس آية: ٤٣]، وقال: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ [الإسراء آية: ٧٢] ومعنى ذلك أنه إذا عمى في الدنيا عن التوبة وقد جعل الله إليها سبيلا كان في الآخرة أعمى؛ لأنه لا يجد متابا، وأضل سبيلا؛ لأنه لا يهتدي إلى طريق النجاة والفوز.

الثاني: عمى البصر؛ قال: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾ [النور آية: ٦١، الفتح: ١٧]، وقوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾ [عبس الآيتان: ١، ٢] يعني: عبد الله ابن أم مكتوم، وكان ضريرا؛ جاء النبي عليه السلام وهو يدعوا بعض أشراف قريش إلى الإسلام؛ فتشاغل عنه؛ فنزلت: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ [عبس آية: ١] إلى قوله: ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾ [عبس آية: ١٠].

الثالث: العمى عن الحجة؛ قال تعالى: ﴿لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ [طه آية: ١٢٥] جاء في التفسير أنه أراد؛ لم حشرتني أعمى عن الحجة وقد كنت

= يَعْمِي بمثل الكُرْسُف المسَبَّخ

وتقول العرب: أتيتُه ظهراً صَكَّةَ عُمَيّ، إذا أتيتَه في الظَّهيرة. قال ابنُ الأعرابيّ: يُراد حِينَ يكاد الحر يُعمِي. وقال محمد بن يزيد المبرِّد: حين يأتي الظَّبيُ كِناسَه فلا يُبصِر من الحرِّ. ويقال: العَماء: الغُبار. وينشد للمرّار:

تـراهـا تـدور بـغِـيـرَانِـهـا ... ويَـهـجُـمُـهـا بـارح ذو عَـمـاءِ.

(١) في ت: أولها. (٢) في ت: لم.

(٣) في ت: فكأنهم.

بها بصيرا في الدنيا، ويجوز أن يكون بمعنى عمى العين على ما قدمنا قبل؛ وهو أنه حشره أعمى ليجعله علامة بين الخلق.

العلم(١)

هو اعتقاد الشيء على ما هو به على سبيل الثقة، وأصله الظهور، ومنه قيل للجبل: علم لظهوره، وأعلام الشيء دلائله؛ لأنها تدل بظهورها عليه، والمعلم: الموضع المعروف.

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول: على قول بعض المفسرين الرؤية؛ قال الله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ﴾ [محمد آية: ٣١]، ومثله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ﴾ [آل عمران آية: ١٤٢].

جاء في التفسير أنه أراد الرؤية؛ أي: حتى نراهم مجاهدين؛ لأنه تعالى كان يعلم المجاهدين قبل الجهاد، وقيل: معنى العلم هنا التمييز، وسمى التميز علما؛ لأن العلم يقع معه بحال ما يتميز وما يتميز منه، وقيل: معناه ليصبر المؤمنون على ما يصابون به؛ فجعل العلم منه مكان الصبر منهم إذ كان الله عالما بصبرهم إذا صبروا، وقيل: يعلمهم فاعلين كما يعلمهم معتقدين.

الثاني: العلم بعينه؛ قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة آية: ٧٧، هود: ٥، النحل: ٢٣]، وقال: ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الأنبياء آية: ١١٠].

الثالث: الإذن؛ قال تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [هود آية: ١٤] أي: بإذن الله، وسمي الإذن علما؛ لأن أصل الإذن العلم، ومنه الآذان؛ وقد ذكرنا ذلك، وقيل: معناه أنزله وهو عالم به.

العز(٢)

أصل العز الغلبة، ومنه قيل: من عزيز. أي: من غلب اغتصب، ثم استعمل في(٣) المنعة، فقيل: فلان عزيز الجانب؛ أي: منيعه، وقال الهزلي:

حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى فِرَاشِ عَزِيزَةٍ ... سَوداءَ رَوثَةُ أَنْفِهَا كالمِخْصَفِ

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٤٥.

(٢) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى.

(٣) في ت: من.

ومن الغلبة؛ قوله تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾ [ص آية: ٢٣] أي: غالبني، وسمي الله عزيزا لأنه الغالب الذي لا يقهر، وفي مثل: إنما تعز من ترى وتعزك من لا ترى، والعزيز أيضا القليل، يقال: هذا شيء عزيز؛ أي: قليل، وإنما سمي القليل عزيزا؛ لأنه لا يقدر عليه، شبهه بالعزيز من الرجال، ليس أن العز في العربية القلة.

وهو في القرآن على سبعة أوجه:

الأول[١]: المنعة؛ قال تعالى: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾ [النساء آية: ١٣٩].

الثاني: العظمة؛ قال الله: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ [الشعراء آية: ٤٤] أي: بعظمته.

الثالث: خلاف الذل؛ قال: ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ [النمل آية: ٣٤]، وقوله: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون آية: ٨]، وقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان آية: ٤٩] ومعنى ذلك يرجع إلى العظمة.

الرابع: الحمية؛ قال الله: ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ [البقرة آية: ٢٠٦] أي: إذا أمرته بالتقوى أخذته الحمية من الائتمار لك فأثم، ومثله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾﴾ [ص آية: ٢] أي: في حمية يشاقونك معها؛ أي: يباعدونك، وقيل: المعنى أخذته العزة بالإثم[٢] الذي في قلبه؛ فأقام الباء مقام اللام، كما قال غيره:

حَشَرَ الإِمَالَةُ جَوَانِبَ قَمْقَم

أي: من أجله؛ فأقام حرفا مقام حرف.

الخامس: الغلظة؛ قال الله: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة آية: ٥٤] أي: غلظا.

السادس: العزيز بمعنى الشديد؛ قال الله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة آية: ١٢٨]، وقوله: ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ [إبراهيم آية: ٢٠، فاطر: ١٧] أي: شديد يشق فعله عليه.

السابع[٣]: التقوية؛ قال: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس آية: ١٤] أي: قوينا، واستعز الشيء إذا قوي واشتد.

العبادة

أصل العبادة التذلل، يقال: طريق معبد؛ أي: موطوء مذلل، ويعبر معبد وهو

---

(١) في ت: أولها. (٢) في ت: للإثم. (٣) في ت: والسابع.

المهنوء بالقطران، ومعناه راجع إلى الأول.

والعبادة مفارقة لدوام الطاعة؛ لأنا نديم الطاعة للرسول ولسنا نعبده، والعبادة غاية الخضوع ولا تستحق إلا بغاية الإنعام، ولا يقدر على ذلك إلا الله[1] تعالى، ويقال: هؤلاء عباد الله، ولا يقال: عباد فلان إلا في القليل.

وقد جاء في القرآن: ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ﴾ [النور آية: ٣٢] وإنما جاء كذلك لأنه وقع مع إمائكم فازدوج، ويقال: عبيد الله، وعباد الله أكثر، وقال بعضهم: العباد جمع عبيد.

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول[2]: التوحيد؛ قال الله: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة آية: ٢١] أي: وحدوه، وقوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء آية: ٣٦]، وقوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ﴾ [العنكبوت آية: ١٦، نوح: ٣] كذا قيل، ويجوز أن تكون العبادة هاهنا أداء الفرائض واجتناب المحارم.

الثاني[3]: الطاعة؛ قال الله: ﴿بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ﴾ [سبأ آية: ٤١] أي: يطيعون الشياطين، وقال: ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ [يس آية: ٦٠] وهم لم يعبدوا الشيطان، وإنما هو كما نقول: فلان يعبد فلانا إذا كان شديد الطاعة له، وما كان أيضا قصدهم طاعته؛ ولكن لما وافق أفعالهم رضاه سماها طاعة له؛ لأن الطاعة توفيق[4] رضا[5] المطاع.

الثالث[6]: السجود للأصنام وهي وإن سمتها العرب عبادة فليست بعبادة، وهي على حسب ما سمت العرب ربا وإلها وليس هو على الحقيقة، وقال: ﴿مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ﴾ [القصص آية: ٣٦]، وقال: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ﴾ [سبأ آية: ٤٠] فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ﴾ وليس في الآخرة كذب، قلنا: معناه إنا لم نكن[7] نستحق العبادة؛ فلم تكن[8] عبادتهم على الحقيقة عبادة لنا، كما تقول: لصاحبك ليس هذا القول قولك، وإن كان قاله بمعنى أنه لا يليق بك، وبمعنى أنك دون ما يقوله أيضا، وقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾ [الحجر آية: ٤٢، الإسراء: ٦٥] أضافهم إلى[9] الله، إضافة

---

(١) في ت: لله.
(٢) في ت: أولها.
(٣) في ت: والثاني.
(٤) في ت: توافق.
(٥) في ت: رضاع.
(٦) في ت: والثالث.
(٧) في ت: يكن.
(٨) في ت: يكن.
(٩) سقط من: ن.

الخصوصية، لأن الخلق كلهم عباده.

والإضافة على خمسة أوجه:

إضافة الخصوصية؛ وهي مثل هذا، ومثل قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن آية: ١٨].

وإضافة النسب؛ وهي قولك: ابن فلان، وبنت فلان.

وإضافة السبب؛ وهو قوله: فلان شريك فلان وصديقه.

وإضافة التعريف؛ وهو سرج الدابة، ولجام الفرس، وقميص الرجل.

وإضافة الملك؛ مثل: دار زيد، وصنعة عمرو.

العدوان[١]

قد ذكر أصل هذا الحرف، وهو في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول[٢]: بمعنى العذاب؛ قال الله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة آية: ١٩٣] أي: من انتهى منهم عن الكفر فلا عذاب عليه؛ وإنما هو على من ظلم نفسه بإقامته على الكفر، وسمي العذاب عدوانا لأنه مقابلة بالعدوان، كما قال الشاعر:

جَزَينَا ذَوِي العُدْوَان بِالأمسِ مثله ... قَصَاصًا سواء جزوكَ النَّعْل بالنِعَلِ

ويجوز أن يكون سمي عذاب الآخرة عدوانا لمجاوزته حد العذاب المعهود.

الثاني: الظلم؛ قال الله: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة آية: ٢]، وقال: ﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [البقرة آية: ٨٥].

والإثم في هذه المواضع [يجوز أن يكون مثل العدوان مثل الإثم و][٣] إنما ذكر للتوكيد، كما تقول: الغشم والظلم هذا قول.

وقول آخر: وهو أن الإثم يقتضي أنه يتتبع عليه، وأصله في العربية التقصير. والعدوان يقتضي مجاوزة الحد؛ فعطف أحدهما على الآخر مخالفة ما يقتضيه كل واحد منهما ولو كانا في المعنى سواء لم يجز عطف أحدهما على الآخر، كما لا يجوز عطف زيد على أبي عبد الله إذا كان هو هو.

الثالث: قوله تعالى: ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٨١.

(٢) في ت: أحدهما. (٣) سقط من: ن.

وَكِيلٌ﴾ [القصص آية: ٢٨] أي: لا اعتلال ولا حجة علي، ويجوز أن يكون بمعنى[١] إلي إذا قضيت ذلك لا أظلم فأكلف غيره.

العفو[٢]

أصله الترك، وعفا المنزل؛ ترك حتى درس، وقوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [البقرة آية: ١٧٨]؛ أي: ترك له الدم وصولح على الدية من أخيه؛ يعني: من ولي الدم ولم[٣] يُرد القاتل، وشيء يعني: به الدم؛ فعبر بشيء وهو نكرة عن كل معرفة؛ والعرب تكني بشيء عن كل معرفة لأنها على كل حال شيء، وأنشد:

لَعَمْرِكَ لَو شَيْءٌ أَتَانَا رَسُولُهُ سواك وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعا

والاتباع: المطالبة بما صولح عليه القاتل من الدية؛ أي: فليطالب ولي المقتول بذلك في رفق، : ﴿وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة آية: ١٧٨] أي: وليود الجاني ما يود به من الدية أداء حسنا من غير مطل ولا تأخير، : ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة آية: ١٧٨] يعني: إجازته أخذ الدية وترك الدم؛ فمن رضي[٤] بالدية ثم قتل فله عذاب أليم.

وقد أجمع المسلمون أن الدية إذا وجبت على قاتل العمد كانت من ماله دون مال العاقلة، وكانت حالة لا يجوز تأخيرها، وأن دية الخطأ على العاقلة ويلزمهم أداؤها في ثلاث سنين؛ في كل سنة ثلث وعفا الله عنك ترك معاقبتك، واستعمال الترك في الله مجاز.

والعفا: التراب؛ لأنه متروك لوجوده بكل مكان ليس هو مما يؤخذ ويدخر، ثم اشتق منه الكثرة، فقيل: عفا الشيء؛ إذا كثر كأنه صار كالتراب بكثرة، ثم اشتق منه الكثرة حتى عفوا، وعفاه يعفو[٥] إذا قصده وسأله، ويجوز أن يكون معناه أنه أتاه تاركا لغيره.

والعفو في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول[٦]: الفضل من المال؛ قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة آية: ٢١٩] يعني: الفضل واليسر، وذلك أنهم حضوا على الإنفاق في قوله:

---

(١) في ت: المعنى.
(٢) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٨٤.
(٣) في ت: له.
(٤) في ت: يرضى.
(٥) في ت: يعفوه.
(٦) في ت: أولها.

﴿أَنفِقُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة آية: ٢٦٧]، وقوله: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ فسألوا عن القدر الذي تنفقون، فقال: ما يفضل عنكم ويسهل عليكم إنفاقه تنفقونه؛ وهو قليل لتنالوا به الكثير من الثواب.

الثاني: الترك؛ وهو قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة آية: ٢٣٨] [أي إلا أن يتركن لكم ما يجد لهن من وصف الصداق أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح](١) يعني: الزوج، وعفوه أن يعطي المهر كاملا وليس هو الولي؛ لأنه ليس للولي أن يترك من مهر المرأة شيئا، ومثله قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ [البقرة آية: ١٨٧]، وقوله: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾ [البقرة آية: ١٧٨].

الثالث: العفو عن الذنب؛ قال الله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة آية: ٤٣] وفي هذا دليل على أن الأنبياء يذنبون؛ لأنه إذا لم يكن ذنب لم يكن عفو ولكنّ ذنوبهم صغائر.

العدل

أصل العدل؛ الاستقامة، عدل الرجل إذا استقام حكمه ولم يمل، وقيل: العدلان لأن كل واحد منهما يستقيم بالآخر، والعدل المثل؛ كان المثلين يستقيمان في الشبه أو الصفة، والعدل لا يستعمل إلا في المدح؛ لأن رجلا لو سوى بين رجلين في الظلم، لم(٢) يقال(٣): أنه عدل أو هو عادل، وإذا قسم رئيس القوم السرقة بينهم بالتسوية لم يقل أنه عدل؛ وسمي الله عدلا من أجل أن أفعاله تقع على طريقة مستقيمة، والعدل: الفدية يرجع إلى هذا.

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول(٤): المثل؛ قال الله: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ [المائدة آية: ٩٥] أي: مثله، قالوا: والعدل أيضا المثل، ويجوز أن يكون سمي العدلان عدلين؛ لأنهما مثلان، والعدل والعدل: المثل من الجنس، [ومن غير الجنس، كما أن المثل هو من الجنس وغير الجنس](٥) وليس العديل مثل ذلك؛ لأن العدل أعم من العديل، وما كان أعم فإنه أخص بالنكرة فهو للجنس وغير الجنس، تقول: عمرو عدل زيد

---

(١) سقط من: ن.
(٢) سقط من: ن.
(٣) في ت: يقل.
(٤) في ت: أولها.
(٥) سقط من: ن.

وعديله، وعمرو عدل الأسد، ولا يقال: عديل الأسد.

الثاني: الفدية؛ قال الله: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة آية: ٤٨] أي: فدية؛ وهو ما يكون بدل الشيء.

الثالث: خلاف الجور؛ قال الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل آية: ٩٠] والإحسان داخل في العدل، والعدل داخل في الإحسان، ومع هذا فإن الفرق بينهما معروف، وقد يعطف الشيء على الشيء وإن كانا يرجعان إلى شيء واحد إذا كان في أحدهما خلاف للآخر، فأما إذا أريد بالثاني ما أريد بالأول فعطف أحدهما على الآخر خطأ، لا تقُلْ: جاءني زيد وأبو عبد الله إذا كان زيد هو أبا عبد الله، ولكن مثل قوله:

أَمَرتُكَ الخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أمرت بِه فَقَدْ تَرَكتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبِ

[لأن المال إذا لم يفد فإنما يعني: به الماشية أو الصامت][1] والنشب: ما نشب من العقارات، وكذلك قول الحطيئة:

وَهند أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأيُ والبُعْدُ

فالنأي يكون لما ذهب عنك إلى حيث بلغ، وأدنى ذلك يقال له نائي، والبعد تحقيق الخروج والذهاب إلى الموضع السحيق، والتقدير؛ إني من دونها النائي الذي هو أول البعد، والبعد الذي هو الغاية.

العهد

العهد: وجدانك الشيء، ومنه قيل: عهدته عهدا، والعهد: اليمين، ومنه: عليه عهد الله، والعهد الوصية، من قولهم: عهد إليه، والعهد المطر، والعهد: الأمر والوصية في قوله تعالى: ﴿عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ﴾ [آل عمران آية: ١٨٣] ومنه سمي عهد الأمير؛ لأنه يؤمر فيه بما يعمل به، والعهد: الضمان الذي يوجبه الضامن على نفسه، والعهد: المودة، وقيل: ليس لفلان عهد؛ أي: مودة، ويجوز أن يكون العهد هاهنا الحفاظ، والعهد المنزل، قال الراجز:

هَلْ يُعْرَفُ العَهْدُ المُحِيل أرسمه

والعهد: الكتاب يكتب بين قوم، وتعهدت صنعتي: تفقدتها، والعهد: الحفاظ في قوله صلى الله عليه وسلم: " حسن العهد من الإيمان وأصل الكلمة من

---

(١) سقط من: ن.

الثبات[١] ".

وهو في القرآن على خمسة أوجه:

الأول[٢]: الأمان؛ قال الله: ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ﴾ [التوبة آية: ٤] وذلك أن الله تعالى أمره نبذ[٣] العهد إلى من عرف منه الغدر، في قوله: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ﴾ [الأنفال آية: ٥٨] ويجوز أن يقال: أنه كان شارطهم أن يقرهم ما أقرهم الله؛ فلما أمره بقطع العهد قطعه ثم استثنى قوما ثبتوا على العهد، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة آية: ٤] إلى أن قال: ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ﴾.

قال ابن عباس: هم بنو ضمرة من كنانة، والمدة تسعة أشهر، وكان أمر عليا؛ فنادى من كان بينه وبين رسول الله عهد فأحله إلى أربعة أشهر، فقيل: العهد مرفوع[٤] للأمان من القتال على غرة؛ فإذا أعلمهم رفعة فهو جائز، وسواء خاف غدرهم و[٥]لم يخف، وليس ذلك غدرا، وإنما الغدر أن يأتيهم بعد الأمان وهم غازون؛ ولذلك قال الكوفيون: يجوز للإمام أن يهادن العدو إذا لم يكن بالمسلمين قوة على قتالهم؛ فإن قووا بعد ذلك كان لهُ أن ينبذ إليهم ويقاتلهم.

الثاني: اليمين؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ﴾ [النحل آية: ٩١]، والشاهد قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾ [النحل آية: ٩١].

الثالث: الأمانة والنبوة؛ قال الله: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة آية: ١٢٤].

الرابع: الوصية؛ قال الله: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [يس آية: ٦٠]، وقوله: ﴿عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ﴾ [آل عمران آية: ١٨٣] وقد تقدم.

الخامس: الضمان؛ قال الله: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البقرة آية: ٤٠] أي: أوفوا بما ضمنتم لي من الإيمان، أوف لكم بما ضمنت لكم من الثواب.

العرض

أصله الظهور، ومنه عرضت عليه الشيء؛ إذا أظهرته له، والمعرض ما تعرض

(١) أخرجه أبو عبد الله الحاكم في مستدركه على الصحيحين (٤٠) ١/ ٦٢، والطبراني في معجمه الكبير (٢٣) ٢٣/ ١٤، وأبو عبد الله القضاعي في مسنده (٩٧١) ٢/ ١٠٢.

(٢) في ت: أولها.

(٣) في ت: بنبذ.

(٤) في ت: موضوع.

(٥) في ت: أو.

فيه الجارية؛ أي: تظهر، ولفلان عارضة جيدة، والعراضة: العطية ترجع إلى ذلك، وأعرض الرجل عن الرجل: ولاه عرضه؛ أي: جانبه وأعرض له أمكنة من عرضه، والعرض خلاف الطول، وإذا استعمل العرض فيما لا يكون عريضا على الحقيقة؛ فإنما يراد به التمام، مثل قول الشاعر:

فِي الْمَجْدِ صَارَ إِلَيكَ العَرْضُ وَالطُّولُ

أي صار إليك المجد بتمامه، وقوله: ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت آية: ٥١] أي: تام، والعرض: ما يظهر من منافع الدنيا، والعرض ما يحل في الجسم ولا يقوم بنفسه وليس له بقاء الجواهر.

واشتق له هذا الاسم من عارض السحاب وهو جسم؛ فسموا به ما ليس بجسم لما اجتمعا في قلة اللبث، ومثال هذه التسمية تسمية الملك ملكا، وإن لم يكن رسولا على أن أصل هذا الاسم من الألوكة؛ وهي الرسالة، ولو كان العرض عرضا لأنه ليس بجسم ولا جوهر لكان الله عرضا؛ لأنه ليس بجسم ولا جوهر، وقولهم: عرض في كلامه، معناه أنه ذهب فيه عرضا ولم يستقم فيه، والتعريض: هو ترك الإفصاح، يقال: عرض في الجبل إذا أخذ يمينا وشمالا ولم يستقم في مصعده.

والعرض في القرآن على خمسة أوجه:

الأول(١): بمعنى الكثرة؛ قال تعالى: ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت آية: ٥١] أي: كثيرة، ولم يقل: طويل؛ لأن العرض أدل على الطول والتمام.

الثاني: التهيئة؛ قال: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الكهف آية: ١٠٠] أي: فهيأناها(٢) لهم، ويجوز أن يكون المراد إنا أظهرناها لهم.

الثالث: بمعنى الجمع؛ قال الله: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف آية: ٤٨] أي: جمعوا للحساب بحيث أمر الله، وقيل: معناه أنهم ظاهرون لله يرى أحدهم كما يرى جماعتهم.

وأصل العرض الظهور على ما ذكرنا، وليس المعنى أنهم كانوا مستورين عن الله فظهروا له، ولكن المعنى أنهم ظهروا من قبورهم لأمر الله؛ فعبر عن هذا المعنى بلفظ العرض عليه لما في ذلك من التفخيم لشأن الحساب والوقوف في

---

(١) في ت: أولها.
(٢) في ت: هيأناها.

مواقفه؛ وهو من قول الناس: عرض فلان على الأمير.

الرابع: قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [الأحزاب آية: ٧٢] وهو لفظ مجاز والكلام فيه كثير، وتلخيص معناه عندي؛ إنا لو جعلنا هذه الأشياء بمنزلة من تكلف، ثم كلفناها لإطاعتنا وكلفنا الإنسان فعصانا.

والأمانة هاهنا الطاعة، والإنسان العاصي من الناس خاصة، وقال الحسن: يعني: أن الكافر والمنافق حملا الأمانة فخانا، وتصديق ذلك قوله: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ﴾ [الأحزاب آية: ٧٣].

الخامس: السعة؛ قال: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ [وَٱلْأَرْضِ](١)﴾ [الحديد آية: ٢١] أي: سعتها كسعتها.

العين

أصلها عين الحيوان، ثم كثر الاستعمال بها حتى تصرفت على خمسين وجها أفردتها في كتاب.

وهي في القرآن على وجهين:

الأول(٢): عين الإنسان؛ وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ [المائدة آية: ٤٥]، وذكر تعالى أنه حكم بهذا الحكم على من قبلنا، وشرائع من قبل ثابتة علينا إلى أن يرد نسخها؛ والشاهد قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة آية: ٤٥] فدل على ثبوت الحكم في وقت نزول هذه الآية من وجهين:

أحدهما: أنه ثبت أن ذلك مما أنزل الله ولم يفرق بين نبي من الأزمان.

والثاني: أنه معلوم أنهم استحقوا سمة الظلم والفسوق عند نزول هذه الآية بتركهم الحكم بها، وقوله: ﴿وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ عند أصحابنا معناه؛ أن العين إذا ضربت فذهب ضوؤها.

والقصاص في ذلك أن تحمي مرآة وتدني إلى العين التي فيها القصاص حتى يذهب ضوؤها، وليس هو أن تقلع العين، وليس في قلع العين عندهم قصاص؛ لأن استيفاء القصاص في ذلك غير ممكن؛ إذ لا يوقف على الحد الذي يجب أن

---

(١) سقط من: ن.

(٢) في ت: أحدهما.

يقلع منه، وكذلك كل ما لا يوقف على ذلك منه.

الثاني: العين بمعنى الحفظ؛ وهو قوله: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [طه آية: ٣٩] أي: لتربي وأنا حافظ لك، وذلك أن من له بالشيء عناية تجعله نصب عينه ناظرا إليه؛ فاستعير ذلك في شدة الحفظ لما فيه من الدلالة على صدق العناية، ومنه قوله تعالى: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر آية: ١٤] أي: تجري في أمنٍ وحفظ، ومنه قول امرئ القيس:

وَبَاتَ بِعَيْنِي قَائِمًا غَيْرَ مُرْسَلِ

الباب التاسع عشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله غين

الغي

أصله الفساد[1]، يقال: غوى الرجل؛ إذا فسد طريقته في الدين، ورجل[2] غاو وغوى؛ إذا فسد عيشه وأمره أيضا، وغوى الفصيل إذا بشم من كثرة شرب اللبن، وقيل أيضا ذلك له إذا لم يزو من لبن أمه فمات هزلا، فقيل في الرجل غوى وفي الفصيل غوى والأصل واحد.

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول[3]: فساد العيش؛ قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه آية: ١٢١] أي: فسد عيشه في الجنة، أخبرنا بذلك أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد رحمه الله، عن أبي عمر الزاهد، عن ثعلب، وأصل الغي الفساد على ما ذكرنا؛

---

(١) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (غوي) الغين والواو والحرف المعتلّ بعدهما أصلانِ: أحدهما يدلُّ على خِلاف الرُّشد وإظلام الأمْر، والآخرُ على فسادٍ في شيء.
فالأوّل الغَيّ، وهو خلاف الرُّشد، والجَهلُ بالأمر، والانهماكُ في الباطل. يقال غَوى يَغْوي غَيّاً. قال:
فـمـن يَـلْـقَ خَـيـراً يَـحـمَـدِ الـنّـاسُ أمـرَه ... ومَـن يَـغْـوَ لا يَـعْـدَمْ عـلـى الـغَـيِّ لائـمـا
وذلك عندنا مشتقٌّ من الغَيَاية، وهي الغُبْرة والظلمةُ تَغشيان، كأنَّ ذا الغَيِّ قد غَشِيَه ما لا يرى معه سبيلَ حقّ. ويقال: تغايَا القومُ فوق رأس فلانٍ بالسُّيوف، كأنَّهم أظلّوه بها. ويقال: وقَعَ القوم في أُغْوِيّة، أي داهية وأمرٍ مظلم. والتَّغاوي: التجمُّع، ولا يكون ذلك في سبيلِ رُشْدٍ. والمُغَوَّاة: حُفرة الصَّائد، والجمع مُغَوَّيات. وفي الحديث: "يحبّون أن يكونوا مُغَوَّياتٍ"، يراد أنَّهم يحتّجِنون الأموال، كالصَّائد الذي يَصيد.
فأمّا الغَايَة فهي الرَّاية، وسمِّيت بذلك لأنّها تُظِلُّ مَن تحتَها. قال:
قـد بِـتُّ سـامِـرَهـا وغـايَـةِ تـاجـرٍ ... وافـيـتُ إذْ رُفِـعَـت وعَـزَّ مُـدامُـهـا
ثم سميِّت نهايةُ الشَّيء غايةً. وهذا من المحمول على غيرِه، إنّما سميت غايةً بغاية الحرب، وهي الرّاية، لأنَّه يُنْتَهَى إليها كما يَرجِع القومُ إلى رايتِهم في الحرب.
والأصل الآخر: قولهم: غَوِيَ الفَصيلُ، إذا أكثر من شُربِ اللَّبَن ففَسَد جوفُه. والمصدر الغَوَى. قال:
مُـعـطَّـفـةُ الأثـنـاء لـيـس فـصـيـلُـهـا ... بَـرازِئِـهـا دَرّاً ولا مـيِّـتٍ غَـوَى.

(٢) في ت: والرجل.
(٣) في ت: أولها.

فإن قيل: أنتم تزعمون أن صاحب الصغيرة لا يقال أنه عاص قولا مطلقا، وقد قال الله ذلك لآدم، وكذلك وصفه إياه بأنه غوى، قلنا: إنما قال ذلك مضمنا بالقصة التي عصى فيها، فكان ذلك كالتقييد؛ فكأنه قال: أنه عصى في كذا وأحرى؛ فإن السيد يطلق في عبده إذا عصاه ما لا يجوز أن يطلقه فيه غيره.

الثاني: فساد الطريقة في الدين؛ قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر آية: ٤٢].

الثالث: العذاب؛ قال: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم آية: ٥٩] أي: عذابا؛ وإنما سمي العذاب غيا لأنه مجادلة على الغي، وقيل: غي واد في جهنم.

الغيب

أصل الغيب الستر(١)، وغيبت الشيء في التراب؛ إذا سترته فيه، والغيب: ما استتر عنك، وأصله ما سترك من قولك: نحن في غيب هذا الوادي؛ أي: حيث يستتر به، وكل ما ستر شيئا فهو غيابة، ومنه غيابة الجب.

والغيب في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول(٢): الخلوة؛ قال الله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة آية: ٣] يعني: أنهم يخلصون العمل في خلواتهم خلاف المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون، وقيل: هو البعث، والأول أجود عندي؛ لأن البعث ليس يعيب مع شهرة أمره ومع ما يدل عليه من العقل والسمع.

الثاني: ما غاب عن الأبصار؛ قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: ما غاب وما حضر.

الثالث: الوحي؛ قال الله: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤﴾ [التكوير آية: ٢٤] أي: ما هو على الوحي بمتهم، والظنين المظنون، وظننت في هذا يتعدى إلى مفعول واحد، ظننته أي: اتهمته.

---

(١) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (غيب) الغين والياء والباء أصلٌ صحيح يدلُّ على تستُّر الشيء عن العُيون، ثم يقاس. من ذلك الغَيْب: ما غَابَ، ممّا لا يعلمه إلا الله. ويقال: غابت الشّمس تَغِيب غَيْبَةً وغُيُوباً وغَيْباً. وغابَ الرَّجل عن بلده. وأغابَتِ المرأةُ فهي مُغِيبةٌ، إذا غابَ بعلُها. ووقَعْنا في غَيْبَةٍ وغَيَابة، أي هَبْطة من الأرض يُغابُ فيها. قال الله تعالى في قصة يُوسُفَ عليه السَّلام: ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ [يوسف ١٠]. والغَابة: الأجَمة، والجمع غاباتٌ وغابٌ. وسمِّيت لأنّه يُغاب فيها. والغِيبة: الوَقيعة في النّاس من هذا، لأنّها لا تقال إلّا في غَيْبَة..

(٢) في ت: أولها.

الباب العشرون

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله فاء

الفساد(١)

قد تقدم من قولنا فيه ما يكفي، وهو في القرآن على خمسة أوجه:

الأول: الميل مع الكفار؛ قال الله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة آية: ١١] وذلك أن المنافقين كانوا يمالون الكفار فيجترئون على المسلمين ويطمعون في النيل منهم والغلبة عليهم، ويسرعون إلى محاربتهم؛ وفي ذلك الفساد في الأرض؛ لأن الحرب مفسدة للمال ومهلكة للنفس.

الثاني: الهلاك؛ قال الله: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون آية: ٧١] والدليل على أنه أراد الهلاك قوله: ﴿وَمَن فِيهِنَّ﴾ قال بعض المفسرين: الحق هو الله تعالى؛ أي: لو اتبع الله أهوائهم.

وقيل: هو القرآن؛ أي: لولا أنزل القرآن بما يريدون، وليس يصح تفسيرا لأنه على هذه الآية على هذين الوجهين.

والصواب ما قال أبو علي رضي الله عنه: وهو أنه لو صح ما يدين به الكفار من جعلهم الأصنام آلهة مع الله لتفاوتت أفعالهم، ولتمانعوا ففسدت السماوات والأرض ومن فيهن من الملائكة والإنس والجن، وهذا مثل قوله: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون آية: ٩١]، ومعنى: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المومنون آية: ٧١] أنه لو وافق الحق أهواءهم ولعبادة هذه الأصنام؛ فجعل موافقة الحق أهواءهم إتباعا من الحق لهواهم على سبيل المجاز، وقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء آية: ٢٢] أي: لهلكنا ولم نقوم، ومن هذه الآية أخذ المتكلمون دليل التمانع، ومن قوله: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون آية: ٩١].

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٤٠.

الثالث: القحط، قال الله: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم آية: ٤١] أي: قد كسبوا الذنوب فعجل لهم العقوبة بالقحط، ودليل ذلك قوله: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم آية: ٤١] أي: لكي يتذكروا فيتوبوا، ولعلا هاهنا بمعنى لام كي، وفي هذا دليل على أن بعض ما يحمل[١] الله العبد من المكاره تنبيه وبعضه عقوبة.

الرابع: ضد الصلاح؛ قال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة آية: ٢٠٥]، وقال تعالى: ﴿إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ [النمل آية: ٣٤]، وقال: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف آية: ٥٦، ٨٥].

الخامس: قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس آية: ٨١] يعني: السحرة، وقال بعضهم: الفساد في قوله: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف آية: ٩٤] القتل، وكذلك في قوله: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف آية: ١٢٧] ولا أعرف صحة ذلك، وعندنا أن الفساد في هذا الموضع ضد الصلاح والقتل داخل في ذلك.

الفرقان[٢]

الفرقان مصدر، مثل: السكران، والكفران، والعدوان، ثم جعل اسما للقرآن؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل، وفرقت بين الحق والباطل، وبين الحسن والقبيح بالتخفيف، وفرقت بين الشخصين بالتشديد.

وأصل الكلمة البعد، ومنه قيل: لتباعد ما بين الثنيتين، وتباعد ما بين الفخذين فرق. ورجل أفرق وامرأة فرقاء، ومنه الفرقة بين الحينين، والعرب تقول: أسرع من فريق الخيل يعنون السابق؛ لأنه يفارق جماعتها، والفريق من الناس الجماعة لمفارقة لغيرها.

والفرقان في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول[٣]: النصرة؛ قال الله: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ [البقرة آية: ٥٣] جاء في التفسير أنه أراد النصرة على أعدائه، وذلك أنه نصره على أعدائه إذا أبعدهم الله بالإهلاك، ومثله: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال آية:

---

(١) في ت: لحمل.
(٢) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٥٦.
(٣) في ت: أولها.

٤١] أي: يوم نصرناه؛ يعني: يوم بدر هكذا جاء في التفسير.

ويحتمل أن يكون معنى الفرقان هاهنا؛ الفرق بين الحق والباطل؛ لأن الحق والباطل قد فرق بينهما يوم بدر بأن علا هذا أو سفل ذا، وقيل: جعله يوم الفرقان؛ لأنه فرق فيه بين المؤمنين والكافرين، قال الله: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال آية: ٤١] أي: إن كنتم صدقتم بالله وبما أنزلنا على عبدنا يوم بدر من هذا الحكم، وهو أن حسن الذي تغنمونه هو لله يجعله في الوجه الذي يريد.

والوجه الذي يريد أن يجعله فيه؛ هو أن يكون للرسول والفقراء من بني هاشم وبني المطلب، وجعل ذلك لهم بدلا من الصدقات المحرمة عليهم، والفقراء اليتامى، والمنقطع به من المسافرين؛ وهو ابن السبيل، فجرى الأمر على ذلك حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم اجتمع الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم على أن يجعل بينهم الرسول في السلاح والكراع، ويصرف الباقي إلى من سمي له في الآية، وقيل: ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ أي: الكتاب الذي فيه الفرقان، وقيل: معناه إنا آتينا موسى الكتاب وهو التوراة، ومحمدا الفرقان؛ فاكتفى بذكر الفرقان عن ذكر محمد؛ لأنه معلوم أن الفرقان نزل عليهِ.

وقال بعضهم: الكتاب التوراة، والفرقان؛ انفراق البحر، وقال آخر: الفرقان؛ بيان الحلال والحرام الذي في التوراة، وقيل: الفرقان الموضع الذي فرق فيه بين موسى وبين فرعون، كما سمي يوم بدر الفرقان.

الثاني: البينة في الدين؛ قال تعالى: ﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة آية: ١٨٥] يعني: البينة في الدين وإخراجا من الشبهة والضلالة، وقال: ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال آية: ٢٩].

الثالث: القرآن؛ قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان آية: ١]، وقال: ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران آية: ٤] يعني: القرآن.

الفرض(١)

أصل الفرض من التأثير، ومنه الفرض في العود وهو الحرفية، وفرضة النهر ترجع إلى ذلك، وهو في الشريعة بمعنى الإلزام، وهو قوله: ﴿فَمَن فَرَضَ

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٨٣.

﴿فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ [البقرة آية: ١٩٧] أي: ألزم نفسه.

وفرض الله على الناس الفريضة؛ أي: ألزمهم القيام بها، والفرق بين الفرض والواجب في اللغة؛ أن الفرض الذي له تأثير وأصله من الجزء، وليس للواجب تأثير لأنه من السقوط، يقال: وجب الحائط؛ إذا سقط، وفي القرآن: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ [الحج آية: ٣٦] أي: سقطت، وللفرض في مكانه تأثير، وليس للواجب في مكانه تأثير.

فمن يجعل الفرض أوكد من الواجب يذهب إلى هذا المعنى، وقوم يجعلونها سواء لأن قولك أوجبت وفرضت؛ بمعنى ألزمت، والفرق بينهما عند بعض الفقهاء بين أيضا، وذلك أن سجدة التلاوة عنده واجبة وليس بفرض، وكذلك الوتر، والفرض أيضا لا يكون من الله، والواجب يكون منه ومن العبد، تقول: أوجب السلطان على رعيته كذا، ولا يقال: فرض.

فأما قولهم: فرض القاضي عليه فإن معناه؛ أوجب عليه ما فرض لله لأن القاضي لا يفرض في الحقيقة، فأما قوله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ [البقرة آية: ١٩٧] فهو بمعنى ألزم، فوضع حرفا مكان حرف لتقاربهما في المعنى، وكذلك فرض القاضي.

والفرض في القرآن على خمسة أوجه:

الأول[١]: الإلزام؛ قال الله: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ ، وقال: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ [الأحزاب آية: ٥٠] يعني: المهور، وأن لا يتجاوز الرجل تزوج أربع نسوة، وقيل: الفرض هاهنا الإباحة؛ أي: أبحنا لهم تزوج أربع نسوة وما ملكت أيمانهم؛ أي: وإن اتخذوا من الإماء والسراري ما يريدون، وقال في آية الصدقات بعد أن عدد أهلها: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء آية: ١١، التوبة: ٦٠]، وقيل: للصلاة المكتوبة فريضة ولسهام الميراث فرائض لذلك.

الثاني: بمعنى التبيين؛ قال الله: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [التحريم آية: ٢] أي: بين لكم كيف يكفرون عن إيمانكم إذا حلفتم، ومثله قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا﴾ [النور آية: ١] أي: بيناها وفصلناها، وقيل: معنى: ﴿وَفَرَضْنَٰهَا﴾ التخفيف[٢]؛ إنا أنزلنا العمل بما فرض فيها، ومن شدد أراد التكثير؛

---

(١) في ت: أولها.

(٢) في ت: بالتخفيف.

أي: فرضنا فيها فروضا.

الثالث: فرض بمعنى أحل؛ قال الله: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ [الأحزاب آية: ٣٨] يعني: فيما أحل له، ويجوز أن يكون معناه أنه أوجب عليك العمل به.

الرابع: بمعنى أنزل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [القصص آية: ٨٥]، أي: أنزل، ويجوز أن يكون معناه أنه أوجب عليك العمل به.

الخامس: الفريضة بعينها وهي الخصلة يلزم فعلها؛ قال تعالى: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء آية: ١١، التوبة: ٦٠] والفريضة المهر أيضا في قوله: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [البقرة آية: ٢٣٥] الآية.

والمراد أن من تزوج امرأة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها من غير أن يدخل بها؛ فالواجب لها عليه أن يمتعها على قدر حاله في الغنى والفقر.

قال الكوفيون: أول[1] المتعة ثلاثة أبواب؛ إلا أن يكون ذلك أكثر من نصف مهر مثلها، والتمتيع في هذه الآية التزويد، وفي غيرها التلذذ، ومنه نكاح المتعة، وقال ابن أبي ليلى، وأبو علي: المتعة ليست بواجبة.

وقوله تعالى: ﴿مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة آية: ٢٤١] يدل على خلاف ما قالا؛ لأنه جعل المتعة في شرط التقوى، وقال: ﴿حَقًّا﴾ وليس في الإيجاب أوكد من هذا، وعلى كل واحد[2] أن يكون من المتقين؛ فإن قيل: إنما خص المتقين بالذكر لأنها غير واجبة، قلنا: الظاهر يقتضي وجوبها على المتقين، وإذا وجبت عليهم وجبت على غيرهم؛ لأن أحدا لا يفرق بين المتقي وغير المتقي في الفروض، ولا يجوز أن يكون ندبا؛ لأن الندب لا يختلف فيه المتقي وغيره.

الفاحشة[3]

أصلها المبالغة في القبح[4]، ومنه قيل: أفحش الرجل، وفحش في الكلام إذا

---

(١) في ت: أقل.
(٢) في ت: أحد.
(٣) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١١٣.
(٤) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (فحش) الفاء والحاء والشين كلمةٌ تدلُّ على قُبح في شيء وشَناعة. من ذلك الفحْش والفَحْشاء والفاحشة. يقولون: كلُّ شيء جاوزَ قَدرَه فهو فاحش؛ ولا يكون ذلك إلّا فيما يُتكَرَّه. وأفحَشَ الرّجلُ: قال الفُحْشَ: وفَحُشَ، وهو فَحّاش. ويقولون: =

أقذع، والاسم الفحش، وربما جعل الفحشاء الفجور.

والفاحشة في القرآن على أربعة أوجه:

الأول: ما حرم أهل الشرك في الجاهلية؛ قال: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا﴾ [الأعراف آية: ٢٨] يعني: سنن الغي التي سنها لهم آباؤهم من البحيرة والسائبة وما يجري مجراها.

الثاني: الزنا؛ قال: ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ [النساء آية: ١٥]، وقال: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب آية: ٣٠] يعني: الزنا، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف آية: ٣٣] أراد الزنا، وذلك أن العرب كانت تحل الزنا باطنا وتحرمه ظاهرا؛ فأخبر الله أن جميعه حرام، وقد مر ذلك قبل.

الثالث: إتيان الرجال في أدبارهم؛ قال: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت آية: ٢٨].

الرابع: على قول بعض أهل التفسير: النشوز؛ قال الله: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [النساء آية: ١٩، الطلاق: ١] قال: هي النشوز، وعندنا[1] أنه الزنا وما يجري مجراه من قبح المعاصي؛ لأنه لا تكاد العرب تسمي بالفاحشة إلا كل ذنب شديد القبح لازم العار، وليس النشوز مما يجري عليه اسم الفاحشة، وقيل: خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة، وقيل: هو أن تتبدى على أهله فيحل لهم إخراجها قبل انقضاء العدة، وذلك فاحشة منها، وقيل: أن تزني فتخرج للحد أو فتأتي بمعصية كثيرة لا يحل مقاربها معها فتخرج.

والفاحشة والفحشاء سواء، والشاهد قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا﴾ [الأعراف آية: ٢٨] إلى أن قال: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [الأعراف آية: ٢٨] ولا يقال في تذكير الفحشاء: أفحش، ونحوه ديمة هطلاء، ولا يقال: ومطر أهطل.

وقيل: الاستثناء في هذه الآية من العضل؛ أي: من أتت منهن بفاحشة مبينة، وهو الزنا فلكم حبسها على ما فرض قبل نزول الحد.

= الفاحش: البخيل، وهذا على الاتِّساع، والبخلُ أقبحُ خِصال المرء. قال طرفة:

أرَى الموتَ يَعتامُ الكِرامَ ويصطفي ... عقيلةَ مالِ الفاحشِ المتشدِّدِ.

(١) في ن: وعنده.

وقيل: الاستثناء من الذهاب ببعض ما آتوهن ومن العضل جميعا، ومعروف أنه لم يصح ظلمهن؛ بقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾ ولكن عنى ما يدخل عليها الزوج من المساءة والأذى بالحق والعدل إذا أرادت الخلع؛ وهو أن يأخذ منها بعض ما آتاها على الخلع والمباراة؛ لأن الظلم حينئذ جاء من قبلها، والعضل هو الحبس والضيق.

الفرار[1]

أصله من الخفة والسرعة، ومنه قيل: رجل[2] فرفار إذا كان خفيفا كثير الكلام، والفرفار: شجر يتخذ منه القصاع خفيف الوزن، والفرير والفرار ولد البقرة الوحشية سمي بذلك لخفته وسرعته، وفررت الدابة؛ إذا فتحت فاه لتعرف سنه؛ لأنك إذا فتحت فاه وقفت على سنه بسرعة من غير تعذر.

والفرار في القرآن على خمسة أوجه:

الأول: التوبة؛ قال الله: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [الذاريات آية: ٥٠] أي: توبوا إليه ولا تعدلوا عن سبيله، وإنما عبر عن هذا المعنى بالفرار؛ لأن من يفر إلى الإسلام لا يعرج إلى غيره.

الثاني: الهرب؛ قال الله: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ﴾ [الأحزاب آية: ١٦].

الثالث: الكراهة؛ قال: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ﴾ [الجمعة آية: ٨] أي: تكرهونه.

الرابع: ترك التعرج؛ قال الله: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾﴾ [عبس الآيتان: ٣٤، ٣٥] أي: لشغله بنفسه لا يعرج على أخيه.

الخامس: التباعد؛ قال الله: ﴿فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ﴿٦﴾﴾ [نوح آية: ٦] أي: تباعدا مني ومما أدعوهم إليه.

في[3]

موضوعة في العربية الأوعية، تقول: زيد في البيت، والمال في الكيس، وإنما

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص١٨٣.

(٢) سقط من: ن.

(٣) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٨٩.

يراد أن البيت قد حواه، وأن الكيس قد اشتمل عليه، ثم اتسع القول فيه، فقيل: فلان ينظر في العلم؛ فجعلوا العلم بمنزلة متضمن، كما قيل: دخل عمرو في العلم وفي الصلاة، وقالوا: في يد فلان الضيعة؛ وإنما قيل هذا لأن ما أحاط به علمه بمنزلة ما أحاطت به يده.

وهو في القرآن على خمسة أوجه:

الأول: بمعنى مع؛ قال تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم﴾ [الأعراف آية: ٣٨]، وقال: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ﴾ [الأحقاف آية: ١٨]، وقال: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل آية: ١٩]، وقال: ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت آية: ٩] هذا قول بعض المفسرين.

وآخرون يقولون: أن قوله: ﴿فِي أُمَمٍ﴾ أي: في جملة أمم وفي جملة عبادك، هكذا جميع ما تقدم، وقوله: ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾ [النمل آية: ١٢] قال: مع تسع، وقيل: في من صلة قوله: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ [النمل آية: ١٠]: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ [النمل آية: ١٢] والتأويل: وأظهر هاتين الآيتين في تسع آيات؛ والمعنى من تسع آيات. وعندنا أن قوله: ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ [الأحقاف آية: ١٦] إخبار بأنه يفعل بأهل الجنة هذا الفعل، وهؤلاء المذكورون في جملتهم، كما تقول: أحبك وأكرمك في أهل السمع والطاعة، وكذلك قوله: ﴿فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم﴾ [فصلت آية: ٢٥، الأحقاف: ١٨].

الثاني: بمعنى على؛ قال الله: ﴿فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه آية: ٧١] وجاز أن يقع في هاهنا؛ لأنه يكون في الجذع على جهة الطول، والجذع مشتمل عليه فقد صار فيه، وقال الشاعر:

هُمْ صَلَبُوا العَبْدِيَ فِي جِذْعِ نَخْلَةٍ ... فَلَا عَطَشَتْ شَيْبَانُ إِلَّا بَأَجْدَعا

الثالث: على قول بعض المفسرين بمعنى إلى؛ قال: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء آية: ٩٧] قال: أراد أرض المدينة، و: ﴿فِيهَا﴾ بمعنى إليها، ويجوز أن يكون المعنى فسيروا فيها مهاجرين لمن يريد إيذاءكم في الدين حتى تصلوا إلى حيث تتمكنون من عبادة ربكم.

الرابع: بمعنى من؛ وهو في قوله: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [النحل آية: ٨٩] أي: من كل أمة، كذا قيل: وإذا بعثه أشهد عليهم فينبغي أن تكون فيما بينهم ومخالطا لهم، وإذا كان كذلك فإنه فيهم؛ أي: في جماعتهم.

الخامس: فينا بمعنى لنا؛ قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ [العنكبوت آية: ٦٩] ذكروا أنه أراد عملوا لنا، وقد تقدم هذا قبل، ويجوز أن يكون فينا أي: من أجلنا؛ يريد من أجل ديننا وأوليائنا، كما نقول: أنا أوالي فيك وأعادي فيك؛ أي: من أجلك.

الفتح(١)

أصله الكشف والتبيين، يقال: فتح لي فلان القول في هذا الباب؛ أي: بين، والفتوح: الإمطار؛ لأنها تكشف القحط، والفتح: الحكم، والفاتح الحاكم؛ قال: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف آية: ٨٩]، وفتح الباب وفتح البلد يكون بحرب وبغير حرب، وإنما الفتح للظفر بالمكان؛ فإذا ظفر به فقد فتحه حارب عليه أو لم يحارب.

وهو في القرآن على ثمانية أوجه:

الأول: القضاء؛ قال الله: ﴿ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا﴾ [سبأ آية: ٢٦]، وقال: ﴿ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف آية: ٨٩]، وقال: ﴿قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ﴾ [السجدة آية: ٢٩] أي: يوم القضاء؛ وهو دعاء لإنزال العذاب بهم لأن ذلك حق؛ فكأنهم قالوا: أنزل بهم ذلك ليفصل بيننا وبينهم، والقضاء والحكم إنما هو للفصل، ويجوز أن يكون المعنى أن اكشف أمرنا حتى ينفتح ويظهر أن الحق معنا.

الثاني: الهداية إلى الإسلام؛ قال: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١﴾ [الفتح آية: ١]، وقيل عنى: فتح الحديبية، والحديبية بينه بئر فسمي المكان بها، وقيل: هو فتح مكة وليس ذلك بالوجه؛ لقوله: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح آية: ٢] وذلك أنه لا يحسن أن يقول: فتحت لك هذا المكان لأغفر لك ذنبك، وقيل: أنه فتح له الحجج والإبانة فتحا بينا إن الذي تدعو إليه الحق، وقيل: الفتح المبين؛ الهداية إلى الإسلام؛ وهذا هو الوجه.

الثالث: التخصيص؛ قال تعالى: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ﴾ [فاطر آية: ٢] يعني: ما يخصهم به من رزق.

الرابع: التخلية؛ قال الله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾ [الأنبياء: ٩٦].

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٠٦.

الخامس: البعث؛ قال الله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [المؤمنون آية: ٧٧] أي: بعثنا عليهم عذابا، ولما ذكر الباب ذكر الفتح، قال أبو علي رحمه الله: أراد عذاب الآخرة؛ أي: حتى أدخلناهم جهنم إذا هم مبلسون؛ أي: آيسون والإبلاس اليأس.

السادس: فتح الباب؛ قال الله: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر آية: ٧٣] والتشديد للتكثير، يقال: أبواب مفتحة، ولا يقال: مفتوحة في الأكثر، وروى لنا أبو أحمد؛ أنه لما قال الفرزدق:

مَـا زِلْـتُ أَفْـتـحُ أبـوابًـا وأَغْـلِـقُـهـا

عابه الناس، وقالوا: يقال في التكثير: فتحت وغلقت، وغيره من أهل العربية قال: فعلت في التكثير والتقليل، وفعلت بالتشديد لا يكون إلا في التكثير إلا في أحرف منها كلمته.

السابع: النصر؛ قال تعالى: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ﴾ [المائدة آية: ٥٢].

الثامن: الظفر بالمكان؛ قال: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف آية: ١٣] يقول: يفتح لكم ما توجهتم اليد إليه من البلدان وذلك قريب، وقال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ [النصر آية: ١] قال بعضهم: يعني: فتح مكة وكان فتح مكة سنة ثمان، ونزلت هذه سنة عشر بعد حجة الوداع، وقيل: المراد أنه يفتح لك الأمم والبلدان.

فوق[(١)]

أصله من العلو، يقال: فاق الشيء غيره؛ إذا علاه، وهو فائق.

وله في القرآن ثمانية مواضع:

الأول[(٢)]: بمعنى دون؛ قال بعض المفسرين: ﴿بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة آية: ٢٦] قالوا: فما دونها؛ كأنه قال: فما فوقها في الصغر، وقال المبرد: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ أي: فما يتجاوزها؛ فحق هذا أن ينظر إلى الغاية المطلوبة فيجعل فوق من ناحيتها، فإذا قيل: فلان فوق فلان في اللوم؛ فمعناه أنه يتجاوزه فيه، فالمطلوب هاهنا الصغير؛ وكأنه[(٣)] قال: بعوضة فما يتجاوزها صغرا.

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٤٢.

(٢) في ت: أولها. (٣) في ت: فكأنه.

وقال قطرب: بل معناه أكبر منها؛ وهو الذباب وما يجري مجراه، ولا يقال: هذا حمار وفوق الحمار، أو نملة فوق النملة؛ بمعنى أصغر من ذلك، وإنما يكون ذلك في الصفات، يقال: هذا صغير وفوق الصغير.

ورد آخرون ذلك، وقالوا: قد يقال: هو حمار وفوق الحمار، كما يقال: هو صغير وفوق الصغير ليس بين الصفة والاسم في هذا فرق.

الثاني: بمعنى أفضل؛ قال تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح آية: ١٠] والمعنى ما يفعل الله بهم من الخير ويعطيهم من الثواب أفضل مما بذلوه من البيعة يوم الحديبية.

وقيل: يد الله في الوفاء فوق أيديهم، وقيل: يد الله في المنة عليهم حين هداهم فوق أيديهم، وتلخيص هذا أن نعمة الله عليهم فيما هداهم له من الإيمان فوق إجابتهم الرسول وطاعتهم له واليد النعمة.

وقال الضحاك: يد الله عليكم في الثواب فوق أيديكم في النصر.

الثالث: بمعنى أكثر؛ قال الله: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾ [النساء آية: ١١].

الرابع: أرفع في المنزلة؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [البقرة آية: ٢١٢]، وهكذا قوله: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران آية: ٥٥] أي: هم أرفع منزلة.

الخامس: بمعنى على؛ قال: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ﴾ [الأنعام آية: ١٦٥] أي: رفع الأغنياء على الفقراء في اليسار، ثم قال: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف آية: ٣٢] فأخبر أنه فعل ذلك لتطرد أمور الدنيا والخير بعد ذلك، والخيرة فيما عنده.

السادس: قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأحزاب آية: ١٠] أي: من أعلى الوادي، وذلك من علو بعض الأرض على بعض من غير أن يكون له سمك ظاهر.

السابع: العلو في السمك؛ مثل قوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا﴾ [فصلت آية: ١٠] أي: حتى يعلو فوقها، وقال: ﴿ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا﴾ [إبراهيم آية: ٢٦] أي: من وجهها.

الثامن: الغلبة والسلطان؛: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام آية: ١٨، ٦١] يريد أنه القاهر لهم لاشتمال ملكه عليهم وفوقهم؛ أي: غالب لهم، ولا يجوز أن

يقال: فوقهم في المسافة؛ لأنه ليس بجسم، ولأنه لا مدح له في ذلك؛ لأن اختلاف الأمكنة لا يوجب قضاه، وقوله: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف آية: ١٢٧] والعرب تقول: أخذت الأمر من فوق؛ أي: أخذته بغلبة وقهر، ومنه قول الراجز:

إن الـحـبـانَ حـتـفَـه مِـن فَـوقِـه

أي هو غالب له لا يدفعه عنه توقية.

الفتنة[1]

أصل الفتنة شدة الاختبار من قولك: فتنت الذهب؛ إذا أدخلته النار لتعلم جودته من رداءته، وفي القرآن: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت آية: ٣] أي: اختبرناهم، ومعنى الاختبار من الله؛ التكليف على ما بينا.

وقال لموسى عليه السلام: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه آية: ٤٠] أي: واستعمال الإخبار في الله تعالى مجاز؛ لأن أصل الاختبار طلب العلم والله عالم بنفسه، والبحر يصطفي الاختبار، ولا يستعمل في الله قياسا على الاختبار؛ لأن استعمال الاختبار فيه مجاز.

والمجاز لا يقاس...[2] قال: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف آية: ٨٢] أي: أهلها، ولا يجوز أن يقال: سل الحمار؛ أي: صاحبه، وقال: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ [الأنعام آية: ٢٣]، ويقال: فتنت الرجل، ولا يقال: أفتنت.

وهي في القرآن على ثمانية أوجه:

الأول: التكليف؛ قال: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت آية: ٣] أي: أحسنوا أن يقع منهم بأن يقولوا: آمنا ولا تكلفون أو تمتحنون بما ظهر معه إيمانهم للرسول، وصدقهم فيه من كذبهم، فيركن إلى من يركن إليه منهم على بصيرة.

الثاني: العذاب؛ قال الله: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ﴾ [الذاريات الآيتان: ١٣، ١٤] أي: عذابكم، ويجوز أن يكون المعنى ذوقوا جزاء فتنتكم فحذف الجزاء، كما قال: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف آية: ٨٢].

وقيل: يفتنون يحرقون ومنه، قيل: للحجارة السود التي كأنها قد أحرقت

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٧٨.

(٢) طمس في: ن.

الصبر ومثله قوله: ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت آية: ١٠]، أي: عذاب الناس بعذاب الله. والمراد أنه إذا أصابه أذى من الناس لسبب إيمانه جزع منه، كما يجزع من عذاب الله، يحث على الصبر عند مس الأذى.

الثالث: الضلال، قال الله: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [فاطر آية: ١٦٢]، أي: لستم تضلون إلا من هو ضال، أي: ليس يتبعكم على عبادة الأوثان إلا من هو مثلكم في الضلال.

والهاء في عليه راجعة إلى ما الذي، في قوله: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [فاطر آية: ١٦١]، وهو مثل قولك: ما هلك فلان إلا على يد فلان.

الرابع: الصد والاستزلال، قال الله: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة آية: ٤٩]، وقال: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء آية: ٧٣].

الخامس: الكفر والشرك، قال الله: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة آية: ١٩١].

السادس: الإثم، قال الله: ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [التوبة آية: ٤٩]، قال: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحديد آية: ١٤] أي: أثمتم.

السابع: العبرة، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الممتحنة آية: ٥]، أي: يعتبرون أمرهم بأمرنا فإذا رافها في ضر وبلاء ورأوا أنفسهم في غبطة ورخاء؛ ظنوا أنهم على الحق وأننا على الباطل.

الثامن: الجواب، قال: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ﴾ [الأنعام آية: ٢٣]، أي: جوابهم؛ لأنهم حين سئلوا اختبر ما عندهم بالسؤال؛ فلم يكن الجواب عن ذلك الاختبار إلا هذا القول ونتكلم في قوله: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأنعام آية: ٢٤]، فيما بعد إن شاء الله.

ومثل قوله: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة آية: ١٩١]، قوله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة آية: ١٩٣]، أي: قاتلوهم حتى يؤمنوا فيذهب الكفر والشرك، ويكون الدين كله لله دون الشيطان، وأراد المشركين خاصة أي: قاتلوهم على كل حال في الحزم وغيره، حتى يقروا بالإسلام ولا تقبل من المشرك جزية.

وإنما هو الإسلام والسيف وإما تبقيه أهل الكتاب وأخذ الجزية منهم؛ فليتدبروا كتابهم الدال على صحة الإسلام؛ فيسلموا وليس ذلك مع عبدة الأوثان؛ فلا يزدادون على الإمهال إلا شركا.

وهذه الآية ناسخة لما قبلها من قوله: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ [البقرة آية: ١٩١].

الفرح[١]

انفتاح القلب بما يلتذ، وقيل: هو لذة في القلب أعظم من ملاذ الحواس، ورجل فرح إذا جعلته كالنسبة، وفارح إذا بليته على القلب وفرحان، وامرأة فرحانة، وأفرحني الشيء ميزني، وأفرحني إذا فرحني، وهو من الأضداد، وفي الحديث " لا يترك مفرح في الإسلام[٢] "، فسروه المثقل بالتبن، وقيل: مفرج بالجيم أيضا.

والفرح في القرآن ثلاثة أوجه:

الأول: البطر، قال الله: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص آية: ٧٦]، ومثله: ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود آية: ١٠]، ونظيره: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [غافر آية: ٧٥]، أي: تبطرون، ولم يرد الفرح المباح مثل الفرح بالولد، وسعة الرزق، والزوجة الحسناء، ونظائر هذا.

الثاني: الرضى، قال الله: ﴿وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الرعد آية: ٢٦]، أي: رضوا بها، ومثله: ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون آية: ٥٣]، أي: راضون، وقال: ﴿فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [غافر آية: ٨٣]، أي: رضوا كذا.

قال بعض المفسرين، ويجوز عندنا أن يكون أراد الفرح المعروف، بل هو الصحيح، ولا يجوز أن يعدل عما يقتضيه الظاهر إلا لضرورة.

فقوله: ﴿فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [غافر آية: ٨٣]، أي: لما جاءتهم الرسل لم تنظروا في أمرهم حق النظر؛ فخفى عليهم الحق الذي جاءوا به، فاستحقروه[٣] واستحسنوا ما كانوا فيه من الباطل، وفرحوا به وسمي ما كانوا يعتقدونه من الجهل علما؛ لأنه كان علما عند أنفسهم.

الثالث[٤]: الفرح بعينه[٥]، قال الله: ﴿وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس آية: ٢٢].

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٠٢.

(٢) أخرجه أبو بكر الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٢٩٣، والطبراني في معجمه الكبير (٣٦) ١٧/ ٢٤.

(٣) في ت: واستحقروه. (٤) في ت: والثالث.

(٥) في ن: لعينه.

الفضل[١]

أصله من الزيادة، وفضلة الشيء بقيته؛ لأنها زادت على الكفاية، وقيل: الفضائل؛ لأنها زيادة في محاسن الإنسان والمفضل الثوب الذي تلبسه المرأة في بيتها؛ لأنه زيادة على جملة ثيابها.

وهو في القرآن على ثمانية أوجه:

الأول: الإسلام، قال الله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس آية: ٥٨]، وإنما سمي الإسلام فضلا ورحمة؛ لأنه يؤدي إلى الفضل والرحمة.

الثاني: النبوة، قال تعالى: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء آية: ١١٣]، ومثله أن فضله كان عليك كبيراً[٢]، أو[٣] يجوز أن يكون أراد فضله عليه في النبوة، أي: نعمته فيها عظيمة.

الثالث: الثواب، قال: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ [آل عمران آية: ١٧١]، وقوله: ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾ [النساء آية: ١٧٥]، ويجوز أن يكون الفضل في هاتين الآيتين التفضل.

الرابع: الرزق، قال الله: ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة آية: ١٠]، وقال: ﴿يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل آية: ٢٠]، فوضع التاجر مع المجاهدين دالا على فضل التجارة.

الخامس: الغنيمة، قال الله: ﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء آية: ٧٣]، ومثله كثير.

السادس: الخلف، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة آية: ٢٦٨]، أي: مغفرة عند الصلاة[٤]، والفضل الخلف مما أخرج في الصدقة.

السابع: اللطف، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور آية: ٢١]، أي: لولا لطفه وتوفيقه لم تكونوا أزكياء.

والخطاب للمؤمنين وإذا فعل الإنسان ما يرضى به عنه سمي زاكيا وزكيا، ومن ثم يقال للزرع إذا بلغ المبلغ الذي يريده الزارع؛ أنه قد زكا، : ﴿ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ [النساء آية: ٤٩]، أي: يفعل من يشاء من المكلفين ما يصير به مطيعا؛ إذا كان في

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص١٢٨.

(٢) في ت: عظيما. (٣) في ت: و.

(٤) في ت: الصدقة.

معلومه أنه يقبل ويصلح.

ويجوز أن يكون المراد أنه يخبر بصلاح من يشاء، وفضله حتى يكون زكيا عند الخلق إذا كان كذلك.

الثامن: الجنة، قال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ [الأحزاب آية: ٤٧]، وقد خرج لنا وجه آخر وهو، قوله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النور آية: ٢٢]، يعني: بالفضل الغنى، أي: لا يخلف[١] أحد منكم على منع ذوي القربى واليتامى والمساكين بره؛ إذا كان له غنى وسعة، والواسع الغني.

والآية نزلت في أبي بكر رضي الله عنه، وذلك أنه لما خاض يشطح مع أهل الأنكت في قذف عائشة رحمها الله[٢] حلف أبو بكر أن يمنعه بره وفضله، وكان في عيال أبي بكر فنهاه الله عن ذلك فانتهى، وعاد للإفضال عليه والبر له، ويقال: الله واسع بمعنى أنه غني، وللعبد موسع وقد أوسع مثل أيسر.

وقال أبو مسلم: ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ أي: لا تقصر عن إيتاء ذوي القربى وإلى الرجل بالواو واتلي ما تلي[٣] إذا قصر، قال أبو مسلم: ولا تجيء يأتلي في اليمن، إنما يقال فيها إلى يولي، والأول قول جميع المفسرين.

---

(١) في ن: خلف.

(٢) في ت: رضي الله عنها.

(٣) في ت: يأتلي.

الباب الحادي والعشرون

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله قاف

قانتون(١)

القنوت: على وجوه أحدها الطاعة والآخر القيام في الصلاة، وقيل يا رسول الله صلى الله عليه: أي: الصلاة أفضل؟ قال: "طول القنوت(٢) "، أي: طول القيام، وهو الدعاء وهو الطلب(٣) أيضا، قال زيد ابن أرقم: كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة آية: ٢٣٨] فأمسكنا.

وهي في القرآن على أربعة أوجه:

الأول: السكوت، وهو قوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة آية: ٢٣٨]، وقيل: يعني: مطيعين والأول قول مجاهد، وقال غيره: أي: دائمين على الطاعة والقنوت الدائم(٤) على الشيء، وقال ابن عباس، والحسن، وعامر: هو للطلب(٥)، وقال ابن عمر: طول القيام، وقيل: هو الدعاء من قيام، والداعي إذا كان قائما قانتا، ويجوز أن يقع في جميع الطاعات لأنها لم تكن قياما على الرجلين

---

(١) سقط من: ن، و انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٦٢.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٧٥٦) ١/ ٥٢٠، وابن خزيمة في صحيحه (١١٥٥) ٢/ ١٨٦، وابن حبان في صحيحه (٣٦١) ٢/ ٧٦، (١٧٥٨) ٥/ ٥٤، (٢٦٠٦) ٦/ ٣٤١، وأبو نعيم الأصبهاني في مسنده المستخرج على صحيح الإمام مسلم (١٧١٨) ٢/ ٣٥٠، والترمذي في سننه (٣٨٧) ٢/ ٢٢٩، أبو بكر الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٥٤، ١/ ٥٨، ١/ ٦٠، ١/ ٦١، والبيهقي في سننه الكبرى (٤٤٦١) ٣/ ٨، والنسائي في سننه الكبرى (٢٣٠٥) ٢/ ٣١، والنسائي في المجتبي (٢٥٢٦) ٥/ ٥٨، وابن ماجه في سننه (١٤٢١) ١/ ٤٥٦، والبزار في مسنده (٣٠١٦) ٨/ ٣٤، والطبراني في معجمه الأوسط (٢١٠٦) ٢/ ٣٢٣، والإمام أحمد في مسنده (١٤٢٧١) ٣/ ٣٠٢، (١٤٤٠٨) ٣/ ٣١٤، (١٥٢٤٧) ٣/ ٣٩١، ٤/ ٣٨٥، أبو يعلى في مسنده (٢١٣١) ٤/ ٩٨، (٢٢٩٦) ٤/ ١٩٥، (٦٤٤٦) ١١/ ٣٢٩، وعبد بن حميد في مسنده (٣٠٠) ١/ ١٢٤، (١٠١٦) ١/ ٣١٢، (١٠٦٠) ١/ ٣٢٢، والطبراني في معجمه الكبير (١٠٣) ١٧/ ٤٨.

(٣) في ت: الصمت.

(٤) في ت: الدوام.

(٥) في ت: الطاعة.

فإنها قيام بالشيء نية وعملا، والقنوت في كثير من آيات القرآن يدل على أنه إتمام الطاعة والصبر عليها، قال الله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ [الزمر آية: ٩]، وقال: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الأحزاب آية: ٣١]، قال: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء آية: ٣٤] يريد صبرهن على أزواجهن وقيامهن بطاعة الله.

الثاني: الأقرار[1]، قال الله: ﴿وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [البقرة آية: ١١٦]، أي: مقرون بالعبودية كذا قيل، ويجوز أن يكون بمعنى دوام الطاعة، والمراد أن جميع ما في السماوات والأرض يشهد بربوبيته، فكأنه يديم طاعته، وفسر أيضا قوله: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة آية: ٢٣٨]، على أنه أراد مقربين.

الثالث: الصلاة، قال الله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ [الزمر آية: ٩]، وروى عنه صلى الله عليه أنه قال: "مثل المجاهد[2] مثل القانت الصائم[3] "، أي: المصلي الصائم كذا قيل، ويجوز أن يكون على الوجه الذي تقدم.

الرابع: الطاعة، قال الله: ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ [الأحزاب آية: ٣٥]، ومثله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ [النحل آية: ١٢٠]، أي: مطيعا كذا جاء في التفسير، وهو وجه.

القوة[4]

أصلها التعاون، ومنه قوي الحبل، لأن كل واحدة منها تعين الأخرى، وكل طاقة من الحبل قوة، واستعمالها في صفات الله بمعنى أن أحدا لا يغلبه، وليس معناه التعاون كما أن أصل التوبة في اللغة الرجوع، تاب يتوب إذا رجع وكذلك تائبون[5]، وقولنا: ﴿ٱللَّهَ تَوَّابٌ﴾ [النور آية: ١٠، الحجرات: ١٢]، ليس يعني: به الرجوع.

والقوة في القرآن على خمسة أوجه:

الأول: العدة، قال: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود آية: ٥٢]، أي: عدة

---

(١) في ن: الأقدار. (٢) في ن: المجاهدين.
(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٤٦٢٢) ١٠/ ٤٨٢، والإمام أحمد في مسنده (٩٦٤٦) ٢/ ٤٣٨.
(٤) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٧٤.
(٥) في ت: تاب يتوب.

إلى عدتكم، وذلك أن العدة تعبر على مغالبة العدو، وقال: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ [الكهف آية: ٩٥]، أي: بعدد من الرجال، والمراد أن[١] فيما أعطاني الله من المال كفاية في[٢] بناء هذا السد، ولكن ينبغي أن تعينوني بأنفسكم ليتعجل العمل ويقع الفراغ منه بسرعة، والخير في هذه الآية الكفاية، والناس يقولون: فلان بخير في كفاية، وقيل: خير أي: خير لكم من خرجكم.

الثاني: الجد، قال الله: ﴿خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة آية: ٦٢]، أي بجد، ومثله: ﴿يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم آية: ١٢]، أي: بجد، وقيل معناه أي: ﴿خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم﴾ [البقرة آية: ٦٣، ٩٣، الأعراف: ١٧١]، من المقدرة[٣] وفي هذا دليل على أن القدرة على الأخذ معهم أخذوا أم لم يأخذوا.

الثالث: البطش، قال الله: ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت آية: ١٥]، يعني: البطش، والبطش الأخذ بالشدة والغلبة، ويجوز أن يكون بمعنى القدرة، أي: من أقدر منا على الامتناع مما يراد بنا، ويجوز أن تكون القوة هنا العدة أيضا.

الرابع: السلاح وهو راجع إلى معنى العدة، قال الله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال آية: ٦٠]، أي: من سلاح، والدليل على هذا ما يتلوه من ذكر الخيل، وذلك أن الخيل يذكر مع السلاح، وليس يجوز أن يقال أن المراد بها القدرة؛ لأنهم لا يقدرون على فعل القدرة لأنفسهم.

الخامس: الشدة، قال الله: ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص آية: ٧٦]، وتنوء بالعصبة، أي: تغلبهم ولو ناءوا بها لكانوا قد حملوها ولكن هي نأت بهم، أي: ارتفعت بهم فلم يطيقوها.

القضاء[٤]

الحتم، ومنه أصله، قيل القاضي لأنه يحتم على الناس الأمور، ثم قيل: لكل شيء الحتمة[٥]، وفرغت منه قد قضيته، قال أبو ذؤيب:

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا ... داود أَوْ صَنَعَ السَّوَابِغَ تُبَّعُ

وذلك أن من عمل عملا وفرغ منه فقد حتمه وقطعه، والقضاء تأدية الفرض،

---

(١) في ت: أي.
(٢) في ت: من.
(٣) في ت: القدرة.
(٤) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص٣٢٦.
(٥) في ت: أتممته.

ومنه قضاء الدين، وحد القضاء في اللغة فصل الأمر وإبرامه وبلوغ آخره على التمام والإحكام، ومنه قوله[١] للموت: قضاء الله لأنه آخر أمر الدنيا، ومنه قوله: ﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ۝٢٧﴾ [الحاقة آية: ٢٧]، ومنه التقضي والانقضاء.

وهو في القرآن على اثنى[٢] عشر وجها:

الأول[٣]: الأمر، قال الله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء آية: ٢٢]، أي: أمر أن نعبد الله وحده، وفي هذا بطلان قول من يقول: أنه قضى أن نعبد الشيطان، وقيل: فرض، وهو قريب من الأول، ولا يقال قضاء إلا فيما كان لازما من الفروض؛ فأما النوافل فلا يقال فيها القضاء.

الثاني: بمعنى العلم، قال الله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ﴾ [القصص آية: ٤٤]، أي: أعلمناه، وإذا قلت: قضيت إليك، فهو بمعنى العلم، وقضيت عليك بمعنى الحكم، ومثله: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ﴾ [الحجر آية: ٦٦]، ثم فسر ما الأمر، وقال: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ﴾ [الحجر آية: ٦٦]، كأنه قال: وقضينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع، ومثله: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ﴾ [الإسراء آية: ٤]، أي: أعلمناهم ذلك، ويجوز أن يكون القضاء في هذه الآيات بمعنى الوحي؛ فقوله: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الإسراء آية: ٤]، أي: أوحينا إلى أنبيائهم.

الثالث: الإتمام والفراغ، قال الله: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ﴾ [البقرة آية: ٢٠٠]، أي: أتممتموها وفرغتم منها؛: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ﴾ [البقرة آية: ٢٠٠]، أي: لا تقطعوا ذكره لفراغكم من متعبداتكم، وكانت العرب إذا أرادت الصدر عن الحج وقفت بين المسجد والجبل بمنى فذكرت محاسن آبائها ومناقبهم، فأمر الله أن يذكروه ويثنوا عليه كذكرهم آباءهم، ثم قال: ﴿أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗا﴾ [البقرة آية: ٢٠٠]، وأراد بل أشد ذكرا، لأن نعم الله عليهم أكثر من نعم غيرهم، ووقوع أو موقع بل معروف، ومنه قوله: ﴿أَوۡ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات آية: ١٤٧]، أي: بل يزيدون.

وقال بعضهم: أو يزيدون عندكم، ومثله: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء آية: ١٠٣]، ونظيره: ﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف آية: ٢٩]، أي:

---

(١) في ت: قيل. (٢) ن: اثنتي. (٣) في ت: أولها.

فلما فرغ النبي صلى الله عليه من قراءة القرآن.

الرابع: بمعنى الفعل، قال الله: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ [طه آية: ٧٢]، أي: افعل ما أنت فاعل، : ﴿إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [طه آية: ٧٢]، والحياة نصب على الظرف، ويجوز أن يكون القضاء هنا الحكم أي: احكم فينا بما أنت حاكم، وقال: ﴿لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال آية: ٤٢].

الخامس: بمعنى الإرادة، قال الله: ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [غافر آية: ٦٨]، أي: إذا أراد أمرا فإنما يقول له كن فيكون، أي: إذا أراد أمرا لم يتعذر عليه فعله، وليس هناك قول، وإنما هو عبارة عن إيجاده الفعل من غير تعذر إذا لم يحتمل الكلام على هذا المعنى فسد؛ لأنه لا يجوز أن يخاطب المعدوم، ولا يجوز أن تقول للموجود كن؛ لأنه كان، وإنما هو كقول الشاعر:

قـال جنـاحـاه لـيـسـا فـيـهـا جـفـاء

ولم يكن هناك قول، بل هو إخبار عن سرعة اللحاق.

السادس: بمعنى الموت، قال: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف آية: ٧٧]، أي: ليمتنا، ومثله قوله: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص آية: ١٥]، ومثله: ﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝٢٧﴾ [الحاقة آية: ٢٧].

السابع: بمعنى الوجوب، قال الله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [مريم آية: ٣٩]، أي: وجب العذاب، وقال: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [إبراهيم آية: ٢٢]، والوجوب هنا الوقوع؛ لأن العذاب كان وجب عليهم في الدنيا، وإنما يقع في الآخرة.

الثامن: الكتاب، قال الله: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم آية: ٢١]، أي: مكتوباً في اللوح المحفوظ، ويجوز أن يكون أمرا مقتضيا(١)، أي: مقدرا مفروغا.

التاسع: قضى بمعنى أتم، قال: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ [القصص آية: ٢٩]، أي: أتم الشرط المشروط إلى الأجل، ومثله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه آية: ١١٤]، أي: من قبل أن يتم جبريل صلوات الله عليه قرآنه عليك.

العاشر: قضى بمعنى فصل، قال الله: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الزمر آية:

---

(١) في ت: مقضيا.

٦٩]، وقال: ﴿لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۗ﴾ [الأنعام آية: ٥٨]، ونظيره: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ﴾ [الجاثية آية: ١٧].

الحادي عشر: قضى بمعنى خلق، قال الله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ [فصلت آية: ١١]، أي: فخلقهن، ويجوز أن يقال: أتم خلقهن فيكون على الأصل.

الثاني عشر: قضى بمعنى حكم، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [غافر آية: ٢٠]، وقريب منه، قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ﴾ [الأنعام آية: ٥٧].

وفي هذا دليل على أنه لم يقض الكفر؛ لأنه ليس حق[1] فقد قال: ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ﴾ [آل عمران آية: ١١٢]، فدل على أن قتلهم ليس من قضائه لإخباره أنه لا يقضي إلا بالحق، وإن زعموا أن قتلهم من قضائه لزمهم أن يقولوا أن قتلهم حق؛ لأن قضاءه حق.

وقرئ ﴿يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ﴾، ويقضي أجود هنا، لقولنا[2]: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾ [يوسف آية: ٤٠، ٦٧، الأنعام: ٥٧]، والحكم والقضاء واحد، وجميع هذه الوجوه راجع إلى ما قلنا من الأحكام، والفراغ من نفس الشيء أو حكمه أو الخبر عنه.

القدر

القدر هو وجود الأفعال على مقدار الحاجة إليها والكفاية لما فعلت من أجله؛ كان القدر هو الوجه الذي أردت إيقاع المراد عليه، والمقدر للفعل هو الموجب له على ذلك الوجه.

وأصل القدر في العربية التوسط بين العلو والتقصير، ومن ثم قيل: للقدرة قدرة؛ لأن الفعل يقع على قدره، وقيل: هذا على قدر ذلك، وقدره أي: غير فاصل عنه ولا مقصر دونه، ومنه قيل: القدر لأنك تطبخ فيها الطبيخ بقدر ما تحتاج إليه، أو بقدر ما تسعه.

وسمي قدر الله قدرا لأنه يقع على قدر المصالح، لا فضل ولا نقصان، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩﴾ [القمر آية: ٤٩]، أي: هو على قدر الصلاح.

---

(١) في ت: بحق.

(٢) في ت: لقوله.

وقال بعضهم: أصل القدر هو وجود الفعل على مقدار ما أراده الفاعل وحقيقته في أفعال الله وجودها على قدر المصالح، وأما قوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان آية: ٢]، فإن اللفظ عام، والمعنى خاص؛ لأن المعاصي لم تدخل فيه، والشاهد قوله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل آية: ٨٨]، والباطل ليس بمتقن.

والدليل على أن كل تجيء لغير معنى الإحاطة، قوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل آية: ٢٣]، ونحن نعلم أنها لم تؤت لحية، وقوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف آية: ٨٤]، وهو القدر، والقدر، ثم استعمل في التقصير فقيل: قدر فلان على نفسه مثل قتر ونحوه، : ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء آية: ٨٧]، أي: ظن أن لن نضيق عليه؛ كقوله: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ ، ومنه: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الطلاق آية: ٧]، أي: ضيق عليه.

ومن ذلك قولهم: رجل أقدر، إذا كان قصير العنق؛ وجاء أيضا في الزيادة، فقيل: فرس أقدر للذي تتقدم موقع رجله موقع يده، والخبر السابق بما يكون قدرة أيضا إذا كان المخبر عنه، ويكون على مقدار ما تقدم به الخبر، ومنه قوله: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الحجر آية: ٦٠]، أي: أخبر عن ذلك، بقوله: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾ [هود آية: ٨٠]، ومنه، قول العجاج:

وأعلم بأن ذا الجلال قد قدر

أي أخبره[1]، وقيل: قدر وقدر لغتان بمعنى واحد، وقرئ: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المرسلات آية: ٢٣]، بالتثقيل فجمع بين اللغتين، [كما][2] قال الأعشى:

وأنكرتني وما كان الذي نكرت

والصحيح أن قدر الشيء بالتشديد و في تكرير[3] الفعل، وقيل: التخفيف[4] بمعنى القدرة[5] والملك، ومعنى قولهم: المقدور كائن، أن ما أخبر الله بكونه كائن؛ وليس أن المعنى المخلوق كائن؛ لأن ذلك لا يشك فيه.

والقدر في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول[6]: الأمر والحكم، قال الله: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الأعلى: ٣]،

(١) في ن: أخبر.
(٢) سقط من: ت.
(٣) في ت: تكرير.
(٤) في ت: بالتخفيف.
(٥) في ت: المقدرة.
(٦) في ت: أولها.

يعني: أنه أمر في الزاني بالرجم، وفي القاذف بالجلد، وفي السارق بالقطع، وفي القاتل بالقتل، وهدى بذلك إلى ما فيه نجاة الخلق.

وفي هذا دليل على أن المعصية ليست من قدر الله، لقوله: ﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى آية: ٣]، ولم يقل: قدر فأضل وأعمى.

الثاني: الخلق على قدر، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [المزمل آية: ٢٠]، أي: يخلق كل واحد منهما بعد الآخر على قدر لا زيادة ولا نقصان.

وقال: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [يس آية: ٣٨]، أي: ذلك خلقه كذا قيل، ويجوز أن يكون المعنى أنه قدر سيرها تقديرا لا يتفاوت.

الثالث: التسوية، قال الله: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ [يس آية: ٣٩] أي: سوينا له منازل ينزل فيها حالا بعد حال، وهو راجع إلى الخلق كذا قيل، ويجوز أن يكون المراد إنا قدرنا سيره في المنازل تقديرا لا يتفاوت.

قال أبو علي رحمه الله: القدر على وجهين:

أحدهما: أن يفعل الله الشيء مقدرا، والآخر: أن يقدر لخلقه بأن يعرفهم مقداره ووقت كونه؛ كقولك لصاحبك: كم تقدر مقامك بالبلد؟ وللخياط: ما يقدر[١] أن يعطيني الثوب، ومعنى ذلك أن يعرفك مقداره.

قليل[٢]

القليل ما يقصر عن الكفاية، وهو قل بمعنى قليل، والقل أيضا القلة مثل النحل والنحلة، والعذر والعذرة، وقيل: قل فعل ولهذا جاء فاعله على فعيل، مثل كرم، وهو كريم، وكثر وهو كثير، وقيل هو فعل إلا أنه دخله معنى المبالغة فجاء فاعله على فعيل، كما قيل: حرص وهو حريص وهذا هو الصحيح، ويقال: هؤلاء قوم قليل وقليلون وكثير، ولم يجيء كثيرون.

والقليل في القرآن على ثلاثة أوجه فيما ذكروا وبعضها عندنا داخل في بعض:

الأول: بمعنى اليسير، قال: ﴿وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ﴾ [آل عمران آية: ١٨٧]،

---

(١) في ن: يقرر.

(٢) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٣٢٤.

أراد أن أهل الكتاب تركوا العمل بكتابهم وكتموا ما يدل منه على نبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله، لعرض نالوه من عرض الدنيا وذلك قليل.

الثاني: بمعنى الرياء فيما جاء عن بعضهم، وهو قوله: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء آية: ١٤٢]، وهو والأول عندنا سواء، والمراد أن المنافقين يذكرون الله إذا لقوا المؤمنين فذكرهم له قليل بالإضافة إلى ذكر المؤمنين له؛ لأن المؤمنين يذكرونه على كل حال.

الثالث: النفي، قال الله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ وقوله: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة آية: ٨٨]، أي: لا يؤمنون ولا يشكرون أصلا؛ لأنه في صفة الكفار، والعرب تقول:

قَلَّتْ حِيلَتِي فِي كَذَى إِذَا لَقِيت

وقال شاعرهم:

مَنْ كَانَ يكذبُ مَا يقُولُ فَحِيلَتِي فِيهِ قَلِيلَةٌ

أي ليس لي فيه حيلة.

القتل

إماته الحركة، وقيل: قتلت هذا الشيء علما إذا بلغت أقصى العلم به، وناقة ذات قتال وكتال إذا كانت ذات خلق، والفرق بين القتل والذبح، أن الذبح عمل معلوم، والقتل ليس بمعلوم، ولهذا قال أصحابنا: إن استأجر الرجل رجلا على قتل رجل قصاصا؛ إن ذلك لا يصح وإن استأجر على ذبح شاة صح.

والقتل في القرآن على وجهين:

الأول(١): القتل بعينه، قال: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [البقرة آية: ١٩١، النساء: ٩١].

الثاني: اللعن، قال الله: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [عبس آية: ١٧]، ومثله: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾﴾ [المدثر آية: ١٩]، أي: لعن، كيف قدر الباطل على النبي صلى الله عليه وعلى آله، فقال: إنه ساحر.

القول

عبارة عن جملة ما يتكلم به المتكلم على سبيل الحكاية، والكلام عبارة عن

---

(١) في ت: أحدهما.

جنس ما يتكلم به موجودا كان أو معدوما، ومبتدأ أو محكيا، وقد شرحنا هذا المعنى في التفسير.

ويقال: قال يقول من القول، وقال يقيل من القيلولة، والقيل دون الملك الأعظم والجمع أقيال، والقيل شرب ونصف النهار، وقد أقتال الرجل إذا صار قيلا، واقتال شرب قيلا، وكل ما يجيء بعد القول فهو مرفوع إلا أن يكون من القول، تقول: قلت اليوم طيب فترفع، لأن اليوم ليس من القول، وتقول: قلت كلاما حسنا، وقلت خيرا؛ لأن الخير يقال، ولا تقول: قلت ثوبا جديدا؛ لأن الثوب ليس مما يقال.

والقائل في القرآن على وجهين:

الأول[١]: فاعل القول، قال تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الصافات آية: ٥١].

الثاني[٢]: من القيلولة، قال: ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف آية: ٤]، [أي][٣] نائمون في أنصاف النهار.

القائم

أصل القيام الاستواء ومنه، قام الشيء لاستوائه منتصبا، وقومه سواه، وقاومه استوى معه في القول أو[٤] الخصومة، وقامت السوق لاستوائها في البيع والشراء، وأقام أرزاق الجند؛ إذا أجراها على استواء، وأقام الوزن سواه وعدله، وقوم الثوب إذا ذكر ما يساويه من الثمن، وأقام بالمكان يرجع إلى هذا.

والقائم في القرآن على وجهين:

الأول[٥]: بمعنى المديم للفعل، قال الله: ﴿قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران آية: ١٨]، أي: مديم لفعله، والقسط العدل ونحوه: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ [آل عمران آية: ٧٥]، أي: مديما للتقاضي.

الثاني: القائم خلاف القاعد، قال الله: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران آية: ١٩١].

---

(١) في ت: أحدهما.
(٢) في ت: والثاني.
(٣) سقط من: ن.
(٤) في ت: و.
(٥) في ت: أحدهما.

الباب الثاني والعشرون

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله كاف

الكتب(١)

أصل الكتب الجمع(٢)، والكتيبة العسكر الذي قد تكتب، أي: تجمع، وقيل: هي الذي اجتمع فيها ما تحتاج إليه للحرب، وكتبت البغلة جمعت بين أشعرها بحلقة، والكتبة الخرزة لأنها تجمع من طرفي الأديم، وسمي الكتاب كتابا؛ لأنه جمع الحروف والمعاني، والكتب أيضا الخلق، قال الهذلي:

كتب البياض لها وثور لونها ... فعيونها حتى الحواجب سود

أي خلقن بيضا وعيونها وحواجبها سود، ولما كان في خلقها بياض وسواد عبر عن ذلك بالكتب تشبيها، ويقولون: كتب الله عليكم السلامة، أي: خلقها لكم.

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٧٢.

(٢) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (كتب) الكاف والتاء والباء أصلٌ صحيح واحد يدلُّ على جمع شيءٍ إلى شيءٍ. من ذلك الكِتَابُ والكتابة. يقال: كتبت الكتابَ أكْتبه كَتْباً. ويقولون: كتبتُ البَغْلَة، إذا جمعتُ شُفرَي رَحِمها بحَلْقة. قال:

لا تـأمـنـنَّ فَـزاريًّـا حَـلَـلْـتَ بـه ... عـلـى قَـلُـوصِـك واكـتُـبْـهَـا بـأسـيـار

والكُتْبَةُ: الخُرْزَة، وإنَّما سمِّيت بذلك لجمعها المخروز. والكُتَب: الخُرَز. قال ذو الرُّمَّة:

وَفْـرَاءَ غَـرْفِـيَّـةٍ أثْـأَى خـوارِزَهـا ... مُـشَـلْـشَـلٌ ضَـيَّـعَـتْـهُ بـيـنَـهـا الـكُـتَـب

ومن الباب الكِتَابُ وهو الفَرْضُ. قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة ١٨٣]، ويقال للحُكْم: الكتاب. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمَا لأقْضِيَنَّ بينكما بكتاب الله تعالى"، أراد بحُكْمِه. وقال تعالى: ﴿يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ [البينة٢، ٣]، أي أحكامٌ مستقيمة. ويقال للقَدَر: الكِتاب. قال الجعديّ:

يـا ابـنـةَ عـمِّـي كـتـابُ الـلـه أخـرَجَـنِـي ... عـنـكـم وهـل أمـنـعَـنَّ الـلـه مـا فَـعَـلا

ومن الباب كتائب الخيل، يقال: تكتَّبوا. قال:

بـألـفٍ تـكـتَّـبَ أو مِـقْـنَـبِ

قال ابنُ الأعرابيّ: الكاتب عند العرب: العالم، واحتجَّ بقوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الطور ٤١، القلم ٤٧]. والمُكاتَب: العبدُ يكاتبه سيِّده على نفسه. قالوا: وأصله من الكِتاب، يراد بذلك الشَّرْطُ الذي يكتب بينهما.

وكتب قدر والمكتوب بمعنى معلوم وبمعنى محدد، قال أبو عبيدة: كتب قضى، وكتب حفظ.

والكتب في القرآن على خمسة أوجه:

الأول: بمعنى الفرض، قال الله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ [البقرة آية: ١٧٩]، أي: فرض، وإنما جعل الفرض كتبا؛ لأنه فرضه في الكتاب وهو في القرآن، ومثله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة آية: ١٨٣]، ومثله كثير.

الثاني: كتب قضى، قال الله: ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة آية: ٢١]، ومثله: ﴿لَن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة آية: ٥١]، ومثله: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ﴾ [الحج آية: ٤] أي: قضى وبين؛ لأن كل من تولاك ضال، وقال: ﴿لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران آية: ١٥٤]، أي: قضى وذلك أن الله يقضي عليهم بالموت عند القتل لا محالة، فجعل القتل من قضائه لأنه سبب لما يقضيه، وهو الموت.

وليس ذلك بموجب أن يكون الذين قتلوا المؤمنين كانوا لا يقدرون على أن يقتلوهم؛ لأنهم لو كانوا كذلك ما نهاهم الله عن قتلهم، ولكن كان في المعلوم أنهم سيختارون قتلهم مع قدرتهم على تركه؛ كما أن ما كتب أو أخبر أنه سيفعله فهو سكون لا محالة، وأن الله قادر على أن لا يفعله.

ونزلت هذه الآية في قصة أحد لما أصيب بها المسلمون، فقال المنافقون: لو كان لنا من الأمر شيء ما قلنا هاهنا، أي: لو كان ما يزعمه محمد حقا ما قتل إخواننا هاهنا؛ يعنون السلطان والغلبة، فجعل قتل إخوانهم وأوليائهم قتلا لهم، لأنهم منهم فأجابهم الله بقوله: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران آية: ١٥٤]، أي: لو قعد ثم في بيوتكم أراده السلامة لخرج منكم الذين كتب الله؛ وعلم أنهم يقتلون إلى مضاجعهم، أي: مصارعهم، ولم يرد القتل عنهم قعودكم، لأن خلاف ما علمه لا يكون.

الثالث: الجعل، قال الله: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران آية: ٥٣، المائدة: ٨٣]، أي: اجعلنا، ويجوز أن يكون فاكتبنا مع الشاهدين في اللوح المحفوظ؛ لأن كل شيء يفعله الله مكت فيه، وقال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف آية: ١٥٦]، أي: سأجعلها، وقيل أتشاهدون[1] أمة محمد صلى الله

---

(١) في ت: الشاهدون.

عليه، المؤمنون الذين يشهدون على الناس بأعمالهم، ويجوز أن يكونوا الأنبياء لأنهم يشهدون على أممهم بما شاهدوا من أعمالهم، وقيل: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف آية: ١٥٦]، أي: سأجمعها وذلك أن رحمته ونعمته قد عمت الكافر والمؤمن في الدنيا، وهو في الآخرة مجموعة للمؤمنين.

الرابع(١): الأمر، قال الله: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة آية: ٢١]، أي: أمركم بدخولها.

الخامس: الكتب المعروف، قال الله: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ [البقرة آية: ٢٨٢]، أي: اكتبوا مبلغ الدين؛ لأن لا ينسى، ومبلغ الأجل لأن لا يزاد فيه(٢) أو ينقص، ولا خلاف بين فقهاء الأمصار أن الأمر بالكتابة والإشهاد والرهن هاهنا ندب وإرشاد إلى الأحوط.

وقد نقلت الأمة عقود المداينات والبياعات بغير إشهاد ولا نكير من الفقهاء.

وروي عن ابن جبير، وعطاء، وإبراهيم: أن الإشهاد على كتب المداينات والبياعات وقليلها واجب، وليس ذلك بمعمول عليه.

وعن الحسن، والشعبي: أن الشهادة والكتب كانا واجبين فنسخا، بقوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [البقرة آية: ٢٨٣].

وقال ابن عباس: لم ينسخ ذلك، وأما قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام آية: ٥٤]، فمعناه أنه حكم بها وأوجبها على نفسه، وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة آية: ٢٢]، أي: علامة الإيمان، كما قال: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة آية: ٩٣]، أي: حب العجل، فحذف.

وكان بنان بن سمعان يذهب إلى أن الله كتب على وجهه وسائر أعضائه الرحمة، ويذهب إلى أنه ليس في كلام الله مجاز، وكان يقول إن الله يفنى سائره ويبقى وجهه، لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص آية: ٨٨].

الكفر(٣)

أصله التغطية، ويقال: للليل كافر؛ لأنه يغطي كل شيء بظلمته، وكفر الغمام

---

(١) في ت: والرابع. (٢) في ت: منه.

(٣) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٣٣.

النجوم سترها، والكافر الذي ليس فوق درعه ثوبٌ، والزارع كافر؛ لأنه يغيب البذر في الأرض، وكفر النعمة إذا لم يشكرها كأنه سترها، ويقال: لوعاء كل ثمرة كافور؛ لأنه يغطيها، ويقال للطلع الكفرت[١]؛ لأنه في غطاء، ويكفر[٢] الذنوب بسترها[٣] كالغفران، ومعنى ذلك أن الله لا يفضح أصحابها بها.

والكفر في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول[٤]: الجحد، قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران آية: ٢١]، أي: يجحدونه، والجحد لا يكون إلا مع العلم مثل جحد الرجل حق صاحبه؛ فأما من ينكر ما لا يعرف صحته فليس بجاحد، ونظيره قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة آية: ٨٩]، أي: جحدوه فجعلوا الجحد مع المعرفة على ما ذكرنا.

الثاني: كفر النعمة، قال: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة آية: ١٥٢]، وقوله: ﴿لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ﴾ [النمل آية: ٤٠]، وكقول فرعون لموسى: ﴿وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩﴾ [الشعراء آية: ١٩]، أي: لنعمتي.

الثالث: بمعنى البراءة، قال الله تعالى: ﴿كَفَرۡنَا بِكُمۡ﴾ [الممتحنة آية: ٤]، وقال: ﴿يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ﴾ [العنكبوت آية: ٢٥]، وقال في: ﴿إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ﴾ [إبراهيم آية: ٢٢] أي: تبرأت.

كان[٥]

أصلها الحدوث، كان الشيء إذا أحدث فهو كائن، ثم كثر حتى وقع موقع صار، وموقع لم تزل وموقع هو وغير ذلك مما يذكره.

وذلك على ما حكى أهل التفسير، وقال النحويون: كان لا يتعدى، ومعناه حدوث الشيء، أي: خلق، فهو في أنه غير متعد بمنزلة قام؛ فلما احتج إلى ذكر المضي في المبتدأ أو[٦] الخبر، أدخلت كان على قوله: زيد قائم، فقيل: كان زيد قائما.

---

(١) في ت: الكفري. (٢) في ت: وتكفير.
(٣) في ت: سترها. (٤) في ت: أولها.
(٥) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٦١.
(٦) في ت: و.

والمعنى زيد قائم فيما مضى، فرفع بها المبتدأ أو[1] نصب الخبر، كما قيل: ضرب زيد عمرا؛ فإن أردت في المبتدأ والخبر الاستقبال قلت: يكون ومن أخواته ليس، وهو ينفى به الحديث ولا ينفى به إلا ما في الحال دون المستقبل والماضي، وهو موضوع للعبارة عن هذه الجملة.

وما دام وهما كلمتان ويعبر بذلك عن المبتدأ والخبر أيضا إذا كان له دوام، ويرفع به الاسم ويتصرف معموله كما يتصرف معمول كان، إلا أن ما لا يجوز أن يقدم عليه المعمول؛ لأن المعمول هو في الصلة، والصلة لا تقدم على الموصول. ولكن تقدم بعض الصلة على بعض، تقول: لا أكلمك ما دام زيد قائما، وما قائما دام زيد ومازال، وهما كلمتان إلا أن ما حرف نفي هاهنا وليس باسم، وما في قولك ما دام اسم مبهم ناقص ودام صلته، وهو فعل وزال فعل منفي بما، ومعناه ضد دام.

فلما دخلت عليه ما النافية صار بمعنى دام؛ لأن نفي النفي إيجاب، وتقول في المستقبل يزال ويزول، وأما أصبح وأمسى وظل وبات فإنهن أفعال بمنزلة كان في العبارة عن بعض[2]، وفي أنها في الأصل غير متعدية إلا أن لكل واحد منها زيادة على[3] ليست للآخر؛ فأصبح يدل على وقت خاص وهو الصباح، وأمسى تدل على وقت خاص وهو المساء، وظل يدل على المكث في النهار، وبات تدل على المكث بالليل.

وكان في القرآن على أربعة أوجه فيما قيل قالوا:

الأول[4]: أن تكون بمعنى لم يزل، قال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح آية: ٧]، أي: هو لم يزل كذلك، ويجوز أن يكون دخول كان هاهنا للتوكيد، وكذا في قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، ويكون المعنى أنه غفور غفرانا عظيما، ورحيم رحمة كبيرة، ويجوز أن يكون المراد أن الغفران وإحكام الأمور من فعله فيما مضى، وهذا الوجه هو الصحيح.

الثاني: بمعنى صار، قال تعالى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة آية: ٣٤]، وكذلك قوله: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾﴾ [النبأ آية: ١٩]، وقال: ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل آية: ١٤]، أي: صارت، وحقيقة المعنى

---

(١) في ت: و.
(٢) في ت: المعنى.
(٣) في ت: معنى.
(٤) في ت: أولها.

أنها تصير كذلك، ويجوز أن يكون معناه أنه إذا كان يوم القيامة صارت كذلك، وهذا هو الصحيح، وقوله: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨﴾ [المعارج آية: ٨]، أي: تصير[١].

الرابع: قراءته تفسيره، قال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥٤ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ [مريم الآيتان: ٥٤ - ٥٥]، وقوله: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف آية: ٧٩]، وإذا جاء قبل كان حرف نفي كانا بمعنى لا ينبغي وهو، قوله: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ [مريم آية: ٣٥]، أي: لا ينبغي له ذلك، لأنه مستغن عنه، وكذلك قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ [النساء آية: ٩٢]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ [آل عمران آية: ١٦١].

كبير[٢]

أصل الصغر والكبر النقصان عن المعادلة والزيادة عليها، ويقال الله[٣] كبير من جهة العظمة، ولا يقال له[٤]: أنه صغير ولا قليل من جهة أنه واحد؛ لأن الأصل في القليل أنه أنقص من غيره، والصغير ما هو أصغر من غيره، وهذا إنما يكون إذا كان غيره أكبر منه وأكثر.

ويجوز أن يكون الكبير في أسماء الله تعالى بمعنى أنه سيد مالك الأشياء؛ لأن سيد القوم كبيرهم، ويجوز أن يسمى بذلك؛ لأنه لا مثل له، وكذلك تسميتنا بأنه عظيم وجليل.

وأصل الصفة بكبير كبر الشخص ثم استعمل في كبر الشأن، والكبير الشأن هو الممتنع من مساواة غيره بتضعيف أو غيره، وذلك أن صفاته في أعلى مراتب التعظيم، فيستحيل مساواتها الأصغر على وجه من الوجوه، وهذه صفة الله.

والكبير الشخص، هو الذي يمكن مساواته للأصغر بالتجزئة، ويمكن مساواة الأصغر له بالتضعيف، والصفة على هذا المعنى لا تجوز على الله، ويذكر الشأن في صفاته؛ لأنه يظهر به امتناع المساواة واستعماله على المجاز، والله لم يزل كبيرا وأكبر من كل كبير؛ لأنه يمتنع مساواة كبير غيره له، ونظير الصفة تكبير عظيم، والعظيم الشخص، يمكن مساواة غيره له بالتضعيف.

---

(١) أسقط الثالث من جميع النسخ، وانتقل إلى الرابع مباشرة.

(٢) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٨٠.

(٣) في ت: لله.

(٤) في ت: أنه.

ولا يصح في الجليل؛ لأنه غلب عليه المدح، والعظيم الشأن مثل الكبير الشأن، لا يجوز مساواة غيره له، والكبير في السن والشخص والشرف بالعلم يمكن مساواة الصغير له؛ إما في السن فيتضاعف مدة البقاء، وإما في الشرف بالعلم فباكتساب مثل ذلك العلم، والكبير الشأن لا يمكن بمساواة الصغير الشأن له؛ كفضيلة النبي بالنبوة لا يمكن أن يساويه في فضلها إنسان، وكبر الشيء معظمه، وقرئ في: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ [النور آية: ١١]، أي: معظم هذا الإفك، ومنه الكبر من السن؛ لأن صاحبه يعظم في الصدور، فأما الكبر فأعجمي.

والكبير و ما يتشعب منه في القرآن على ثمانية أوجه:

الأول: الشديد، قال الله: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان آية: ١٩]، قال: ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء آية: ٤]، كل ذلك بمعنى شديد كذا قيل، ونحن نقول: أن حقيقة الشدة والكبر في الأعراض إنما هي الزيادة في المقدار، فقولك: علا علوا شديدا أو كبيرا أي: علوا زائدا(١) على علو من هو في درجته أو من جنسه أو ما أشبه هذا.

الثاني: المسن، قال: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص آية: ٢٣]، قال(٢): ﴿أَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ [البقرة آية: ٢٦٦].

الثالث: الزيادة في العلم والفهم، قال: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ [طه آية: ٧١]، أي: أعلمكم وأفهمكم، ومثله قال: ﴿كَبِيرُهُمْ﴾ [يوسف آية: ٨٠، الأنبياء: ٦٣]، أي: أفضلهم رأيا، ولم يعن أكبرهم سنا هكذا قيل، ويجوز عندنا أن يكون أراد أكبرهم في السن.

الرابع: بمعنى الكثير، قال الله: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ [التوبة آية: ١٢١]، وقوله: ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾ [البقرة آية: ٢٨٢]، أي: مالا قليلا أو كثيرا، ويجوز أن يكون أراد صغيرا أو كبيرا في القدر.

الخامس: الكبير في أسماء الله تعالى، ومعناه الذي تقدم وهو قوله: ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد آية: ٩]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء آية: ٣٤]، والمتعال الذي يتضاعف ما يستحقه من علو الصفات، ولم يزل الله متعاليا على هذا المعنى، وكل شيء نسب إلى العلو، وهو معظم الشأن، لأن

---

(١) في ت: أبدا.

(٢) في ت: وقوله.

العالي ينال ولا ينال، ويوصف الله بالتعالي أيضا على وجه آخر، وهو أنه يتضاعف ما تنزه به عن صفات النقص، نحو قوله تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٩٢﴾ [المؤمنون آية: ٩٢]، ولا يقال: الله رفيع؛ لأن الرفيع مختص بعلو المكان والعلي مشترك بين علو المكان وعلو الشأن، ومن جهة القدر والاقتدار، وفي الرفع أيضا معنى الزوال، رفعته أي: أزلته إلى فوق، ومنه يقال: ارتفع الشيء إذا زال وذهب، وقال بعضهم: العلي هو الجليل بما يستحق من ارتفاع معاني الصفات.

السادس: الكبرياء وهو بمعنى الغلبة والسلطان، قال الله: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس آية: ٧٨]، يعني: السلطان والملك والغلبة، وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الجاثية آية: ٣٧]، يعني: الملك والسلطان.

السابع: كبر ثقل، قال الله: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ [الأنعام آية: ٣٥]، أي: ثقل، وحقيقة المراد به أنه ينال منك منال الحمل الثقيل من حامله، وذلك أن الكبير في أكثر الحال ثقيل.

الثامن: من الطويل، قال: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك آية: ٩]، قالوا معناه الطويل واستعمال الطول والكبر والثقل والعظم في الإعراض توسع إلا أن أستعمال بعض هذه الصفات في بعض الإعراض أشهر، فلهذا قالوا: أن الكبر في الضلال بمعنى الطول، والمراد أنه ضلال يستمر صاحبه عليه ولا يفارقه.

كذب

أصل الكذب الترك(١)، ومنه قيل: كذب في الحرب إذا ترك الحملة، وكذب الرجل في قوله، إذا ترك العمل بما قاله.

---

(١) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (كذب) الكاف والذال والباء أصلٌ صحيح يدلُّ على خلاف الصِّدق. وتلخيصه أنَّه لا يبلُغ نهايةَ الكلام في الصِّدق. من ذلك الكَذِب خِلاف الصِّدق. كَذَب كَذِباً. وكذّبت فلاناً: نسبته إلى الكذب، وأكذبتُه: وجدتُه كاذباً. ورجل كَذّابٌ وكُذَبَةٌ. ثم يقال: حَمَلَ فلانٌ ثم كَذَبَ وكذّب، أي لم يصدُق في الحَمْلة. وقال أبو دُواد:

قلتُ لمَّا نَصَلا من قُنَّةٍ   كَذَبَ العَيْرُ وإن كان بَرَحْ

وزعموا أنّه يقال كَذَب لبنُ الناقة: ذهب. وفيه نظر، وقياسُه صحيح. ويقولون ما كذَّبَ فلانٌ أن فَعَل كذا، أي ما لبث، وكلٌّ هذا من أصلٍ واحد. فأمّا قول العرب: كَذَبَ عليكَ كذا، وكذبَكَ كذا، بمعنى الإغراء، أي عليك به، أو قد وجب عليك، كما جاء في الحديث: "كَذَبَ عليكم الحَجُّ"، أي وجب فكذا جاء عن العرب. ويُنشِدون في ذلك شعراً كثيراً منه قوله:

وكذبت الرجل بالتخفيف، أخبرته بكذب، وكذبته بالتشديد أخبرت بأنه كاذب، والمشكل في هذا الباب قوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأنعام آية: ٢٤].

ولا يجوز أن يكون في الآخرة كذب؛ لأن أهلها ملجأون إلى ترك القبيح، ولو لم يكونوا كذلك لكان القبيح قد[1] أبيح لهم.

وإنما المراد أنهم، يقولون في الآخرة: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام آية: ٢٣]، أي: عند أنفسنا في الدنيا.

وقال: ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأنعام آية: ٢٤] في الدنيا، بقولهم: إنهم مصيبون فيما يشركون، وليس هذا خبرا عن الآخرة، وقيل: كذبهم على أنفسهم هو جحدهم على جهة النسيان، وإنكارهم لما كانوا عليه في الدنيا.

وجاء لفظ كذب في القرآن على وجهين:

الأول[2]: الجحد، قال: ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [الليل آية: ٩]، أي: جحد الجنة، وقوله: ﴿كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ ، أي: جحد وأعرض، وقوله: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾ [المطففين آية: ١٢].

الثاني[3]: تكذيب الرسول، وهو القول بأنه كاذب، قال الله: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الأنعام آية: ٣٤]، ومثله كثير.

وأما قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ [الأنعام آية: ٣٣]، فمعناه أنهم لا يكذبونك ولكنهم يكذبونني لأني أنا المخبر لك، وقيل: ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ [الأنعام آية: ٣٣]، بحجة، بل هو جحد ومكابرة.

وقيل: المراد أنهم لا يقدرون أن يقولوا لك فيما أنبأتهم به مما في كتبهم؛ إنك كاذب فيه، ويجوز أن يكون المراد أنهم لا يكذبونك بقلوبهم، ولكن يجحدون أمرك بألسنتهم، وقرئ لا يكذبونك، أي: لا يصادفونك كاذبا فيما أخبرت به عن المذكور في كتبهم.

= وذُبْيـانيَّـةٍ وصَّـتْ بـنـيـهـا ... بـأن كَـذَبَ الـقَـرَاطِـفُ والـقُـرُوف

وقول الآخر:

كذَبتُ عليكم أوعِدُوني وعلِّلوا ... بـي الأرضَ والأقـوامَ قِـردانَ مَـوظَـبا

وما أحسِب ملخَّصَ هذا وأظنُّه إلّا من الكلام الذي درجَ ودرجَ أهلُه ومن كان يعلمه.

(١) في ت: حتى. (٢) في ت: أحدهما.

(٣) في ت: والثاني.

ويجوز أن يكون لا يصادقونك كاذبا إذا نظروا في أمرك حق النظر، وأكذبت الرجل صادفته كاذبا، وأبخلته صادفته بخيلا، وقيل: ﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩﴾ [الليل آية: ٩]، أي: قصر به، والعرب تقول كذب الرجل في الحرب إذا ترك الحملة.

الكريم(١)

أصل الكرم الشرف والفضل، ومنه سمي الكرم لفضله على غيره من الشجر، والكرم أيضا قلادة معروفة تشبه خرزها بورق الكرم، ثم جاء الكرم بمعنى العز، قالوا: هو أكرم علينا، أي: أعز، وتسمية الله تعالى بأنه كريم يعني: أنه عزيز من صفات ذاته، وقد يكون أيضا بمعنى الجواد المفضال، فيكون من صفات فعله.

والكريم وما يتصرف منه في القرآن على سبعة أوجه:

الأول(٢): أن يكون بمعنى الأفضل، قال الله: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات آية: ١٣]، وفي قوله: ﴿كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء آية: ٧٠]، أي: فضلناهم على غيرهم من الحيوان، وقال حكاية عن إبليس: ﴿أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء آية: ٦٢]، أي: فضلت، وقال: ﴿[إِذَا مَا](٣) ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾ [الفجر آية: ١٥]، أي: فضله.

الثاني: الشرف، قال الله: ﴿وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾ [النساء آية: ٣١]، أي: شريفا قرئ ندخلكم(٤) من أدخل، وما كان من أفعل فإنه يجيء فيه مفعل، وقرئ مدخلا، وهو من دخل مدخلا، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ۝٥١﴾ [الدخان آية: ٥١]، إذا جعلته من قام فتحته، وإذا جعلته من أقام ضممته، ويجوز أن يكون المدخل موضع الإدخال، والمراد به الجنة، كما قال تعالى: ﴿أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا﴾ [المؤمنون آية: ٢٩].

الثالث: الصفوح، قال الله: ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ﴾ [النمل آية: ٤٠].

الرابع: العزيز، قال الله: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الانفطار آية: ٦]، أي: العزيز الذي لا يغلب ولا يفوته شيء، فما الذي غرك به فعصيته.

الخامس: الكثير، قال الله: ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾، قالوا: هو كثير، ويجوز أن يكون معناه أنه يأتي صاحبه من غير امتهان، والمراد كريم صاحبه.

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٠٨.

(٢) في ت: أولها.

(٣) سقط من: ت.

(٤) في ت: مدخلا.

السادس: الحسن، قال: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ﴾ [لقمان آية: ١٠]، أي: حسن، وهو مثل قوله: ﴿مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾ [الحج آية: ٥، ق: ٧]، ومثله: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا﴾ [الإسراء آية: ٢٣]، أي: حسنا.

السابع: الجواد، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ [الدخان آية: ٤٩]، أي: كنت كذلك في الدنيا كذا قيل، ويجوز أن يكون معناه أنك كنت كذلك عند نفسك، وروي أنه قال: " أنا أعز أهل الوادي وأكرمهم، فقال الله له في جهنم إنك أنت القائل هذا"، ويجوز أن يكون المعنى أن ملائكته يقولون له ذلك، وقيل: أراد إنك الذليل المهين، ومعنى ذلك أنه أهل للذل والهوان لكفره.

الكلمة

اشتقاق الكلمة من الكلم، وهو الجرح لأن تأثير الحروف في مخارجها وفي السمع كتأثير الجرح في المجروح، وإن كانت أثارها أخفى، وتقارب المعاني وتشابهها بحيث تتقارب الألفاظ، فإذا قلت: كلمته تكليما، فإنما[١] أدخلت التشديد في الفعل لتدل على تكرير الفعل، ألا ترى أن الكلمة الواحدة أقل الكلام.

وهى لا تخلو من حروف وحركات، وكان[٢] كل واحد من ذلك كلمه من الكلوم، لأنها أثر بعد أثر تقع في مخارج الحروف وفي السمع، فلذلك قيل: كلمته تكليما، وقد يجوز كلمته كلاما؛ لأنه يعلم أنه لا يكون مصدر كلمته إلا التكليم، ولا مصدر تكلمت إلا التكلم[٣]، وإن كلاما إنما ناب عن ذلك وقام مقامه، وإن كان على غير لفظ الفعل، لأنهم لم يستعملوا الفعل منه بغير تشديد ما لم تحل الكلمة، وإن قل عدد حروفها من التكرير؛ ولأنهم كرهوا التباس هذا الفعل ما هو من الجرح أيضا.

والكلمة في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول[٤]: الخبر، قال الله: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ [يونس آية: ١٩]، أي: لولا الخبر السابق بأن الاستئصال لا ينزل بهذه الأمة لأنزلته بها.

الثاني: قوله تعالى: ﴿لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾ [الكهف آية: ١٠٩]، قيل: يعني: مقدوراته، وقيل: نعمه وعطاياه، وعندنا أنه أراد بكلماته وعده لأهل

---

(١) في ت: فإذا.
(٢) في ت: فكان.
(٣) في ت: للتكلم.
(٤) في ت: أحدها.

الجنة ووعده لأهل النار، وهو مثل قوله: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف آية: ٢٧، الأنعام: ١١٥]، والمراد أنه لو يفعل ما وعد به أهل الجنة وأوعد به أهل النار حالا بعد حال، فيما يستقبل وكتب ذلك بما في البحر، وقد جعله مدادا وزاد عليه في مثله لنفد قبل نفاد ذلك، وإنما أراد الإخبار عن كثرة ما أعده للفريقين، وقيل: كلماته معلوماته ما خلق، وما يريد أن يخلق والجملة أنه لم يرد الموجود، وإنما يريد ما يستأنف، لأن ما حصل في الوجود معروف قدره.

الثالث: قوله: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النساء آية: ١٧١]، قيل: أراد أمره، والمعنى عندي يرجع إلى الخلق، أي: خلقه في رحمها من غير ذكر، وسمي في رحمها من غير ذكر وسمي ليس أيضا في موضع آخر كلمة، وهو قوله: ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ [آل عمران آية: ٤٥]، وذلك أن الناس ينتفعون به كما ينتفعون بكلام الله، ويجوز أن تكون الكلمة هنا من، قوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ ، وهو راجع إلى الخلق على ما ذكرنا، ويجوز أن تكون كلمته ألقاها، أي: بشارته ألقاها إلى مريم على لسان ملك، كما قال لنا: ﴿سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل آية: ٥]، وقيل ألقاها عليها أي: خلقه في بطنها، وكان الله أخبر به في الكتب المتقدمة، فلما ولد من غير ذكر، قال الله لها: أن تلك الكلمة، أي: المعنى بالكلمة، وأما الكلمات في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ [البقرة آية: ١٢٤]، فمعناه[1] أمره إياه وابتلاؤه بها تكليفه إياه طاعته فيها وسمي التكليف ابتلاء على مقتضى العرف، وذلك إنا لا نعرف ما يأتي الرجل منا، وما نذر حتى يكلفه، والله عالم بنفسه غير محتاج إلى اجتلاب العلم بالابتلاء ولكنه على ما ذكرته.

(١) في ت: فمعناها.

الباب الثالث والعشرون

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله لام

اللباس(1)

اللباس واللبس: ما يلبس واللبس المصدر(2)، وسمي(3) الخلط لبسا لأن وجه الصواب مستمر معه، وأصل اللبس الستر، واللبوس مثل اللباس، قال الشاعر:

لُـبُـوسًـا ومَـطْـعَـمَـا

وجاء في القرآن بمعنى الدرع، وهو قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء آية: ٨٠].

واللباس في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول(4): قوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة آية: ١٨٧]، جاء في التفسير أنهن سكن لكم، وأنتم سكن لهن، وقيل: معناه أن الرجل والمرأة يتضامان فيصير كل واحد منهما بمنزلة اللباس للآخر، ومن الأول قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾ [النبأ آية: ١٠]، أي: سكنا.

الثاني: الثبات، قال الله: ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ﴾ [الأعراف آية:

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٤٣.

(٢) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (لبس) اللام والباء والسين أصلٌ صحيح واحد، يدلُّ على مخالَطة ومداخَلة. من ذلك لَبِسْتُ الثَّوبَ أَلْبَسُه، وهو الأصل، ومنه تتفرَّع الفروع. واللَّبْس: اختلاط الأمر؛ يقال لَبَسْتُ عليه الأمرَ أَلْبِسُه بكسرها. قال الله تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام ٩]. وفي الأمر لُبْسَةٌ، أي لَيْسَ بواضح واللَّبْس: اختلاط الظَّلام ويقال: لابست الأمرَ أُلابِسُه. ومن الباب: اللباس، وهي امرأة الرَّجُل؛ والزَّوجُ لِباسُها. قال الجعديّ:

إذا مـا الـضَّـجـيـعُ ثَـنَـى جِـيـدَهـا   تـداعَـتْ فـكـانـت عـلـيـه لـبـاسـا

واللَّبُوس: كلُّ ما يُلبَس من ثياب ودِرع. ولابَسْتُ الرّجلَ حتَّى عَرفْت باطنَه. ويستعار هذا فيقال: فيه مَلْبَسٌ، أي مُستمتَعٌ وبقيَّة. قال:

ألا إنَّ بـعـد الـعُـدْم لـلـمـرء قُـنْـوةً   وبـعـدَ الـمـشـيـب طـولَ عُـمـرٍ ومـلـبَـسـا

ولِبْسُ الهودج والكعبة: ما عليهما من لِباسٍ، بكسر اللام..

(٣) في ت: يسمى.   (٤) في ت: أولها.

٢٦]، ومعنى قوله: ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة آية: ٢٦]، أعطيناكم، كما قال: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد آية: ٢٦]، والحديد إنما يستتار من الأرض، وعبر عن الإعطاء بالإنزال، كما يعبر عن الجعل بالرفع، فتقول: رفعنا أمرنا إلى الوالي، وقيل: إنما قال: ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ [الأعراف آية: ٢٦]، لأن أصول اللباس ينبت كماء السماء، وقيل: بذرة كان من السماء.

الثالث: قوله: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الأعراف آية: ٢٦]، قالوا معناه: العمل الصالح، وهو على هذا التاويل مرتفع على الابتداء، وذلك من صفته، وقيل معناه أن ستر العورة لباس المتقين، وقيل: رفع بإضمار هو والمعنى، ولباس التقوى وهو خير، وقيل: لباس التقوى اللباس الخشن الذي يلبسه من يختار العبادة، وأشير به إلى الصوف، وبالأول إلى الكتان والقطن، وقيل: هو لباس الصلاة، لأن الصلاة أحق ما يسمى بالتقوى، وقيل: أنزلنا عليكم الوحي الذي فيه لباس التقوى، ولباس التقوى على هذين التأويلين منصوب، وقال ابن الكلبي: لباس التقوى العفاف؛ لأن المؤمن لا تبدو عورته وإن كان عاريا، والفاجر لا يزال تبدو عورته وإن كان كاسيا، وذكر اللباس هاهنا الذكر عن بني آدم.

لولا(١)

لولا كلمتان يعدهما النحويون من حروف الرفع على المسامحة، وإنما يرتفع ما بعدهما على الابتداء(٢) وضم لا إلى لو للمعنى الحادث بينهما، وهو الدلالة على الشيء لا يقع من أجل غيره، كقولك: لولا زيد لخرجنا، فزيد مبتدأ لم يعمل فيه لو ولا لا، وأما قولهم لولاك فغير جائز عند المحققين.

والصواب لولا أنت لكان كذا على الابتداء والخبر، فإذا قلت: لولا زيد تأخذه، فزيد منتصب بفعل مضمر، والظاهر تفسير، ويسمى هذا تحضيضا، والتحضيض توكيد الأمر والمعنى، لولا تأخذ زيدا تأخذه، وقال القتبي: لولا تكون في بعض الأحوال بمعنى هلا، وذلك إذا رأيتها بغير جواب تقول: لولا فعلت كذا تريد هلا، قال الشاعر:

تعدون عقر البيت أفضل مجدكم ... بني ضوء طري لولا الكمي المقنعا

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٥٧.

(٢) في ت: ابتداء.

يريد ولا[١] تعدون الكمي المقنع، فإذا رأيت لولا جوابا كقوله: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ﴾ [الصافات الآيتان: ١٤٣-١٤٤]، فهي التي تكون لأمر لا يقع لوقوع غيره.

وجاء في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول[٢]: على قول بعض المفسرين بمعنى لم، وهو قوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ [يونس آية: ٩٨]، معناه[٣] أنهم لم يؤمنوا يعني: أهل القرية، ثم استثنى قوم يونس بالنصب على الانقطاع مما قبله؛ ألا ترى أن ما بعد إلا في الجحد يتبع ما قبلها، فيقول: ما قام أحد إلا زيد، وإذا قلت: ما فيها أحد إلا كلبا وحمارا نصبت؛ لأنهما منقطعان عما قبل، إلا وكذلك قوم يونس منقطعون من قوم غيره من الأنبياء ممن لم ينفعه إيمانه، ولو كان الاستثناء هاهنا قد وقع على طائفة منهم لكان رفعا، وقيل: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ [يونس آية: ٩٨]، مردود إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ٩٦﴾ [يونس آية: ٩٦]، إلا قوم يونس.

ويكون على أن يؤمن أهل قرية بأسرها، حتى لا يشتد منهم أحد إلا قوم يونس، يقول: فهلا كانت القرى كذلك، وهذا الوجه أجود من الأول، وقال بعضهم: إلا هاهنا بمعنى سوى، أي: فهلا[٤] أهل قرية سوى قوم يونس آمنوا فنفعهم إيمانهم وزال عنهم العذاب، وعندنا أنهم آمنوا قبل أن يروا من العذاب ما يقع به العلم الضروري؛ بأنهم[٥] لو صاروا إلى ذلك كانوا ملجأين، والملجأ غير محمود على فعل الخير.

قال **الثاني**: بمعنى هلا، قال الله: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾ [هود آية: ١١٦]، وقوله: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾ [الأنعام آية: ٤٣]، وقوله: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ٨٦﴾ [الواقعة آية: ٨٦] وكذلك لو ما في قوله تعالى: ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [الحجر آية: ٧]، أي: هلا وهذا والأول عندنا سواء.

الثالث: التي تكون لأمر لا يقع لوقوع غيره، قال الله: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ١٤٤﴾ [الصافات الآيتان: ١٤٣-١٤٤]،

---

(١) في ت: فهلا.
(٢) في ت: أولها.
(٣) في ت: معناها.
(٤) في ت: هلا.
(٥) في ت: لأنهم.

وقيل: المسبحون المصلون، وقد ذكرناه، ويجوز أن يكون من التسبيح.

لَمَّا[1] ولِمَا

لما تكون بمعنى لم وبينهما فرق، ويدخل فيه الألف للتوكيد، وإذا كان مخففا كان بمعنى إلا، فالذي هو بمعنى لم، قوله: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ [ص آية: ٨]، والمخفف الذي يكون دخوله بمعنى إلا، وقوله: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يس آية: ٣٢]، وقوله: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾ [الطارق آية: ٤]، أي ما كل نفس إلا عليها حافظ، وهي لغة لهذيل، والمشدد أيضا بمعنى حين، قال الله: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف آية: ٥٥]، وفي المخفف وجه آخر.

قال سيبويه: سألت الخليل عن قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [آل عمران آية: ٨١] إلى قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ [آل عمران آية: ٨١]، فقال: ما هنا بمنزلة الذي، ودخلتها اللام كما دخلت على أن حين قلت: لمن[2] فعلت؟ لأفعلن، ودخلت على نية اليمين[3]، واللام[4] الثانية للجواب؛ كقوله: ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف آية: ١٨].

وقال الكسائي: هو على مذهب الجزاء، قال الله: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [آل عمران آية: ٨١]، جواب لقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ [آل عمران آية: ٨١].

وقال الفراء: قرئ: ﴿لِمَا آتَيْتُكُم﴾ [آل عمران آية: ٨١]، بكسر اللام، والمراد[5] إذ أخذت ميثاقكم بهذا الكلام، يعني: قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران آية: ٨١]. والفرق بين لما ولم أن لما يوقف عليها نحو قد جاء زيد، فتقول: لما، أي: لم يجيء، ولا يجوز ذلك في لم وفي كلامهم كاد ولما، أي: كاد يفعل ولم يفعل، ولما جواب قد فعل[6] ولم جواب فعل، لأن قد للتوقيع. قال سيبويه: ليست ما في لما زائدة، لأن لما تقع في مواضع لا يقع فيها لم؛ فإذا قال القائل: لم يأتني زيد فهو نفي لقوله: أتاني وإذ[7] قال: لما يأتني فمعناه أنه لم يأت وأنا متوقعه.

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٥٨.

(٢) في ت: لئن.

(٣) في ت: البر.

(٤) في ت: فاللام.

(٥) في ت: فالمراد.

(٦) في ت: جعل.

(٧) في ت: إذا.

اللغو[١]

أصل اللغو الصوت، وسواء كان له معنى أو لم يكن بمعنى، ثم سمي ما يتكلم به كل[٢] جيل لغة، وأصلها لغوة، كما قيل: أن[٣] بك قدة، والأصل قدوة ومثال هذا كثير، ثم قالوا: لغو الطائر ثم لما رأوا ذلك صوتا لا معنى له، جعلوه أصلا في كل شيء لا معنى له، فقالوا: لغا فلان يلغو؛ إذا تكلم بكلام لا معنى له، ومنه قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ [فصلت آية: ٢٦]، أي: عارضوه بكلام لا معنى له لتشغلوه به عن قرأته؛ ثم سموا المسقط الملغي لغوا؛ لأنه في سبب ما لا معنى له، وقيل: ألغيت الشيء إذا أسقطته، وقال جرير:

ويذهب بينها المري لغوا ... كما ألغيت في الدية الحوارا

ثم سموا الباطل لغوا تشبيها بالمسقط الملغي[٤]؛ لأن الباطل يسقط مع الحق؛ فلا يكون له ثبات، ويقال للفحش لغو؛ لأنه ساقط من الكلام مطرح لا يلتفت إليه، ويقال: هو لغو ولغا، وقيل: اللغو في اليمين؛ لأنه لا إثم فيه، فكأنه ساقط لا معنى له، ويجوز أن تكون اللغة من قولهم لغى الشيء[٥] يلغي إذا يعلو به فأما اللهجة فهي من قولهم: لهجت بالشيء إذا لزمته.

واللغو في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول[٦]: اللغو في اليمين، قال الله: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة آية: ٢٢٥] قالوا: هو قول[٧] لا والله، ويلي والله مما يقوله الرجل ولا يعتمده، وقيل: هي[٨] اليمين الكاذبة التي يرى صاحبها أنه صادق فيها، وليس فيها كفارة ولا إثم، وقال سعيد بن جبير: اللغو أن يحلف الرجل على الحرام؛ فلا يؤاخذه الله بتركه، وهذا موافق لتأويل من تأول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة آية: ٢٢٤]، هو أن يمتنع باليمين عن فعل مباح أو[٩] يقدم على فعل محظور، وعند الكوفيين: أن الغموس لا كفارة فيها، لأنها يمين و لا يترقب برها ولا حنثها فهي

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٦٩.
(٢) في ت: على.
(٣) في ت: لي.
(٤) في ت: المبلغ.
(٥) في ت: بالشيء.
(٦) في ت: أولها.
(٧) في ت: القول.
(٨) في ت: في.
(٩) في ت: و.

كاللغو، والمؤاخذة المعاقبة، ويقال: لا آخذك الله أي: لا عاقبك.

الثاني: الباطل، قال الله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون آية: ٣]، وقال: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ [الفرقان آية: ٧٢]، أي: بالباطل، وقيل: يراد باللغو هاهنا جميع ما يلغى أي: يطرح، وقيل: أراد أنهم إذا ذكروا النكاح كبوا[١] عنه، وقوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ﴾ [القصص آية: ٥٥]، وقيل: يعنى به هاهنا الكفر.

الثالث: مكروه الكلام، قال: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١﴾ [الغاشية آية: ١١]، : ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥﴾ [الواقعة آية: ٢٥]، واللاغية مصدر مثل العافية، والعاقبة.

اللام المكسورة[٢]

أجمع أهل العربية أن الحروف حقها البناء على السكون؛ فإذا وقع الحرف أولا امتنع النطق به ساكنا؛ فاضطر الناطق إلى حركتها فحركت كلها بالفتح؛ لأنه أخف الحركات إلا حرفين: الباء واللام، فقيل: مررت بزيد؛ وهذا لزيد فأما الباء فعلة كسرها إنها لا تنتقل عن باب الجر إلى غيره، فألزم الكسر لأن عملها الكسر؛ ولأنها لا تتغير عن حالها كما تتغير اللام والكاف، وذلك أن اللام قد تكون توكيدا والكاف تكون اسما وحرفا وكونها اسما، قال الشاعر:

وَصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤَثْفَيْنَ

فالكاف الثانية اسم لدخول الكاف الأولى عليه؛ لأن الحرف لا يدخل على الحرف فألزم الباء الكسر لما فارقت أخواتها؛ وأما لام الجر فإنها كسرت إزالة الالتباس، وذلك إنك لو قلت: إن هذا لزيد ففتحت اللام لم يعرف ليزيد التوكيد والتمليك؛ ألا تراهم لما ارتفع الالتباس في المضمر فنحوها، فقالوا: هذا لك وله.

واللام المكسورة في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول[٣]: بمعنى كي، قال الله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [يس آية: ٦]، أي: كي تنذرهم.

---

(١) في ت: كنفا.

(٢) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٣٠٢.

(٣) في ت: أولها.

الثاني: بمعنى أن، قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران آية: ١٧٩]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ [الأنفال آية: ٣٣]، وقوله: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [إبراهيم آية: ٤٦]، أي: أن تزول.

قالوا **الثالث**: في موضع لأن لا، قال: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ [النحل آية: ٥٥]، أي: لأن لا تكفروا، وهو مثل قوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا﴾ [النساء آية: ١٧٦]، قيل: لأن لا تضلوا، وليس لا عند المحققين النحويين مما يحذف في هذا الموضع، وإنما المعنى في ذلك كراهة أن تضلوا، ومعنى قوله: ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ [العنكبوت الآيتان: ٦٥-٦٦]، أنهم أشركوا معنا غيرنا فعبدوه دوننا ليكفروا نعمنا عليهم، ويطرحوا شكرها وليتمتعوا في الدنيا بإطراح عبادتنا، وذلك أن العبادة فيها على النفس مشقة، فهم أطرحوها حبا للتمتع وللترفّه.

وقال بعضهم: معناه جعلوا ما رزقناهم وأنعمنا به عليهم سببا إلى الكفر، واللامات ثمانية: لام القسم، ولام الابتداء، ولام الإضافة، ولام الأمر، ولام كي، ولام الأصل[(١)]، ولام التعريف، ولام الاستغاثة، ولام القسم: لأمر لقد ولا يجوز أن تكون لام الابتداء؛ لأن لام الابتداء لا تلحق إلا الاسم، وما كان بمنزلة الاسم من الفعل المضارع في باب إن، ولام الإضافة كقوله[(٢)]: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم آية: ٤]، ولزيد الثوب، ولام الأمر كقوله: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق آية: ٧]، ولام كي مثل: ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ [الأنعام آية: ١١٣]، ولام الأصل: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾﴾ [التكاثر آية: ١]، ولام التعريف: ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة آية: ٥٣]، ولام الاستغاثة، قول الشاعر:

يَـا بَـنـي بـكـرٍ[(٣)] أبـشِـروا لـي كَـلـيـبـا

---

(١) في ت: أصل.
(٢) في ت: كقولك.
(٣) في ت: لبكر.

الباب الرابع والعشرون

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ميم

ما ومن(1)

قال أهل العربية ما ومن أصلهما واحد؛ جعلت من لمن يعقل، وما لغير من يعقل، وتجيء ما بمعنى لا، وبمعنى ليس، وبمعنى الاستفهام، وبمعنى من، وبمعنى الذي.

وهي في القرآن على هذه الوجوه كلها؛ لمجيئها(2) بمعنى لا، قوله: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [فصلت آية: ٤٣]، قيل هي: بمعنى لا، ويجوز أن تكون بمعنى لم، أي: لم يقل لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك، وكذلك: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦ﴾ [المائدة آية: ١١٧]، هي هاهنا بمعنى لم لا غير.

ومجيئها بمعنى ليس، قوله: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف آية: ٥٩]، أي: ليس لكم ذلك.

ومجيئها في لفظ الاستفهام وهو تقريع، قوله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار آية: ٦].

وتجيء بمعنى التوكيد، في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران آية: ١٥٩]، أي: فبرحمة عظيمة، لأن دخولها في هذا الموضع وأمثاله لابد أن تكون بمعنى، وليس هاهنا معنى سوى التوكيد، وتدخل بمعنى من، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥﴾ [الشمس آية: ٥]، أي: ومن بناها، والعرب تقول: سبحان ما سبح الرعد بحمده، وقيل: المراد السماء وبناؤها(3)، وكذلك: ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦﴾ [الشمس آية: ٦]، أي: وطحوها.

وتجيء بمعنى الذي، وهو قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة آية: ١٥٩]، وقوله: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنفال آية: ٥].

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص٢٥٣.

(٢) في ت: فمجيئها.

(٣) في ت: وما بناها.

وقال أبو عبيدة: مجازه مجاز اليمين، كأنه قال: الذي أخرجك ربك؛ كقوله[١]: ﴿وَمَا خَلَقَ الذكَرَ وَالأُنْثَى﴾ [الليل آية: ٣]، إنما هو الذي خلق الذكر والأنثى.

قال الفراء: جوابه: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ [الأنفال آية: ٥]، تقول فامض لأمرك في الغنائم على ما شئت كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وهم كارهون فافعل ذلك.

وقال الكسائي: قد يكون قوله: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ﴾ [الأنفال آية: ٦]، هو والجواب فمجادلتهم الآن كما أخرجك ربك من بيتك بالحق، ومرادنا فيما ذكرناه من أن ما يجيء بمعنى لا وبمعنى ليس وغير ذلك إنها تقع موقع ذلك، ويفيد فائدة ليس إن معنى ما معنى ليس وغيره مما ذكرناه.

المس[٢]

أصل المس اللصوق، مسسته بيدي ثم قيل على وجه التمثيل مسه الضر، وقيل: مسه النار، ومس الرجل المرأة إذا جامعها، والمس الجنون، ورجل ممسوس مجنون، وما مسوس نالته الأيدي، والفرق بين المس واللمس، أن اللمس يكون باليد لتعرف الخشونة أو اللين أو غير ذلك، ويكون المس باليد والحجر وغيره، وقد ذكرنا[٣] ذلك.

والمس في القرآن على أربعة أوجه:

الأول[٤]: الجماع، قال الله: ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [الأحزاب آية: ٤٩]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾ [آل عمران آية: ٤٧]، وإنما سمي الجماع مسا؛ لأنه مع المس يكون.

الثاني: الإصابة، قال الله: ﴿مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ [الأعراف آية: ٩٥]، أي: أصابتهم الشدة والرخاء؛ فجعل المس هنا موضع الإصابة؛ ليدل على قصر مدة ما أصابهم من ذلك، وتعرف به أن مدة المكروه والمحبوب في الدنيا قصيرة، وقال: ﴿مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص آية: ٤١]، وقال: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ [الحجر آية: ٤٨].

---

(١) في ت: لقوله.

(٢) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٥٦.

(٣) في ت: ذكرناه. (٤) في ت: أولها.

الثالث: الجنون، قال الله: ﴿يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة آية: ٢٧٥].

الرابع: المس بالجارحة، قال الله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة آية: ٧٩]، أراد بالمطهرين الملائكة، وهو التطهير من الذنوب، وقيل: لفظه لفظ خبر، ومعناه النهي، أي: لا يمسه إلا ظاهر.

المعروف[1]

قد ذكرنا أصله، وهي[2] في القرآن على أربعة أوجه:

الأول[3]: القدر المستحق بحق الولاية، قال الله: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء آية: ٦]، أي: من كان غنيا من أولياء اليتامى فليستغن بماله عن مال اليتيم، ولا يتناول منه شيئا، ومن كان فقيرا فليأخذ منه القدر الذي يستحقه بقيامه عليه من غير تجاوز له.

وقال بعضهم: يأخذ منه القليل على جهة القرض، قال: والمعروف هاهنا القرض، وكذلك في قوله: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء آية: ١١٤]، أي: بصدقة أو قرض.

قال أبو علي رضي الله عنه: له في المال القليل أجره مثله من غير تجاوز، وليس له في المال الكبير أجره مثله؛ لأنها تكون أكثر من نفقته ونفقة عياله، والله تعالى جعل له الأكل بالمعروف؛ فإن كان أكله بالمعروف أكثر[4] من أجره مثله لم يحل له ذلك، وهذه الآية و هي الأصل في الحجر على المفسد لما له؛ لأن اليتيم إذا بلغ ولم يؤنس رشده؛ منع من التصرف في ماله فغيره ممن يجري مجراه في إفساد ماله مثله.

الثاني: التزين، قال الله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة آية: ٢٣٤]، أي: إذا بلغن انقضاء عدتهن؛ فلا إثم عليكم في تركهن والتزين والتطيب وطلب الأزواج من وجه يحسن ويؤلف ولا ينكر وكل ما كان حسنا مألوفا فهو معروف.

الثالث: القول الحسن، قال الله: ﴿وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء آية: ٥]، أي: أعطوهم ما يعطونهم إياه وعدوهم بعد ذلك وعدا حسنا جميلا، أراد أن

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٩٤.

(٢) في ت: وهو.

(٣) في ت: أولها.

(٤) في ت: أكثر.

أعطوهم في لين وحسن قول من غير انتهاز وهذا على وجه الترغيب دون الإيجاب؛ وإن كان اللفظ لفظ أمر، ومثله قوله: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾ [الحج آية: ٧٧]، وليس ذوو القربى هاهنا بالورّاث.

والشاهد أنه قربهم باليتامى والمساكين، وقال بعضهم: نسخ أمر المشركين الفرض في القسمة وإباحة الثلث للميت يجعله حيث يريد، ونحن نقول: أن النسخ لا يكون في النوافل، وإنما هو في الفروض، وقوله: ﴿لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗاۚ﴾ [البقرة آية: ٢٣٥]، والمعنى إباحة التعريض للمرأة المعتدة بالنكاح دون التصريح.

الرابع: قدر الإمكان من نفقة العدة، قال: ﴿وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ﴾ [البقرة آية: ٢١٤]، يعني: نفقة العدة، وهو حق على المتقي وغير المتقي، ولكنه خص المتقين تشريفا لهم، وقد تكلمنا في هذه الآية ما فيه كفاية.

من[1]

قال النحويون: من تدخل لابتداء الغاية، وهو قولك: سرت من البصرة، فأعلمت أن ابتداء سيرك كان منها، وقولك: من فلان إلى فلان، قال: وأخذت منه درهما، وسمعت منه حديثا، أي: هو أول هذا الذكر.

وتدخل للتبعيض في قولك: أكلت من طعامك، وأخذت من مالك، وقيل: معنى ذلك أنه جعل ماله ابتداء غاية ما أخذ منه، فدل على التبعيض من حيث صار ما بقي إمهاله والأصل واحد.

قال المبرد: وتكون لإضافة الأنواع إلى الأسماء؛ كقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ [المائدة آية: ٩٠]، وقوله: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ [الحج آية: ٣٠]، والرجس يجمع الأوثان وغيرها؛ فإذا قلت: من الأوثان وغيرها فإنما[2] معناه الذي ابتداؤه من هذا الصنف، قال: وكذلك قول سيبويه: هذا باب علم ما الكلم من العربية؛ لأن الكلام يكون عجميا وعربيا فأضاف النوع إلى اسمه الذي يبين فيه[3]، وهو العربية، وقيل: لما كان في الوثن رجس وغير رجس، قال: من الأوثان فحرم الرجس منها، وهو عبادتها، ولم

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٩١.
(٢) في ت: فأما. (٣) في ت: به.

يحرم أجسامها، ودخلت[١] من على هذا التقدير، وقالوا: يكون دخولها كسقوطها[٢] في قولك: ما جاءني من أحد[٣].

وقول الله: ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة آية: ١٠٥]، وعند المحققين من النحاة إنها هاهنا ليست زيادة؛ لأن الزيادة في الكلام من غير فائدة عيب، ولمن هاهنا معنى صحيح، وهو أنك إذا قلت: ما جاءني أحد فجاز أن تكون أحد هاهنا بمعنى واحد، وجاز أن تكون أحد الذي هو بمعنى الجنس؛ فإذا دخل من زال اللبس فصار المعنى من الناس كلهم؛ إذا كانوا واحدا واحدا، وإذا لم يدخل من جاز، لأن لا يجيئه واحد ويجيئه اثنان فما[٤] فوق.

وقال ابن درستويه: إنما أفادت هاهنا أنه لم يجيئه من هذا الجنس شيء، وإذا لم تدخل من، كان المعنى أنه لم يجئه هذا الجنس كله، ولما كان بمعنى التنكير في الوجهين، والعموم موجود ظنوا أن من لا معنى لها.

وجاء في القرآن على أربعة أوجه فيما قيل:

الأول[٥]: مجيئه بمعنى الباء، قال: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ﴾ [غافر آية: ١٥]، وقال[٦]: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ [الرعد آية: ١١].

الثاني: بمعنى في، قال الله: ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [فاطر آية: ٤٠]، أي: في الأرض.

الثالث: بمعنى على، و قال الله: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأنبياء آية: ٧٧]، أي: عليهم، و عندنا أن ذلك يقال على المسامحة والمقاربة، فإذا[٧] أردت هذه الوجوه إلى أصل من في العربية صحت؛ فقوله: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد آية: ١١]، أي: ابتداء حفظه من ذلك، وهكذا قوله: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ﴾ [غافر آية: ١٥]، أي: أمره ابتداء الغاية، وقوله: ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [الأحقاف آية: ٤]، أي: ماذا خلقوا بعض الأرض.

الرابع: الوجه الذي ذكر أنه زيادة، وهو على ما ذكرناه، قال الله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور آية: ٣٠]، وقوله: ﴿مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾

---

(١) في ت: فدخلت.
(٢) في ت: لسقوطها.
(٣) في ت: واحد.
(٤) في ت: وما.
(٥) في ت: أولها.
(٦) في ت: وقالوا.
(٧) في ت: إذا.

[البقرة آية: ١٠٥]، وقوله: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ [يوسف آية: ١٠١]، قالوا: دخل من هاهنا لتختص هذا الملك من سائر الأشياء، وكذلك قوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [إبراهيم آية: ١٠]، وإذا كان لدخوله معنى خرج من أن تكون زيادة؛ فقوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [إبراهيم آية: ١٠]، أي: بعض ذنوبكم، وهو الذي يتولون[١] منه، وقوله: ﴿يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النور آية: ٣٠]، فإن من للتبعيض، أي: بعض أبصارهم يريد ما حرم عليهم النظر إليه، وقيل: هو للتبيين لأنه لما قال: ﴿يَغُضُّوا﴾ [النور آية: ٣٠]، احتمل أشياء كثيرة، فبين المراد بمن فقال: ﴿مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النور آية: ٣٠]، وأما قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ [النور آية: ٤٣]، بمعنى[٢] قوله: ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [النور آية: ٤٣]، أي: من جهة السماء من جبال يعني: السحاب، وهو شبيه الجبال فجعلها جبالا على التشبيه، كما تقول للشديد المقدام: أنه لأسد، أي: كالأسد، وقال فيها: ﴿مِنۢ بَرَدٍ﴾ [النور آية: ٤٣] من هنا للتبعيض، وذلك أن ما أنفع من البرد في هذا الوقت غير ما يقع في الوقت الآخر، كما يقع في هذا الوقت هو بعض البرد.

وقال المبرد: أراد من جبال في السماء وتلك الجبال من البرد وإلى نحو من ذلك، ذهب أبو علي رحمه الله.

وقال الزجاج: أراد من جبال برد، كما يقال: خاتم في يدي من حديد، والمعنى خاتم حديد في يدي، والوجه هو الذي قلناه، وقيل أيضا: من الأولى لابتداء الغاية؛ لأن ابتداء الإنزال من السماء، والثانية[٣] للتبعيض؛ لأن البرد بعض الجبال التي في السماء، والثالثة لتبيين الجنس إذا[٤] كان جنس تلك الجبال البرد.

المد[٥]

أصل المد إتباع بعض الشيء بعضا، ومنه مددت الجيش ومد الحبل ومدة الشيء وأمد الجرح؛ كأنه اتبع فسادا بفساد، ومنه مادة الشيء، وهو ما يتشعب منه.

وهو في القرآن على سبعة أوجه:

الأول[٦]: التعمير، قال الله: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة آية: ١٥]،

---

(١) في ت: يتوبون.
(٢) في ت: فمعنى.
(٣) في ت: فالثانية.
(٤) في ت: إذ.
(٥) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٢٤.
(٦) في ت: أولها.

أي: يمد لهم الأيام، وهم في ضلالهم يتحيرون، كما قال: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم آية: ٧٥]، أي: يمد له العمر، وهو في ضلاله[١] ويحسن منه ذلك؛ لأن العبد يصل اختيارا و هو قادر على الهداية.

وليس يجب على الله أن يحول بينه وبين الاستكثار من المعاصي، كما لا يحب عليه أن يحول بينها وبينه أصلا.

ويجوز أن يكون معناه أنه يمنعهم الطاعة، وفوائده التي يؤتيها المؤمنين، وذلك أن تسوية المعاصي بالمطيع مفسدة وإغراء بالازدياد من المعصية.

الثاني: الإعطاء، قال الله: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [المؤمنون آية: ٥٥]، وقال: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ [نوح آية: ١٢].

الثالث: من مدد الجيش، قال: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم﴾ [آل عمران آية: ١٢٤]، وقوله: ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ﴾ [آل عمران آية: ١٢٥]، كذا جاء في التفسير، وهذا الوجه والذي قبله سواء، ولا فرق بين أن تقول أمده بعطيه، وأمده بجيش، ويقال: أمد النهر، ومدة نهر آخر.

الرابع: البسط، قال الله: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الواقعة آية: ٣٠]، أي: مبسوط، ومنه مددت الثوب والبساط، أي: بسطته.

الخامس: الدوام، قال الله: ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم آية: ٧٩]، أي: يديمه.

السادس: الإدرار، قال الله: ﴿مَالًا مَّمْدُودًا﴾ [المدثر آية: ١٢]، أي: دارا لا تنقطع في شتاء ولا صيف.

السابع: التسوية، قال الله: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾﴾ [لانشقاق آية: ٣]، قالوا: معناه و ألقى ما على ظهرها من الجبال حتى استوت، وقيل: معناه غيرت عن هيئتها وبدلت.

المستقر[٢]

أصل الاستقرار السكون، ومنه قيل: لبطن الوادي قرار، لأن الشيء إذا صار إليه سكن، والقرة البرد، لأن الناس يسكنون معه، ويقال للشيء: يوضع في موضعه

---

(١) في ت: ضلالته.

(٢) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٣٥١.

صابت بقر؛ لأنه إذا وضع في موضعه لزمه، ولم يزايله فشبه بالساكن، ويقال: للهودج قد لثباته على ظهر البعير؛ كأنه سكن قوته، وأما قولهم: قر عليه دلوا من ماء، فليس من هذا وإنما حكوا صوت الماء عند انصبابه، وأما قرت عينه، فهو راجع إلي البرد، وهو خلاف سخنت.

والمستقر في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول: قوله: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ [الأنعام آية: ٩٨]، قالوا: المستقر أرحام النساء، والمستودع أصلاب الرجال، والمرتفع على معنى قبلكم مستقر ومستودع وقرئ فمستقر بكسر القاف، ومستودع بفتح الدال لا غير، أي: فمنكم مستقر في الرحم ومنكم مستودع في الصلب.

وقيل: مستقر في الدنيا، ومستودع في الأصلاب وقيل: مستقر في الأحياء، ومستودع في الثرى.

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود آية: ٦]، أي: حيث مستقر بالليل ومستودعها حيث[1] يموت، هكذا قيل.

وقيل: مستودعها كالولد في البطن والنطفة في الظهر، وقال: ﴿كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود آية: ٦]، أي: كتب ذلك مع أنه عالم به لما للملائكة فيه من العبر.

الثالث: المنتهى، قال الله: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [الأنعام آية: ٦٧]، أي: منتهى، وقيل: أن لأخذنا إياكم بالإيمان جريا وقسرا، مستقر أي: وقت، وسوف تعلمون في الآخرة، ومثله قوله: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس آية: ٣٨]، أي: لمنتهى لها، وهو القيامة، والمعنى أن لها أجلا تصير إليه، وقرئ لا مستقر لها، أي: هي تسير أبدا لا تستقر، وقيل: ﴿لِمُسْتَقَرٍّ﴾ أي: لا بعد مطالعها ومنازلها في الغروب، وقيل: لمقدار من السير قد استقرت عليه لا تجاوزه، وقيل: مستقرها وقوفها عن المسير في الليلة التي تطلع في صحبتها من المغرب عند دنو الساعة.

المشي[2]

أصله من الزيادة والمشاء النماء، والمشي الإسهال؛ لأنه زيادة عن الحاجة،

(١) في ت: حتى.

(٢) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٤٢.

ومشى[١] بفلان[٢] مشيا ومشوا، وهو الدواء المسهل، وقيل للماشية ماشية؛ لأن الغالب على حركتها المشي دون العدو.

والمشي في القرآن على أربعة أوجه:

الأول[٣]: مجيئه بمعنى المضي، قال: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ﴾ [البقرة آية: ٢٠]، أي: مضوا.

الثاني: بمعنى المرور، قال الله: ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ﴾ [طه آية: ١٢٨]، أي: تمرون على قراهم وترونها خرابا بعد إن كانت عامرة.

الثالث: السير، قال الله: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك آية: ١٥]، أي: سيروا، وهذه المعاني كلها متقاربة، يجوز أن يقع بعضها[٤] مقام بعض.

الرابع: النماء، قال الله: ﴿ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ﴾ [ص آية: ٦]، قال معناه: أنموا، قال الشاعر:

مثلي لا يحسن قولا فعفع والشاة لا تمشي مع الهملع

أي لا تنمو، وقيل: أراد أن بعضهم قال لبعض: امشوا أي: امضوا، واصبروا أي: انطلقوا وهم يقولون هذا القول، ويقال: مشيت الماشية مشاء، وفشت فشاء، ونمت نماء، وضنت ضناء، وأمشى أصحابها وأفشوا وأنموا وأضنوا.

المرض[٥]

أصله من الضعف، ومنه قيل: امرأة مريضة الألحاظ والنظر أي: ضعيفها، وسمي المرض مرضا؛ لأنه يضعف الجسم، ومنه قيل: مرض في القول إذا[٦] ضعف قوله، والتمريض القيام على المريض.

والمرض في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول[٧]: الغم، في قوله: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ﴾ [البقرة آية: ١٠]، أي: غمٌّ بما يرزقه من التأييد حالا بعد حال، وسمي الغم في القلب مرضا

---

(١) في ت: وسرب.
(٢) في ت: بفلان.
(٣) في ت: أولها.
(٤) في ت: بعضه.
(٥) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٣٨.
(٦) في ت: إنما.
(٧) في ت: أولها.

تشبيها بمرض الحسد، لأنه يغيره عن حاله.

الثاني: النفاق، قال الله: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب آية: ٣٢]، أي: نفاق وشك.

الثالث: المرض المعروف، قال الله: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة آية: ١٨٤]، أراد فمن كان كذلك وأفطر عليه[١] فصاعدة الأيام التي أفطر فيها، فحذف أفطر، كما قال: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة آية: ١٩٦]، يريد[٢] فمن كان كذلك محلقاً فعليه فدية، وقال: ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور آية: ٦١].

المحصنات[٣]

أصل الكلمة من المنع، ومنه الحصن لمنعه لما فيه، وامرأة حصان لمنعها فرجها وفرس حصان لامتناع فارسيه به، والعرب تسمى الخيل حصونا به، قال الأشقر:

ولقد علمت على توقي الردى إن الحصون الخيل لا مدر القري

وأوصى بعضهم بمال في الحصون فجعل في الخيل، وقال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ [النور آية: ٤]، والإحصان على ضربين:

أحدهما: ما يتعلق به وجوب الرجم على الزاني، وهو أن يكون حرا بالغا عاقلا مسلما، وقد تزوج امرأة نكاحا صحيحا ودخل بها وهما كذلك.

والآخر: الإحصان الذي يجب به الحد على قاذفه، وهو أن يكون حرا بالغا عاقلا مسلما عفيفا ولا نعلم خلافا بين الفقهاء في هذا، وخص قاذف المحصنات، وأجمعوا على أن قاذف المحصنين مثله، واتفقوا على أن المراد القذف بالزنا دون القذف بالسرق وشرب الخمر والكفر وغير ذلك.

والمحصنات في القرآن على أربعة أوجه:

الأول[٤]: الحرائر، قال الله: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ

---

(١) في ت: فعليه. (٢) في ت: يريدون.
(٣) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٣٥.
(٤) في ت: أولها.

﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ [النساء آية: ٢٥]، يعني: الحرائر، أي: من لم يتسع حاله ليتزوج الحرائر لما يحتاج إليه من زيادة النفقة والمهر تزوج الإماء؛ لأن مهرهن أقل ونفقتهن على مواليهن، وسميت الحرة محصنة؛ لأنها تحصن أي: تمنع وليست كلامه تبتذل وتمتهن.

الثاني: ذوات الأزواج، قال الله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء آية: ٢٤]، وذلك أن أزواجهن أحصوهن فعطف بهن على قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ [النساء آية: ٢٣]، أي: وذوات الأزواج محرمات عليكم، : ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء آية: ٢٤]، يعني: سبايا المشركين، فإنهن محللات لكم إذا استبرأتموهن، وإن كان لهن أزواج في بلاد الشرك.

الثالث: العفائف، قال الله: ﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ [النساء آية: ٢٥]، أي: عفيفات، وكذلك قوله: ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ [المائدة آية: ٥]، أي: أعفاء غيره زناه[1]، وقوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة آية: ٥]، أراد أنه أحل لكم طعام أهل الكتاب، وأحل لكم العفائف من المؤمنات، والعفائف من اليهود والنصارى.

وقال بعضهم: أراد اللاتي كن على اليهودية والنصرانية ثم أسلمن وهذا غلط؛ لأنه ذكر المؤمنات، فلم يكن لذكرهن ثانية وجه، قال الشعبي: إحصان الكتابية أن تغتسل من الجناية وتحصن فرجها من الزنا، قالوا: وأما قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ [البقرة آية: ٢٢١]، فإن إطلاق اسم الشرك لا يتناول أهل الكتاب، وإنما يتناول عباد الأوثان؛ لأن الله فرق بينهم في قوله: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١﴾ [البينة آية: ١]، فعطف المشركين على أهل الكتاب.

الرابع: المسلمات، كذا قال بعض أهل التفسير، ولم يقل: الذين يرمون المحصنين، لأن قوله: ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ ، دليل عليهم، وذلك أن المرأة ترمى بالرجل، كما قال: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل آية: ٨١]، ولم يذكر البرد، لأنها إذا وقت الحر وقت البرد، وخص المحصنات بالذكر لأن ذلك اتسع، وأكثر

(١) في ت: زيادة.

أهل التفسير على أن المحصنات هاهنا العفائف.

المثل[١]

المثل في الأصل يشتمل على ذكر تماثل الشيئين كقولهم: كما تدين تدان، وهو من قولك: هذا مثل الشيء، ومثله كما تقول شبهه وشبهه، وبين المثل والشبه فرق ذكرناه في كتاب "البديع في الفروق" ثم جعل كل حكمة وسائرة ومثلا، وقد يأتي القائل بما يحسن أن يتمثل به، إلا أنه لا يتفق له أن يسير فلا يكون مثلا.

وهو في القرآن على أربعة أوجه:

الأول: الشبه، قال الله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة آية: ١٦]، وقال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ [العنكبوت آية: ٤١]، وقوله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ [التحريم آية: ١١، النحل: ٧٦، ١١٢]، أي: وصف شبها، وضرب المثل جعله يسير في البلاد من قولك ضرب في الأرض إذا سار فيها.

الثاني: العبرة، قال الله: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزخرف آية: ٥٦]، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الزخرف آية: ٥٩]، والمعنى أنه صارت له شهرة كشهرة الأمثال السائرة، وأراد أن من بعدهم يتمثل بهم إذا رأى مثل حالهم.

الثالث: على ما قيل الصفة، قال الله: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [محمد آية: ١٥]، أي: صفتها أن فيها أنهارا.

وقال[٢] بعضهم: أن مثل ما يوعدون[٣] من أنهار الماء واللبن والخمر في الجنة ما يعرفون من هذه الأشياء في الدنيا، كأنه قال: مثل الجنة التي توعدون في الآخرة والجنة التي تعقلونها بهذه الصفة، وهذا هو الوجه المختار.

الرابع: السنن، قال الله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم﴾ [البقرة آية: ٢١٤]، يعني: سنن الذين من قبلكم، أي: ما أخروا عليه في الدنيا من السراء والضراء وهذا بعيد.

والوجه أن يقال: أنه[٤] أراد ولما يصبكم مثل ما أصابهم من السراء والضراء،

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢١٠.

(٢) في ت: فقال. (٣) في ت: تدعون.

(٤) في ت: إنما.

وقيل: الشبه والمثل في الشبه والمثل في الهيئة في أكثر الكلام، وقد يقال فيه: مثل ومثل لغتان، والشبه في المتماثلين من كل شيء، وبيان ذلك مشروح في كتابنا في الفروق، وليس هذا موضع الإطالة فيه، وعندنا أن المماثلة تكون بين الذوات والمشابهة بين الصفات، ومثله قوله: ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف آية: ٨]، أي: سننهم.

ومثله قوله: ﴿وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [النور آية: ٣٤]، يعني: سنن العذاب، كذا قيل، والصحيح أنه أراد: ﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [النور آية: ٣٤]، أي: أخبارا تكون لكم مثلا، وعبرة تعتبرونها فتنتفعون بها في آيات الدين والدنيا، وهكذا معنى قوله: ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف آية: ٨]، أي: مضى في القرآن من أخبارهم ما يكون مثلا.

المتاع(١)

أصله الطول والامتداد، ومنه قيل: متع النهار إذا امتد، وتمتعت بالشيء إذا طال تلذذك به.

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول(٢): المدة، قال الله: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة آية: ٣٦]، أي: مدة تمتد إلى حين، كذا جاء في التفسير، ويجوز أن يكون المراد المنفعة أي: لكم مستقر ومنفعة إلى حين.

الثاني: ما(٣) ينتفع به من آلة، قال الله: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ﴾ [الرعد آية: ١٧].

الثالث: المنفعة، قال الله: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الواقعة آية: ٧٣]، يعني: النار جعلها الله تذكرة بنار جهنم، ومنفعة(٤) للمقوين.

قال أهل العربية: للمقوي الضعيف، والقوي وهو من الأضداد، وقيل: للمقوي الذي صار إلى القواء، وهو القفر من الأرض، ومثله: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [النازعات آية: ٣٣]، وقال الله: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ﴾ [النور آية: ٢٩]، أي: منفعة يعني: أنها تقيكم من الحر

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٤٥.
(٢) في ت: أولها.
(٣) في ت: مما.
(٤) في ت: فمنفعة.

والبرد، ومنه متعة المطلقة وهي أن تطلق المرأة قبل تسمية المهر، والدخول.

قال أصحابنا: المتعة في هذا واجبة لقوله تعالى: ﴿مَتَٰعًا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة آية: ٢٣٦]، فأمر بها، والأمر على الوجوب ثم أكد[1] بقوله: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة آية: ٢٣٦]، وليس في ألفاظ الإيجاب أوكد من هذا؛ لأنه جعلها من شرائط[2] الإحسان، وعلى كل أحد أن يكون محسنا، وإذا وجبت عليهم وجبت على غيرهم، لأن أحدا لا يفرق بين المحسن والمسيء في الفروض، ولا يجوز أن تكون ندبا؛ لأن الندب لا يختلف فيه المحسنون وغيرهم، وعند أصحابنا أن المتعة لا تكون أكثر من نصف مهر المثل، وفيه كلام كثير أوردناه في التفسير.

وأما قوله: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾ [البقرة آية: ٢٤١]، فالمتاع هنا نفقة العدة، وأوردنا هذه الوجوه على ما جاء عن السلف، وعندنا أن المراد بجميع ذلك المنفعة مع التلذذ، ومثله[3]: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾ [الأنبياء آية: ٤٤].

وقال بعض أهل اللغة: أصل التمتع التزود، والمتاع الزاد، وتستعمل في التلذذ، وقوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة آية: ١٩٦].

قال المفضل: إلى هاهنا بمعنى مع، والتمتع بالعمرة إلى الحج، وهو أن يأتي بعمرة في أشهر الحج وهي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة، حتى إذا قضاها حل من إحرامه ثم أحرم من عامه بالحج فعليه ما استيسر من الهدي، واستيسر وتيسر واحد مثل استأخر وتأخر، وأدنى ذلك شاة، و يجوز مثلها في الأضاحي، وكذلك القادر، وليس على المفرد هدي، وأما متعة النساء فحرام، ومن خالف فيه فهو خارج من الإجماع، والإجماع قد سبق بتحريمه، ونهى عمر رضي الله عنه عنها لنهي[4] رسول الله صلى الله عليه عنها، والشاهد ما روى أبو هريرة "أن النبي صلى الله عليه حرم المتعة بالطلاق والنكاح[5]"، وقول الله عز وجل: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

---

(١) في ت: وكد.
(٢) في ت: شرط.
(٣) في ت: ومنه.
(٤) في ت: النهي.
(٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٤١٤٩) ٩ / ٤٥٦، والنسائي في سننه الكبرى (٥٥٤١) ٣ / ٣٢٧، وأبو عوانة في مسنده (٧٦٤٨) ٥ / ٢٨، والهيثمي في موارد الظمآن (١٢٦٧) ١ / ٣٠٩، وابن أبي حاتم (١٢٦٥) ١ / ٤٢٠ وقال: قال أبي: روى إسماعيل بن رجاء الحصني عن معقل =

ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ [المؤمنون آية: ٧]، والمتعة هي وراء ذلك، وأما متعة الحج فإن النبي صلى الله عليه أحله بثلاثة[١] أيام ثم حرمه، وكان ابن عباس يحل المتعة فقال له علي عليه السلام: "أنت أمرؤ تائه نهى رسول الله صلي الله عليه عن متعة النساء، وأكل حمر الأهلية بخيبر"، فرجع ابن عباس عن هذا القول، ونادى يوم عرفة بأعلى صوته: "أنا عبد الله بن العباس إلا أن المتعة حرام كالميتة والدم".

المولى

المعتق، والمعتق، والعصبة، وابن العم، والحليفة[٢]، والصاحب، والولي، والأولى بالشيء، قال رسول الله صلى الله عليه: "أية امرأة نكحت بغير إذن مولاها فنكاحها باطل[٣]"، أي: بغير إذن وليها، ويقال لمن تولاه الرجل وإن لم يكن قريبا له مولى.

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول[٤]: الولي، قال الله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد آية: ١١]، أي: لا ولي لهم، وقوله: ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ [الحج آية: ١٣]، أي: لبئس الولي، وقيل: لا مولى لهم أي: لا ناصر لهم، وقيل: المولى هو المتولي للتدبير لمن ولاه، تقول: نصر الله النبي والمؤمنين بما تولى لهم من التدبير، : ﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد آية: ١١]، أي: لا متولٍّ لأمرهم عند أخذ الله إياهم.

= عن ابن أبي علية قال: حدثني عبد العزيز بن عمر عن الربيع عن أبيه، قال أبي: لم يزل في قلبي من حديث الحسن بن أعين حتى رأيت هذا الحديث، وقد كتبت عن إسماعيل بن رجاء ولم أكتب عنه هذا الحديث.

(١) في ت: ثلاثة. (٢) في ت: والحليف.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٤٠٧٤) ٩ / ٣٨٤، والنسائي في سننه الكبرى (٥٣٩٤) ٣ / ٢٨٥، والبيهقي في سننه الكبرى (١٣٣٧٧)، (١٣٣٧٦) ٧ / ١٠٥، وأبو داود في سننه (٢٠٨٣) ٢ / ٢٢٩، وابن ماجة في سننه (١٨٧٩) ١ / ٦٠٥، والدارمي في سننه (٢١٨٤) ٢ / ١٨٥، والترمذي في سننه (١١٠٢) ٣ / ٤٠٧، والإمام أحمد في مسنده (٢٤٢٥١) ٦ / ٤٧، (٢٤٤١٧) ٦ / ٦٦، والحاكم في مستدركه على الصحيحين (٢٧٠٦) ٢ / ١٨٢، (٢٧٠٩) ٢ / ١٨٣ قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وقد روى يحيى بن سعيد الأنصاري ويحيى بن أيوب وسفيان الثوري وغير واحد من الحفاظ عن ابن جريج نحو هذا، قال أبو عيسى: وحديث أبي موسى حديث فيه اختلاف.

(٤) في ت: أولها.

الثاني(١): العصبة قال الله: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى﴾ [مريم آية: ٥]، يعني: العصبة، ومثله: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء آية: ٣٣]، كذا قيل، ويجوز(٢) أن يكون المولى هاهنا بمعنى الأولى بالشيء، والمعنى أن لكل شيء مما ترك الوالدان والأقربون وارثا هو أولى به من غيره، ومنه قيل لمالك: العبد مولاه؛ لأنه أولى به.

الثالث: ابن العم، قال الله: ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ [الأحزاب آية: ٥]، أي: وبنو أعمامكم، ويجوز أن يكون المعنى(٣): ﴿وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ أولياءكم في الدين، ويجوز أن يقال: أراد أنهم أصحابكم؛ لأنكم تستعينون بهم في بعض أموركم، وهم أيضا منضافون إليكم، وصاحب الرجل منضاف إليه، قال الشاعر:

ولست مولى سواه أدعي لها … فإن لسؤات الأمور مواليا

﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، و﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾(٤)

جاء هذا الحرف في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول(٥) ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة آية: ٢٥٥]، أي: ما كان قبلهم، وما يكون بعدهم.

الثاني: في سورة مريم: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [مريم آية: ٦٤]، يعني: الآخرة، : ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ [مريم آية: ٦٤]، ما يكون من أمور الدنيا، ومثله ما حكاه عن إبليس في قوله: ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأعراف آية: ١٧]، قال: لأخبرنهم عن البعث وما خلفهم أن أزين لهم الدنيا وقريب منه، قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ [يس آية: ٤٥]، يعني: عذاب الآخرة وعذاب الدنيا، وقال(٦): ﴿ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ [يس آية: ٤٥]، من صنع الله في الأمم الخالية، : ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ [يس آية: ٤٥]، يعني: عذاب الآخرة.

الثالث: بمعنى قبل وبعد، قال الله: ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾ [الأحقاف آية: ٢١]، أي: قبل مبعثه وبعده، يعني: هودا عليه السلام.

---

(١) في ت: والثاني.
(٢) في ت: والوجه.
(٣) في ت: معنى.
(٤) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢١٨.
(٥) في ت: أولها.
(٦) في ت: وقالوا.

المنسك

أصل النسك: الذبح، والنسيكة الذبيحة، ثم كثر ذلك حتى قيل لكل عبادة نسك، وكل عابد ناسك، ومنه مناسك الحج.

والمنسك في القرآن على وجهين:

الأول(١): المراد به الذبائح، وهو قوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ [الحج آية: ٣٤]، أي: جعلنا لكل أمة من الأمم التي بعث فيها الأنبياء ذبائح يتقربون بها إلى الله، والشاهد قوله تعالى: ﴿لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج آية: ٣٤]، وأصل المنسك المصدر فعبر به عن الذبائح، وفي قوله: ﴿لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ [الحج آية: ٣٤]، دليل على بطلان قول المجبرة إذا قالوا: أنه تعالى جعل للكفار منهم ذلك ليذكروا عليه اسم الأصنام.

الثاني(٢): الضرب من العبادات، وهو قوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ [الحج آية: ٣٤]، هم ناسكوه أي: جعلنا لكل أمة بعثنا فيها نبيا ضربا من العبادات والشرائع، وقال بعضهم: المنسك الموضع الذي يجب أن يتعهد، وقرئ منسكا أي: مكان نسك، مثل المجلس لمكان الجلوس.

المصيبة

أصل الإصابة القصد، وفي المثل: أصاب الصواب فأخطأ الجواب أي: أراد، ومنه قوله: ﴿رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص آية: ٣٦]، أي: أراد وصاب الشيء إذا نزل من علو إلى سفل، كأنه يقصد الوجهة(٣) التي يمر فيها، وكذلك في إصابة السهم.

والمصيبة في القرآن على وجهين:

الأول(٤): مكاره الدنيا من القحط والجدب والمرض، قال الله: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى آية: ٣٠]، وقوله: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [الحديد آية: ٢٢]، فالمصيبة في الأرض الجدب، وفي الأنفس المرض، ودليل هذا قوله: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد آية: ٢٣]، ولو أراد بالمصيبة الطاعة،

---

(١) في ت: أحدهما.
(٢) في ت: والوجه الآخر.
(٣) في ت: بالوجهة.
(٤) في ت: أحدهما.

والمعصية على ما يقوله المجبرة لم يقل: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ [الحديد آية: ٢٣]، وقوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [التغابن آية: ١١]، يعني: هذه المكاره، وقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى آية: ٢١]، فهذا دليل على أن المصيبة ليست بالمعصية، إذا[1] ذكر أنه لم يأذن بالمعصية، وأذن بالمصيبة، والمصائب من الله حسنة، والأذن على هذا التفسير الأمر، وهو أن يأمر الملك بإنزال المصيبة فيهم، ويجوز أن يكون بمعنى العلم، والمراد أن الله يعلمها ويجازيهم عليها بالحسنى.

الثاني: الهزيمة والقتل، قال الله: ﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾ [التوبة آية: ٥٠]، يعني: أنكم إن هزمتم استصوب المنافقون بخلفهم عن القتال معكم، والأصل في هذه الوجوه واحد وهو الخلة المكروهة الشديدة الكراهة يترك الإنسان[2].

المقام[3]

المقام يكون مصدرا يقال: قام الرجل مقاما حسنا، أي: قياما، ويكون موضع القيام ويجمع مقامه، ومنه: ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [البقرة آية: ١٢٥، آل عمران: ٩٧]، وأصله من الاستواء، قوم الشيء إذا سواه وأقام الوزن أي: عدله، وقام الرجل لاستوائه منصبا[4]، ويقال: مقام ومقامة مثل مكان ومكانة هذا قول، وقول آخر أن المكانة الطريقة، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ [الأنعام آية: ١٣٥]، أي: على طريقتكم في الكفر والمقامة الجماعة، قال زهير:

وفِـيْـهُـمْ مَـقَـامَـا حَـسَّـانٌ وجُـوهُـهُـمْ

والمقامة بالضم المجلس يوكل فيه، والمقامة بالفتح المجلس يتحدث فيه، والمقام الإقامة، وفي قوله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة آية: ١٢٥]، خلاف.

قال ابن عباس، ومجاهد: يعني: الحج كله، وروي عن مجاهد أيضا أنه قال: أي مصلى أو مدعى من صليت إذا دعوت.

---

(١) في ت: إذ. (٢) في ت: بالإنسان.
(٣) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٣٥٢.
(٤) في ت: منتصبا.

وروي عن ابن عباس أيضا قال: هو المقام بعرفة، وقال قتادة: هو الأمر بالصلاة عند المقام وإلى هذا ذهب أبو علي رضي الله عنه وقال: هو الحجر الذي فيه أثر قدم إبراهيم صلى الله عليه، فأما المقام فالإقامة أقام إقامة ومقاما.

والمقام في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول[١]: قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾ [الدخان آية: ٥١]، قال: معناه مساكن أمن أهلها، ومثله: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الدخان الآيتان: ٢٥-٢٦]، يعني: مساكن حسانا، وقيل: المقام الكريم المنابر.

الثاني: القيام، قال الله: ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب آية: ١٣]، أي: لا يقومون لهم، فهذا على هذا التأويل مصدر، ويجوز أن يكون المكان، وقرئ: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب آية: ١٣]، بضم الميم، أي: لا إقامة لكم، يقال: أقمت بالبلد مقاما وإقامة ونحوه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن آية: ٤٦]، يعني: من خاف القيام بين يدي ربه في الحساب، فترك المعصية، وقيل: من خاف مقام الله عند المعصية عرضت فذكر أنه يسأل عنها فتركها، وحقيقة ذلك مقام العبد بحيث بدله[٢] الله عاصيا.

الثالث: المكان، قال الله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات آية: ١٦٤]، أي: مكان يعبد فيه ربه، والمعنى ما منا إلا من له مقام معلوم، فحذف من، كما قال الشاعر:

لَوْ قُلْتَ مَا فِي قَوْمِهَا لَمْ يَتَـ ... ـيم لِفَضْلُهَا فِي حَسَبٍ وَمَشِيْمُ

وقد مر ذلك.

المفاتح

قد ذكرنا أصل هذه الكلمة فيما تقدم، وهو في القرآن على وجهين:

الأول[٣]: جمع[٤] مفتح، وهو الذي يفتح به القفل وغيره، قال الله: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ [القصص آية: ٧٦]، وقيل: المفاتح هاهنا الكنوز، واحدها مفتح.

الثاني: قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ [النور آية: ٦١]، قال ابن

(١) في ت: أولها.
(٢) في ت: يراه.
(٣) في ت: أحدهما.
(٤) في ت: جميع.

عباس: أراد الرجل يوكل بضيعة الرجل فرخص له أن يأكل من ثمرتها أو مواشيه[١] فرخص له أن يشرب من ألبانها.

وقال أبو علي: أراد الثبوت التي مفاتيحها بأيديكم وأنتم مؤتمنون عليها، فجعل[٢] من الوجه الأول.

(١) في ت: بمواشيه.
(٢) في ت: فجعله.

الباب الخامس والعشرون

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله نون

الناس

أصل الناس: أناس أسكنت الهمزة منه فأدغمت اللام، كما قيل: لكنا، وقيل: الناس لغة مفردة، والأناس لغة أخرى، ولو كان أصله أناسا لقيل في التصغير أنيس، وإنما يقال: نويس وتجمع أناس على أناسي، وقيل: أناسي جمع أنسي واشتقاقه من الأنس، خلاف الوحشية، لأن بعضهم يأنس ببعض، والناس جماعة لا واحد لها من لفظها، وواحدها إنسان على[1] المعنى.

وهو في القرآن على ستة أوجه:

الأول[2]: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء آية: ٥٤]، جاء في التفسير أنه أراد النبي عليه السلام، قيل: وهو مثل قوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ [آل عمران آية: ١٧٣]، وكان الذي أخبرهم بجمع أهل مكة نعيماً بن مسعود الأشجعي، ويجوز عندنا أن يكون معنى قوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء آية: ٥٤]، النبي صلى الله عليه والمؤمنين، فقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ [آل عمران آية: ١٧٣]، لفظ عام، والمعنى مخصوص؛ لأن الناس كلهم لم يخبروهم[3] ولم يجمعوا لهم أنصار[4]، وبيان هذا مستقصى في كتابنا في التفسير، ويذهب بعضهم إلى أنه لا صيغة للعموم في اللغة، قال: لأن كل لفظ صيغته صيغة العموم، قد جاء مثله في الخصوص، وليس الأمر كذلك؛ لأن صيغة العموم معروفة، ولا يخص إلا دلالة[5] وحيث لا دليل فهو على أصل العموم، ألا ترى أن قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران آية: ١٨٥]، لا يجوز أن تخص، لأنه لا دليل فيه فهو على العموم، وصيغته صيغة العموم، وأما

---

(١) في ت: في.
(٢) في ت: أولها.
(٣) في ت: يخبرهم.
(٤) في ت: أيضا.
(٥) في ت: بدلالة.

قوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل آية: ٢٣]، فقد دل على أنه مخصوص(١)، فكأنه قال: قد أوتيت أكثر الأشياء فهذا الأصل، والأول مجاز، وإذا خرج شيء عن الأصل؛ فإن الأصل لا يبطل به، وكل شيء موقوف على دليله، وألفاظ العموم من فيمن يعقل وما فيما لا يعقل، وأين في الأمكنة، ومتى في الأزمنة، وكل فيمن يعقل وفيما لا يعقل، وغير ذلك فيما ذكره العلماء.

الثاني: المؤمنون خاصة، قال الله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة آية: ١٦١]، يعني: أن المؤمنين يلعنونهم فاللفظ عام، والمعنى خاص، ويجوز أن يعني: أن بعضهم يلعن بعضا في الآخرة مع لعن المؤمنين لهم، فيكون معنى الآية على ظاهره، وتأويل هذا قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف آية: ٣٨].

وقال الربيع: يراد(٢) لعن المؤمنين لهم ويخرج هذا على قولك المؤمنون هم الناس؛ كأنه لا يعتد بغيرهم، ومثل هذه الآية قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة آية: ١٣]، أي: كما آمن غيركم من الناس، وقيل: يعني(٣) بالناس هاهنا عبد الله بن سلام وأصحابه.

الثالث: بنو إسرائيل خاصة، قال الله: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي﴾ [المائدة آية: ١١٦].

الرابع: من كان على عهد آدم وأهل سفينة نوح عليه السلام، قال الله: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة آية: ٢١٣]، وقد مضى هذا القول في هذا.

الخامس: أهل مصر خاصة، قال الله: ﴿لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف آية: ٤٦]، وقال: ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ [يوسف آية: ٤٩].

السادس: الناس كلهم، قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ [الإسراء آية: ٦٠]، أي: هو قادر على جميع الناس لا يفوتونه ولا يعجزونه، والمحيط في أسماء الله تعالى بمعنى القادر القاهر الغالب.

وقيل: الناس هاهنا أهل مكة خاصة، ومن العام الذي معناه العموم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، ولو جاء بصروف(٤) العموم عن ظاهره بغير دليل يجاز(٥) في

---

(١) في ت: للخصوص.
(٢) في ت: أراد.
(٣) في ت: المعني.
(٤) في ت: بصرف.
(٥) في ت: لجاز.

هذا لأن علمه، وإن كان محيطا بالأشياء كلها، فقد يجوز أن يخبر عن بعضها أنه عالم به، كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ [غافر آية: ١٩]، وقوله: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعام آية: ٣]، وأما العام الذي بمعنى الخصوص؛ فقوله[1] تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ [الحج آية: ١، النساء: ١، لقمان: ٣٣] وذلك أن المراد المكلفون والخاص الذي بلفظ الخصوص: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة آية: ٤١، ٦٧]، والعام الذي جاء بلفظ الخصوص.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ [الانشقاق آية ٦]، وقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [التين آية: ٤]، ويكون عاماً يدخله الخصوص على غير هذا الوجه، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ [التوبة آية: ١٢٣].

وقد دلت السنة والإجماع على أن طائفة إذا أقاموا بذلك سقط عن الآخرين على أن جميع المؤمنين مأمورين به، إن عليهم ذلك ما لم يقم به بعضهم، والعرب تقول: أحمر البشر، وإن لم يحمر جميعه، لأن منه ما هو أصفر، وغسلت ثيابي وإن لم يرد كل ثوب وكساء وجبة، وإنما أراد هذا أوان احمرار البشر، وهو أوان فراغي من الغسل.

النار[2]

أصل النار والنور واحد، والألف في النار أصلها واو، ولذلك[3] يقال: تنورت النار إذا أبصرتها، ويسمون السمة نارا؛ لأنها بالنار تكون، قال الراجز:

قَـد سَـبَـقـت آبـاءَهـم بـالـنـارِ إلـى الـنـارِ

أي لما رأى أهل الماء سماتها خلوا لها الماء حتى شربت، وأصل الكلمة البياض، ومنه قيل: النورة لبياضها.

وهي في القرآن على وجهين:

الأول[4]: مثل وهو قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [المائدة آية: ٦٤]، والعرب تشبه الحرب بالنار، ويقولون: فلان محش حرب، إذا كان يقوم بأمرها، وأصل الحش الإيقاد.

---

(١) في ت: قوله.

(٢) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٢٩.

(٣) في ت: أحدهما.

(٤) في ت: كذلك.

الثاني: النار بعينها، قال الله: ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ [القصص: ٢٩].

النسيان[١]

أصله الترك، وسمي خلاف الذكر نسيانا؛ لأن الناسي للشيء تارك له، قال الله تعالى: ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم آية: ٢٣]، أي: مغفولا عني متروكا، والنسيان الذي هو خلاف الذكر يفعله الله في الإنسان عند اشتغاله عن حاجته، وصرف الاهتمام عنها، ونسبه الله إلى الشيطان في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف آية: ٦٣]، لأنه كان نسيها عند وسوسته إياه.

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول: الترك، قال الله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ﴾ [طه آية: ١١٥]، ولم يذكر[٢] أنه نسى نهي الله إياه عن أكل الشجرة؛ لأنه لو كان كذلك، لم يكن له ذنب ولا عليه إثم، وإنما المعنى أنه أكل من مثل الشجرة التي نهى عنها، وظن أن النهي مقصور عليها، وترك الدليل الذي لو اعتمد لدله على أن النهي عام في جميع الجنس فصار ذنبه ترك الدليل، ومثله: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة آية: ٢٣٧]، أي: استعملوه ولا تتركوه، وقال: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة آية: ٦٧]، أي: تركوا طاعته فصارت عليهم[٣] بمنزلة المنسي فتركهم من رحمته.

وأصل الترك في الله مجاز وحقيقته[٤] هاهنا أنه أوجب لهم العذاب، ويجوز أن يكون المراد أنهم تركوا ذكر الله فمنعهم الله الخير وذلك أن خيرك لا يبلغ من أنت ناسيه، ويجوز أن يكون معناه أنهم تركوا طاعته فعاقبهم الله بنسيانهم إياها فسمي الجزاء على النسيان نسيانا.

الثاني: بمعنى التخليد في العذاب، قال الله: ﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ [السجدة آية: ١٤]، المعنى خلدناكم في العذاب، وجعله نسيانا؛ لأنه جزاء بالنسيان، وهو ترك العمل للقاء ذلك اليوم، وليس هو خلاف الذكر، لأن ذلك فعل الله، ولا يجوز أن تفعله بهم ويعذبهم عليه على أنه يجوز أن يسمى سبب النسيان الكائن منهم نسيانا، ويذكر أنه يعذبهم على النسيان، وهو يريد

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٤٩.

(٢) في ت: يرد.

(٣) في ت: عندهم.

(٤) في ت: حقيقة.

أن[١] يعذبهم على سببه.

الثالث: خلاف الذكر، قال الله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ۝ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعلى الآيتان: ٦ - ٧]، خبر وليس بنهي، وقوله: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف آية: ٧٣]، وأراد بقوله: فلا تنسى الإخبار بفضيلة النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك أن جبريل يقرأه عليه، وهو أمي فيحفظه ولا ينسى منه شيئا؛ ثم يقرأ أصحابه، وقيل: إلا ما شاء الله أن ينسخه بعد العمل فينسبه النبي عليه السلام أمير[٢] المؤمنين، ومنه قوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة آية: ١٠٦].

النشوء

أصله الابتداء ومنه نشأت السحابة؛ إذا ابتدأت ترتفع من الأفق، وهو نشوء حسن، والنشوء من الناس الإيقاع يقع على الذكر والأنثى، قال نصيب:

وَلَوْلَا أنْ يُقَالُ صَبَا نُصِيْبٌ ... لقلت نَفْسي النشوءُ الصغارُ
بِنَفْسي كُلِّ مَهْضُومِ الحشَايَا ... إذَا ظُلِمَتْ فَلَيْسَ لَهَا انْتِصَارُ
إذَا مَا الذُلُ ضَاعَفْنَ الحشَايَا ... كَفَاهَا إنَّ بُلان لَهَا الآزَارُ

وقد نشأت إنشاء إذا شئت، والمشيء[٣] في أسماء الله تعالى المبتدئ في الأشياء[٤] على غير مثال.

والنشوء في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول[٥]: الخلق، لأنه يبدأ به، قال الله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ۝﴾ [المؤمنون آية: ٣١]، وقال: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ۝﴾ [الواقعة آية: ٣٥]، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ﴾ [الملك آية: ٢٣].

الثاني: قوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾ [الزخرف آية: ١٨]، يعني: البنات، : ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف آية: ١٨]، أي: الأنثى لا يكاد يستوفي الحجة، وجاء عن السلف لا تكاد تحتج المرأة بحجة إلا عليها، أي: جعلوا لله بنات والبنت هذه صفتها.

الثالث: قوله: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ [المزمل آية: ٦]، يعني: ساعات الليل،

---

(١) في ت: أنه.
(٢) في ت: و.
(٣) في ت: المنشئ.
(٤) في ت: للأشياء.
(٥) في ت: أولها.

وقال الأصم: ناشئة الليل هو أن منشوء من منامك لصلاتك، وقال بعضهم: الليل كله ناشئة، وقال آخرون: بعد صلاة العشاء ناشئة، : ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ [المزمل آية: ٦]، أي: أشد لمواطأة القلب السمع لخلو البال بالليل، ومن هذا قولهم: أمن عمل بليل، وقرئ: ﴿أَشَدُّ وِطَاءً﴾ [المزمل آية: ٦]، ومعناه أبلغ في القيام، وأبلغ في القول، ويجوز أن يكون معناه أغلظ على الإنسان من القيام بالنهار، لصعوبة السهر، وقال بعضهم: ﴿أَشَدُّ وَطْئًا﴾ [المزمل آية: ٦]، أثبت في همك[1] لما تقرأ: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل آية: ٦]، لأنه لا يشغلك شيء فيعرف صواب ما يقول، وفي النهار عوارض تشغلك عن ذلك، وقال بعضهم: ﴿أَشَدُّ وَطْئًا﴾ [المزمل آية: ٦]، أثبت في الدين، : ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل آية: ٦]، أثبت في القراءة.

النفس

النفس الدم، ومنه قيل: النفساء سيلان[2] الدم منها، وقال السموأل:

تسيل على حد السيوف نفوسنا ... وليست على غير السيوف تسيل

ثم سميت الروح نفسا؛ لأن الإنسان يعيش بها كما يعيش بالدم، وأما النفس فالسعة، وفي الحديث الريح من نفس الله أي: من سعة رحمته على عبادة، ومنه قولهم: فلان في نفس من أمره، أي: في سعة، ومنه قوله: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ [التكوير آية: ١٨]، إذا اتسع ضوؤه، وكل هذا يرجع إلى النفاسة، وهي أصل الكلمة وأولها.

والنفس في القرآن على ستة أوجه:

الأول[3]: ذكر النفس، والمعنى لحملة الإنسان، قال الله: ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [ق آية: ١٦]، أي: يتوسوس به هو، وهذا مثل قولهم: كسبت يده ورأت عينه.

والمعنى أنه كسب هو ورأى، ومثله: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ﴾ [يوسف آية: ٥٣]، أي: ما أبرؤوني، ونفس الشيء حقيقته يقال: هلكت نفس زيد، أي: هلك هو، وعلى هذا فسر قوله: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة آية: ١١٦]، أي: تعلم ما أعلم، ولا أعلم ما تعلم.

ويجوز أن يكون معنى ذلك إنك تعلم ما أخفيه، ولا أعلم ما تخفيه عني،

---

(١) في ت: تفهمك. (٢) في ت: لسيلان. (٣) في ت: أولها.

وجعل النفس عبارة عن هذا المعنى؛ لأن ما يخفيه الإنسان يخفيه في نفسه؛ فأخرج الكلام على العرف، ويجوز أن يكون المعنى تعلم غيبي، ولا أعلم غيبك؛ لأن ما في النفس غيب فلما ذكر النفس قابله بمثله ليحسن نظم الكلام، والمعنى معروف.

الثاني: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة آية: ١٢٨]، أي: منكم.

الثالث: مجيء الأنفس بمعنى الإخوان، قال الله: ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور آية: ٦١]، أي: على إخوانكم، وهو قريب من الأول: ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النور آية: ٦١]، لأن الله بينها، : ﴿مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور آية: ٦١]، أي: يبقى أجرها وطيبها لكم، والبركة البقاء والثبات.

الرابع: مجيئها بمعنى الإنسان، قال الله: ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة آية: ٤٥]، أي: الإنسان بالإنسان، وفي هذا دليل على أن الحر يقتل بالعبد؛ لأن شرائع من قلناه[1] ثابتة الحكم علينا، ما لم يثبت نسخها، ودليل هذا قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النحل آية: ١٢٦].

وقال رسول الله صلى الله عليه: "المؤمنون تتكافأ دماؤهم، وقد استوى الحر والعبد في الإيمان[2] ".

وعند أبي حنيفة، وأبي يوسف، ومحمد، وزفر: أنه لا قصاص بين الحر والعبد إلا في النفس.

وعند ابن أبي ليلى: أنه يجب بينهما في النفس وفي جميع الجراحات التي تستطاع فيها القصاص.

وعند مالك: أنه لا قود بين الحر والعبد في شيء من الجراح، والعبد يقتل بالحر، والحر لا يقتل بالعبد.

وقال الشافعي: من جرى عليه قصاص في نفس جرى عليه القصاص في الجراح، ولا يقتل الحر بالعبد، ولا نقيض منه فيما دون النفس، وقول الله:

---

(١) في ت: قلنا.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين (٢٦٢٣) ٢ / ١٥٣ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وله شاهد عن أبي هريرة وعمرو بن العاص، والبيهقي في سننه الكبرى ٨ / ٢٩، وأبو داود في سننه (٢٧٥١) ٣ / ٨٠، والنسائي في المجتبى (٤٧٤٦) ٨ / ٢٤، وابن ماجة في سننه (٢٦٨٣) (٢٦٨٥) ٢ / ٨٥٩.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [البقرة آية: ١٧٨]، يوجب القصاص على المؤمن في كل قتيل العموم لفظه، فإن قال فقوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [البقرة آية: ١٧٨]، يدل على أن المراد القتلى من المؤمنين، لأن الكافر لا يكون أخا للمؤمن، قلنا: يحتمل أن يذكر لفظا عاما ثم يعطف عليه بحكم خاص، كما قال: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة آية: ٢٢٨]، وهو عام في المطلقة ثلاثا، وما دونها، ثم قال: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ [البقرة آية: ٢٢٨]، فعطف عليه بحكم يختص بعض(١) المطلقات على أن يكون العبد أخا للحر في الإيمان، فإن قيل: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾ [البقرة آية: ١٧٨]، يدل على ما ذكرنا، قلنا: لا خلاف أن الحكم ليس بمقصور على هذا دون غيره، لاتفاق الجميع على جواز قتل العبد بالحر، وقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام آية: ١٥١]، يعني: الإنسان، لأن النفس على الحقيقة لا تقتل، والحق هاهنا القصاص، أي: لا تقتلوه قصاصا.

الخامس: الروح، قال: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ [الأنعام آية: ٩٣]، أي: أرواحكم، والمعنى(٢) إنا نخرجها، كما تقول للرجل وأنت تقتله: أنزع الآن روحك، وليس نزع روحه إليه.

السادس: آدم عليه السلام، قال الله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء آية: ١، الأعراف: ١٨٩، الزمر: ٦]، فأنت على اللفظ، وهو الوجه، وأنت تقول: أتاني إنسان واحد يعني: امرأة، وشربت شرابا طيبا، وأنت تريد الخمر.

النصيب

أصله ما يخص الإنسان عن مقاسمة كأنه تصد(٣) له ليأخذه، ثم استعمل في غير ذلك، والفرق بينه وبين الحظ، أن الحظ ما يرتفع به الإنسان، ولهذا يقال: لفلان حظ في التجارة، ولا يقال: له نصيب(٤) فيها.

والنصيب في القرآن على وجهين:

الأول(٥): الحصة من الثلث، وهو قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء آية: ٣٣]، قد تم الكلام عند ذلك، : ﴿وَلِكُلٍّ﴾

---

(١) في ت: ببعض.
(٢) في ت: للمعنى.
(٣) في ت: نصب.
(٤) في ت: نفس.
(٥) في ت: أحدهما.

يعني: التركات، والموالي: أقارب الميت، لأنهم أولى بالميراث، وفي الآية حذف، فالمراد[1]: لكل شيء من الميراث أصحابهم أولى فأقصروه عليه ثم ابتدأ، فقال: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ [النساء آية: ٣٣]، يعني: من الثلث، ويريد الحلفاء، وهو مثل قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب آية: ٦]، وقيل: يعني: نصيبهم من النصر والموآزرة.

الثاني: الجزاء، قال: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ [النساء آية: ٣٢]، أي: لهم جزاء بما عملوا ونحوه،: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ [البقرة آية: ٢٠٢]، يعني: الثواب، وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الأعراف آية: ٣٧]، يعني: العقاب، وفي هذه الآية وجوه أخرى ذكرناها في التفسير.

النكاح

أصل النكاح الجماع، ومنه قول العرب في بعض أمثالها: أنكح من خوات أي: أكثر مجامعه، وله حديث معروف ويروى عن بعض نسائها أنه كان يقال لها خطب، فيقول نكح يريد الجماع، ثم استعمل في التزويج، ومنه قول حكيمها المناكح:

الكريمة مُدْرَجَةٌ لِلشَّرَفِ

ويقال: أنكح[2] الرجل المرأة إذا جامعها، ونكحت المرأة الرجل إذا تزوجته من قوله: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ [البقرة آية: ٢٣٢]، وجاء في القرآن على وجهين:

فأما ما جاء بمعنى التزويج، فقوله تعالى: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [الأحزاب آية: ٤٩]، أي: تزوجتموهن؛ لأنه ذكر عدم الدخول فلا نشك في أنه أراد التزويج، وقال: ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ [النساء آية: ٢٥] أي: تزوجوهن لأن الزوج لا يلزم[3] أن يجامع امرأته بإذن أهلها.

والوجه الآخر: قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء آية: ٢٢]، أراد الجماع، وذلك أن الرجل إذا مات وله امرأة قال وارثه: قد ورثت امرأته كما ورثت ماله وألقى عليه ثوبا فيملك بذلك نكاحها على

(١) في ت: والمراد.
(٢) في ت: نكح.
(٣) في ت: يلزمه.

الصداق الأول بغير عقد ثان، والتزويج إنما هو اسم، وكان الولد الذي يكون بينهما يقال له: المقتى. وقال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقۡتًا﴾ [النساء آية: ٢٢]، والمقت اسم يجمع للبغض[١] والاستقباح، ومقت فلان نفسه إذا ذمها على قبيح، والمعنى أن ذلك معصيته يمقتها الله.

وقال أبو الحسن: جميع ما في القرآن من ذكر النكاح فهو التزويج إلا حرفا واحدا في سورة النور وروي عن بعضهم أنه أراد الجماع، وهو عند غيره أراد التزويج.

قال أبو هلال رحمه الله هو قوله: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةً﴾ [النور آية: ٣]، قال أبو بكر: لا تخلو الآية من أن تكون خبرا أو نهيا، وقد علمنا أنه ليس بخبر؛ لوجودنا رأينا بتزويج غير الزانية فثبت أنه أراد النهي ثم لا تخلو أن تكون نهيا عن الوطء أو العقد أو عنهما جميعا، ولا يجوز أن يكون المراد العقد، لأن حقيقة النكاح الوطء.

ولا يجوز حمل الكلام على المجاز دون الحقيقة من غير دلالة فثبت أن المراد الوطء على ما يقوله ابن عباس، ومن تابعه أو[٢] تكون الآية منسوخة على ما يقوله سعيد بن المسيب، وغيره، وقال في قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء آية: ٢٢]، حقيقة النكاح الوطء، فكأنه قال: ولا تنكحوا ما وطئ آباؤكم في كل وطءٍ حراما كان أو حلالا؛ كما أن الضرب والقتل ولا يختص بالحلال من ذلك دون الحرام.

ويدل على أن الاسم حقيقة في الوطء، ومجاز في العقد، أن سائر العقود من البياعات والهبات ولا يسمى نكاحا، وإن كان قد يتوصل بها إلى وطئ الجارية، إذ لم تختص هذه العقود بإباحة الوط؛ لأنها تصح فيمن يحظر وطؤها كالأخت من الرضاعة، ومن السبب وكأم الزوجة، وسمي العقد المختص بإباحة الوطء نكاحا إذ من لا يحل للرجل وطؤها؛ لا يحل له نكاحها.

ويدل على هذا ما قاله غلام ثعلب، قال: الذي حصلناه عن ثعلب عن الكوفيين والمبرد عن البصريين أن النكاح من الجمع بين الشيئين، تقول العرب: أنكحنا الفراء فسنرى، وهو مثل ضربوه في الأمر يجتمعون على المشورة فيه، ثم

---

(١) في ت: البغض. (٢) في ت: أن.

ينظر عن ماذا يصدرون منه، والمعنى جمعنا بين الحمار والأتان لننظر ما ينتج هذا الجمع إذا كان اسما للجمع، فهو حقيقة في الوطء؛ لأنه هو الجمع حقيقة دون العقد.

النظر

أصله في العربية المقابلة[١]، يقال: داري ينظر إلى دارك، أي: يقابلها، والداران يتناظران أي: يتقابلان، والنظر بالعين الإقبال بها حيال المرئي، ونظر القلب الإقبال إلى أحوال ما تطلب معرفته.

وقال علي بن عيسى: النظر طلب ظهور الشيء، والناظر الطالب لظهور الشيء، والله ناظر لعباده بظهور رحمته إياهم، ويكون الناظر الطالب لظهور الشيء بإدراكه من جهة حاسة البصر أو غيرها من حواسه، ويكون الناظر إلى لين هذا الثواب من لين غيره.

والنظر بالقلب نظر[٢] العلم من جهة الفكر والتأمل لأحوال الأشياء، ألا ترى أن الناظر على هذا الوجه لابد من أن يكون مفكرا؛ إذا المفكر على هذا الوجه سمي ناظرا، وهو معنى غير الناظر والمنظور فيه، ألا ترى أن الإنسان يفصل بين كونه ناظرا وكونه غير ناظر، ولا يوصف القديم بالنظر؛ لأن النظر لا يكون إلا مع فقد العلم، ومعلوم أنه لا يصح النظر في الشيء ليعلم إلا وهو مجهول، والنظر يشاهد، ولهذا نفرق بين نظر الغضبان ونظر الراضي.

والنظر في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول[٣]: النظر بالعين، وهو قوله: ﴿أَرِنِىٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف آية:

---

(١) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (نظر) النون والظاء والراء أصلٌ صحيح يرجع فروعُه إلى معنىً واحد وهو تأمُّلُ الشّيءِ ومعاينتُه، ثم يُستعار ويُتَّسَع فيه. فيقال: نظرت إلى الشّيءِ أنظر إليه، إذا عاينْتَه. وحَيٌّ حِلَالٌ نَظَرٌ: متجاوِرون ينظرُ بعضُهم إلى بعض. ويقولون: نَظَرتُه، أي انتظرته. وهو ذلك القياس، كأنَّه ينظر إلى الوقت الذي يأتي فيه. قال:

فـإنّـكُـمـا إن تَـنْـظُـرَانِـيَ لـيـلـةً ... مـن الـدَّهـر يـنـفَـعْـنـي لـدى أمِّ جُـنـدَبِ

ومن باب المجاز والاتِّساع قولُهم: نظَرَتِ الأرضُ: أرَتْ نَباتَها. وهذا هو القياس. ويقولون: نَظَرَت بعَينٍ. ومنه نَظَرَ الدهرُ إلى بني فلانٍ فأهلكَهم. وهذا نظيرُ هذا، من هذا القياس؛ أي إنَّه إذا نُظِرَ إليه وإلى نَظِيرِهِ كانا سواءً. وبه نَظْرَةٌ، أي شُحوب، كأنَّه شيءٌ نُظِرَ إليه فشَحَب لونُه. والله أعلمُ بالصَّواب.

(٢) في ت: طلب.

(٣) في ت: أولها.

١٤٣]، وقوله: ﴿انظر إلى الجبل﴾ [الأعراف آية: ١٤٣]، فكأن[١] موسى يعلم أن الله لا يرى بالإبصار، ولكن سأل ذلك ليجيء الجواب من الله؛ لتكون أوكد للحجة على قوم من أمته سألوه ذلك.

الثاني: الإمهال والتأخير، وهو قوله: ﴿فنظرة إلى ميسرة﴾ [البقرة آية: ٢٨٠]، وناظرة هاهنا مصدر وفاعله في المصادر كثير مثل العافية والعاقبة والكاذبة في قوله تعالى: ﴿ليس لوقعتها كاذبة ۝ خافضة رافعة ۝﴾ [الواقعة الآيتان: ٢- ٣]، والواقعة ورفع ناظرة على إضمار كأنه قال: فالواجب ناظرة أو فعلتكم ناظرة، ومثله: ﴿فعدة من أيام أخر﴾ [البقرة آية: ١٨٤]، وقرئ: ﴿فنظرة إلى ميسرة﴾ [البقرة آية: ٢٨٠]، وهي التأخير، وقد أنظرته أخرته لينظر في أمره؛ أي: إن كان الذي عليه أصل المال معسرا، فالواجب عليه تأخيره إلى أن يوصى[٢]، وأن[٣] تصدقوا بالمال على المعسر خيرا لكم، قال مجاهد: كانوا إذا جل دينهم وصادفوا المديون معسرا أزادوا فيه وأنظروه فأمره[٤] الله بالإنظار، وأبطل الزيادة.

الثالث: النظر بمعنى الرحمة، وهو قوله تعالى: ﴿ولا ينظر إليهم يوم القيامة﴾ [آل عمران آية: ٧٧]، أي: لا يرحمهم، كقول العربي انظر إلي نظر الله إليك، أي: ارحمني رحمك الله، وعدى النظر بإلى، وإن كان بمعنى الرحمة فكذلك عداه بإلى في قوله: ﴿إلى ربها ناظرة ۝﴾ [القيامة آية: ٢٣]، وإن كان بمعنى الانتظار.

النجم[٥]

أصل النجم الطلوع، نجم القرآن إذا طلع، وسمي النجم نجما لطلوعه، والنجم من النبات ما ليس له ساق تبقى في الصيف، والشجر ما له ساق يبقى في الصيف، وأصل الكلمة الظهور والبروز، ومنه أنجم السحاب إذا أقلع فظهر أديم السماء ومنجما الفرس، العظمان الناتيان دون العرقوبين، وسميا بذلك لظهورهما.

والنجم في القرآن على وجهين:

الأول[٦]: الكوكب، قال الله: ﴿النجم الثاقب ۝﴾ [الطارق آية: ٣]، والثاقب المضيء مأخوذ من ثقوب النار، وهو ضوءها، وقيل: ثاقب كأنه يثقب الأفق؛

---

(١) في ت: وكان.
(٢) في ت: يؤسر.
(٣) في ت: فإن.
(٤) في ت: فأمر.
(٥) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٩٦.
(٦) في ت: أحدهما.

فيطلع، وقوله: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝١٦﴾ [النحل آية: ١٦]، والعلامات الجبال والرمال والروابي، وما شاكل ذلك، وقوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ [الواقعة آية: ٧٥]، أي: أقسم برب مواقع[١] النجوم؛ وهي مساقطها في المغرب، ومنه: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الحديد آية: ٢٩]، معناه لأن لا يعلموا ولا يدخل في هذا الموضوع[٢] توكيدا؛ كأنه قال: أقسم قسما بعد قسم ولأن لا يعلم أهل الكتاب علما بعد علم، هذا قول وأجود منه أن يقال: لا يأتيه[٣]، والمعنى أن الأمر الذي ذكره أمر[٤] ظاهر ثابت في العقول؛ إلا أحتاج أن أقسم عليه، وسنتكلم في قوله: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الحديد آية: ٢٩]، وقيل: ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ﴾ [النحل آية: ١٦]، أي: وبالنجوم هم يهتدون، ويجوز أن يكون أراد الثريا، واسمها عند العرب النجم، وربما قالوا لها: النظم قال بعض المفسرين: أراد نجوم القرآن، وذلك أنه كان تنزل الآية، والإتيان.

قال: ومثله: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ [النجم آية: ١] يعني: نجوم القرآن إذا هوى به جبريل صلى الله عليه أي: نزل وليس هذا بوجه مختار؛ لأن الظاهر لا يترك لغير علة.

الثاني: النبت، قال الله: ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦﴾ [الرحمن آية: ٦] أي: يدلان على خالقهما بآثار الصنعة فيهما فكأنما يسجدان له، وقيل: سجودهما دوران الظل معهما كما قال: ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ﴾ [النحل آية: ٤٨]، وإنما ذكر السجود؛ لأنه أبين أحوال الخضوع وهو مشاهد، ومن عادة العرب أن يشبه الشيء الذي بها يقع عليه البصر بما يقع عليه البصر حتى يكون السامع به كالرائي له، وعلى هذا جاء، قوله تعالى: ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البقرة آية: ٢٥٦] أي هو بمنزلة من قد استمسك بالعروة الشديدة المأمونة الانقطاع، ومن ذلك قولهم: فلان من شجرة صالحة لما كانت الشجرة على أصل يتشعب منه غصونها، شبه أبو العشيرة التي تجمعها بها وجعلت أغصانها كولده، ونحوه قوله: ﴿أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾ [هود آية: ٨٠] وتأويله العز والمنعة كما يفعل الأركان.

---

(١) في ت: واقع.
(٢) في ت: الموضع.
(٣) في ت: ثانية.
(٤) في ت: أمره.

النشوز[١]

أصل النشوز الارتفاع، والنشز الأرض المرتفع، وقرئ: ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ [البقرة آية: ٢٥٩] أي: ترفع بعضها على بعض حتى تستوي القامة، فكأن المرأة إذا نشزت عن زوجها كأنها ارتفعت عنه، فلم ينلها الزوج.

والنشوز في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول[٢]: نشوز المرأة على زوجها، وهو عصيانها له، قال: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ [النساء آية: ٣٤] وقد تكلمنا في هذه الآية.

الثاني: الأثرة، قال الله: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [النساء آية: ١٢٨] وهو أن يؤثر عليها غيرها من نسائه يقول: لا إثم عليهما أن يتصالحا على أمر يتفقان عليه مثل أن يصطلحا على إيثار غيرها عليه[٣] ولا يفترقا: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ [النساء آية: ١٢٨] أي: المرأة تشح على نصيبها من زوجها، ويشح الزوج بنصيبه من الأخرى.

قال أبو علي رحمه الله: الصلح أن تدفع المرأة إلى زوجها شيئا ترضاه به وله أن يأخذ ذلك إذا لم يكن في الأصل ظالما لها.

وقال غيره: أراد الاصطلاح على مال يدفعه الرجل إلى امرأته[٤] الكبيرة ليترك حظها[٥] منه للشابة.

وقال غيره: أراد النشوز إذا وقع من الرجل استكثارا للصداق فلا جناح عليهما أن يصطلحا على بعضه، وقيل: هي المرأة يكرهها الرجل فتقول: لا تطلقني وأنت في حل من أمري.

والنشوز يكون من المرأة يمنع البضع ومن الرجل حنو الطرف ومنع النفقة والامتناع من المباشرة، والصلح خير يعني أنه خير له من الفرقة، وقد استقصينا بيان هذا في التفسير.

الثالث: النهوض من المجلس، قال الله: ﴿وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا﴾ [المجادلة آية: ١١] أي: إذا قيل لكم: انهضوا فانهضوا، كما قال تعالى: ﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ [الأحزاب آية: ٥٣] وقيل: معناه إذا قيل مكنوا لإخوانكم في

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص٢٩٧.

(٢) في ت: أولها.

(٣) في ت: عليها.

(٤) في ت: إتيانه.

(٥) في ت: حظنا.

المجلس فافعلوا، ويقال: فرس نشز إذا كان فارسه[1] لا يكاد يستقر عليه.

النور[2]

قد ذكرنا أن أصل النار والنور واحد وهو البياض، وإنما غير البناء لاختلاف المعنى.

وهو في القرآن على ثمانية أوجه:

الأول: الإسلام، قال الله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ [التوبة آية: ٣٢]، وقوله: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور آية: ٣٥] والهداية هاهنا بمعنى الألطاف يعطيها الله من يشاء على قدر المصالح، وكذلك قوله: ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [المائدة آية: ١٦].

الثاني: بمعنى المنور، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور آية: ٣٥] أي: منورهما بالهداية إلى الدين فلما كان أهل السماوات والأرض يهتدون بالله في ذلك كما يهتدون بالنور قال أنه: ﴿نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ على وجه المجاز، وقد دلت العقول على أنه ليس بنور على الحقيقة؛ لأنه خالق الأنوار، ولو كان الله نورا على الحقيقة لما أظلمت الدنيا أبدا؛ لأن الله موجود ومع وجود النور لا تكون الظلمة ثم شبه نوره بمصباح أي: مثل دلالاته الخلق في وضوحها كمثل المصباح، ولا يجوز أن يشبه نفسه بالمصباح؛ لأنه لا شبيه له.

الثالث: النهار، قال الله: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام آية: ١] يعني: الليل والنهار.

الرابع: ضوء القمر، قال الله: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح آية: ١٦].

وقال أهل العربية: يجوز أن يكون: ﴿فِيهِنَّ نُورًا﴾ وهو في السماء الدنيا؛ لأنهن كالشيء الواحد.

وجاء في التفسير أن وجه الشمس تضيء لأهل الأرض وظهرها لأهل السماء، وقال بعضهم: ﴿فِيهِنَّ نُورًا﴾ أي: معهن ضياء يستضيء به أهل الأرض.

الخامس: قوله تعالى: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد آية: ١٣]، وقوله: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحديد آية: ١٢] وهو نور يجعله الله للمؤمنين يمشون فيه

---

(١) في ت: فارسيه.

(٢) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٣٣٩.

إلى الموقف وعلى الصراط.

السادس: بيان الحلال والحرام، قال الله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ﴾ [المائدة آية: ٤٤]، ومثله: ﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ﴾ [الأنعام آية: ٩١].

السابع: القرآن، قال: ﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾ [التغابن آية: ٨]، وقال: ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ [الأعراف آية: ١٥٧]، وقوله: ﴿جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا﴾ [الشورى آية: ٥٢] وسمي نوراً للبيان الذي فيه؛ لأنه يهتدى به كما يهتدى بالنور.

الثامن: العدل، قال الله: ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر آية: ٦٩] أي: بعدله، وإذا كان الظلم وغيره من الشدائد يشبه بالظلمة فنقول(١): هذا يوم مظلم إذا كان فيه شر، والوجه(٢) أن يشبه العدل بالنور، وقال النبي صلى الله عليه وسلم " الظلم ظلمات يوم القيامة(٣) ".

---

(١) في ت: فيقال.

(٢) في ت: فالوجه.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٣١٥) ٢ / ٨٦٤، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٧٨) ٤ / ١٩٩٦، وابن حبان في صحيحه (٥١٧٦) ١١ / ٥٧٩، والترمذي في سننه (٢٠٣٠) ٤ / ٣٧٧، والدارمي في سننه (٢٥١٦) ٢ / ٣١٣، والبيهقي في سننه الكبرى (١١٢٨٢)، (١١٢٨١) ٦ / ٩٣، وأحمد في مسنده (٥٨٣٢) ٢ / ١٠٥، (٦٢١٠) ٢ / ١٣٧، (٦٤٤٦) ٢ / ١٦٥، والحاكم في مستدركه على الصحيحين (٢٦) ١ / ٥٥.

الباب السادس والعشرون

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله واو

الوكيل[1]

أصله التوكيل جعل الأمر إلى الغير، ورجل وكل أي ضعيف يتكل في أموره على غيره، والوكيل في أسماء الله بمعنى الكافي وبمعنى الحافظ، وقيل: هو على التشبيه له بالوكيل منا، وذلك أن جميع ما يفعله من الخير إنما يفعله منفعة للعباد ما[2] أن جميع سعي الوكيل إنما هو للموكل.

والوكيل في القرآن على أربعة أوجه:

الأول: الحافظ، قال الله: ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [النساء آية: ١٠٩] أي: إن حفظوا وذبّ عنهم في الدنيا فمن الذي يحفظهم ويذب عنهم في الآخرة، ومعنى لفظ الاستفهام هاهنا أنه ليس للعصاة يوم القيامة ناصر يذب عنهم، وقال: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء آية: ٦٥] أي: حفيظا.

الثاني: بمعنى الرب، قال: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ [الإسراء آية: ٢]، وقال: ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل آية: ٩] وهو يرجع إلى الحفظ؛ لأن رب الشيء يحفظه.

الثالث: المسلط، قال: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام آية: ١٠٧] أي المسلط.

الرابع: الشهيد، قال: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب آية: ٣]، وقال: ﴿إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود آية: ١٢].

الوحي[3]

أصل الوحي الإشارة، يقال: وحيت إليه بطرفي أي: أشرت، قال الله: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم آية: ١١] ثم صار كل شيء دللت به

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٣٣.

(٢) في ت: كما.

(٣) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٦٥.

على شيء وحيا، وحييت الكتاب وأوحيته إذا كتبته؛ لأنك تشير بالكتابة إلى المعاني التي تريدها، وهو بمعنى الإلهام، وبمعنى الإرسال وبمعنى الرؤيا، ويجوز أن يكون أصله السرعة، ومنه الوحي[١] يقصر ويمد يقال: الوحا يراد السرعة، ويقال: من الوحي وحا، وأوحى.

وهو في القرآن على خمسة أوجه:

الأول: الإرسال، قال: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ﴾ [النساء آية: ١٦٣]، وقوله: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام آية: ١٩] أي: أرسل به إلي.

الثاني: الإلهام، قال الله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ﴾ [المائدة آية: ١١١] أي: ألهمتهم الإيمان، ومثله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل آية: ٦٨] جمع واحدة نحلة مثل[٢]: نحل ونحلة، والمعنى أنه ألهمها اتخاذ المساكن وادخار العسل كما في غيرها من الحيوان التصرف في وجوه منافعها واجتناب أسباب مضارها، ومثله قوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ [الزلزلة آية: ٥].

الثالث: الإشارة، قال الله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم آية: ١١] أي: أومأ ودليل هذا، قوله: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ [آل عمران آية: ٤١] والرمز تحريك الشفتين والحاجبين والعينين، وقال بعضهم: الوحي هاهنا الكتاب أي: كتب إليهم وقال ذلك لأن الإشارة لا تنئي عن الصلاة بكرة وعشيا.

الرابع: الأمر، قال الله: ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت آية: ١٢] أي: أمر أهلها بما يصلح الأمر به.

الخامس: الوسوسة، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ [الأنعام آية: ١٢١] أي: يوسوسون[٣] إليهم، ومثله: ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الأنعام آية: ١١٢] وقال بعضهم: تقدير هذا بمعنى الأمر، أي: يأمر بعضهم بعضا بذلك.

الولي[٤]

الولي خلاف العدو، والاسم الولاية بالفتح والولاية بالكسر ولاية الأعمال

(١) في ت: الوحا. (٢) في ت: قيل.
(٣) في ت: يوسوس.
(٤) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص١٩٦.

وقد مضى من كلامنا في هذا الحرف ما فيه كفاية.

والولي في القرآن على ستة أوجه:

الأول[١]: الولد، قال: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم آية: ٥] أي: ولدا، وسمي الولد وليا لقربه من أبيه في النسب، وأصل هذه الكلمة القرب، ومنه ولي الشيء يليه إذا قرب منه.

الثاني: الصاحب، قال الله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾ [الإسراء آية: ١١١] قالوا: معناه صاحب ينتصر به فيعز، ومثله: ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف آية: ١٧]، وقوله: ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ﴾ [الإسراء آية: ٩٧] أي: أصحابا، ويجوز أن يكون المعنى في ذلك كله خلاف العدو.

الثالث: القريب، قال: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ [هود آية: ٢٠] قالوا: يعني: الأقرباء، وهذا[٢] والأول عندي سواء.

الرابع: بمعنى رب، قال: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ [الأنعام آية: ١٤] أي: ربا، ومثله كثير.

الخامس: خلاف العدو، قال الله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة آية: ٥١]، وقال: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة آية: ١] أي: اتخذوهم أعداء حتى لا تناصحوهم، وقال: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [النساء آية: ١١٩]، وهم لم يتولوا الشيطان على الحقيقة، ولكن لما كانت أعمالهم أعمال من يتولى الشيطان قال: إنهم أولياؤه، وأنت تقول لصاحبك: أنت ولي الشيطان وأنت تعلم أنه ليس بوليه ولكن تقول ذلك؛ لأنه يفعل ما يريده.

السادس: بمعنى الناصر، قال الله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [المائدة آية: ٥٥] فهو في الله بمعنى الناصر وفي الرسول بمعنى الهادي المرشد؛ لأن الولي ينصر وليه ويهديه، وقال: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة آية: ٢٥٧] أي: ناصرهم ومرشدهم[٣] ومتكفل بأمورهم كولي الطفل يكفيه أموره، وأما[٤] قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال آية: ٣٤] فمعناه أنه أي: شيء لهم في رفع العذاب عنهم يوم القيامة وهم يصدون عن المسجد الحرام أراد أمر الحديبية، وما كانوا أولياء المسجد ما أولياؤه إلا المتقون وهم النبي

---

(١) في ت: أولها.
(٢) في ت: فهذا.
(٣) في ت: ويرشدهم.
(٤) في ت: ولما.

والمؤمنون، وذلك أن الله لم يجعل ولايته إليهم وإنما جعلها للمتقين، وولي البيت من يلي إصلاحه وعمارته كولي الطفل يلي إصلاح[1] أمره وتثمير ماله ثم شرح ذلك بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [التوبة آية: ٢٨] وفي هذا دليل على أن ما يجعله[2] الله لبعض عباده يجوز أن يغلبه عليه غيره؛ لأنهم كانوا يتصرفون في المسجد الحرام ولم يجعله الله لهم.

الوجه[3]

أصله التقدم، يقال: توجهت في الشيء إذا تقدمت فيه ووجه كل شيء أوله، ومنه وجه النهار أي: أوله ثم كثر حتى قيل: وجه الشيء لنفسه، تقول: هذا وجه الرأي أي: هو الرأي.

والوجه في القرآن على أربعة أوجه:

الأول[4]: مجيئه بمعنى الشيء نفسه، قال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص آية: ٨٨] أي: إلا هو، ولو كان له وجه غيره على ما يوجبه ظاهر الآية وعلى ما يقوله المشبهة لكان ينبغي أن يفنى جميعه ويبقى وجهه وليس هذا قولا لأحد إلا لبيان بن سمعان، وليس هو مما يعتد به لبيان بطلانه ودلالة العقل والإجماع على خلافه، ومثله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان آية: ٩] أي: لله.

الثاني: مجيئه بمعنى الأول، وهو قوله: ﴿وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾ [آل عمران آية: ٧٢] أي: أوله، وإنما قيل ذلك؛ لأن أول ما يلقاه من الشيء وجهه.

الثالث: بمعنى الدين، قال: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [النساء آية: ١٢٥] أي: أخلص دينه، وقوله: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [لقمان آية: ٢٢]، والإسلام الإخلاص على ما تقدم ذكره، ويجوز أن يكون: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ﴾ أي: استسلم كما نقول: أعطى يده إذا استسلم، وقيل: الوجه العمل، و: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ﴾ أي: أخلص عمله، وقالوا: الوجه في قوله: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل آية: ٢٠] وهو الثواب أي: لم يفعل ذلك مجازاة ليد أسديت إليه إلا طلبا لثواب الله، والآية نزلت في أبي بكر رضي الله عنه حين أعتق بلالا.

الرابع: قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة آية: ١١٥] أي: الوجه

---

(١) في ت: إصلاح. (٢) في ت: يجعل.
(٣) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٦٧.
(٤) في ت: أولها.

الذي يريده الله، وجاء في التفسير أنه أراد فثم القبلة وخص المشرق والمغرب في هذه الآية؛ لأنهما أشهر الجهات، وأراد ما بين المشرق والمغرب وذلك الدنيا[١] كلها، والمراد أن الجهات وما فيها لله فأيهما[٢] تستقبلوا من الوجوه المأمور باستقبالها فثم الوجه الذي تتقربون به إلى الله، وقيل: أراد فأينما وليتم وجوهكم وكونوا قاصدين للوجه الذي أمركم الله تعالى به فإذا عرفتم الكعبة فلتكن العرض، وإن لم تفعلوا به في ظلمة أو غيرها فالتحدي لإصابتها، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة آية: ١١٥] أي: موسع على عباده غير مضيق عليهم، وهذا على مذهب الكوفيين، وقال الشافعي: من اجتهد فصلى إلى جهة ثم عرف أن القبلة غيرها استأنف، وفي هذه الآية كلام كثير وليس ذا موضع ذكره.

(١) في ت: الدية.
(٢) في ت: فأينما.

الباب السابع والعشرون

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله هاء

الهدي[1]

أصله التقدم ومن ثم قيل للعنق: الهادي لتقدمه الجسد ثم استعمل في الإرشاد ثم جعل من الإرشاد في الدين والإرشاد في الطريق فرق في المصدر، فقالوا: في الدين هدى وفي الطريق هداية، وسمي الهدي هديا؛ لأنه تقدم للنحر، والهدية تقدم أمام الحاجة، والعروس هدى؛ لأنها تقدم إلى زوجها ويتبعها أهلها، والفرق بين الهدى والإرشاد أن الهدى يكون في الخير والشر يقال: هداه إلى السوء والمكروه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات آية: ٢٣]، ولا يكون الإرشاد إلا إلى الخير.

والهدي في القرآن على اثنى عشر وجها:

الأول[2]: البيان، قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ [البقرة آية: ٥] أي: على بيان، وقال: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾ [فصلت آية: ١٧] أي: بينا لهم، وقال: ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ أَهۡلِهَآ﴾ [الأعراف آية: ١٠٠]، وقوله: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى﴾ [طه آية: ١٢٣] أي: بيان والمعنى به الكتاب والرسول، ومثله: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ [الإسراء آية: ٩٤] أي: البيان والمعني به القرآن، ومثله كثير.

الثاني: الطريق، قال: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الحج آية: ٦٧] أي: على طريق قويم[3] وهو الإسلام، ومثله: ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ﴾ [البقرة آية: ١٢٠] أي: السبيل الذي أمر الله سلوكها هو السبيل المرضي، وهو مثل ومعناه الإسلام أيضا كذا جاء عن السلف وهو عندنا والأول سواء؛ لأنه يقال: أنه لعلى هدى، أي: على بيان.

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٨.

(٢) في ت: أولها.

(٣) في ت: قوم.

الثالث: اللطف، قال: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد آية: ١٧] أي: الذين اهتدوا إلى الإيمان بألطافنا زدناهم ألطافا ثوابا لأعمالهم ليزدادوا إيمانا[1].

الرابع: الإيمان، قال الله: ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف آية: ٤٩] أي: مؤمنون.

الخامس: الهادي وهو المرشد، قال: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد آية: ٧] أي: مرشد يريده أنك هاد ومرشد لكل أحد، وفيه وجه آخر وهو أنك مرشد ولكل قوم مرشد، وقوله: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [طه آية: ١٠] أي: رشدا، ويجوز أن يكون بيانا فيكون من القسم الأول، ومثله: ﴿لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى آية: ٥٢] أي: لترشد.

السادس: الدعاء، قال الله: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف آية: ١٨١] أي: يدعون، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [السجدة آية: ٢٤]، وقال: ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف آية: ١٨١]، أي: يدعون وقال: ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ [الجن آية: ٢] أي: يدعوا، وقوله[2]: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات آية: ٢٣] أي: ادعوهم، ويجوز أن يكون المعنى فودوهم، ويجوز أن يكون معنى قوله: ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ أي: يرشدون بالقول الحق، وكذلك قوله: ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء آية: ٧٣].

السابع: المعرفة، قال الله: ﴿نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل آية: ٤١] أي: تعرف، ونحوه: ﴿وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل آية: ١٦] أي: يعرفون الطرق.

الثامن: أمر محمد صلى الله عليه، قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾ [البقرة آية: ١٥٩]، ومثله: ﴿وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ [محمد آية: ٣٢] يعني: ما بين الله في التوراة والإنجيل من أمر محمد عليه السلام.

التاسع: الدين، قال: ﴿إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ﴾ [القصص آية: ٥٧] يعني: دينه وهو راجع إلى البيان، وقيل: هو التوحيد وكانوا لا يسمونه هدى، وإنما قالوا ذلك على ما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم، أي: الهدى بزعمك، وكذلك قالوا في قوله: ﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [الفتح آية: ٢٨] أي: بالتوحيد، ويجوز

(١) في ت: إثما.

(٢) في ت: قولهم.

أن يكون الهدى هاهنا البيان بربك المعجز.

العاشر: الاستنان بسنن الماضين، قال الله: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الزخرف آية: ٢٢] أي: مستنون.

الحادي عشر: الإصلاح، قال: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [يوسف آية: ٥٢] أي: لا يصلحه بمعنى أنه لا يخبر بأنه صلاح.

الثاني عشر: الإلهام، قال: ﴿ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه آية: ٥٠] قالوا: صور الخلق وألهمه أمر معاشه، وعندنا أنه أراد إلهام المعاش لمن يلهم ذلك وإعلامه من يعلم، وقد دخل ذلك في قوله: ﴿أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ﴾ ومعنى هدى: أنه هدى المكلفين أي: بينه لهم.

هل[١]

يكون للاستفهام ويدخلها معنى التقرير، والتقرير على ضربين:

تقرير على فعل يوجبه المقرر كقوله: هل أكرمتك؟ وهل أحسن إليك؟ وهل أوثرك وأقضي حاجتك؟

وتقرير على فعل لنفيه كقولك: هل كان من شيء كرهته، وهل عرفت مني غير الجميل.

وقد يتضمن هذان الوجهان معنى التوبيخ أيضا في بعض الأحوال.

وجاء في القرآن على أربعة أوجه:

الأول[٢]: مجيئه بمعنى ما، قال تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف آية: ٥٣] و: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النحل آية: ٣٣] و: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ [الزخرف آية: ٦٦] قال أهل التفسير: هذا كله بمعنى ما ينظرون إلا ذلك، وهو عند أهل العربية بمعنى الزجر والتهديد.

الثاني: بمعنى قد، قال الله: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥﴾ [النازعات آية: ١٥]، وقال: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾ [الإنسان آية: ١] قال الزجاج: معناه قد أتى أي: لم يأت على الإنسان، وقوله: ﴿لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ [الإنسان آية: ١] معناه أنه كان شيئا غير مذكور أي: كان ترابا ونطفة، وقال بعضهم: أتى

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ١٤١.

(٢) في ت: أولها.

على آدم الدهر وهو لا شيء ولا يجوز أن يكون لا شيء يأتي عليه الدهر.

وقال المبرد: هل في هذا الموضع بمعنى قد، وكذلك في قوله: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ [ص آية: ٢١].

قال سيبويه: قد تكون حروف الاستفهام لغير الاستفهام إلا الألف وأم لا تدخل على الألف؛ لأنها الأصل ويدخل على هل؛ لأنها قد تكون لغير الاستفهام، وأنشد:

أم هل كبير بكى لم يقض عبرته ... أثر إلا حبه يوم البين مشكور

الثالث: بمعنى ألا، قال الله: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ [طه آية: ١٢٠]، و: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ﴾ [الصف آية: ١٠] معناه: ألا أدلكم.

الرابع: بمعنى التوبيخ، قال الله: ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ [الروم آية: ٤٠]، وقوله: ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [الروم آية: ٢٨] ومعنى هذه الآية: الرد على عبدة الأوثان يقول: جعلتم الذي هو ملك الله مثله، وأنتم لا تجعلون مماليككم أمثالكم.

الهلاك(١)

يقال: هلك الرجل إذا وقع في أمر شديد وإذا مات أيضا، والمستقبل يهلك بالكسر ولا يجوز الفتح(٢)، وإن كانت العامة قد أولعت به وهو الهلك والهلاك.

وهو في القرآن على خمسة أوجه:

الأول(٣): الموت، قال الله: ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ﴾ [النساء آية: ١٧٦].

الثاني: الفناء، قال الله: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص آية: ٨٨].

الثالث: العذاب، قال الله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾ [الكهف آية: ٥٩]، وقوله: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ [الشعراء آية: ٢٠٨]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هود آية: ١١٧]، ومثله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ [القصص آية: ٥٩].

الرابع: الذهاب، قال الله: ﴿هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة آية: ٢٩].

الخامس: الفساد، قال الله: ﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ [البقرة آية: ٢٠٥]، وقال: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾﴾ [البلد آية: ٦]، وقال أهل التفسير: أي: أفسدت، ويجوز أن يكون بمعنى الإتلاف.

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٢٧٢.

(٢) في ت: بالفتح. (٣) في ت: أولها.

الباب الثامن والعشرون

في ذكر لا

لا

إذا أدخلتها على نكرة رفعتها ونونتها ونصبتها بلا تنوين تقول: لا رجل في الدار فإن نعت النكرة لا رجل ظريف نصب بلا تنوين، ويجوز أن يقال: لا رجلا ظريفا، وإن شئت قلت: لا رجل ظريف والرفع[1] مع التنوين لا غير فإن دخلت على الاسم المعرفة لم يكن فيه إلا الرفع، تقول: لا زيد في الدار ولا عمرو، فإن عطف بلا على اسم قد تقدمه لا كان ذلك على خمسة أوجه كقولك: لا رجل في الدار ولا امرأة، نصب بغير تنوين ولا رجل في الدار ولا امرأة ترفعهما جميعا، ورفع الأول ونصب الثاني لا رجل ولا امرأة، ونصب الأول بغير تنوين ونصب الثاني بتنوين لا رجل في الدار ولا امرأة.

ولا في القرآن على وجهين:

الأول[2]: مجيئه بمعنى لم، قال: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾﴾ [القيامة آية: ٣١] أي: لم يصدق ولم يصل، وقال: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾﴾ [البلد آية: ١١] أي: لم يقتحم، وقال قائل للنبي صلى الله عليه: أرأيت من لا شرب ولا أكل، وقال الراجز:

وَأي فِـــعْـــلٍ سَـــيءٍ لا فَـــعَـــلَـــه

أي لم يفعله، والأصل في هذا أن الأحرف تنفي الماضي كما تنفي المستقبل، إذا قلت: لا أقوم ولا أذهب.

الثاني: مجيئه على الأصل، قال الله: ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ [المؤمنون آية: ١٠١]، وأما قول من قال: أن لا تجيء زائدة في مثل قوله: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الحديد آية: ٢٩] فإن ذلك عندنا غلط، ومعناه لأن لا يعلم أهل الكتاب أن المسلمين لا يقدرون على شيء من فضل الله،

---

(١) في ت: فالرفع.

(٢) في ت: أحدهما.

أي: هم قادرون على ذلك، وإنما جاء بنفيين ليثبت، ونفي النفي إثبات، وأما قول الشاعر:

فــي بِـئْـرِ لَا حُــورٍ سَــرى وَمَــا شَــعَــر

فليس لا فيه زائدة، وإنما معناه في بئر لا رجوع أي: من وقع فيها، [لا ترجع][1] وجوز فعل من جاز يجوز.

---

(١) سقط من: ن.

الباب التاسع والعشرون

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ياء

اليسير(١)

أصل اليسير(٢) السهولة ونقيضه العسير(٣) وهو الصعوبة، واليسار الغني؛ لأن صاحبه في سهولة من العيش والفقر العسر؛ لأن صاحبه في صعوبة، وياسرت الرجل ساهلته، واليد اليسرى؛ لأنها لا تعاني ما تعانيه اليمنى، وكأن(٤) اليمنى في صعوبة واليسرى في سهولة، أو لأن الذمي والطعن والضرب على اليسار أسهل منها على اليمين وإن كانت باليسار أصعب وميسور الأمر ما ينسهل منه ومعسور ما يتصعب ويكون الميسور المصدر مثل المعقول، وهو بمعنى اليسر سواء.

وجاء اليسير في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول: مجيئه بمعنى الهين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج آية: ٧٠].

---

(١) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص٣٣٠.

(٢) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (يسر) الياء والسين والراء: أصلانِ يدلُّ أحدُهما على انفتاح شيءٍ وخِفّته، والآخرُ على عُضوٍ من الأعضاء.

فالأول: اليُسْر: ضِدُّ العُسْر. واليَسَرات: القوائم الخِفاف. ويقال: فرسٌ حَسَنُ التَّيْسُور، أي حَسَنُ نَقلِ القوائم. قال:

قـد بَلَـوْنـاهُ عـلـى عِـلّاتِـهِ وعَـلَـى التَّـيْـسـورِ مـنـه والـضُّـمُـرْ

ومن الباب: يسَّرت الغنم، إذا كثر لبنها ونسلها. قال:

هما سَيِّدانا يَزْعُمانِ وإنَّما يَسُـودَانِـنـا أنْ يَسَّـرَتْ غَـنَـمـاهُـمـا

ويقال رجل يَسْرٌ ويَسَرٌ، أي حَسَنُ الانقياد. واليَسَار: الغِنَى. وتَيسَّرَ الشَّيءُ واستَيْسَر. ويُسْرٌ: مكان.

ومن الباب الأيْسار: القوم يجتمعون على المَيْسِر، واحِدُهم يَسَر. قال:

وهُـمْ أيـسـارُ لُـقـمـانَ إذا أَغْـلَـتِ الـشَّـتْـوَةُ أبْـداءَ الـجُـزُرْ

والمَيْسِر: القِمار. ومن الباب اليَسَرَةُ: أسرارُ الكَفِّ إذا كانت غيرَ ملتزِقة.

والكلمة الأخرى: اليَسَارُ لليَدِ. يقال: تَياسَرُوا، إذ أخذوا ذاتَ اليَسار. ويقال ياسَرُوا، وهو أجْوَد..

(٣) في ت: العسر. (٤) في ت: فكأن.

الثاني: قوله: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الفرقان آية: ٤٦] قالوا[١]: يعني: خفيا، ويجوز أن يكون معناه السهولة، أي: قبضا سهلا لا صعوبة فيه علينا.

الثالث: قوله تعالى: ﴿كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [يوسف آية: ٦٥] قالوا: معناه سريع.

قال أبو هلال رحمه الله: معنى ذلك أن الملك يكيل لنا بيسر وسهولة ولا يحبسنا كما يحبس[٢] غيرنا، وفيه وجه آخر، وهو أن الذي حملناه من الميزة يسير في جنب ما تحملنا إذا نفذ معنا أخونا، وقوله: ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ [يوسف آية: ٦٥] يعني: البعير الذي يركبه أخوهم يوفر لهم، والمراد ما يكال ويحمل على البعير[٣]، والبعير من الإبل تقع على الذكر والأنثى، مثل الإنسان من الناس.

اليوم[٤]

ذكر بعضهم أصل اليوم أعجمي معرب، ولا أدري ما صحة ذلك، ولا أعرف له اشتقاقا، وأظنه اسما أول.

وهو في القرآن على وجهين:

الأول[٥]: اليوم من أيام السنة، قال الله: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت آية: ٩]، ويوم القيامة يجري مجراه.

الثاني: الحين، قال الله: ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ [النحل آية: ٨٠] يعني: حين ذلك؛ لأنه لا يجوز أن يكون الظعن ليلا، وإنما أراد حين الظعن فذكر اليوم؛ لأن اليوم حين.

اليد[٦]

أصل اليد يدي والدليل على ذلك قولهم: أيد لأن قولهم أيدا فعل وأفعل جمع فعل، مثل: فلس وأفلس في النسبة إلى اليد يدين ترد ما ذهب، وهو الياء ثم تحرك موضع العين، وإنما[٧] دعاك إلى تحريكه أنك تفرق بينهما وبين ما لم يتحرك قط نحو: باطني وميم رمي فيقول في طي: طيي، وفي رمي رميي، وكذا في ثدي

---

(١) في ت: قال.

(٢) في ت: يحسر.

(٣) في ت: بعير.

(٤) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص ٣٣٥.

(٥) في ت: أولهما.

(٦) انظر الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص٣٦٦.

(٧) في ت: فإما.

ثديي، وأما اليد قد تحركت عينها بالحركات الثلاث فقيل: هذه يد، ومررت بيد ورأيت يدا.

واليد في القرآن على أربعة أوجه:

الأول[(١)]: بمعنى النعمة، قال الله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة آية: ٦٤]، وهو جواب قول[(٢)] اليهود: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة آية: ٦٤] أي: هو بخيل ولم يريدوا أنها مغلولة على الحقيقة، وهذا مثل قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء آية: ٢٩] يأمره عز وجل بالتوسط في النفقة والعطية ولم يرد الغل ولا البسط على الحقيقة فقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ أي: نعمتاه الظاهرة والباطنة، أو نعمته في باب الدين ونعمته في باب الدنيا مبسوطتان على الخلق ينفق كيف يشاء يتوجه إلى نعمته في الدنيا أي: يرزق منها من يشاء ما يشاء.

الثاني: بمعنى التوكيد، وهو قوله تعالى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص آية: ٧٥] أي: خلقت أنا، كما تقول: هذا ما كسبت يدك فتذكر اليد توكيدا، والمعنى: أنت كسبت.

الثالث: بمعنى الجارحة، قال الله: ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ﴾ [الممتحنة آية: ٢].

الرابع: بمعنى القدرة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران آية: ٧٣] أي: هو القادر عليه: ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ [آل عمران آية: ٧٣] أي: يعطيه من يريده[(٣)] إذا كان يصلح له، وقيل: الفضل هاهنا النبوة، وقيل: هو الإحسان والنعمة، والله أعلم، واليد أيضا في غير القرآن السلطان في قولهم: ليس لك عليه يد، ويجوز أن يكون هذا بمعنى القدرة، وجاءت أيضا كناية عن الملك، في قولهم: هذا في يدي أي: في[(٤)] ملكي، ويستعمل في ابتداء العمل في قولهم: وضع يده في العمل أي: ابتدأه.

واليد البركة في قوله عليه السلام " يد الله على الشريكين[(٥)] ". أي: بركته،

---

(١) في ت: أولها.
(٢) في ت: لقول.
(٣) في ت: أريد.
(٤) في ت: هو.
(٥) أخرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين (٢٣٢٢) ٢ / ٦٠ وقال: وهذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والبيهقي في سننه الكبرى (١١٢٠٦) ٦ / ٧٨، وأبو داود في سننه (٣٣٨٣) ٣ / ٢٥٦، الدار قطني في سننه (١٣٩) (١٤٠) ٣ / ٣٥ وقال: قال لوين لم يسنده أحد إلا أبو همام وحده.

وتجيء صلة في قولهم: لا كلمتك يد الدهر، واليد الحفظ والكلاه في قوله عليه السلام " لا تزال هذه الأمة تحت يد الله ما لم يمال في كذا شيء[١] " ذكره وقد أنسيته.

اليقين

أصله العلم يقع بالشيء بعد إن لم يكن واقعا به[٢]، ولهذا لا يقال: لله أنه متيقن، وهو اليقين واليقن، ولا يقال[٣] إلا علما يثلج معه الصدر، ولهذا يقال: ثلج اليقين، ولا يقال: ثلج العلم، ومن أجل ذلك أيضا لا يوصف الله به وهو أبلغ من العلم، ألا تراهم يقولون: أعلم وأيقن ومن عادتهم أن يؤخروا الأبلغ.

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول[٤]: العلم، قال الله: ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [النمل آية: ٣] أي: يعلمون[٥].

الثاني: الموت، قال الله: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر آية: ٩٩] يعني: الموت.

قالوا **الثالث**: القرآن، قال الله: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر آية: ٩٩] وأضاف الحق إلى اليقين لاختلاف اللفظين، وهما واحد كما قال: ﴿حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق آية: ١٦] وهذا مذهب بعض أهل العربية، وهو عند المحققين منهم خطأ، والصواب أن يقال: معناه أنه لمحض اليقين كما تقول: هذا حق الشيء، ولو كان اليقين هنا لم يجز أن يضاف إليه كما لا يقال: هذا رجل الظريف إنما هو كقوله: ﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر آية: ٧] كما قال الله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾

اليمين

أصلها القوة، وقيل: اليد اليمنى لقوتها على اليسرى، واليمين القسم؛ لأنه

(١) أخرجه أبو عمرو الداني في سننه الواردة في الفتن (٣٣١) ٣ / ٦٩٦، وابن المبارك في الزهد (٨٢١) ١ / ٢٨٢.

(٢) جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (يقن) الياء والقاف والنون: اليَقَن واليَقين: زَوال الشَّكِّ. يقال يَقِنْت، واستَيْقَنْت، وأيْقَنْت.

(٣) في ت: يكون.

(٤) في ت: أحدها.

(٥) من هنا إلى آخر الكتاب سقط من: ت، وقد أثبتنا النسخة ن.

قوة لدفع الدعوى وأصلها أنهم إذا تحالفوا تصافقوا بأيمانهم فسمي الحلف يمينا، وهي في اللغة توكيد القول بذكر عظيم عند القائل كقولك: بأبي وأمك، وهي في الشريعة توكيد القول بذكر الله أو بإيجاب قربه في المآل أو على النفس بدلالة قوله عليه السلام " إذا حلفتم فاحلفوا بالله واصدقوا(١) "، واليمين تدخل فيما ينوي فيه الصدق، والكذب من الكلام دون غيره.

وهي في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول: بمعنى القسم، قال الله: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة آية: ٢٢٥].

الثاني: القوة، قال الله: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾ [الحاقة آية: ٤٥] أي: لانتقمنا منه بقوة، ومعنى ذلك: أنا قادرون عليه، ومنه قول الشماخ:

إِذَا مَا رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرابَةُ بِالْيَمِينِ

ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر آية: ٦٧] أي: بقدرته، ويجوز أن يكون المعنى باليمين المبالغة كما قال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص آية: ٧٥].

الثالث: بمعنى الاحتواء والملك، قال الله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ [الأحزاب آية: ٥٠] يعني: ما حصل لك من الغنائم، ونحوه: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء آية: ٣٦].

قد آتينا على الأبواب التي تقدم بها الشرط في أول الكتاب، وشرحنا من مضمونها ما احتاج إلى الشرح في غير إكثار ولا إقلال، ورغبنا إلى الله عز وجل في النفع بها عاجلا وآجلا، وهو ولي المنة بذلك إن شاء الله وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلواته على نبيه محمد وآله المختارين.

وكتب عبد ذليل المولي فقد فرغ منه في شهر ربيع الآخر سنة ثمانين وأربع مائة، حامدا الله تعالى ومصليا على نبيه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى الأخيار من أمته.

وفرغ من تحريره محمد بن الحسن بن محمد الحافظ الدهقي غفر الله له ولأبويه ولمن قال: آمين في العشر الأخير من شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعين وخمس مائة حامدا ومصليا.

---

(١) أخرجه بن شيرويه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٣٣٣) ١ / ١٠١.

الفهرس

مقدمة التحقيق ٣
عملنا في الكتاب ٥
ترجمة المصنف ٦
صور المخطوطات ٩
الباب الأول: في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ألف ١٧
إمام ١٧
الأمة ١٩
الأخذ ٢٥
الاعتداء ٢٧
الأمر بالمعروف ٢٩
أدنى ٣٠
الإسلام ٣٣
الإيمان ٣٤
الاستغفار ٣٦
الأجل ٣٨
إقام الصلاة ٤٢
الاستطاعة ٤٣
الأحزاب ٤٦
الأمر ٤٩
الأرض ٥٢
الاشتراء ٥٦

الأحد ٥٨
الآل ٦٠
أوى ٦٢
الاستئناس ٦٥
الآية ٦٦
الآخرة ٦٧
الأخ ٦٨
الإثم ٧٠
أنى ٧٢
أو ٧٢
أم ٧٤
الإذن ٧٦
إلا ٧٨
إلى ٨٢
الاستواء ٨٣
الاستفهام ٨٤
الباب الثاني: في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله باء ٨٥
البوء ٨٥
البصر ٨٦
الباء ٨٧
البأس ٨٨
البطلان ٨٩
البر ٩١
البرهان ٩٤
البعل ٩٥
بل ٩٦

الباب الثالث: في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله تاء ٩٨
التأويل ٩٨
تولى ١٠٠
التُّقى ١٠٢
التمني ١٠٣
التوفي ١٠٥
التسبيح ١٠٦
الباب الرابع: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ثاء ١٠٨
الثواء ١٠٨
الباب الخامس: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله جيم ١١٠
الجبار ١١٠
الجعل ١١١
الجناح ١١٥
الجهاد ١١٦
الجدال ١١٧
الجن ١١٩
الباب السادس: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله حاء ١٢١
الحسنة ١٢١
الحبل ١٢٤
الحسنى ١٢٥
الحسن ١٢٦
الحكمة ١٢٧
الحشر ١٢٩
الحق ١٣٠
الحساب ١٣٤
الحياة ١٣٦
حين ١٣٨

الحرج ١٤٠
حتى ١٤٢
الحرام ١٤٣
الباب السابع: فيما جاء من الوجوه والنظائر وفي أوله خاء ١٤٥
الخزي ١٤٥
الخوف ١٤٦
الخسران ١٤٧
الخلق ١٤٨
الخطأ ١٥٠
الخبيث ١٥٢
الخير ١٥٣
الخيانة ١٥٥
الخصيم ١٥٦
الباب الثامن: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله دال ١٥٧
الدين ١٥٧
الدعاء ١٥٩
الباب التاسع: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ذال ١٦١
الذكر ١٦١
الباب العاشر: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله راء ١٦٥
الرحمة ١٦٥
الروح ١٦٧
الرجاء ١٦٨
الرقبة ١٦٩
الرجم ١٧٠
الرؤية ١٧١
الباب الحادي عشر: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله زاي ١٧٣
الزخرف ١٧٣

الزبر ١٧٣
الزوج ١٧٥
الباب الثاني عشر: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله سين ١٧٧
سواء ١٧٧
السوء ١٧٨
السعي ١٧٩
السوي ١٨٠
السبب ١٨١
السمع ١٨٢
السلطان ١٨٢
السلام ١٨٣
السيئات ١٨٥
السبيل ١٨٧
الباب الثالث عشر: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله شين ١٩٠
الشرك ١٩٠
الشقاق ١٩١
الشهادة ١٩٢
الشيع ١٩٧
الباب الرابع عشر: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله صاد ١٩٩
الصدق ١٩٩
الصف ٢٠٠
الصيحة ٢٠١
الصاعقة ٢٠٢
الصلاح ٢٠٣
الصراط ٢٠٤
الصلاة ٢٠٥
الصوم ٢٠٧

الباب الخامس عشر: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ضاد ٢٠٩
الضحى ٢٠٩
الضرب ٢٠٩
الضر ٢١١
الضلال ٢١٣
الباب السادس عشر: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله طاء ٢١٧
الطهارة ٢١٧
الطاغوت ٢١٩
الطمأنينة ٢٢٠
الطيبات ٢٢١
الطعام ٢٢٢
الطغيان ٢٢٤
الطمس ٢٢٥
الطائر ٢٢٦
الباب السابع عشر: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ظاء ٢٢٧
الظلمات ٢٢٧
الظلم ٢٢٩
الظالمون ٢٣٠
الظهور وما يتصرف منه ٢٣١
الظلال ٢٣٤
الظن ٢٣٥
الباب الثامن عشر: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله عين ٢٣٧
القول في العالَمين ٢٣٧
العمى ٢٣٩
العلم ٢٤١
العز ٢٤١
العبادة ٢٤٢
العدوان ٢٤٤

العفو ٢٤٥
العدل ٢٤٦
العهد ٢٤٧
العرض ٢٤٨
العين ٢٥٠
الباب التاسع عشر: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله غين ٢٥٢
الغي ٢٥٢
الغيب ٢٥٣
الباب العشرون: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله فاء ٢٥٤
الفساد ٢٥٤
الفرقان ٢٥٥
الفرض ٢٥٦
الفاحشة ٢٥٨
الفرار ٢٦٠
في ٢٦٠
الفتح ٢٦٢
فوق ٢٦٣
الفتنة ٢٦٥
الفرح ٢٦٧
الفضل ٢٦٨
الباب الحادي والعشرون: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله قاف ٢٧٠
قانتون ٢٧٠
القوة ٢٧١
القضاء ٢٧٢
القدر ٢٧٥
قليل ٢٧٧
القتل ٢٧٨

القول ٢٧٨
القائم ٢٧٩
الباب الثاني والعشرون: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله كاف ٢٨٠
الكتب ٢٨٠
الكفر ٢٨٢
كان ٢٨٣
كبير ٢٨٥
كذب ٢٨٧
الكريم ٢٨٩
الكلمة ٢٩٠
الباب الثالث والعشرون: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله لام ٢٩٢
اللباس ٢٩٢
لولا ٢٩٣
لَمَّا ولِمَا ٢٩٥
اللغو ٢٩٦
اللام المكسورة ٢٩٧
الباب الرابع والعشرون: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ميم ٢٩٩
ما ومن ٢٩٩
المس ٣٠٠
المعروف ٣٠١
من ٣٠٢
المد ٣٠٤
المستقر ٣٠٥
المشي ٣٠٦
المرض ٣٠٧
المحصنات ٣٠٨
المثل ٣١٠

المتاع ٣١١
المولى ٣١٣
المنسك ٣١٥
المصيبة ٣١٥
المقام ٣١٦
المفاتح ٣١٧
الباب الخامس والعشرون: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله نون ٣١٩
الناس ٣١٩
النار ٣٢١
النسيان ٣٢٢
النشوء ٣٢٣
النفس ٣٢٤
النصيب ٣٢٦
النكاح ٣٢٧
النظر ٣٢٩
النجم ٣٣٠
النشوز ٣٣٢
النور ٣٣٣
الباب السادس والعشرون: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله واو ٣٣٥
الوكيل ٣٣٥
الوحي ٣٣٥
الولي ٣٣٦
الوجه ٣٣٨
الباب السابع والعشرون: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله هاء ٣٤٠
الهدي ٣٤٠
هل ٣٤٢
الهلاك ٣٤٣

الباب الثامن والعشرون: في ذكر لا ٣٤٤
لا ٣٤٤
الباب التاسع والعشرون: فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ياء ٣٤٦
اليسير ٣٤٦
اليوم ٣٤٧
اليد ٣٤٧
اليقين ٣٤٩
اليمين ٣٤٩
فهرس المحتويات ٣٥١